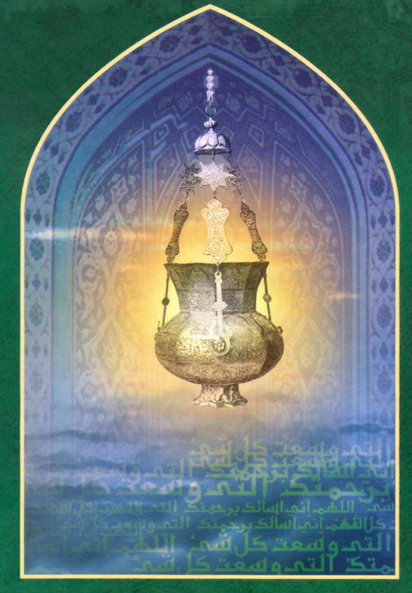


أسرار العارفين

في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

شرح دعاء كميل



العالم الجليل والفاضل النبيل

السيد جعفر بن محمد باقر بن مهدي

بحر العلوم قدس سره

١٢٨٩-١٣٧٧هـ.ق

تحقيق: فارس حسون كريم

مكتبة فدك لإحياء التراث


شبكة الفكر
alfeker.net


أسرار العارفين
في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
شرح دعاء كميل



شرح دعاء كميل

تأليف

العالم الجليل والفاضل النبيل

السيد جعفر بن محمد باقر بن مهدي

بحر العلوم قدس سره

١٢٨٩-١٣٧٧هـ.ق

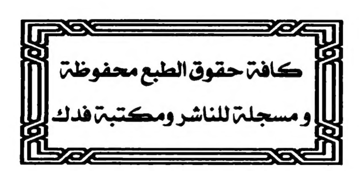
تحقيق

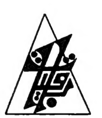
فارس حسون كريم

مكتبة فدك لإحياء التراث

أسرار العارفين

آية الله السيد جعفر بحر العلوم





- الناشر: باقيات
- الكمّية: ٢٠٠٠ نسخة
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الأولى
- تاريخ الطبع: ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.ق
- القطع وعدد الصفحات: وزيري - ٤٩٨ صفحة

شابك: ٩٧٨-٩٦٤-٦١٦٨-٦٦-٤

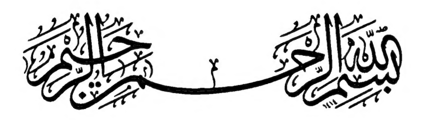
عنوان الناشر: ايران - قم - شارع معلم - رقم ٤٤ - تلفون: ٧٧٤٣٩٠٠

مركز التوزيع: ايران - قم - مجمع الإمام المهدي (عج) - الطابق الأرضي
رقم ١١٦،١١٧ - تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤




بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر



الحمد لله ربّ العالمين ،

وصلاته وسلامه على خير بريّته الذي أرسله رحمة للعالمين ،

محمّد وعلى آله الأطهار الغرّ الميامين

وبعد :

فممّا لا ريب فيه أنّ محلّ الإنسان ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى على قدر دعائه ، وقيمته بقدر اهتمامه بمناجاته وندائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[1] ، فإنْ دعا العبد وتضرّع وانقطع إلى الله عزّ وجلّ سيزول بأسه ، ويكشف كربه ، ويتسامى وينتصر على ذاته ، وإنْ ترك الدعاء كان ذلك استكباراً عن عبادة الحقّ تعالى ، والجزاء دخول النّار والعذاب المهين ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] . هذا من جهة .

ومن جهةٍ أُخرى : فقد أرسى سيّد الكائنات رسول الله صلى الله عليه وآله أساس

---

(١) الفرقان ٢٥ : ٧٧ .

(٢) غافر ٤٠ : ٦٠ .

الدعاء لأُمّته ، وفتح لهم بابه على مصراعيه ، ليبقى تراثاً يرتاده الطالبون الحيارى ، ومعيناً ينهل منه الخطّاؤون الغلابى .

حتّى يأتي الدور من بعده لوصيّه وخليفته ، وباب مدينة علمه وحكمته ، سيّد الوصيّين ، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليرفد هذا التراث بجملةٍ من أدعيته التي ملأت الأسماع ، ورقّقت الطباع .

ومن أبرز أدعيته تلك ؛ الدعاء المعروف بـ« دعاء كميل بن زياد » الذي رصّعه عليه السلام بأجمل العبارات وأبلغها ، وكان من أهمّيّته أن تناوله طائفة من الأعلام بالشرح والتفسير .

والكتاب الذي نقدّمه إليك ـ عزيزنا القارئ ـ هو شرح رائع نمّقه يراع العَلَم الحجّة السيّد جعفر بن محمّد باقر تغمّده الله برحمته ـ حفيد آية الله العلّامة السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي قدس سره ـ فأحسن وأجاد ، وأغدق فيه شآبيب ممّا نوّره الله به . وتصدّى لتحقيقه وتوثيقه الأُستاذ فارس حسّون كريم حفظه الله ، فأضافه ـ بما منّ الله عليه ـ حسنة جديدة لحسناته السابقة ، وفّقه الله وإيّانا لخدمة ديننا الإسلامي العزيز .

مكتبة فدك لإحياء التراث



إلى من تخرس بحضرته الكلمات صاغرة، وأنّى لها النطق وهو صائغها؟!

إلى مَن جادت به الدنيا مرّةً لتبقى ذكراه -على مرّ الأجيال- تلهج بها الألسن بكلّ إعجاب.

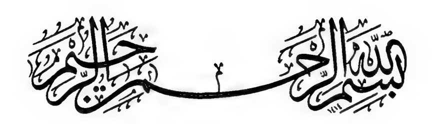
إلى سيّد الوصيّين، أمير المؤمنين



أُقدّم هذا الجهد اليسير، راجياً منه القبول.



مقدّمة التحقيق



الحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف الرسل وخاتم النبيّين ،

محمّد وعلى آله النجباء الطاهرين

وبعد :

فإنّ الغاية من خلق الإنسان هي العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[1] .

والعبادة هي حركة نحو الله الخالق ، قال عزّ وجلّ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[2] . وقال رسول الله ﷺ : « **الدعاء مخ العبادة** »[3] ، فنستطيع أن نلمس من خلال هذين النصّين مدى قوّة الرابطة بين الخالق والمخلوق ، ونفهم أنّ الدعاء هو مفتاح بلوغ الآمال والأماني .

أمّا الداعي فيجب عليه أن يتّصف بصفاتٍ تؤهّله أن ينال من ثمرات الدعاء

---

(١) الذاريات ٥١ : ٥٦ .

(٢) البقرة ٢ : ١٨٦ .

(٣) دعوات الراوندي : ١٨ ، الحديث ٨ . بحار الأنوار : ٩٣/٣٠٠ ، ضمن الحديث ٣٧ .

ومعطياته، فعليه ـ مثلاً ـ أن يعرف أنّ أصله من التراب، ومن طينٍ، ومن حمأ مسنونٍ، ومن ماءٍ مهينٍ، وفي أسفل درجات الرذالة والنقصان.

وعليه أيضاً أن يعرف أنّه مملوك لمالكٍ قادرٍ قاهرٍ في أعظم درجات الجلالة والمهابة.

فعليه أن يدعو ويستغيث مالكه وعلى وجهه ذلّ العبوديّة، وينبغي أن يبتدئ بالحمد والثناء على الخالق سبحانه وتعالى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إيّاكم أن يسأل أحد منكم ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجلّ والمدحة له، والصلاة على النبيّ وآله، ثمّ الاعتراف بالذنب، ثمّ المسألة»**[1].

وقدوتنا في ذلك أئمّتنا الهداة عليهم السلام، فقد جسّدوا أروع الصور ـ من خلال أدعيتهم ومناجياتهم ـ في التذلّل والخضوع لله تعالى، فكان أحدهم عليهم السلام يدعو وكأنّه لم يكن على الأرض مَن اقترف من الذنب مثل ما اقترف، وحاشاهم من ذلك وتنزّهوا.

انظر ـ مثلاً ـ الإمام السجّاد عليه السلام، فهو يقول في دعائه:

«... فَهَلْ يَنْفَعُني يا إلٰهي إقْراري عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ؟ وَهَلْ يُنْجيني مِنْكَ اعْتِرافي لَكَ بِقَبيحِ مَا ارْتَكَبْتُ؟ أمْ أوْجَبْتَ لي في مَقامي هٰذا سُخْطَكَ؟ أمْ لَزِمَني في وَقْتِ دُعائي مَقْتُكَ؟»[2].

ويقول عليه السلام في موضع آخر:

«هٰذا مَقامُ مَنْ تَداوَلَتْهُ أيْدي الذُّنُوبِ، وَقادَتْهُ أزِمَّةُ الْخَطايا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطانُ، فَقَصَّرَ عَمّا أمَرْتَ بِهِ تَفْريطاً، وَتَعاطىٰ ما نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْريراً، كَالْجاهِلِ

---

(١) دعوات الراوندي: ٢٣، الحديث ٢٧. بحار الأنوار: ٣١٢/٩٣، ضمن الحديث ١٧.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الجامعة: ٧٧، دعاء رقم ٣٤.

بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ ، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسانِكَ إِلَيْهِ ، . . . »[١].

ويقول الإمام الباقر عليه‌السلام :

« اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَارْحَمْني ، وَاهْدِني سَبِيلَكَ الْأَقْوَمَ ، وَقِني حَرَّ جَهَنَّمَ ، وَاحْطُطْ عَنِّي الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ... »[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه‌السلام :

« إِلٰهي ، كَيْفَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ ، وَكَيْفَ لا أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرَفْتُ حُبَّكَ في قَلْبي؟! وَإِنْ كُنْتُ عاصياً مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَداً بِالذُّنُوبِ مَمْلُوءَةً ، وَعَيْناً بِالرَّجاءِ مَمْدُودَةً. مَوْلايَ ، أَنْتَ عَظِيمُ الْعُظَماءِ ، وَأَنا أَسِيرُ الْأُسَراءِ ، أَنا أَسيرٌ بِذَنْبي ، مُرْتَهَنٌ بِجُرْمي... »[٣].

وهكذا دواليك إمام بعد إمامٍ .

وأمّا أبو الأئمّة أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام فإنّ صحيفته العلويّة تشهد له عن شدّة تعلّقه بالله تعالى ، ومدى تذلّله وخشيته منه سبحانه .

قال الإمام السجّاد عليه‌السلام لابنه الباقر عليه‌السلام : **« يا بنيّ ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، فأعطيته**[٤]**، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ، ثمّ تركها من يده تضجّراً ، وقال : مَن يقوى على عبادة عليّ عليه‌السلام ؟ ! »**[٥].

ويتجلّى لنا كلّ ذلك في فقرات دعائه الذي نحن بصدد تحقيق شرحه ، وهو « دعاء كميل » .

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ١٥٢ ، دعاء رقم ٨٠.

(٢) الصحيفة الباقريّة الجامعة : ٢١ ، دعاء رقم ٢٣.

(٣) الصحيفة الصادقيّة الجامعة : ١٥٠ ، دعاء رقم ٤٣.

(٤) أي : قال الباقر عليه‌السلام .

(٥) إرشاد المفيد : ١٤٢/٢. مناقب ابن شهرآشوب : ١٤٩/٤. بحار الأنوار : ٧٤/٤٦، الحديث ٦٥.

دعاء كميل بن زياد

قال السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال ـ في أدعية ليلة النصف من شعبان ـ: من الدعوات في هذه الليلة ما رويناه بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر الطوسي رحمه الله قال: روي أنّ كميل بن زياد النخعي رأى أمير المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان.

أقول: ووجدت في رواية أُخرى ما هذا لفظها:

قال كميل بن زياد: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[1]؟

قال عليه السلام: «**هي ليلة النصف من شعبان، والذي نفس عليّ بيده، إنّه ما من عبدٍ إلّا وجميع ما يجري عليه من خيرٍ وشرٍّ مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبدٍ يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلّا أُجيب له**».

فلمّا انصرف، طرقته ليلاً، فقال عليه السلام:

«**ما جاء بك يا كميل؟**».

قلت: يا أمير المؤمنين، دعاء الخضر عليه السلام.

فقال: «**اجلس، يا كميل، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كلّ ليلة جمعة، أو في الشهر مرّة، أو في السنة مرّة، أو في عمرك مرّة، تكفَ وتنصر وترزق، ولن تعدم المغفرة.**

يا كميل، أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجودَ لك بما سألت»، ثمّ قال عليه السلام:

---

(١) الدخان ٤٤: ٤.

« اكتب » ثمّ ذكر الدعاء[1].

شخصيّة كميل بن زياد[2]:

هو كميل بن زياد بن نَهيك بن الهيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صُهبان بن سعد بن مالك بن النَّخْع ؛ وقيل : كميل بن عبدالله ، وقيل : كميل بن عبدالرحمن .

وُلد قبل الهجرة بعدّة سنين في اليمن ، وقبيلته معروفة ، ينتمي إليها أيضاً : مالك الأشتر ، وهلال بن نافع ، وغيرهم .

لقد قرّبه أمير المؤمنين عليه‌السلام وعيّنه والياً وحاكماً على مدينة « هيت » في العراق ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٢٢٠ ، طبعة مؤسّسة الأعلمي .
وانظر دعاء كميل في المصادر التالية أيضاً :
١ ـ مصباح المتهجّد : ٨٤٤ ـ بتحقيق مرواريد ـ .
٢ ـ جمال الأُسبوع : ٥٤٢ ـ الطبعة الحجريّة ـ .
٣ ـ مصباح الكفعمي : ٧٣٧ ـ طبعة مؤسّسة الأعلمي ـ .
٤ ـ البلد الأمين : ٢٦٥ ـ طبعة مؤسّسة الأعلمي ـ .
٥ ـ الصحيفة العلويّة الجامعة : ٣٩٢ ، دعاء رقم ٢٢٦ .
وذكرت غالبية المصادر أنّه يستحبّ قراءة هذا الدعاء ليلتي : الجمعة ، والنصف من شعبان .

(٢) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى : ١٧٩/٦ . تاريخ خليفة بن خيّاط : ٢٨٨ . التاريخ الكبير : ٢٤٣/٧ ، الرقم ١٠٣٦ . رجال البرقي : ٦ . رجال ابن داود : ١٥٦ ، الرقم ١٢٤٨ . الجرح والتعديل : ١٧٤/٧ ، الرقم ٩٩٥ . إرشاد المفيد : ٢٢٧/١ و ٣٢٧ . الاختصاص : ٧ . رجال الشيخ الطوسي : ٥٦ ، الرقم ٦ و ٦٩ ، الرقم ١ . تهذيب الكمال : ٢١٨/٢٤ ، الرقم ٤٩٩٦ . خلاصة الأقوال : ٣٠٩ ، الرقم ١٢٠٢ . تهذيب التهذيب : ٣٩٠/٨ ، الرقم ٥٨٩٠ . تقريب التهذيب : ١٣٦/٢ ، الرقم ٧٠ . شذرات الذهب : ٩١/١ . معجم رجال الحديث : ١٢٨/١٤ ، الرقم ٩٧٥٣ . الأعلام / الزركلي : ٢٣٤/٥ .

وبلغت ثقته به أن كتب عليه السلام إلى كاتب بيت المال عبيدالله بن أبي رافع، يقول فيه: **«سيصلك عشرة من الثقات لإجراء تصفية الحسابات الخاصّة والمتعلّقة ببيت المال»**، فلمّا استفسر عبيدالله عن أسمائهم سمّاهم الإمام، وكان كميل بن زياد أحدهم، وكان لفترة مسؤولاً عن بيت المال.

وإنّ تعليم الإمام عليه السلام له الدعاء المشهور باسمه، وما جاء فيه من رفيع الأدب، وفنون التهجّد والعبادة لدليل على ماكان يتمتّع به كميل من المعرفة العالية، والمنزلة الرفيعة.

وكان كميل رحمه الله يصاحب الإمام عليه السلام، ويستوعب كلّ كلمة تصدر منه عليه السلام، وكان يجالس الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة طوال الليالي يستفيد من حكمه ومواعظه.

ولمّا وُلّي الحجّاج بن يوسف طلب كميل، فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفد عمري، لا ينبغي أن أُحرم قومي عطاءهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج، وقال: لقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي[1].

فقال له الحجّاج: الحجّة عليك إذن.

فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك.

قال: بلى، قد كنتَ فيمن قتل عثمان بن عفّان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه، فقُتل صابراً محتسباً، وصعدت روحه الطاهرة إلى مصاف أرواح الصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً.

وكانت وفاته سنة **٨٢**؛ وقيل: سنة **٨٨هـ**، عن عمر يناهز **٧٠** سنة.

---

(١) إرشاد المفيد: ٣٢٧/١. كشف الغمّة: ٢٧٨/١. الإصابة: ٣١٨/٣. المحجّة البيضاء: ١٩٨/٤. بحار الأنوار: ١٤٨/٤٢، الحديث ١٢.

شذرات من حياة المؤلّف[١]

اسمه:

السيّد جعفر بن محمّد باقر بن عليّ بن رضا بن مهدي بحر العلوم الطباطبائي النجفي.

ولادته:

وُلد في النجف الأشرف يوم ٢٩ محرّم الحرام سنة ١٢٨٩هـ ـكما وُجد بخطّ جدّه السيّد عليّ مؤلّف البرهان القاطع[٢]ـ.

نشأته ومنزلته:

نشأ على فضلاء أُسرته، فتخرّج على الآيتين الكاظمين: اليزدي[٣]، والخراساني[٤]، وصاهره العلّامة السيّد عليّ ابن اليزدي على بنته.

وكان فاضلاً، أديباً، عالماً، جليلاً، فطناً، مستحضراً لمتون الأخبار، له مكتبة فيها جملة من المخطوطات والنفائس من آثار العلماء وخطوطهم.

---

(١) تجد ترجمته في: معارف الرجال: ١/١٨٢، الرقم ٨١. الذريعة: ٢/٥١، الرقم ٢٠٤. طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر): ١/٢٨١.

(٢) البرهان القاطع في شرح المختصر النافع، ذكره آقا بزرك الطهراني في الذريعة: ٣/٩٩، الرقم ٣١٨، وقال: توفّي السيّد عليّ سنة ١٢٩٨هـ.

(٣) هو: السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، صاحب كتاب العروة الوثقى، المتوفّى سنة ١٣٣٧هـ.

(٤) هو: الشيخ محمّد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند، صاحب كتاب كفاية الأُصول، المتوفّى سنة ١٣٢٩هـ.

مؤلّفاته:

١ ـ أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: وهو كتابنا الحاضر، وسيأتي الكلام عنه.

٢ ـ تحفة الطالب في حرمة (حكم) حلق اللحية والشارب[١]: طبع مع ترجمته في النجف سنة **١٣٤٧**هـ.

٣ ـ تحفة العالم في شرح خطبة المعالم[٢]: في جزءين، أوّلهما في شرح نفس الخطبة، وفيه ذكر تواريخ المعصومين عليهم السلام من الولادة إلى الوفاة، وذكر مشاهدهم وقبورهم وتواريخ المشاهد، وما طرأ عليها من العمارة والخراب وساكنيها وغير ذلك، وذكر أولادهم وتواريخ أحوالهم.

والجزء الثاني في شرح الأحاديث المصدّر بها كتاب المعالم بعد الخطبة، وهي تسعة وثلاثون حديثاً في فضل العلم والعلماء. فرغ منه في **٢٥** شوّال سنة **١٣٤٣**هـ.

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني: رأيت النسخة بخطّه الجيّد. طبع في النجف سنة **١٣٥٥**هـ في مطبعة الغريّ.

٤ ـ شرح نجاة العباد[٣]: خرج منه مجلّد الصلاة وقرّظه أُستاذه آية الله السيّد

---

(١) الذريعة: ٣/٤٤٨، الرقم ١٦٢٨.

(٢) الذريعة: ٣/٤٥١، الرقم ١٦٤٢. والمراد من المعالم: «معالم الدين وملاذ المجتهدين» لأبي منصور جمال الدين الحسن بن زين الدين العاملي، المذكور في الذريعة: ٢١/١٩٨، الرقم ٤٥٩٥.

(٣) الذريعة: ١٤/١٠١، الرقم ١٩٠٢. والمراد من نجاة العباد: «نجاة العباد في يوم المعاد» للعلّامة محمّدحسن بن باقر الأصفهاني، انتزعه من كتابه «جواهر الكلام»، وهو رسالة عمليّة فتوائيّة، ذكره الطهراني في الذريعة: ٢٤/٥٩، الرقم ٢٩٢.

محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي.

ومجلّد آخر في الإرث، فرغ منه في ٢٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٢٩ه.

وهو شرح ممزوج.

مشايخه في الإجازة:

أجازه أن يروي عنه السيّد محمّد بن محمّد تقي، صاحب «بلغة الفقيه»، المتوفّى في ٢١ رجب سنة ١٣٢٦ه.

الراوون عنه بالإجازة:

١ ـ الشيخ محمّد بن عليّ حرز الدين النجفي، المتوفّى سنة ١٣٦٥ه، وتاريخ الإجازة في ٤ محرّم الحرام سنة ١٣٥٣ه، حيث أجازه بكلّ ما يرويه عن مشايخ روايته.

ولده:

١ ـ السيّد هاشم.

وفاته:

توفّي ﷺ في النجف الأشرف يوم الاثنين خامس ربيع الأوّل سنة ١٣٧٧ه عن عمر يناهز ٨٨ سنة وستّة وثلاثين يوماً.

حول الكتاب

كتاب ثمين تناول ـ كما يظهر من عنوانه ـ شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو الدعاء المرويّ عنه المشهور بـ « دعاء كميل بن زياد » .

والحقّ يقال : إنه قد فاق ما كتب في هذا الموضوع ، حيث مزجه مؤلّفه رحمه الله بروايات كثيرة أخذها من مصادرنا المعتبرة .

فرغ من تأليفه رحمه الله سنة **١٣٣٠**هـ، وطبع في النجف الأشرف سنة **١٣٤٢**هـ طبعة حجريّة في حياة مؤلّفه رحمه الله .

ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني[١] ، وكذا الشيخ حرز الدين[٢] .

النسخة المعتمدة:

هي المطبوعة الحجريّة آنفة الذكر ، والتي طبعت في حياة المؤلّف رحمه الله في النجف الأشرف بالمطبعة المرتضويّة في شهر صفر من سنة **١٣٤٢**هـ، وقد نمّق الكتاب وفرغ منه محمود بن مهدي التبريزي الأصل ، النجفي المسكن ، في يوم الخميس رابع شهر جمادى الأُولى من شهور سنة ١٣٤٢هـ بداره الواقعة في جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت في **١٥٤** صفحة .

منهج التحقيق:

استنسخنا الكتاب وفق المطبوعة الحجريّة ، وقابلناه معها لضبط صحّة ما استنسخناه ، ومن ثمّ كان عملنا كالتالي :

---

(١) الذريعة : ٢/٥١ ، الرقم ٢٠٤. طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) : ١/٢٨١ .

(٢) معارف الرجال : ١/١٨٣ .

١ ـ أثبتنا نصّاً متقناً ـ قدر الوسع والإمكان ـ لدعاء كميل بن زياد وفق مصادره المعتبرة.

٢ ـ طابقنا الآيات القرآنيّة مع القرآن، وأعربناها، وأشرنا لمحالّ وجودها فيه.

٣ ـ استخرجنا الأحاديث من مصادرها وقابلناها معها، وأشرنا لمواضع الاختلاف المهمّة.

٤ ـ قمنا بشرح المفردات الغامضة أو المبهمة.

وفي الأخير نحمده ونشكره عزّ وجلّ على ما منَّ به علينا من نعمٍ لا تحصى، ونسأله تعالى أن يوفّقنا لإحياء دررٍ اُخرى من تراثنا الإسلامي العزيز.

ونسجّل فائق تقديرنا لمن ساهم في إنجاز هذا الكتاب، سيّما الأخ الفاضل لواء الكرماني الذي كان صاحب الاقتراح علينا بتحقيقه، ومن ثمّ سعيه مشكوراً في طبعه ونشره، وكذا السيّد الموسوي، حيث أخذ على عاتقه صفّ الحروف، فجزاهما الله خير جزاء المحسنين.

والحمد لله ربّ العالمين

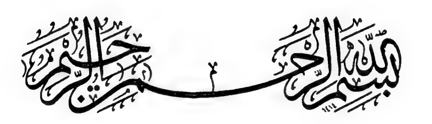
فارس حسّون الدينوري

الكوت / العراق

٢١ رمضان المبارك ١٤٢٦هـ

ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

مقدّمة الطبعة الحجريّة



اللّهمّ إليك يصعد الكلم الطيّب ، ويُرفع العمل الصالح ، حمداً لمن لا ينقطع عنّا معروفه وإن تقطّعت بنا الأسباب ، وشكراً لمن نتقلّب في نعمته من جناب إلى جناب .

أمّا بعد :

لمّا قد حظي هذا العقد النفيس بمطالع جليّة هذا من المنّ ، ومنّ بوجود المنّة لله ذي المنن ، شيخ الطائفة الإماميّة وسيّد مجتهدي الجعفريّة ظلّ الله تعالى في البلاد ، وبقيّة الصالحين في العباد ، الجامع بين الفضيلتين : العلم والعمل ، والمحلّى في الحليتين : من الأواخر والأُول : حجّة الإسلام والمسلمين ، وآية الله في العالمين ، الحبر الربّاني ، مولانا الحاجّ الشيخ عبدالله الشهير بالمامقاني دامت بركاته ، وزيدت إفاضاته ، وقدكان أيّده الله ممّن رغب عن زبد هذه الدنيا الذي يذهب جفاءً ، ورغب فيما يمكث وينفع النّاس ، ولا زال يقلّب حرّ وجهه الكريم في طاعة الله ، وينتقل في أفياء مرضاته من تصنيف وتأليف وتدريس وإرشاد وطاعة واجتهاد ، إقامة للدين ، وإحياءً للسنّة ، وتعظيماً للشعائر إلى أن تزيّنت بمآثره المنابر ، وزبرت بإفاضاته الدفاتر ، تصنيفاً في الفقه والأُصول ، وتأليفاً في المعقول والمنقول ، حتّى التقط هذه الدرّة ، وفازت لديه بحظوة القبول ؛ لأنّه من جملة هذا الوحي ، ومن أهل بيت هذه

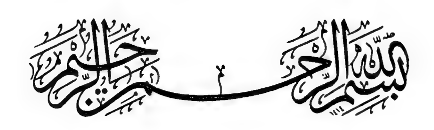
الحكمة ، ولا يعرف الفضل إلّا ذويه ، ولا الشوق إلّا من يعانيه ، رغب أدام الباري تعالى بركاته في طبعه ونشره ، وإضاعة[١] عطره ونشره ، حتّى يستأنس الذاكرون بفائدته ، ويتزوّد العالمون بمائدته ، رغبة في ما عند الله من جزيل الثواب ، راجياً أن يكون له بهذه الوسيلة طوبى وحسن مآب ، فلحظه بعنايته ، وأمر أن يطبع من الشركة المعدّة لطبع مصنّفاته ، طامعاً أن تشمله دعوة الداعين ، ويبقى ذكره في الذاكرين ، والله هو الموفّق والمسدّد .

طبعت في المطبعة المباركة المرتضويّة في النجف الأشرف على ساكنها آلاف الثناء والتحيّة ، وقد نمّقه العبد المذنب العاصي الراجي رحمة ربّه الكريم محمود ابن المرحوم الحاجّ مهدي التبريزي النجفي عفي عنهما في شهر صفر المظفّر من شهور سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة (**١٣٤٢**) .

---

(١) يقال : ضاعَتِ الريحُ ضَوْعاً : أي : نَفَحَتْ .

دعاء كميل



اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ[1] أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ، يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ

---

(١) في نسخة: «غَلَبَتْ».

الذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجاءَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا. اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ. وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلىٰ نَفْسِكَ. وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ، وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ، أَنْ تُسامِحَنِي وَتَرْحَمَنِي، وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ راضِياً قَانِعاً، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوالِ مُتَواضِعاً. اللّٰهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدائِدِ حَاجَتَهُ، وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ. اللّٰهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ، وَعَلَا مَكَانُكَ، وَخَفِيَ مَكْرُكَ، وَظَهَرَ أَمْرُكَ، وَغَلَبَ قَهْرُكَ، وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ، وَلَا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ.

اللّٰهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِراً، وَلَا لِقَبائِحِي سَاتِراً، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِيَ الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي، وَسَكَنْتُ إِلى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنِّكَ عَلَيَّ.

اللّٰهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ، وَكَمْ مِنْ فادحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقَلْتَهُ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ.

اللّٰهُمَّ عَظُمَ بَلَائِي، وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي، وَقَصُرَتْ[1] بِي أَعْمَالِي، وَقَعَدَتْ بِي أَغْلَالِي، وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ آمالِي[2]. وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا

---

(١) في نسخة: «قَصَّرَتْ».

(٢) في نسخة: «أَمَلِي».

بِغُرُورِها، وَنَفْسي بِجِنَايَتِهَا[١]، وَمِطَالي يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُك بِعِزَّتِك أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائي سُوءُ عَمَلي وَفِعَالي، وَلَا تَفْضَحْني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلىٰ مَا عَمِلْتُهُ في خَلَواتي مِنْ سُوءِ فِعْلي وَإِسَاءَتي، وَدَوام تَفْرِيطي وَجَهَالَتي، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتي وَغَفْلَتي. وَكُنِ اللّٰهُمَّ بِعِزَّتِكَ لي في كُلِّ الْأَحْوالِ[٢] رَؤُوفاً، وَعَلَيَّ في جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً. إِلٰهي وَرَبِّي مَنْ لي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرِّي، وَالنَّظَرَ في أَمْرِي.

إِلٰهي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوىٰ نَفْسي وَلَمْ أَحْتَرِسْ فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّني بِمَا أَهْوىٰ، وَأَسْعَدَهُ عَلَى ذٰلِكَ الْقَضَاءُ، فَتَجاوَزْتُ بِمَا جَرىٰ عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ بَعْضَ[٣] حُدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوامِرِكَ، فَلَكَ الْحُجَّةُ[٤] عَلَيَّ في جَمِيعِ ذٰلِكَ وَلَا حُجَّةَ لي فِيمَا جَرىٰ عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ، وَأَلْزَمَني حُكْمُكَ وَبَلَاؤُكَ. وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلٰهي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرافي عَلىٰ نَفْسي مُعْتَذِراً نَادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً مُسْتَغْفِراً مُنِيباً مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً، لَا أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ في أَمْرِي، غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي، وَإِدْخالِكَ إِيَّايَ في سَعَةِ (مِنْ)[٥] رَحْمَتِكَ.

---

(١) في نسخة: «بِخِيانَتِها».

(٢) في نسخة: «الْأَحْوالِ كُلِّها».

(٣) في نسخة: «مِنْ نَقْضِ».

(٤) في نسخة: «الْحَمْدُ».

(٥) في نسخة.

اللّٰهمّ[١] فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثاقي، يَا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني، وَرِقَّةَ جِلْدِي، وَدِقَّةَ عَظْمي، يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي وَذِكْرِي وَتَرْبِيَتي وَبِرِّي وَتَغْذِيَتي، هَبْني لابْتِداءِ كَرَمِكَ وَسَالِفِ بِرِّكَ بي.

يَا إِلٰهي وَسَيِّدِي وَرَبِّي، أَتَرَاكَ مُعَذِّبِي بِنارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ، وَبَعْدَ مَا انْطوىٰ عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ، وَلَهِجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ، وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ، وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافي وَدُعَائي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ.

هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ، أَوْ تُبعِدَ[٢] مَنْ أَدْنَيْتَهُ، أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ، وَلَيْتَ شِعْري يَا سَيِّدِي وَإِلٰهي وَمَوْلَايَ، أَتُسَلِّطُ النَّارَ عَلَى وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدَةً، وَعَلىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدكَ صَادِقَةً وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلىٰ قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلى ضَمَائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتَّى صَارَتْ خَاشِعَةً، وَعَلَى جَوارِحَ سَعَتْ إِلىٰ أَوْطَانِ تَعَبُّدِكَ طَائِعَةً، وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، مَا هكَذَا الظَّنُّ بِكَ، وَلَا أُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ يَا رَبِّ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيا وَعُقُوبَاتِهَا، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلىٰ أَهْلِهَا، عَلىٰ أَنَّ ذٰلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْثُهُ، يَسِيرٌ بَقَاؤُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ، فَكَيْفَ احْتِمَالي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ وَجَلِيلِ[٣] وُقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ

---

(١) في نسخة: «إلٰهي».

(٢) في نسخة: «تُبَعِّدَ».

(٣) في نسخة: «حُلُولِ».

مَقَامُهُ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهٰذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ. يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي[١] وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ.

يَا إِلٰهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْهَا أَضِجُّ وَأَبْكِي، لِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ، أَمْ لِطُولِ الْبَلَاءِ وَمُدَّتِهِ. فَلَئِنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ، فَهَبْنِي يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي، صَبَرْتُ عَلَىٰ عَذَابِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَىٰ فِرَاقِكَ؟ وَهَبْنِي (يَا إِلٰهِي)[٢] صَبَرْتُ عَلَىٰ حَرِّ نَارِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ كَرَامَتِكَ؟ أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ؟ فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أُقْسِمُ صَادِقاً، لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً، لَأَضِجَّنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ[٣]، وَلَأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ. وَيَا إِلٰهَ الْعَالَمِينَ، أَفَتُرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلٰهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ[٤] فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ، وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا

---

(١) في نسخة: « لي ».

(٢) في نسخة.

(٣) في نسخة: « الآلِمِينَ ».

(٤) في نسخة: « يُسْجَنُ ».

بِجُرْمِهِ وَجَرِيْرَتِهِ، وَهُوَ يَضِجُّ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ.

يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقىٰ فِي الْعَذابِ وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ؟ أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ؟ أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهِيبُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرىٰ مَكَانَهُ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ؟ أَمْ كَيْفَ يَتَقَلْقَلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ؟ أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَتُهَا وَهُوَ يُنَادِيكَ يَا رَبَّهْ؟ أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا فَتَتْرُكُهُ فِيهَا.

هَيْهَاتَ مَا ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا مُشْبِهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ، فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ، لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جَاحِدِيكَ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيكَ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَا كَانَ[1] لِأَحَدٍ فِيهَا مَقَرّاً وَلَا مُقَاماً، لٰكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ، وَأَنْتَ جَلَّ ثَنَاؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكَرِّماً، أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ.

إِلٰهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا، أَنْ تَهَبَ لِي فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَفِي هٰذِهِ السَّاعَةِ، كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ

---

(١) في نسخة: «كانَتْ».

عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ، أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ. وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ، وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ[١]، أَوْ إِحْسانٍ فَضَّلْتَهُ[٢]، أَوْ بِرٍّ نَشَرْتَهُ[٣]، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ[٤]، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ، أَوْ خَطَأٍ تَسْتُرُهُ، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ.

يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي، يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي، يَا عَلِيماً بِضُرِّي[٥] وَمَسْكَنَتِي، يَا خَبِيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتي مِنَ[٦] اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْمالي وَأَوْرَادِي[٧] كُلُّها وِرْداً وَاحِداً، وَحَالي في خِدْمَتِكَ سَرْمَداً.

يَا سَيِّدِي يَا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلي، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوْتُ أَحْوالي، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ، قَوِّ عَلىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحي، وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوانِحي، وَهَبْ

---

(١) في نسخة: « تُنْزِلُهُ ».

(٢) في نسخة: « تُفَضِّلُهُ ».

(٣) في نسخة: « تَنْشُرُهُ ».

(٤) في نسخة: « تَبْسُطُهُ ».

(٥) في نسخة: « بِفَقْري ».

(٦) في نسخة: « في ».

(٧) في نسخة: « إِرادَتي ».

لِيَ الْجِدَّ في خَشْيَتِكَ، والدَّوامَ في الاتِّصالِ بِخِدْمَتِكَ، حَتَّىٰ أَسْرَحَ إِلَيْكَ في مَيَادِينِ السَّابِقِينَ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ في المُبَادِرِينَ[١]، وَأَشْتَاقَ إِلىٰ قُرْبِكَ في الْمُشْتَاقِينَ، وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصِينَ، وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوقِنِينَ، وَأَجْتَمِعَ في جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللّٰهُمَّ وَمَنْ أَرادَني بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ، وَمَنْ كَادَني فَكِدْهُ، وَاجْعَلْني مِنْ أَحْسَنِ عَبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ، وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لي بِجُودِكَ، وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ، وَاحْفَظْني بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِسَاني بِذِكْرِكَ لَهِجاً، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً، وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إجابَتِكَ، وَأَقِلْني عَثْرَتي، وَاغْفِرْ[٢] زَلَّتي، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَى عِبَادِكَ بِعِبَادَتِكَ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعائِكَ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الإِجَابَةَ.

فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي، فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لي دُعَائي وَبَلِّغْني مُنَايَ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائي، وَاكْفِني شَرَّ الْجِنِّ والإِنْسِ مِنْ أَعْدَائي.

يَا سَرِيعَ الرِّضا، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءَ، فَإِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ، يَا مَنِ اسْمُهُ دَواءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، وَطَاعَتُهُ غِنىً، ارْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ، وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ، يَا سَابِغَ النِّعَمِ، يَا دافِعَ النِّقَمِ، يَا نُورَ الْمُسْتَوحِشِينَ في

---

(١) في نسخة: « الْبارِزِينَ ».

(٢) في نسخة: « اغْفِرْ لي ».

الظُّلَمِ، يَا عَالِماً لَا يُعَلَّمُ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْـعَلْ بِـي مَـا أَنْتَ أَهْلُهُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْمَيامِينَ مِنْ آلِهِ[1]

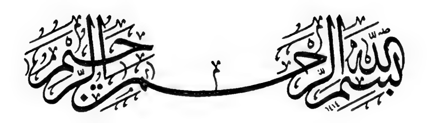
وَسَلَّمَ تَسْلِيماً (كَثِيراً)[2]

---

(١) في نسخة: «أَهْلِهِ».

(٢) في نسخة.

مقدّمة المؤلّف



الحمد لله الذي أنعم على عباده بالدعاء ، وجعله وسيلة لجلب الآلاء والنعماء ، حمداً دائماً لا يعدّ ولا يحصى ، ولا ينتهي ولا يستقصى .

والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد خير من أظهر كلمة التوحيد ، وآله المدركين شوط الشرف البعيد ، الذين بالصلاة عليهم تجتمع شروط الإجابة ، وتقترن الدعوات بمضمون القبول والاستجابة .

أمّا بعد :

فيقول الغريق في بحر الخطأ والعصيان ، الراجي من رحمة ربّه صوب العفو والغفران ، العبد القاصر جعفر نجل المرحوم السيّد محمّدباقر آل بحرالعلوم الطباطبائي : إنّ هذا ما كنت أتمنّاه في سالف الزمن ، ولا زلت ألهج به في السرّ والعلن ، وأشتاقه اشتياق الصائم إلى الهلال ، والصادي[1] إلى شرب الماء الزلال ، من شرح دعاء الخضر الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد ، شرحاً يحصل به العروج إلى معارج الحقّ واليقين ، والفوز بلذّة الوصول إلى ذرى مقامات العارفين ، ولكنّي كنت أحجم إحجام[2] من يرى العجز من نفسه ، واتّهم في هذه الموارد مبالغ

---

(١) **الصادي** : العطشان .

(٢) **الإحجام** ـ بتقديم المهملة أو المعجمة ـ : الكفّ عن الشيء . منه دام مجده .

حدسه ، فأتثبّط عن الدخول في هذا الميدان ، وأتقاعد عن القيام بثقل هذا الأمر العظيم الشأن ، وبذلك قضيت من عمري شطراً وأنا أُقدّم في ذلك رِجلاً وأُؤخّر أُخرى ، وما ذلك إلّا لعوز ما يحتاج إليه السائر في تلك الأبراج ، والسالك غمار هاتيك الفجاج ، من الفطنة الوقّادة ، والبصيرة النقّادة ، مضافاً إلى ما قد ساقه إليّ القضاء والقدر ، والأمر الذي لا منجا منه ولا مفرّ ، من تفرّق البال ، وضيق الأحوال ، وتكدّر الخاطر ، وقلّة المساعد والمشاطر ، إلى أن وفّقني الله تعالى للاستمداد في ذلك المقصد الأسنى ، بناظم هذه الكلمات في سلك التقرير ، وجامع تلك الدرر الغرر في سمط التحرير ، مستعيناً في الظاهر والباطن بجنابه عليه السلام ، مقتبساً من مشكاة أنوار خطابه ، فإن جاء مرضيّاً عند إخواني المؤمنين فببركة جنابه المقدّس ، وإلّا فبقصور من جامعه ، وسمّيته بـ« أسرار العارفين في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام » .

وقبل الشروع في المقصود لا بدّ من تقديم ثلاثة مقاصد :

المقصد الأوّل : وجه نسبة آل بحر العلوم رحمه الله إلى المجلسيَّين رحمهما الله :

اعلم أنّي كثيراً ما أُعبّر في هذا الشرح عن المجلسي ، أعني : المولى محمّد باقر رحمه الله (المتوفّى سنة ١١١١هـ) بخالنا العلّامة ، وعن المولى محمّد صالح المازندراني (المتوفّى سنة ١٠٨١هـ) بجدّي الصالح ، وربّما نقلت شيئاً عن جدّي الأمجد السيّد محمّد ، ولم أعثر على تاريخ وفاته .

وقد جريت بذلك مجرى جدّي العلّامة السيّد عليّ صاحب البرهان القاطع في شرح المختصر النافع (المتوفّى سنة ١٢٩٨هـ) ، وهو وأبو والدي (المتوفّى سنة ١٢٩١هـ) ، وأمّا جدّي الأعلى فهو السيّد المؤيّد بتأييدات الملك الحيّ القيوم السيّد محمّد مهدي ، المشهور في الآفاق ببحر العلوم (المتوفّى سنة ١٢١٢هـ) ، وهو جدّ صاحب البرهان أبو والده السيّد رضا (المتوفّى سنة ١٢٥٣) ، وكان عالماً فاضلاً

جليلاً، له تصانيف في الفقه والأُصول والرجال، والسبب الأصلي في هذا التعبير -مع قطع النظر عن ذلك- هو أنّ العالمة الفاضلة الورعة التقيّة آمنة بنت المولى محمّدتقي المجلسي ﵀ (المتوفّى سنة ١٠٧٠هـ) كانت تحت المولى محمّد صالح المازندراني، فأولدت له بنتاً تزوّجها السيّد عبدالكريم الطباطبائي، فأولدت له السيّد محمّد المزبور الذي هو جدّ السيّد بحر العلوم، والد أبيه السيّد المرتضى (المتوفّى سنة ١٢٠٤هـ)، المدفون في الرواق الحسيني تحت أرجل الشهداء في صندوق من الخاتم.

فهذا السيّد محمّد جدّه المولى محمّد صالح أبو أُمّه، وجدّه الآخر المولى محمّدتقي المجلسي أبو جدّته وخال أُمّه المولى محمّدباقر المجلسي، وخاله الحقيقي المولى آقا هادي المازندراني ابن المولى محمّدصالح المازندراني، وتوفّي سنة ١١٣٥هـ.

وقد صحّ لنا التعبير عن هؤلاء الأعلام بما ذكرنا من حيث انتهاء نسبنا -نحن معاشر آل بحر العلوم- إلى السيّد محمّد المزبور، وهو أحد المشايخ الثلاثة لرواية الأُستاذ المروّج آقا محمّدباقر البهبهاني ﵀ (المتوفّى سنة ١٢٠٨هـ).

وهو على ما ذكره السيّد الأوّاه السيّد عبدالله سبط السيّد الجزائري في صورة إجازته لعلماء الحويزة: كان علّامة، محقّقاً، واسع العلم، كثير الرواية، له مصنّفات كثيرة، منها: شرح المفاتيح، لم يتمّ، ورسالة في تحقيق معنى الكفر والإيمان أدرج فيها فوائد مهمّة ناولني منها نسخة، رأيته أوقات إقامته في بروجرد، وتجارينا في كثير من المسائل الفقهيّة وغيرها، فرأيته بحراً ضافياً، انتهى[١].

ومن جملة مصنّفاته شرحه على الزيارة الجامعة المسمّاة بالأعلام اللامعة، ورسالة في تاريخ الأئمّة وعدد أولادهم، ورسالة صغيرة في فضل مسجد الكوفة،

---

(١) نقله المجلسي ﵀ في بحار الأنوار: ١٠٥/١٣٠.

وهذه الرسائل كلّها عندي بحمد الله تعالى ، ويذكر له كتاب آخر في خواصّ حروف التهجّي لم أعثر عليه إلى الآن ، وقد نسبه إليه السيّد ميرزا محمود في شرح المنظومة (المتوفّى سنة ١٣٠٠هـ).

المقصد الثاني :

اعلم أنّ الداعي لا يكون داعياً ما لم يقصد بكلامه إنشاء الدعاء على وجه يكون المنشئ به كلام ذلك الداعي ، ولو بطريق الاقتباس الواقع كثيراً في النظم والنثر ، حتّى في الخطب العلويّة والدعوات السجّاديّة ؛ إذ قد يختار المتكلّم إدراج كلام الغير في كلامه ، ويختاره لبلاغته ، أو تبرّكاً به ، كما يأتي المصنّف للكتاب بالبسملة والحمدلة على ما كانت عليه في الكتاب العزيز ، فالحقّ أنّ المقتبس من القرآن إذا كان ناقصاً لا دليل على تحريم مسّه ؛ إذ هو ليس من القرآن ،بل مماثل له ، والإعجاز باعتبار الامتناع من الإتيان بفرده الأوّل الذي أوجده الله تعالى أوّلاً من غير آلة اللسان ، أو مثل مغاير له في الكلام ، فالمتجدّد فرد مماثل بحسب الوجود اللفظي لا يتعيّن كونه قرآناً إلّا بقصد الحكاية ؛ إذ الواقع على وجوه مختلفة لا يتعيّن أحدها إلّا بالقصد ، وهذا هو الفرق بين الداعي والقاري .

تحقيق الفرق بين الداعي والقاري

إذ القراءة عبارة عن الحكاية لكلام الغير من حيث كونه كلام الغير ، فقراءة القرآن المأمور بها في الصلاة كقراءة كلّ كلام للغير ليس معناها إلّا حكاية كلامه ، أي التلفّظ بالقرآن من حيث إنّه كلام من الله كقراءة اللمعة والقوانين ـ مثلاً ـ وإن شئت فلاحظ حكايتك قول المنشئ للبيع بقوله : « بعت » فإنّك حين تقول : « بعت » إن أنشأت به البيع لا يكون ذلك من كلام المحكي عنه في شيء ، وإن قصدت به مجرّد الحكاية لا يمكنك قصد الإنشاء به ، ومعناه على الأوّل إنشاء البيع ، وعلى الثاني لفظ

« بعت » الذي تلفّظ به المحكي عنه حين إنشاء البيع ، وهما متغايران .

ولذا ذهب شيخنا الأنصاري ﷺ[١] إلى عدم جواز الجمع بين قصد القراءة وقصد الدعاء في قراءة القرآن الواجبة في الصلاة ، مثل أن يقصد عند قراءة قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٢] جزءً للفاتحة إنشاء الدعاء ، وكذا عند قراءة قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٣] بقصد كونه جزءً للقراءة إظهار الخضوع والعبوديّة بهذا اللفظ ، وهو المنقول عن غيره ، كالعلّامة في التذكرة[٤] ، وإن جوّزه الشهيد ﷺ في الذكرى[٥] ، والسيّد الأُستاذ دام علاه في العروة الوثقى[٦] .

وبالجملة : الجمع بين عنوان القراءة والدعاء ممّا لا يمكن عقلاً ، فلا بدّ إمّا أن يدّعى أنّ قراءة كلام الغير ليس معناه ما ذكر ، أو يدّعى عدم التنافي بينه وبين الإنشاء ، والأوّل مخالف للوجدان ، والثاني مخالف لضرورة العقل .

نعم ، لا مانع من الجمع بين قراءة كلام الغير والالتفات إلى معناه ، بل إنشاء المعنى وإرادته في النفس من غير استعمال للفظ فيه وإنشائه به ، وعليه يحمل ما ورد من الأخبار في باب إظهار الخضوع والعبوديّة عند قراءة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وطلب الهداية عند قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فإنّ المراد إرادة معنى القضايا المذكورة في النفس لا استعمال اللفظ فيها .

ومن هنا يعلم أنّ ما ورد من الأدعية والزيارات مطلقاً أو في خصوص الأوقات

---

(١) كتاب الصلاة : ٢/٢١٤.

(٢) الفاتحة ١ : ٦.

(٣) الفاتحة ١ : ٥.

(٤) تذكرة الفقهاء (الطبعة الحجريّة) : ١/١١٨.

(٥) ذكرى الشيعة : ٣/٣٤٩.

(٦) العروة الوثقى : ٢/٥٣٤ ، المسألة ٨.

ليس الغرض منها قراءة ما قرأه الإمام عليه السلام بعنوان الحكاية ، بل لا بدّ من ضمّ قصد الدعاء حتّى الإنشاء إليها ، فهو نحو تلقين من الأئمّة عليهم السلام في كيفيّة الدعاء ، نظير بيان العالم صيغ العقود للجاهل .

والغرض من هذا التطويل تنبيه الداعين بهذا الدعاء الشريف ، بل وسائر الأدعية على أنّ لا بدّ لهم من إنشاء التعوّذ ، وسؤال الرحمة ، وطلب المغفرة عند كلّ فقرة تناسب ذلك ؛ لما عرفت من معنى الدعاء .

المقصد الثالث :

هذا الدعاء يسمّى دعاء الخضر عليه السلام ، رواه كميل بن زياد النخعي عن عليّ عليه السلام ، على ما رواه في الإقبال[1] بما لفظه : « قال كميل بن زياد : كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه ، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين عليه السلام ، ما معنى قوله تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[2] ؟

قال : **هي ليلة النصف من شعبان ، والذي نفس عليّ بيده ، إنّه ما من عبد إلّا وجميع ما يجري عليه من خير وشرّ مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة ، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلّا اُجيب له .**

فلمّا انصرف طرقته ليلاً ، فقال عليه السلام : **ما جاء بك يا كميل ؟**

قلت : يا أمير المؤمنين ، دعاء الخضر عليه السلام .

فقال : **اجلس ، يا كميل ، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كلّ ليلة جمعة ، أو في الشهر**

---

(١) إقبال الأعمال : ٢٢٠ ، طبعة مؤسّسة الأعلمي .

(٢) الدخان ٤٤ : ٤ .

مرّة ، أو في السنة مرّة ، أو في عمرك مرّة ، تكف وترزق وتنصر ، ولن تعدم المغفرة .

يا كميل ، أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت .

ثمّ قال عليه السلام : **اكتب : اللّهمّ إنّي أسألك برحمتك** ، إلى آخر الدعاء .

قلت : وفي هذا الخبر ـ كغيره ـ دلالة على أنّ ليلة القدر هي ليلة النصف من شعبان بقرينة ما في جملة من أخبار أُخر صريحة في أنّ تسميتها بليلة القدر ؛ لأنّ فيها يقدّر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل ، كما هو مذكور في الصافي[١] ، ولذا ذهب إليه بعض العامّة غير أنّه خلاف ما عليه جمهور الشيعة ، ولذا التزم المجلسي في البحار[٢] في آخر أبواب ما يتعلّق بعمل ليلة النصف من شعبان توجيه ذلك بما يوافق الجمهور ، فراجع .

وهذا كميل بن زياد النخعي من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وخواصّ أبي محمّد الحسن عليه السلام ، ذكره غير واحد من علماء الرجال من أصحابنا ، ووثّقوه غاية التوثيق ، وأثبتوا له المكانة العليا ، والمعرفة الكاملة ، والمنزلة الكابرة ، والشأن الرفيع ، والقدر المنيع ، وكفى في فضله أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا تموّجت علومه وأسراره الباطنيّة أجلسه بين يديه ، وأفاض من بحار علومه عليه ، وكان عامله عليه السلام على هيت[٣] ، قتله الحجّاج ، وكان عليه السلام قد أخبره بذلك[٤] .

قال ابن حجر العسقلاني[٥] : « إنّه تابعي مشهور ، أدرك من زمان النبيّ صلى الله عليه وآله ثمانية

---

(١) تفسير الصافي : ٦٤/١ و : ٣٥١/٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٤١٤/٩٥ .

(٣) **هيت** : سمّيت باسم بانيها ، وهو هيت بن البندي ، ويقال : البلندي ، بلدة على الفرات فوق الأنبار . « مراصد الاطّلاع : ١٤٦٨/٣ » .

(٤) كما روي في : إرشاد المفيد : ١٧٢ . كشف الغمّة : ٢٧٨/١ . الإصابة : ٣١٨/٣ . المحجّة البيضاء : ١٩٨/٤ . بحار الأنوار : ١٤٨/٤٢ ـ ١٤٩ ، الحديث ١٢ .

(٥) تقريب التهذيب : ١٣٦/٢ ، الرقم ٧٠ . تهذيب التهذيب : ٣٩٠/٨ ، الرقم ٥٨٩٠ .

عشر سنة ». ثمّ قال: « روى ابن خيثمة: أنّ عمره تسعون سنة ».

قلت: وقد ذكروا أنّه توفّي سنة ٨٣هـ، وعليه فيكون قد أدرك حياة النبيّ ﷺ سبع سنين لا ثمانية عشر، وقبره معروف في طريق النجف على يسار المتوجّه إلى الكوفة شرقي مسجد حنّانة في الثويّة ـ بضمّ الثاء، وفتح الواو، وتشديد الياء ـ وقيل: بفتح الأوّل وكسر الثاني، كان في القديم محلّاً معروفاً، وكان له ماء، ودفن فيه جمع من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أحدهم كميل، وقبره ظاهر، ولا أثر للبقيّة.

وظنّي أنّ من جملة المدفونين رُشيد الهجري[1] الذي هو أجلّ من كميل، والأحنف[2] بن قيس المعروف بالحلم، وبه يضرب المثل.

بل الجبّار العنيد زياد[3] والمغيرة بن شعبة أيضاً دفنا في الثويّة.

بل وأبي موسى الأشعري. قال في النهاية والمجمع[4]: الثويّة موضع بالكوفة، به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة.

---

(١) **رشيد الهجري**: من أصحاب عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام، قطّع وصلب، كان قد سمّاه أمير المؤمنين عليه السلام « رشيد البلايا »، وهو أيضاً قد أنبأه أمير المؤمنين عليه السلام بقتله. انظر: « الاختصاص: ٧٧. أمالي الطوسي: ١/١٦٧. رجال الكشّي: ٧٥، الحديث ١٣١ و: ٧٦، الحديث ١٣٢. الخرائج والجرائح: ١/٢٢٨، الحديث ٧٢. شرح نهج البلاغة: ٢/٢٩٤. روضة الواعظين: ١/٢٨٧. بشارة المصطفى: ٩٣. المحتضر: ٨٦. إثبات الهداة: ٢/٤٣٠، الحديث ٨٧. مدينة المعاجز: ١/٣٣٠ و: ٢/١٣٨، الحديث ٥١٩. بحار الأنوار: ٤٢/١٢١ و: ١٣٦، الحديث ١٧ و: ١٣٧، الحديث ١٨ و: ٧٥/٤٣٣ ».

(٢) **الأحنف بن قيس التميمي**: سكن البصرة، قاتل مع عليّ عليه السلام بصفّين، مات سنه ٦٧هـ بالكوفة.

(٣) هو: **زياد بن أبيه**، أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان يستقدمه، فقدم عليه، فادّعاه أخاً له، واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان، وصار يسمّى زياد بن أبي سفيان، توفّي بالكوفة سنة ٥٣هـ.

(٤) نهاية ابن الأثير: ١/٢٢٤. مجمع البحرين: ١/٣٣٥.

بل الظاهر أنّ قنبر[١] مولى عليّ عليه السلام أيضاً دفن في الثويّة ؛ لأنّه أيضاً قتله الحجّاج أوقات استقامته بالكوفة قبل بناء بغداد ، فما عليه سواد بغداد من كونه مدفوناً في المكان المعروف عندهم بـ«قنبر عليّ» اشتباه .

ونقل في هديّة الزائرين[٢] عن بعض العلماء أنّه موضع قبر بعض موالي عليّ الهادي عليه السلام .

وها أنا شارع في شرح هذا الدعاء الجليل ، مستمدّاً في ذلك باطناً وظاهراً من ناثره ؛ كلام الله الناطق ، الذي فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق ، صلوات الله وسلامه عليه ما شرقت الشمس وغربت في المغارب والمشارق .

---

(١) هو الآخر أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بمقتله . انظر : «إرشاد المفيد : ١٧٣ . كشف الغمّة : ٢٧٨/١ . المحجّة البيضاء : ١٩٨/٤ . بحار الأنوار : ١٢٦/٤٢» . وهو قد ذكره في شعره عليه السلام :

لمّا رأيتُ الأمرَ أمراً مُنكراً أجّجتُ ناري ودعوتُ قنبرا

انظر : «ديوان أمير المؤمنين عليه السلام : ٧٨» .

(٢) الظاهر أنّه «هديّة الزائرين وبهجة الناظرين» للشيخ عبّاس القمّي ، ذكره الطهراني في الذريعة : ٢٠٩/٢٥ ، رقم ٣٠٦ .

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

اللّٰهُمَّ: قال الفرّاء[1]: أصل اللّهمّ: يا الله آمنّا بالخير، فحذفت تخفيفاً لكثرة الدوران على الألسن، والأكثر على أنّ أصله يا الله، فحذف حرف النداء وعوّض عنه الميم المشدّدة.

وردّ الرضي ﷺ[2] كلام الفرّاء بأنّه يقال: اللّهمّ لا تؤمّهم بالخير، وفيه: أنّه يجوز أن يكون الأصل: اللّهمّ آمنّا بالخير ولا تؤمّهم بالخير[3].

نعم، يتّجه كلام الرضي ﷺ لو سمع اللّهمّ لا تؤمّنا بالخير، والظاهر أنّه لم يسمع.

إِنِّي أَسْأَلُكَ: ينبغي للداعي أن يشير بـ«إنّي» و«أنا» وأمثالهما إلى نفسه بما هو عبده مضاف إليه وموجود به لا بما هو نفسه؛ لأنّه باطل من هذه الجهة، وإثبات الإنّيّة من أعظم الخطايا، كما قيل:

إذا قُلْتُ ما أذْنَبْتُ قالَتْ مُجِيبَةً ... وُجودك ذَنْبٌ لا يُقاسُ بِهِ ذَنْبُ[4]

---

(١) نقله عنه البهوتي في كشّاف القناع: ٢٩٢/١، والمازندراني في شرح أُصول الكافي: ٢٤٤/٦، والمجلسي في بحار الأنوار: ١٨٠/٧٧.

(٢) نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار: ١٨٠/٧٧.

(٣) كما ذكر ذلك الشيخ البهائي، فيما نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار: ١٨٠/٧٧.

(٤) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري: ٣/١ و: ١٤/٢ و: ٥٩. تفسير القرآن الكريم / السيّد مصطفى الخميني: ٣٧٨/٢. والبيت من بحر الطويل.

بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ،

وقال آخر:

بيني وبينك أنّي ينازعني فارفع بلطفك إنّي من البين[(١)]

واعلم أنّ الطلب من العالي إلى الداني أمر، وبالعكس سؤال، ومن المساوي التماس.

بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ: الباء للقسم، وهي أصل حروفه.

قال في المغني[(٢)]: «ولذلك خصّت بجواز ذكر الفعل معها، نحو: «أُقسم بالله لتفعلن»، ودخولها على الضمير، نحو: «بك لأفعلنّ»، واستعمالها في القسم الاستعطافي، نحو: «بالله، هل قام زيد»، أي: أسألك بالله مستحلفاً»، انتهى.

والمراد بالقسم الاستعطافي ما كان جوابه طلبيّاً، كقول الشاعر:

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أو قَبَّلْتَ فاها[(٣)]

وغير الاستعطافي هو ما كان جوابه جملة خبر كالمثال الأوّل في عبارة المغني، والمعنى: أسألك مقسماً إيّاك برحمتك، والمقسم عليه ما سيذكره الداعي من غفران الذنوب الآتية ذكرها.

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري: ٣/١ و: ١٤/٢ و: ٥٩. شرح أُصول الكافي: ٢٥٦/٨. والبيت للحلّاج، وهو من بحر البسيط.

(٢) مغنى اللبيب: ١٠٥/١.

(٣) مغني اللبيب: ٥٨٤/٢، رقم ٨١٩. وانظر: شرح الرضي على الكافيّة: ٣٠٨/٤، رقم ٧٩٤، وفيه: «بدينك» بدل «بربّك»، والبيت منسوب إلى مجنون بني عامر: قيس بن الملوّح.

. . . .

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ: يعني أحاطت بكلّ شيء على حدّ قوله تعالى: ﴿**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾[1] والرحمة ـ لغة ـ: رقّة القلب وانعطاف يقتضي التفضّل والإحسان، ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها، والمراد من الرحمة الواسعة المشار إليها: التفضّل والإنعام، وضروب الإحسان، والحدّ الشامل أن نقول: هي التخلّص من أقسام الآفات، وإرسال الخيرات إلى أرباب الحاجات.

روى الطبرسي في المجمع[2]: عن ابن عبّاس وغيره: «أنّه لمّا نزل ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾، قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فردّه تعالى بقوله: ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾[3]».

وبالجملة: فالأخبار الواردة في سعة رحمته أكثر من أن تحصى، ولا حاجة لنا إلى ذكرها؛ لأنّ المحتاج إلى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف واليأس.

تنبيه: اعلم أنّ الرجاء محمود إلى حدّ، فإن جاوز الحدّ وبلغ حدّ الأمن فهو خسر، ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[4].

كما أنّ الخوف محمود إلى حدّ، فإن جاوز إلى القنوط فهو ضلال، ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾[5]، أو إلى اليأس فهو كفر، ﴿**لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ**

---

(١) الأنعام ٦: ٨٠.

(٢) مجمع البيان: ٤/٣٧٠.

(٣) الأعراف ٧: ١٥٦.

(٤) الأعراف ٧: ٩٩.

(٥) الحجر ١٥: ٥٦.

. . . .

إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١]، والأصلح الاعتدال في كلّ منهما، كما قد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من أثنى عليهم، فقال: **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾**[٢]، وقال: **﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾**[٣].

وكما قال أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام لبعض ولده: «**يا بنيّ، خف الله خوفاً ترى أنّك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبّلها منك، وارج الله رجاء كأنّك لو أتيته بسيّئات أهل الأرض غفر الله لك**»[٤].

وعن الباقر عليه السلام: «**ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور من خيفة، ونور من رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد هذا على هذا**»[٥].

في تفسير الرحمة بمعنى أدقّ وأخفى

وقد تفسّر الرحمة الواسعة المشار إليها في المقام بمعنى آخر أدقّ وأخفى، وأحلى وأصفى، بأن تكون الرحمة عبارة عن بسط الرزق، وعدم انقطاع موادّه عن كلّ مخلوق، وإن انقطعوا عن طاعته، ورزق كلّ مخلوق ما به قوام وجوده، وكماله اللائق به، فرزق البدن ما به نشوءه وكماله، ورزق الحسّ إدراك المحسوسات، ورزق الخيال إدراك الخيالات من الصور والأشباح المجرّدة عن المادّة، ورزق الوهم

---

(١) يوسف ١٢: ٨٧.

(٢) السجدة ٣٢: ١٦.

(٣) الأنبياء ٢١: ٩٠.

(٤) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري: ٥٦/١، وفيه: «ترى أنّك» بدل «كأنّك».

(٥) شرح أصول الكافي: ٢٢٠/١.

. . . .

المعاني الجزئيّة ، ورزق العقل المعاني الكلّية والعلوم الحقّة من المعارف المبدئيّة والمعاديّة ، فالرزق في كلّ بحسبه ، بل ربّما يقال : إنّه ليس منحصراً في الكمالات الثانويّة ، بل الكمالات الأوّليّة التي هي عبارة عن إفاضة الوجود على كلّ الموجودات ، فإنّ وجود كلّ ماهيّة رزقها اللائق بحالها ، ومن هنا قيل في ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[1] أنّ فعّالاً هنا ليس للمبالغة ؛ لأنّ صفات الذمّ إذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف أصلها ، بل للنسبة ، كقول الشاعر[2] :

وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ

أي وما ربّك بذي ظلم ؛ لأنّ الله لا يظلم النّاس شيئاً .

هذه هي الرحمة الواسعة التي هي صفة الرحمن ، وأمّا الرحمة المكتوبة التي أشار إليها بقوله تعالى : ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾[3] فهي رحمة الفضل الخاصّة بالمؤمنين في يوم القيامة ، فإنّه سبحانه وتعالى تفضّلاً منه ورحمة ، ويزيد ثوابهم ، ويُعلي درجاتهم ، ويعطيهم من الكرامات والنِّعم والموائد الغير المتناهية ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ، وليس ذلك بعدله ؛ إذ بذلك لا يستحقّون ذلك لأجل قلّة أعمالهم ، ولكن من حيث قابليّة المكان للإفاضة .

ومنها قيل : إنّ المراد من الرحمة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ**

---

(١) فصّلت ٤١ : ٤٦ .

(٢) القائل : امرؤ القيس ، وصدر البيت : « وليسَ بِذِي رُمْحٍ فَيطعَنَني بِهِ » . انظر : « لسان العرب : ١١/٦٤٢ » .

(٣) الأعراف ٧ : ١٥٦ .

وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ،

الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] المرتبة العالية منها، وإلّا فالرحمة الرحمانيّة وسعت كلّ شيء.

وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ: أي قدرتك التامّة التي لا يعتريها وَهَن، ولا يمسّها لغوب ولا عجز في حال من الأحوال، ولا يشقّ عليك فعل من الأفعال، بحيث غلبت بها كلّ شيء، فكلّ شيء ممكن مغلوب لك ومقدور بقدرتك حتّى السماوات: **﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾**.

والأرض: **﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ ﴾**[٢].

وقد فسّر اليمين والقبضة بالقدرة مبالغة في الاقتدار، كما تقول: هذا في قبضة فلان وفي يده، وقلوب العباد كلّها تحت قدرتك، كما ورد: «**أنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء**»[٣]، وهو القاهر فوق عباده.

---

(١) الأعراف ٧: ٥٦.

(٢) الزمر ٣٩: ٦٧.

(٣) حديث نبوي شريف، روي في: «أمالي السيّد المرتضى: ٢/٢. المسند / أحمد بن حنبل: ١٦٨/٢. صحيح مسلم: ٥١/٨. شرح صحيح مسلم / النووي: ٢٠٤/١٦. الديباج على مسلم / السيوطي: ١٨/٦. منتخب مسند عبد بن حميد: ١٣٧. كتاب السنّة / ابن أبي عاصم: ١٠٠، الحديث ٢٢٢. كتاب الدعاء / الطبراني: ٣٧٨. الجامع الصغير: ٣٥٧/١، الحديث ٢٣٤٤. كنز العمّال: ٢٤٢/١، الحديث ١٢١٧ و: ٣٩٧، الحديث ١٧٠٢. جامع البيان / الطبري: ٢٥٧/٣. الدرّ المنثور: ٩/٢. تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٩/٣١. تهذيب الكمال: ٥١٤/١. سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٨ و: ٣٣١/١٩. تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى: ١٧٤».

. . . .

بيان المراد من القدرة:

ثمّ المراد من القدرة أنّه تعالى يصحّ منه إيجاد العالم وتركه، وليس شيء منهما لازماً لذاته، وإلى هذا ذهب الملّيّون كلّهم بخلاف الفلاسفة، فمذهبهم أنّ إيجاده العالم على النظام الواقع من لوازم ذاته، فأنكروا القدرة بالمعنى المذكور.

نعم، يقولون إنّه تعالى قادر بمعنى أنّه إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، لكنّ مقدّم الشرطيّة الأُولى واجب صدقه عندهم، ومقدّم الثانية ممتنع الصدق، وكلتا الشرطيّتين صادقتان في حقّ الباري.

واستدلّ الملّيّون على قدرته تعالى بالمعنى الأوّل بأنّه صانع قديم، والعالم حادث، وصدور الحادث عن القديم إنّما يتصوّر بطريق القدرة دون الإيجاب، وإلّا يلزم تخلّف المعلول عن تمام علّته، حيث وجدت في الأزل العلّة دون المعلول.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ هذه الفقرة كما أثبتت له تعالى أصل القدرة أثبتت له تعالى أيضاً عموم القدرة بالنسبة إلى جميع الممكنات.

إثبات قدرته تعالى بالدليل العقلي:

والدليل عليه من العقل هو أنّه لا شكّ في أنّ كلّ ممكن مفتقر إلى العلّة، فإن كانت هو الواجب تعالى ثبت المطلوب، وإن كانت علّته ممكناً آخر جرى الكلام فيه بعينه، فثبت بهذا التقريب أنّ الله تعالى قادر على إيجاد جميع الممكنات، امّا بالذات أو بواسطة مقدور آخر.

. . . .

الدليل على عموم قدرته تعالى:

وأمّا من السمع فهو أظهر من الشمس، وأبين من الأمس، حيث إنّه من ضروريّات الدين والمذهب، ونطق به الكتاب المجيد في مواضع كثيرة، وهكذا السنّة في مواضع لا تحصى، ولا بأس في التمسّك بالسمعيّات في إثبات تعميم قدرته تعالى على جميع الممكنات.

الآيات الدالّة على عموم قدرته:

قال تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(١).

وقال في موضع آخر: ﴿**إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٢).

وفي موضع آخر: ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾(٣).

وفي موضع آخر: ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٤).

وفي موضع آخر: ﴿**ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾(٥).

---

(١) النور ٢٤: ٤٥.

(٢) الروم ٣٠: ٥٠.

(٣) الروم ٣٠: ٥٤.

(٤) فاطر ٣٥: ١.

(٥) غافر ٤٠: ٦٢.

. . . .

وفي موضع آخر: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[١].

وفي موضع آخر: ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٢].

وفي موضع آخر: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾[٣].

وفي موضع آخر: ﴿ **يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٤].

وفي موضع آخر: ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** ﴾[٥].

وفي موضع آخر: ﴿ **أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[٦].

الأخبار المتضمّنة لعموم قدرته تعالى:

وأمّا الأحاديث فكثيرة، منها:

ما في التوحيد: بإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **إنّ الله عزّ وجلّ لا يوصف بعجز، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿ وَمَا**

---

(١) غافر ٤٠: ٦٨.

(٢) الطلاق ٦٥: ١٢.

(٣) الحجّ ٢٢: ١٤.

(٤) النور ٢٤: ٤٥.

(٥) فاطر ٣٥: ٤٤.

(٦) يس ٣٦: ٨١ و ٨٢.

. . . .

﴿قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [(١)]، فلا يوصف بقدرة إلّا كان أعظم من ذلك »[(٢)].

وأيضاً فيه: بإسناده عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**إنّ إبليس قال لعيسى بن مريم** عليه السلام: **أيقدر ربّك على أن يُدخل الأرض بيضة لا يصغّر الأرض، ولا يكبّر البيضة؟ فقال عيسى** عليه السلام: **ويلك على أنّ الله لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممّن يلطّف الأرض، ويعظّم البيضة**»[(٣)].

وأيضاً فيه: بإسناده عن ابن أُذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**قيل لأمير المؤمنين** عليه السلام: **هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغّر الدنيا أو يكبّر البيضة؟**

قال: إنّ الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون»[(٤)].

مذهب الفلاسفة في قدرته تعالى:

فإذا ثبت ما كنّا بصدده من تعميم قدرته تعالى على جميع الممكنات، نقول: الخلاف فيه مع جمهور المخالفين للإسلام كالفلاسفة والصابئة والثنويّة مع كثير من المسلمين وهم المعتزلة.

فالفلاسفة قالوا: إنّه تعالى واحد حقيقي، فلا يصدر عنه أثران، والصادر عنه ابتداءً هو العقل الأوّل، والبواقي صادرة عنه بالوسائط.

---

(١) الأنعام ٦: ٩١.

(٢) التوحيد: ١٢٧ ـ ١٢٨، الحديث ٦.

(٣) التوحيد: ١٢٧، الحديث ٥.

(٤) التوحيد: ١٣٠، الحديث ٩.

. . . .

مذهب الصابئة في قدرته تعالى:

وأمّا **الصابئة** فهم الذين يقولون: الأفلاك أحياء ناطقة، وهي المدبّرة للعالم السفلي، وهي المحدثة للأُمور الحادثة فينا، ويجب علينا عبادتها، وهي تعبد الله تعالى، والله تعالى أجلّ من أن يكون معبوداً لنا.

مذهب الثنويّة في قدرته تعالى:

وأمّا **الثنويّة** فإنّهم قالوا: نجد في العالم خيراً كثيراً وشرّاً كثيراً، وانّ الواحد لا يكون خيّراً شرّيراً بالضرورة، فلكلّ منهما فاعل على حدة، وثبت أنّ أصل العالم هو النور والظلمة، فوجب أن يكون أحدهما خيّراً والآخر شرّيراً، والنور لا شكّ أنّه أفضل من الظلمة، فهو إذن خيّر لذاته، والظلمة شرّيرة لذاتها، وهم على ثلاث فرق:

فرق الثنويّة:

الفرقة الأُولى: الديصانيّة أصحاب الديصان.

الثانية: المانويّة أصحاب ماني الحكيم[1]، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير؛ وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام.

الثالثة: المزدقيّة[2]، وكلّ من هذه الفِرق اتّفقوا على كون النور حيّاً عالماً قادراً

---

(١) هو: ماني بن فاتك. انظر: «الملل والنحل / الشهرستاني: ١/٢٤٤ ـ ٢٥٠».

(٢) المزدقيّة أو المزدكيّة: أصحاب مزدك. انظر: «الملل والنحل: ١/٢٤٤ ـ ٢٥٠. شرح أُصول الكافي / المازندراني: ٣/٦».

. . . .

سميعاً بصيراً متحرّكاً لذاته، إنّما اختلفوا في أمور:

منها: أنّ الديصانيّة ذهبوا إلى أنّ القوّة على هذه الإدراكات الخمسة قوّة واحدة، لكنّ الإدراكات تختلف باختلاف الآلات والمشاعر، أمّا المانويّة فقد عدّدوا القوى بحسب الإدراكات، فجعلوا قوّة الإبصار غير قوّة السمع، وكذا في البواقي.

الجواب عن دليلهم:

والجواب: منع قولهم الواحد لا يكون خيّراً شريراً بمعنى أنّه يوجد خيراً كثيراً وشرّاً كثيراً.

نعم، إن أُريد بالخيّر من يغلب خيره على شرّه، وبالشرّير من يغلب شرّه ـ كما ينبئ عنه ظاهر اللغة ـ فلا يجتمعان حينئذٍ في واحد، لكنّه غير لازم.

وأيضاً نقول: الخيّر إن قدر على دفع شرّ الشرّير ولم يفعله، فهو شرّير، وإن لم يقدر فهو عاجز فلا يصلح للألوهيّة، فيعارض خطابتهم بخطابة أحسن من ذلك مآلاً، وأكثر إقناعاً.

احتجاج النبيّ ﷺ على الثنويّة:

وأحسن عبارة يحتجّ بها عليهم ما احتجّ به النبيّ ﷺ على الثنويّة الذين اجتمعوا مع أهل أديان أُخر عنده ﷺ، حيث قال مخاطباً لهم:

« **ما الَّذي دَعاكُمْ إلىٰ ما قُلْتُمُوهُ مِنْ هذا؟**

فَقالُوا: لِأنّا وَجَدْنا الْعالَمَ صِنْفَيْنِ خَيّراً وَشِرّيراً، وَوَجَدْنا الْخَيْرَ ضِدّاً لِلشَّرِّ، فَأَنْكَرْنا أَنْ يَكونَ فاعِلٌ واحِدٌ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ، بَلْ لِكُلٍّ واحِدٍ مِنْهُما فاعِلٌ،

. . . .

ألا تَرىٰ أَنَّ الثَّلْجَ مَحالٌ أَنْ يَسْخُنَ ، كما أَنَّ النّارَ مَحالٌ أنْ تَبْرُدَ ، فَأَثْبَتْنا لذلِك صانِعَيْنِ قَديمَيْنِ ظُلْمَةً وَنوراً .

فَقالَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ : **أَفَلَسْتُمْ قَدْ وَجَدْتُمْ سَواداً وَبَياضاً وَحُمْرَةً وَصُفْرَةً وَخُضْرَةً وَزُرْقَةً ، وَكُلُّ واحِدَةٍ ضِدٌّ لِسائِرِها لِاسْتِحالَةِ اجْتِماعِ اثْنَينِ**[1] **مِنْها في مَحَلٍّ واحِدٍ كَما كانَ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ ضِدَّيْنِ لِاسْتِحالَةِ اجْتِماعِهِما في مَحَلٍّ واحِدٍ ؟**

قالوا : نَعَمْ .

قالَ : **فَهَلا أَثْبَتُّمْ بِعَدَدِ كُلِّ لَوْنٍ صانِعاً قَديماً لِيَكُون فاعِلُ كُلِّ ضِدٍّ مِنْ هذهِ الْأَلْوانِ غَيْرَ فاعِلِ الضِّدِّ الْآخَرِ ؟**

قالَ : فَسَكَتوا .

ثُمَّ قالَ : **فَكَيْفَ اخْتَلَطَ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ ، وَهذا مِنْ طَبْعِهِ الصُّعُودُ ، وَهٰذِهِ مِنْ طَبْعِها النُّزولُ ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَخَذَ شَرْقاً يَمْشي إِلَيْهِ ، وَالْآخَرَ غَرْباً ، أَكانَ يَجُوز عندكم أَنْ يَلْتَقِيا ما داما سائِرَيْنِ عَلىٰ وَجْهَتِهِما**[2] **؟**

قالوا : لا .

قالَ : **فَوَجَبَ أَنْ لا يَخْتَلِطَ النُّورُ بِالظُّلْمَةِ**[3] **لِذهاب كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما في غَيْرِ جِهَةِ الْآخَرِ ، فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ حَدَثَ هذا الْعالِمُ مِنْ امْتِزاجِ ما هُو مَحالٌ أَنْ يَمْتَزِجَ ، بَلْ هُما مُدَبَّرانِ جَميعاً وَمَخْلوقانِ .**

---

(١) في الاحتجاج : «مِثْلَيْن» .

(٢) في الاحتجاج : «وَجْهِهِما» .

(٣) في الاحتجاج : «وَالظُّلْمَةُ» .

. . . .

فقالوا: سَنَنْظُرُ في أمرِنا[١]»، انتهى بعض الحديث[٢].

وهذه الفرقة المخالفة كلّها ممّن لاحظّ لهم في الإسلام.

مذهب النظّام[٣]:

أمّا الذين خالفونا في تلك المسألة من **المليّين**، فمنهم النظّام ومتابعوه، فإنّهم يقولون: إنّه تعالى لا يقدر على الفعل القبيح؛ لأنّه مع العلم بقبحه سفه، ودونه جهل.

والجواب: أنّ غلبة عدم الفعل لوجود الصارف عنه، وهو القبح، وذلك لا ينفي القدرة عليه.

مذهب البلخيّ[٤]:

ومنهم البلخيّ ومتابعوه، قالوا: لا يقدر على مثل فعل العبد؛ لأنّه إمّا طاعة مشتملة على مصلحة، أو معصية مشتملة على مفسدة، أو سفه خالٍ عنهما.

والجواب: انّها اعتبارات تعرض للفعل بالنسبة إلينا، أمّا فعله تعالى فمنزّه عن

---

(١) في الاحتجاج: «أُمُورِنا».

(٢) الاحتجاج: ٢١/١. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٥٣٧. بحار الأنوار: ٢٦٣/٩. نور الثقلين: ٦٩٨/١.

(٣) هو: إبراهيم بن سيّار النظّام البصري، ابن أُخت أبي الهُذيل العلّاف وتلميذه، كان أُستاذاً للجاحظ، تنسب إليه فرقة النظّاميّة، وهي إحدى فرق المعتزلة، توفّي سنة ٢٣١هـ.

(٤) هو: أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخيّ، من كبار المعتزلة، توفّي سنة ٣١٩هـ.

وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لها كُلُّ شَيْءٍ،

هذه الاعتبارات، فجاز أن يصدر عنه تعالى مثل فعل العبد مجرّداً عنها، فإنّ الاختلاف بالعوارض لا ينافي التماثل في الماهيّة، على أنّه لا ينافي القدرة، بل إنّما ينافي الفعل.

مذهب الجبّائيّة[1]:

ومنهم **الجبّائيّة**، قالوا: لا يقدر على عين مقدور العبد بدليل التمانع، وهو أنّه لو أراد الله تعالى فعلاً من أفعال العبد يوجده فيه، وأراد العبد عدمه لزم منه.

أمّا وقوعهما فيجتمع النقيضان، أو لا وقوعهما فيرتفع النقيضان، أو وقوع أحدهما فلا قدرة للآخر على مراده والمقدّر خلافه.

والجواب: بأنّ تساوي قدرة الله تعالى وقدرة العبد في هذا المقدور ممنوع، بل الله تعالى أقدر عليه من العبد، فتأثير قدرته فيه يمنع من تأثير قدرة العبد فيه، ولا يلزم من ذلك انتفاء قدرته بالكلّيّة.

نعم، يثبت فيه نوع عجز، وذلك ينافي الألُوهيّة دون العبوديّة.

وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لها كُلُّ شَيْءٍ: مرجع الضمير المجرور: القوّة، والخضوع: هو التطامن[2] والتواضع، والذلّ: هو الانقياد، وفي حديث وصف الأئمّة عليهم السلام: «**وخضع كلّ جبّار لفضلكم**»[3]، أي ذلّ وانقاد.

---

(١) نسبت إلى أبي عليّ الجبّائي، المولود سنة ٢٣٥هـ في جبا بخوزستان، وتوفّي سنة ٣٠٣هـ، كان تلميذاً للشحّام، وأُستاذاً للأشعري.

(٢) **التطامن**: الانخفاض.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٦١٦/٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٠٨/١. تهذيب الأحكام: ⇦

وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ،

الفرق بين الخضوع والخشوع:

وفي اللغة الفرق بين الخضوع والخشوع بأنّ الخضوع في البدن، والخشوع في الصوت والبصر[١]، ﴿ **وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً** ﴾[٢]، أي خضعت، والهمس ـ في اللغة ـ: الصوت الخفي، وهَمَس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم، ومنه سمّي الأسد هموساء؛ لأنّ مشيته خفيفة خفيّةٌ فلا يسمع دوي وطئته[٣].

وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ: الجبروت فعلوت من صيغ التكثير وأبنية المبالغة، كالملكوت من الملك، والرغبوت من الرغبة، والرهبوت من الرهبة، والرحموت مبالغة في الرحمة، والجبر عبارة عن نفوذ المشيّة في كلّ شيء، وقهر كلّ أحد، ولذا قيل: لا يوصف به على الإطلاق إلّا الله تعالى، فإن وصف بالإنسان كان ذمّاً، وإن وصف به الباري تعالى كان مدحاً؛ لأنّ الجبر طلب علوّ المنزلة بما ليس له غاية في الوصف، ويمكن أن يكون المراد من الجبروت هو المبالغة في الجبّار بمعنى العالي فوق خلقه، كما يقال للنخل الذي طال وفات اليد: جبّار.

وللجبّار معانٍ في صفة الخلق:

أحدها: المسلّط ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ** ﴾[٤].

⇦ ١٠٠/٦. مستدرك الوسائل: ٤٣٤/١٠.

(١) كتاب العين: ١١٢/١.

(٢) طه ٢٠: ١٠٨.

(٣) الصحاح: ٩٩١/٣. مختار الصحاح: ٣٥٧.

(٤) ق ٥٠: ٤٥.

وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ ،

الثاني : العظيم الجسم ، كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ** ﴾[١] .

الثالث : المتمرّد عن عبادة الله ، كقوله : ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً** ﴾[٢] .

الرابع : القتّال ، كقوله تعالى : ﴿ **بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ** ﴾[٤] .

وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ : أي لمعارضتها ، العزّة : القهر والغلبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾[٥] ، أي غلبني في محاورة الكلام ، ولا يقوم بمعنى لا يثبت ولا يستقرّ من قولهم : سنّة قائمة ، أي ثابتة ومستمرّة . وقام فلان على الشيء : إذا ثبت .

وفي الدعاء : « وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي قامَ بِهِ الْعَرْشُ وَالْكُرْسيُّ » ، أي ثبت واستقرّ ، ومثله : ما قامت للمؤمنين سوق[٦] .

واللام بمعنى التعليل مثلها في قول الشاعر :

وإنّـي لَـتَعْرُوني لِـذِكْراك هَـزَّة * كَما انْتَفَضَ العصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ**[٧]

---

(١) المائدة ٥ : ٢٢ .

(٢) مريم ١٩ : ٣٢ .

(٣) الشعراء ٢٦ : ١٣٠ .

(٤) القصص ٢٨ : ١٩ .

(٥) ص ٣٨ : ٢٣ .

(٦) مجمع البحرين : ٥٦٩/٣ . وانظر : الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ٦٠٥ ، دعاء ٢٦٧ ، وفيه : «**وبِالاسم الَّذي قامَ بِهِ الْعَرْشُ وَالْكُرْسيُّ**» .

(٧) شرح الرضيّ : ٤٥/٢ ، رقم ١٩٦ . برهان الزركشي : ١٣٠/٣ . شرح ابن عقيل : ٣٦/١ . ⇦

وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،

وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ: بحيث استحقرت كلّ الأشياء بالإضافة إليها ، وعظمته تعالى بالمهابة والقهر والكبرياء ، ويمتنع أن يكون بسبب المقدار والحجم ؛ لأنّه إن كان غير متناهٍ في كلّ الجهات أو في بعض الجهات فهو محال ؛ لما ثبت بالبراهين القاطعة عدم إثبات أبعاد غير متناهية ، وإن كان متناهياً من كلّ الجهات كانت الأحياز المحيطة بذلك المتناهي أعظم منه ، فلا يكون مثل هذا الشيء عظيماً على الإطلاق .

وقال الصدوق ﷺ في التوحيد : « العظيم معناه السيّد ، وسيّد القوم عظيمهم وجليلهم .

ومعنى ثانٍ: أنّه يوصف بالعظمة لغلبته على الأشياء وقدرته عليها ، ولذلك كان الواصف بذلك معظّماً .

ومعنى ثالث: أنّه عظيم ؛ لأنّ ما سواه كلّه له ذليل خاضع ، فهو عظيم السلطان ، عظيم الشأن .

ومعنى رابع: أنّه المجيد . يقال : عظم فلان في المجد عظامة ، والعظامة مصدر :

⇦ والبيت لأبي صخر الهذلي .

ومثله قول عروة بن حزام :

وإنّي لَتَعْرُوني لِذِكْراكَ رَوْعَةٌ ... لَها بينَ جِلْدي والعظامِ دَبِيبُ

انظر : « تأويل مختلف الحديث / ابن قتيبة : ٢٩٦ . تاريخ مدينة دمشق : ٢٢٣/٤٠ » .

وروي بألفاظ أُخرى ، منها :

وإنّي لَتَعْرُوني لِذِكْراكَ هَزَّةٌ ... كما انتفض السلواة بلّلَهُ القَطْرُ

انظر : « مجمع البيان : ٢٢٤/١ . تفسير ابن كثير : ١٠١/١ . فتح القدير : ٨٨/١ . كتاب العين : ٢٩٨/٧ . لسان العرب : ٢٨٨/٩ . تاج العروس : ٢٣٢/٧ » .

. . . .

الأمر العظيم ، والعظمة من التجبّر ، وليس معنى العظيم ضخم طويل ، عريض ثقيل ؛ لأنّ هذه المعاني معاني الخلق وآيات الصنع والحدث ، وهي عن الله تبارك وتعالى منفيّة .

وقد روي في الخبر: «أنّه سمّي العظيم لأنّه خالق الخلق العظيم ، وربّ العرش العظيم وخالقه » ، انتهى كلامه ﵀[١] .

الأخبار المتضمّنة لذكر عظمة الباري تعالى:

قلت : وعلى هذا فاللازم إيراد جملة من الأخبار الواردة في بيان عظمة الباري تعالى ، وقد جعل لذلك شيخنا المزبور في توحيده[٢] باباً مستقلّاً عنوانه باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله ، ثمّ روى مسنداً عن أبي عبدالله ﵇ ، قال : « **جاءت زينب العطّارة الحولاء إلى نساء رسول الله ﷺ وبناته ، وكانت تبيع منهنّ العِطر ، فدخل رسول الله ﷺ وهي عندهنّ ، فقال لها : إذا أتيتينا طابت بيوتنا ، فقالت : بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله ، قال : إذا بعتِ فأحسني ولا تغشّي ، فإنّه أتقى وأبقى للمال ، فقالت : ما جئت بشيء من بيعي ، وإنّما جئتك أسألك عن عظمة الله تعالى ، فقال : جلّ جلال الله ، سأحدّثك عن بعض ذلك .**

قال: ثمّ قال : إنّ هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند التي تحتها كحلقة في فلاة قِيّ[٣] ، وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاة قِيّ ، والثالثة

---

(١) التوحيد / الصدوق : ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) التوحيد : ٢٦٩ ، باب ٣٨.

(٣) قال في المجمع : «والقِيّ ـ بالكسر والتشديد ـ من القِواء ، وهي الأرض القفر ⇦

. . . .

حتّى انتهى إلى السابعة.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَماوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[(١)]، والسبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ على ظهر الديك كحلقة في فلاة قيّ، والديك له جناحان؛ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة بمن فيها ومن عليها على ظهر الحوت كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت عند البحر المظلم كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء عند الثرى كحلقة في فلاة قيّ.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾[(٢)]، ثمّ انقطع الخبر.

والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء كحلقة في فلاة قيّ، وهذا والسماء الدنيا ومن فيها ومن عليها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قيّ، وهذا وهاتان السماءان عند الثالثة كحلقة في فلاة قيّ، وهذه الثالثة ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند الرابعة كحلقة في فلاة قيّ، حتّى انتهى إلى السابعة، وهذه السبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والبحر المكفوف عند جبال البَرَد كحلقة في فلاة قيّ.

⇦ الخالية، ومنه ما في حديث زينب العطّارة». منه.

(١) الطلاق ٦٥: ١٢.

(٢) طه ٣٠: ٦.

. . . .

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾[١]، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ، وهو سبعون ألف حجاب، يذهب نورها بالأبصار، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الذي تَحارُ فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء في الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٢]، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء والكرسيّ عند العرش كحلقة في فلاة قيّ.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٣]، ما تحمله الأملاك إلّا يقول لا إلـه إلّا الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله»[٤].

وروى أيضاً مسنداً عن جابر بن يزيد، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٥]، قال: يا جابر، تأويل ذلك أنّ الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكّن أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، جدّد الله عالماً غير هذا العالم، وجدّد خلقاً من غير فُحولة ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه

---

(١) النور ٣٤: ٤٣.

(٢) البقرة ٢: ٢٥٥.

(٣) طه ٣٠: ٥.

(٤) التوحيد: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، الحديث ١.

(٥) ق ٥٠: ١٥.

. . . .

السماء تظلّهم. لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميّين[١].

وروى أيضاً مسنداً عن زيد بن وهب، قال: «سئل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن قدرة الله تعالى جلّت عظمته، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال عليه السلام: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه، وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجنّ والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله، وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكَبَيْه وشَحْمَة أُذنيه، ومنهم من يسدّ الأُفق بجَناح من أجنحته دون عِظَم بدنه، ومنهم مَن السماوات إلى حُجْزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى رُكْبَتيه، ومنهم من لو أُلقي في نُقْرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم مَن لو أُلقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وسئل عن الحجب، فقال: أوّل الحجب سبعة، غِلْظ كلّ حجاب مَسيرة خمسمائة عام، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، والحجاب الثالث[٢] سبعون حجاباً، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، وطوله خمسمائة عام، حَجَبَة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين، منها ظلمةٌ، ومنها نورٌ، ومنها نارٌ، ومنها دخان، ومنها سَحاب، ومنها برق، ومنها مطر، ومنها رعدٌ، ومنها

---

(١) التوحيد: ٢٧٠ ـ ٢٧١، الحديث ٢.

(٢) في نسخة من المصدر: «الثاني».

. . . .

ضوء ، ومنها رمل ، ومنها جبل ، ومنها عجاج ، ومنها ماء ، ومنها أنهار ، وهي حجب مختلفة ، غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام ، ثمّ سُرادِقات الجلال ، وهي سبعون سُرادقاً ، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك ، بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام ، ثمّ سرادق العزّ ، ثمّ سرادق الكبرياء ، ثمّ سرادق العظمة ، ثمّ سرادق القدس ، ثمّ سرادق الجبروت ، ثمّ سرادق الفخر ، ثمّ النور الأبيض ، ، ثمّ سرادق الوحدانيّة ، وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام ، ثمّ الحجاب الأعلى » ، وانقضى كلامه عليه السلام وسكت .

فقال له عمر : لا بقيت ليوم لا أراك فيه ، يا أبا الحسن »[١] .

خبر الديك، وعظم خلقته:

وروى أيضاً مسنداً عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : « **إنّ الله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تُخوم الأرض السابعة السفلى ، ورأسه عند العرش ، ثاني عنقه تحت العرش ، وملك من ملائكة الله عزّ وجلّ ، خلقه الله تبارك وتعالى ورجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى ، مضى مُصعِداً فيها مدّ الأرضين ، حتّى خرج منها إلى اُفق السماء ، ثمّ مضى فيها مصعداً حتّى انتهى قَرْنه إلى العرش ، وهو يقول : سبحانك ربّي ، وإنّ لذلك الديك جناحين إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب ، فإذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول : سبحان الله الملك القدّوس ، سبحان الكبير المتعال القدّوس ، لا إلٰه إلّا هو الحيّ القيوم ، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلّها ، وخفقت بأجنحتها ، وأخذت في الصراخ ، فإذا سكن ذلك الديك في**

---

(١) التوحيد : ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، الحديث ٣ .

. . . .

السماء سكنت الديكة في الأرض ، فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوزا المشرق والمغرب ، وخفق بهما ، وصرخ بالتسبيح: سبحان الله العظيم ، سبحان الله العزيز القهّار ، سبحان الله ذي العرش المجيد ، سبحان الله ربّ العرش الرفيع ، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض ، فإذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عزّ وجلّ ، ولذلك الديك ريش أبيض كأشدّ بياض ما رأيته قطّ ، وله زَغَب أخضر تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة ما رأيتها قطّ ، فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك »[١] .

تنبيه: قال المحقّق السبزواري[٢] في حاشيته على كتابه غرر الفرائد[٣] ما محصّله : إنّ ما ورد في بعض الأخبار من أنّ تحت العرش ثوراً وأسداً ، وأنّ هناك ديكاً لو صرخ تصرخ معه الديوك في هذا العالم إشارة إلى أنّ لكلّ نوع من الأنواع ربّ يقال له : ربّ النوع »[٤] ، انتهى .

وبيان هذا الإجمال : أنّ لكلّ نوع له فرد في هذا العالم ، أعني عالم الأجسام ، فرداً عقلانيّاً مجرّداً موجوداً في عالم العقل ، وهذه العقول هي العلل للأجسام والأفاعيل

---

(١) التوحيد : ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، الحديث ٤.

(٢) هو المولى هادي بن مهدي السبزواري ، ولد سنة ١٢١٢هـ ، وتوفّي سنة ١٢٨٩هـ.

(٣) ذكره إلياس سركيس في معجم المطبوعات العربيّة : ١٠٠١/١ ، رقم ٣ ، وقال : «إنّه في الحكمة ، طبع مع اللآلئ المنتظمة».

وقال الطهراني في الذريعة : ٤٩٢/١ ، ذيل رقم ٢٤٢٦ : «أُرجوزة في الفلسفة العالية ، تعرف بمنظومة السبزواري ، واسمها «غرر الفرائد» طبعت مع شرحها مكرّراً» .

(٤) شرح غرر الفوائد : ٢٣٢ .

. . . .

المتقنة في هذا العالم، ويقال لها: أصحاب الطلسمات وأرباب الأنواع والمثل الأفلاطونيّة، والسبب في التعبير الأخير أنّها أمثال لما دونها، ومثالات وآيات لما فوقها.

قال صدر المتألّهين في السفر الأوّل من أسفاره: «يجب أن يكون لكلّ نوع من الأنواع البسيطة الفلكيّة والعنصريّة ومركّباتها النباتيّة والحيوانيّة عقل واحد مجرّد عن المادّة، معين في حقّ ذلك النوع، وهو صاحب ذلك النوع وربّه»(١)، انتهى.

قلت: وإنّ أصحاب هذه المقالة يقولون: إنّه لا دثور ولا زوال لهذا الفرد الذي هو ربّ النوع، وهو يفرق الكمال في أفراد ذلك النوع، أو يفيض الكمال في الفرد الذي انحصر فيه النوع، ويلزم أن يكون بنفسه حاوياً لكلّ كمال تشتّت في الأفراد وجامعاً له على النحو الأكمل، ويقولون: إنّ له عناية وتدبيراً كماليّاً وتحريكاً غير تحرّكي بالنسبة إلى بقيّة الأفراد أو الفرد الواحد بحيث يوجد التحرّك فيها ولا يتحرّك.

وقال صاحب الإشراق: «إنّ اختلاف ألوان رياش الطاووس ـ مثلاً ـ مستند إلى ربّ نوع الطاووس، وإذا كان لكلّ نوع ربّ جوهراً وعرضاً لم يتصوّر ذلك، ولم يكن ذلك كذلك، بل الأشبه الأقرب بإشراقنا أن يكون على وجه آخر، ولعلّه أنّ الأسباب الفلكيّة أوجبت أن يكون الطاووس بمزاجه ومادّته تحت تدوير كواكب مختلفة، فالطاووس لعلاقة تدوير الكواكب إيّاه يستفيض من أرباب أنواع مختلفة هي أرباب أنواع الجواهر والأعراض استفاضات مختلفة بوجوه مختلفة مناسبة لائقة بتدبير الكواكب المديرة بوجه مخصوص لمناسبة خاصّة خفيّة اللمّية، جليّة

---

(١) الأسفار الأربعة: ٥٣/٧.

. . . .

الإنّيّة »[١]، انتهى.

وعليك بالتأمّل فيما ذكر، وإنّما نسبت إلى أفلاطون لأنّ أفلاطون وأُستاذه سقراط كانا يفرطان في هذا الرأي.

تركيب الملك من نار وثلج:

وبهذا الإسناد[٢]، عن النبيّ ﷺ، قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة، نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل ثلج، فلا النّار تذيب الثلج، ولا الثلج يطفئ النّار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع: سبحان الله الذي كفّ حرّ هذه النّار فلا تذيب هذا الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حرّ هذه النّار. اللّهمّ يا مؤلّفاً بين الثلج والنّار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك** »[٣].

وبهذا الإسناد، عن النبيّ ﷺ، قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا وهو يسبّح الله عزّ وجلّ ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة، لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء، ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عزّ وجلّ** »[٤].

---

(١) حكمة الإشراق / شيخ الإشراق السهروردي (مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق): ١٤٤/٢.

(٢) إشارة إلى الحديث المنقول عن التوحيد السابق.

(٣) التوحيد: ٢٧٣، الحديث ٥.

(٤) التوحيد: ٢٧٣، الحديث ٦.

. . . .

ذكر حالات الشمس في الطلوع والغروب:

وروى أيضاً مسنداً عن أبي ذرّ الغِفاري ﵁ قال: «كنت آخذاً بيد النبيّ ﷺ ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتّى غابت، فقلت: يا رسول الله، أين تغيب؟

قال: في السماء، ثمّ ترفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السماء السابعة العليا، حتّى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثمّ تقول: يا ربّ، من أين تأمرني أن أطلُع، أمن مغربي أم من مَطلعي؟ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1]، يعني بذلك صنع الربّ العزيز في ملكه، العليم بخلقه، قال: فيأتيها جبرئيل بحُلّة ضَوْء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع.

قال: **فتَلْبَس تلك الحُلّة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثمّ تنطلق بها في جوّ السماء حتّى تطلع من مَطْلِعها.**

قال النبيّ ﷺ: **فكأنّي بها قد حبست مقدار ثلاث ليالٍ، ثمّ لا تكسى ضوءً وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾[2]، والقمر كذلك من مطلعه ومَجْراه في أُفق السماء ومغربه ارتفاعه إلى السماء السابعة، ويسجد تحت العرش، ثمّ يأتيه جبرئيل بالحُلّة من نور الكرسيّ،**

---

(١) يس ٣٦: ٣٨.

(٢) التكوير ٨١: ١ و ٢.

. . . .

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً** ﴾[١].

قال أبو ذرّ ﵁: ثمّ اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلّينا المغرب »[٢].

علامة من علائم الظهور:

قلت: يمكن أن يكون قوله ﷺ: « **وتؤمر أن تطلع من مغربها** » إشارة إلى زمان ظهور قيام القائم المهديّ ﵇، ودلالات ذلك الذي منها طلوع الشمس من المغرب.

وروى أيضاً بسند مجهول، عن أبي عبدالله ﵇، قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى مَلَكاً بُعْد ما بين شَحْمة أُذنه إلى عنقه مسيرة خمسمائة عام خَفَقان الطير** »[٣].

تفصيل البحار التي في السماء:

وروى أيضاً مسنداً عن جميل بن دُرّاج، قال: « سألت أبا عبدالله ﵇: هل في السماء بحار؟

قال: **نعم، أخبرني أبي، عن أبيه، عن جدّه** ﵈، **قال: قال رسول الله** ﷺ: **إنّ في السماوات السبع لبحاراً، عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ، والماء إلى رُكَبهم، ليس فيهم ملك إلّا وله أُلف وأربعمائة جَناح، في كلّ جناح أربعة وجوه، في كلّ وجه أربعة أُلسُن، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلّا وهو يسبّح الله عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه** »[٤].

---

(١) يونس ١٠: ٥.

(٢) التوحيد: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، الحديث ٧.

(٣) التوحيد: ٢٧٤، الحديث ٨.

(٤) التوحيد: ٢٧٥، الحديث ٩.

. . . .

وروى أيضاً مسنداً، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، والله إنّ في كتاب الله عزّ وجلّ لآية قد أفسدت عليَّ قلبي وشكّكتني في ديني.

فقال له عليه‌السلام: **ثكلتك أُمّك وعدِمَتْك، وما تلك الآية؟**

قال: قول الله تعالى: ﴿ **وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾[1].

فقال له أمير المؤمنين عليه‌السلام: **يابن الكوّاء، إنّ الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتّى، إلّا أنّ لله تبارك وتعالى ملكاً في صورة ديك أبحّ أشهب، براثنه في الأرض السابعة السفلى، وعُرفه مثنيّ تحت العرش، له جناحان؛ جناح في المشرق وجناح في المغرب، واحد من نار والآخر من ثلج، فإذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثمّ رفع عنقه من تحت العرش، ثمّ صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم، فلا الذي من النّار يذيب الثلج، ولا الذي من الثلج يطفئ النّار، فينادي: أشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً سيّد النبيّين، وأنّ وصيّه سيّد الوصيّين، وأنّ الله سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، قال: فتخفُق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالطَّيْرُ صافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ من الديكة في الأرض**»[2].

---

(١) النور ٢٤: ٤١.

(٢) التوحيد: ٢٧٥ ـ ٢٧٦، الحديث ١٠.

وقد روي الحديث في: قضايا أمير المؤمنين عليه‌السلام ـ بتحقيقنا ـ: ٥٩، الحديث ١٠. تفسير القمّي: ١٠٦/٢. الاحتجاج: ٥٤١/١. تأويل الآيات: ٣٦٥/١، الحديث ١٦. تفسير البرهان: ٨٠/٤، الحديث ١ و: ٨٢، الحديث ٦. بحار الأنوار: ٢٨٣/٤٠ و ٢٨٤، ⇦

. . . .

وروى أيضاً مسنداً عن عمرو بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: **«إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة، أنصافهم من برد، وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلّفاً بين البرد والنّار، ثبّت قلوبنا على طاعتك»**[1].

في تفسير البيت المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

وممّا ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام هذا البيت من الشعر:

ما لي أراكم كلّكم سكوتا   والله ربّي خلق البلهوتا[2]

قال بعض العلماء: المراد بالبلهوت السمكة التي تحت الأرض التي خلقها الله تعالى وجعل الأرض مستقرّاً عليها، وسمّاها بعضهم برهوت، وبعضهم يهموت، والأصحّ هو ما قاله الإمام عليه السلام، وقيل: اسم السمكة شوب.

وقد ورد في بعض الأخبار أنّ الله تبارك وتعالى: **«لمّا خلق الأرض وجعلها سبع طبقات خلق بعد ذلك ملكاً، فبسط الملك يديه وكان طولهما من المشرق إلى المغرب، ثمّ حمل الطباق السبع على عاتقه، فأرسل الله تعالى من الفردوس بقراً لأجل استقرار**

⇦ و: ١٧٣/٥٩، الحديث ٣، و: ١٨٣، الحديث ٢٤، و: ١٨٢/٨٧، الحديث ٣، و: ١٨٠/٩٣، الحديث ١٣. غزوات أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٩. عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام ـ بتحقيقنا ـ: ٢٠٧، الحديث ١٩٥.

(١) التوحيد: ٢٧٦، الحديث ١١.

(٢) أورده في تفسير القرطبي: ٢٢٤/١٨، وفيه: «البهموتا» بدل «البلهوتا»، ولم ينسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وفي هامشه: ضبطه الآلوسي فقال: اليهموت: ـ بفتح الياء المثنّاة التحتيّة وسكون الهاء ـ.

. . . .

الملك عليه ، وكان لذلك البقر أربعين ألف قائمة ، فلمّا وصل قدم الملك إلى قرن البقر كان الملك متزلزلاً ، فخلق الله تعالى ياقوتة كانت مسافتها طولاً وعرضاً مسير خمسمائة سنة ، فأقرّ الله تعالى تلك الياقوتة على قرن ذلك البقر ، فجعل الملك قدمه على تلك الياقوتة واستقرّ ، ولأجل قرار قوائم البقر خلق الله صخرة خضراء مسافتها مقدار السماوات السبع ، ولأجل قرار تلك الصخرة خلق الله تعالى سمكة وأقرّ الصخرة على ظهرها لا غير ، وباقي أعضائها ليس عليها شيء ، وتلك مستقرّة على الماء ، والماء على الهواء ، والهواء مستقرّ بقدرته تعالى .

وحاصل معنى البيت : التعجّب من سكوتهم مع أنّ الله تبارك وتعالى خالق مثل هذه السمكة وما استقرّ عليها ، ممّا ذكر ، والمقصود الحثّ على تذكّر قدرته ، وعدم الغفلة عن غرائب صنعه » .

الاختلاف في عدد أجناس العالم :

وقال آخر : « قد اختلف في عدد أجناس العالم ، فقيل : لله تعالى ألف عالم ، ستّمائة في البحر وأربعمائة في البرّ ، وقيل : ثمانية عشر ألف عالم الدنيا من مشرقها ومغربها عالم واحد ، وقيل : ثمانون ألف عالم ؛ أربعون ألفاً في البرّ ، ومثلها في البحر . وقيل : مائة ألف عالم .

وروي : أنّ الله تعالى خلق مائة ألف قنديل ، وعلّقها والعرش والسموات والأرض وما فيها حتّى الجنّة والنار كلّها في قنديل واحد ، ولا يعلم ما في القناديل إلّا الله .

وقد اختلفت الروايات في تعداد العوالم ، ولا منافاة بينها ؛ لأنّ مفهوم العدد ليس بحجّة كما هو المحقّق في محلّه » .

. . . .

تفسير الآية الشريفة: ﴿ فيهِ آياتٌ بيِّناتٌ ﴾[(١)]:

وقال السيّد الرضي ﵀ في تفسيره المسمّى بحقائق التنزيل ودقائق التأويل ـ عند تفسير الآية الشريفة: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** ﴾ ما لفظه ـ: «ومن آيات الحرم التي لا توجد في غيره: أنّ الوحش والسباع إذا دخلته وصارت في حدوده لا يقتل بعضها بعضاً، ولا يؤذي بعضها بعضاً، ولا تصطاد فيه الكلاب والسباع سوانح الوحش التي جرت عادتها بالاصطياد لها، ولا تعدوا عليها في أرض الحرم، كما تعدوا عليها إذا صادفتها خارج الحرم، فهذه دلالة عظيمة وحجّة بيّنة على أنّ الله تعالى هو الذي أبان هذا البيت وما حوله بهذه الآية من سائر بقاع الأرض؛ لأنّه لا يقدر أن يجعل هذه البقعة التي ذكرناها على ما وصفناه منها، وأن يحول بين السباع فيها وبين مجاري عاداتها، وحوافز[(٢)] طبائعها، وعمل النفوس السليطة[(٣)] التي ركبت فيها، حتّى تمتنع من مواقعة الفرائس، وقد أكثبت[(٤)] لها، وصارت أخذ يديها، بل تأنس بأضدادها، وتأنس الأضداد بها، إلّا الله سبحانه، لأنّ هذا خارج عن مقدار قوى المخلوقين، وتدابير المربوبين ـ إلى أن قال ﵀: ـ فأمّا الذي شاهدته أنا عند مقامي بمكّة في السنة التي حججت فيها، فامتناع الطير من التحليق فوق البيت، حتّى لقد كنت أرى الطائر يدنو من المطرح السحيق والمنزع البعيد في أحدّ طيرانه وأسرع خفقان جناحه، حتّى أقول: قد قطع البيت عالياً عليه، وجائزاً به، فما هو إلّا أن

---

(١) آل عمران ٣: ٩٧.

(٢) **حوافز**: جمع حافزة: من حفزه: إذا دفعه من خلفه.

(٣) **السليطة**: الشديدة.

(٤) يقال: أكثب له وهنه: دنا منه.

، . . . .

يقرب منه حتّى يكسر[1] منحرفاً ، ويرجع متيامناً أو متياسراً ، فيمرّ عن شمال البيت أو يمينه ، كأنّ لافتاً يلفته ، أو عاكساً يعكسه ، وهذا من أطرف ما شاهدته وجرّبته .

فأمّا اختلاط الطير بالنّاس هناك ، حتّى لا تنفر من ظلالهم ، ولا تتباعد عن همس أقدامهم ، فهو شيء بيّن واضح ، ولعهدي بجماعات من المصلّين في المسجد الحرام ، وهم يكفكفون الطير بأيديهم عن مواضع سجودهم لشدّة قربها منهم ، واختلاطها بهم ، ولقد رأيت ظبيّاً وحشيّاً يتخرّق الأسواق ، ويقف على جماعة من بائعي الأقوات ، فربّما انتشط نشطة[2] ، أو اجتذب الشيء بعد الشيء خلسة ، وعليه سيماء الساكن ، ودعة المطمئنّ الآمن ، حتّى انّه ربّما طرد فلم يرعه الطرد ، ولم يفزعه الإيماء باليد ، وقيل لي ـ ولم أره ـ : إنّه إذا جاوز أنصاب الحرم[3] ، خرج كالسهم المارق ، أو البرق الخاطف ، كأنّ الروعة إنّما أدركته بعد خروجه من حدود الحرم ودخوله في أراضي الحلّ ، فتبارك الله ربّ العالمين »[4] ، انتهى كلامه الشريف .

وبالجملة : لو شاء الإنسان المتفكّر المعتبر أن يحرّر بقوّة العزيز المقتدر ما وصل إليه من حكمه ومصالحه تعالى ، المودعة في آثار صنعه ، وعجائب عنايته ، لاجتمعت مجلّدات ، مع أنّ الحكماء النظّار ، والعرفاء الكبار ، أُولي الأيدي والأبصار ، اعترفوا بأنّ لا نسبة لما وصلنا إليه إلى ما لم نصل[5] .

---

(١) في نسخة : «ينكسر» .

(٢) أي اختلس بفمه .

(٣) أي حدوده .

(٤) حقائق التأويل : ١٨٢ .

(٥) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ١/٢١٢ .

عجائب صنع الشجر:

بل لو فكّر المفكّرون في عجائب مصنوع واحد دهر الداهرين لم يفرغوا من الأفكار لما أودعه فيه من عجائب الصنع .

ولو تفكّرت في ورقة من أوراق شجرة ، وكيفيّة تخاطيطها وأوضاعها وتهندسها ، وكيفيّة إيصال رزقها من العروق الشعريّة ، ثمّ من التي كالسواقي والجداول والأنهار من الأسافل إلى الأعالي ، مع أنّ ذلك الرزق من الثقال المائلة إلى المركز بالطبع لقضيت كلّ العجب ، فضلاً عن شهودك ما وكّل الله تعالى بعنايته بتلك الوريقة من الملائكة المدبّرين لها ، والموصلين رزقها ، فهذه المرتزقة التي في رأس الورقة التي في رأس الشجرة كمسكين يشيلون هؤلاء غذاءه يداً بيد إلى أن يؤدّوا حقّه[١] .

عجائب الهيكل الإنساني:

ولو نظرت حقّ النظر ، وتفكّرت ثاقبة الفكر ، في الهيكل الجامع الإنساني الذي هو هيكل التوحيد لرأيت ذاته وصفاته وأفعاله كلّها كرامات وعجائب ؛ لأنّه مع كونه أوّلاً أدنى شيء بحسب مادّته البعيدة ، أعني العناصر بحسب مادّته القريبة ، أعني المنيّ ودم الطمث يصير تدريجاً مستكملاً إلى أن يكون عالماً ربّانيّاً ، وعالماً عقلانيّاً ، مضاهياً للعالم العيني ، أو يكون ملكاً مالكاً للشرق والغرب ، كلّ ذلك بحول الله تعالى وقوّته ، ففيه أمر ربّاني وسرّ سبحاني .

ولو كانت هذه العجائب من الماء الذي في مادّته فانظر إلى الماء البسيط ولو كان

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٢١٢/١ .

. . . .

من الأرض التي في مادّته ، فهذه هي الأرض الغبراء وقس عليه الهواء والنّار ، ولو كان هذه من خاصّيّة الأربعة المؤتلفة فخاصّيّتها لا بدّ أن تكون من سنخ خاصّيّة بساطتها من الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والخفّة والثقل ، ونحو ذلك ، ونراها مفردة ومجتمعة أعجز خليقة ، وأجهل شيء لا درك لها بقدر الخرّاطين .

فلا أظنّك في مرية من لقاء ربّك ، فهو ربّ هذه الصياصي ، سيّما أُمّ القرى ، سيّما العرش المجيد قلب الإنسان الكامل ، العالم العامل ، ألم ترَ إلى ربّك كيف مدّ الظلّ ، فالإنسان أعجب العجائب ، وأغرب الغرائب .

سئل من سيّاح عارف: أيّ شيء أعجب من أعاجيب ما رأيت في أيّام سياحتك ؟

أجاب بأنّه لم أرَ أعجب من نفسي .

وقيل : إذا سمع النّاس أنّ قطعة من المغناطيس جذبت مثقالاً من الحديد طفقوا يزدحمون عليه ، ويتعجّبون منه ، ولا يلتفتون إلى أنفسهم كيف كانت حديداً لأبدانهم محرّكة إيّاها عدواً أو هويناً أو أوضاعاً متفنّنة .

ترى انظر إلى أوّل أفعال الإنسان في حال غاية حقارته ، وما يصدر عنه في أضعف حالاته ، وهو التقام الثدي ومصّه لولا إلهام الحقّ وملائكته لجعل من فيه يمجّه ، أو في فضائه يلجلجه ، فانصف لي ما يدريه بأن يجذبه ويمصّه في فيه .

ثمّ أما تعدّ كرامة وأُعجوبة فتح أبواب مشاعره ومعالمه إلى النشآت والعوالم ، بل نشأته وعوالمه وخيرته وتنبّهه بسكّانها وقطّانها ؟ ثمّ أما ترى تذكّره وتحفّظه وتعقّله ولو سدّ الله عليه أبواب الجبروت والملكوت لم يقدر على اقتناص الخفيّات والنظريات ، بل على إدراك الجليّات والبديهيّات ، ولم يعرف مسلك بيته ، ولم يميّز

. . . .

صديقه عن عدوّه ، ولا منافعه عن مضارّه ؟

أفرأيتم إن جعل عليكم الليل سرمداً فمن يأتيكم بضياء ، وإنّما لا يعرف الإنسان قدر هذه ولا يتعجّب ، وفي عمائه وعدم تعجّبه أيضاً كلّ العجب لعدم تذكّره ونسيانه أيّامه التي فيها لم يكن شيئاً مذكوراً ، وكان كالحجارة المطروحة والمدرة المنبوذة ، فتأزّر بإزار ملكوتي ، وتخلّع برداء جبروتي ، وتسربل بسربال لاهوتي ، بعد ما كان في ثوبٍ رثٍّ خلق ناسوتي ،كلّ ذلك شيئاً فشيئاً ، ولحظة فلحظة ، فمن شاء أن يتذكّر فليسترجع حالته التي كان معطّلاً عن الحلي ، عريّاً عن الحلل ، فكان مدّة في هاوية الهيولى والظلمات ، وحيناً في بيداء الجمادات ، وبرهة في آجام القصبات ، ومنبت النباتات ، ووقتاً كالديدان في الموحلات وكباقي العجماوات ، ثمّ نال ما نال ، وآل ما آل.

ولمّا كان هذا حال جميع أمثالك وإخوتك ، وكلّ ما خلق من فضالتك ، فلو لاحظت الكلّ في السلسلة المترتّبة الصعوديّة متوجّهة إلى الغايات ، سالكة من البدايات طولاً ، بل طفرة ولا فترة ، لرأيت العالم قبل نزول إجلال الحضرة الآدميّة مملوّة من الجان والمثل المعلّقة التي في المثال الأصغر ، وقبلها مملوّة من العجماوات ، وقبلها من الديدان والحشرات ، وقبلها آجاماً ومنابت ، وعرفت سرّ ما ورد من الأخبار في هذا الباب ، أو من شاء التذكرة فليفرض نفسه نشأ في بيت مظلم لم يرَ أحداً ولا شيئاً من العالم حتّى بلغ أشدّه ، فإذا خرج وله طينة صافية ، ومشاعر ذكيّة ، وقريحة سليمة ، وشاهد السماوات الرفيعة ، والكواكب المنيرة البديعة ، وهذه البسائط والمركّبات لقضى آخر العجب ، بل أشرف من عجبه على العطب وتخبّط عقله ، أو صار مجذوباً ، فكلّ موجود وإن كان من أحقر ما يمكن يجري على

. . . .

يد قدرته ما يعجز عنه غيره ، فله سبحانه في كلّ شيء آية لا يراها إلّا ذو دراية[١].

عجائب صنع النحل والعنكبوت:

ألم ترَ إلى النحل ومسدّساته وإلى العنكبوت ومثلّثاته ، وفي العناكب ما جثّته بقدر النملة الصغيرة وينسج على الأغصان وغيرها دوائر محيطة بعضها على بعض ، ويفرز من مركزها إلى محيطها أضلاعاً مثلّثات متساوية الساقات ، يعجز المهندس عن مثل فعله .

ومختصر الكلام : إنّ آياته الكبرى كثيرة جدّاً ، بل هذا المقام أيضاً داخل تحت القاعدة الكلّية التي أشار إليها العرفاء الشامخون من أنّ الشيء إذا جاوز حدّه انعكس إلى ضدّه ، فلمّا لم يكن في الوجود غير الآيات والمعجزات الباهرات والكرامات البيّنات فقد غابت عن أعين هؤلاء العميان فطفقوا يطلبون المعجزة والكرامات عند الدلالة على الله من الدعاة إليه[٢].

ويعجبني أن أختم هذا المقام بفقرات من دعاء الجوشن ممّا يناسب المرام ، قال عليه السلام :

يا مَنْ فِي السَّماءِ عَظَمَتُهُ:

أقول : من حيث عظمة مقداره قال بعض العرفاء في شرحه : فإنّ الشمس التي تتراءى من بعد بقدر اُترجّة إذا كانت أضعاف كرة الأرض ـكما بيّن في علم الهيئة ـ

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٢١٢/١ و ٢١٣ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٢١٣/١ .

. . . .

فما ظنّك بمقدار فلكه ، ثمّ بالأفلاك المحيطة بفلكه ، ثمّ بمقدار ثخن الفلك الأعظم الذي قالوا لا سبيل للبشر إلى استخراجه ، وتعرفه وتعرف بعد محدّبه من مركز الأرض ، فلا يعلمه إلّا صانعه العزيز العليم ، ومن حيث ديمومة وجوده في مقابلة الفساد إلى الشيء الممتنع عليه وإن وجب عليه الفناء المحض ، والطمس البحت ، ومن حيث فعّاليّته وحركته في مقابلة انقطاع فيض الفيّاض المطلق ، وإن وجب عليه الحدوث والتجدّد جوهراً وذاتاً من حيث هيولاه وصورته وطبيعته السيّالة الهويّة ، وعرضاً وصفة بنعت تجدّد الأمثال ، ومن حيث عدم اتّصافه بالتضادّ الموجب لتفاسد بعض ببعض ، ومن حيث كثرة أنواره التي لا تطفأ إلّا بسطوع نور الله الواحد القهّار ، ومن حيث كثرة ملائكته التي قال فيها النبيّ ﷺ : **« أطّت السماء وحقّ لها أن تأطّ ، ما فيها موضع قدم إلّا وفيها ملك راكع أو ساجد »**(١) .

ومن حيث مؤثّريّته فيما دونه ، وتكون فيوضات لا نهاية لها .

تحديد سرعة الفلك الأعلى :

ومن حيث سرعة حركته ولا سيّما حركة الفلك الأعلى(٢) ؛ إذ قالوا إنّه بمقدار ما يقول أحد واحد يتحرّك ألفاً وسبعمائة وثلاثين فرسخاً من مقعّره ، أو ألفين وأربعمائة فرسخ من مقعّره على الخلاف ، والله أعلم بما يتحرّك محدّبه .

« يا مَنْ فِي الْأَرْضِ آياتُهُ ، يا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلائِلُهُ ، يا مَنْ فِي الْبِحارِ عَجائِبُهُ »(٣) .

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٢١٨/١ .

(٢) في شرح الأسماء : «الأقصى» .

(٣) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٢١٨/١ .

وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ،

وأبلغ من ذلك كلّه كلام الإمام السيّد السجّاد عليه السلام في دعاء الصحيفة: **«يا من لا تنقضي عجائبه»**[(١)].

ولا يخفى على الفطن العارف أنّ الإطالة في مثل المقام، والاستكثار من نقل الأخبار، وكلمات العلماء الأخيار، يفضي إلى اليقين، ولهذا النوع من الاستدلال تأثير عظيم في القلوب بحيث تقشعرّ منه الجلود، فلأجل ذلك آثرنا الإطالة على الإجمال، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب الأحاديث والأخبار، سيّما كتاب نهج البلاغة، وكتاب التوحيد للصدوق، وحديث المفضّل، ونحوها، وما آتيناه من الأخبار هنا فإنّما هو من باب توشيح الكتاب بذكر كلام أئمّة الأنام عليهم الصلاة والسلام، حيث إنّه موجب لمزيد الاعتبار، وإحكام للمرام، ومحرز للأجر الجزيل والثواب الجميل.

وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ: السلطان: مصدر كالغفران، بمعنى القهر،وقهره تعالى للأشياء وسلطانه عليها هو كونها مسخّرة تحت قدرته، عاجزة في قبضته، بحيث ينفذ مشيّته فيها، ويصرّفها كيف يشاء.

وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ: قد وقع في غير واحد من الآيات القرآنيّة إضافة الوجه إليه تعالى، كقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ**﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ**

---

(١) لم نجده في الصحيفة السجّاديّة، بل ورد في مجمع البيان: ١٦/١ قوله صلى الله عليه وآله: «ولا تنقضي عجائبه»، وفي بحار الأنوار: ٩٣/٤ قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا تنقضي عجائبه».

(٢) القصص ٢٨: ٨٨.

(٣) الإنسان ٧٦: ٩.

. . . .

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾[٣].

وفي الدعاء المخصوص بتعقيب صلاة الصبح، أو المشترك بينه وبين المساء، بتبديل أصبحت بأمسيت، وإنّ كلّ معبود ممّا دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحلّ ما خلا وجهك الكريم.

توجيه إضافة الوجه إليه تعالى:

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ في توجيه إضافة الوجه إليه تعالى وجوهاً:

الأوّل: أنّ الوجه قد يطلق لغةً على ذات الشيء ونفسه، كما صرّح به غير واحد من أهل اللغة، كالفيّومي في المصباح[٤]، والفيروزآبادي في القاموس[٥]، بل قد فسّره بذلك غير واحد من المفسّرين، منهم: الفخر الرازي[٦] عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٧].

وقال أحمد بن جندل ـ فيما نقل عنه ـ:

---

(١) الرحمن ٥٥: ٢٧.

(٢) البقرة ٢: ١١٥.

(٣) الليل ٩٢: ٢٠.

(٤) المصباح المنير / الفيّومي: ٦٤٩.

(٥) القاموس المحيط: ٢٩٥/٤.

(٦) التفسير الكبير / الفخر الرازي: ١٠٥/٢٩.

(٧) الرحمن ٥٥: ٢٧.

. . . .

وَنَحْنُ حفَزْنا[١] الحوفزان بِطَعْنَةٍ فأفْلَتَ مِنها وَجْهَهُ عنْدَ منْهَدِ[٢]

أراد: أفلت نفسه ونجّاها ، ومنه قولهم : « إنّما فعل ذلك لوجهك ».

وممّا يدلّ على أنّ الوجه يعبّر عن الذات : قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾[٤] ، فإنّ جميع ما أُضيف إلى الوجه في ظاهر الآيات من النظر والظنّ والرضا لا يصحّ إضافته على الحقيقة إليها ، وإنّما يضاف إلى الجملة ، فمعنى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ كلّ شيء هالك إلّا إيّاه ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾[٥] ،

---

(١) **الحفز** ـ بالزاي المعجمة ـ: الطعن بالرمح من خلف. **الحوفزان** : لقب الحارث بن شريك الشيباني ، لقّب بذلك لأنّ قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته . كذا في الصحاح .

نهد إلى العدوّ : تحرّك إليه ونهض .

ومعنى البيت أنّه يقول : إنّا طعنّا الحوفزان طعنة بالرمح ، فنجا الحوفزان نفسه من تلك الطعنة وخلص ، أي : هرب عند النهد ، أي عند نهوض الحارث . منه .

(٢) الأمالي / المرتضى : ٤٨/٣ . وقيل : إنّ البيت لسوار بن حيان المنقري قاله يوم جدود هكذا :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سَقَتْهُ نجيعاً من دم الجوف أشكلا

انظر : «أمالي المرتضى : ٧٦/١ و ٧٧» .

(٣) القيامة ٧٥ : ٢٢ ـ ٢٥ .

(٤) الغاشية ٨٨ : ٨ و ٩ .

(٥) الرحمن ٥٥ : ٢٦ و ٢٧ .

. . . .

ولمّا كان المراد بالوجه نفسه لم يقل « ذي » ، بل قال : « ذو » ، فجعله صفة للمضاف ، أعني الوجه المراد به نفس الذات ، بخلاف قوله : ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [1] لما كان اسمه غيره .

فإن قلت : فعلى هذا يلزم أن لا يبقى علم الله ولا قدرته ؛ لأنّ الوجه جعلتموه ذاتاً ، والذات غير الصفات ، فإذا قلت : كلّ شيء هالك إلّا حقيقة الله خرجت الصفات عنها ، فيكون قول ينفي الصفات ، وكذلك قوله ﷺ : « **وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ** » .

قلت : هذا نظر قول القائل : لم يبق لفلان إلّا ثوباً يتناول الثوب ، وما قام به من اللون والطول والعرض ، فكذلك بقاء ذات الله يتناول صفاته .

بيان السبب في حسن إطلاق لفظ الوجه عليه تعالى:

هذا وقال الإمام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ بعد أن رجّح كون المراد من الوجه في الآية هو الذات: إنّ السبب في حسن إطلاق لفظ الوجه على الذات أنّه مأخوذ من عرف النّاس ، فإنّ الوجه يستعمل في حقيقة الإنسان عرفاً ، ألا ترى أنّ الإنسان إذا رأى وجه غيره يقول: رأيته ، وإذا رأى غير الوجه من اليد والرجل ـ مثلاً ـ لا يقول: رأيته؛ وذلك لأنّ اطّلاع الإنسان على حقائق الأشياء في أكثر الأمر يحصل بالحسّ ، فإنّ الإنسان إذا رأى شيئاً علم منه ما لم يكن يعلم حال غيبته ؛ لأنّ الحسّ لا يتعلّق بجميع المرئي ، وإنّما يتعلّق ببعضه ، ثمّ إنّ الحسّ يدرك والحدس يحكم ، فإذا رأى شيئاً بحسّه يحكم عليه

---

(١) الرحمن ٥٥ : ٧٨.

. . . .

أمراً بحدسه ، لكنّ الإنسان اجتمع في وجهه أعضاء كثيرة كلّ واحد يدلّ على أمر ، فإذا رأى الإنسان وجه الإنسان حكم عليه بأحكام ماكان يحكم بها لولا رؤية وجهه ، فكان أدلّ على حقيقة الإنسان وأحكامه من غيره ، فاستعمل الوجه في الحقيقة الإنشائيّة »[١] انتهى .

قلت : ويؤيّد هذا الكلام ما صرّح به الفقهاء من صحّة التعبير في عقد الكفالة بالبدن والرأس والوجه ، فيقول : كفلت لك بدن فلان أو رأسه أو وجهه[٢] ؛ لأنّه يعبّر بذلك عن الجملة ، بل عن الذات عرفاً ، وألحق به الكبد والقلب وغيرهما من الأجزاء التي لا تبقى الحياة بدونها ،كما صرّح بذلك كلّه الشهيد ﷺ في الروضة[٣] .

الثاني : أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الله تعالى ، ويوجّه به نحو القربة إليه من الأعمال ، فلا نشرك بالله ولا ندع إلٰهاً آخر ، فإنّ كلّ فعل يتقرّب به إلى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل .

وهذا التوجيه حسن نقله المجلسي ﷺ عن المفسّرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ** ﴾[٤] .

الثالث : الرجوع في ذلك إلى ما أُمرنا به في أمثاله من الرجوع إلى حملة كتاب الله ، وهم أهل العصمة عن الخطأ .

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازي : ١٠٦/٢٩ .

(٢) انظر : «تذكرة الفقهاء : ٩٩/٢ ـ الطبعة الحجريّة ـ . مجمع الفائدة : ٣١٥/٩ . الحدائق الناضرة : ٦٢/٢١» .

(٣) شرح اللمعة (الروضة البهيّة) : ١٦٣/٤ .

(٤) أمالي المرتضى : ٥٩٠/١ ، ولم نجده في بحار الأنوار ، والآية في سورة القصص : ٨٨ .

. . . .

تفسير الوجه بما في الأخبار:

ففي التوحيد وغيره: بإسناده عن أبي حمزة، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، قال: **فيهلك كلّ شيء ويبقى الوجه، إنّ الله عزّ وجلّ أعظم من أن يوصف بالوجه، ولكنّ معناه: كلّ شيء هالك إلّا دينه، والوجه الذي يؤتى منه**»[١].

وفي البصائر: بإسناده عن ابن المغيرة، قال: «كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام، فسأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، قال عليه السلام: **ما يقولون فيه؟**

قلت: يقولون: يهلك كلّ شيء إلّا وجهه.

فقال عليه السلام: **يهلك كلّ شيء إلّا وجهه الذي يؤتى منه، ونحن وجه الله الذي يؤتى منه**»[٢].

وفي التوحيد أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، قال: **من أتى الله بما أمر به من طاعة محمّد والأئمّة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك، ثمّ قرأ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾**[٣]»[٤].

وبهذا الإسناد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**نحن وجه الله الذي لا يهلك**»[٥].

---

(١) التوحيد: ١٤٩، الحديث ١.

(٢) بصائر الدرجات: ٨٦، الحديث ٦.

(٣) النساء ٤: ٨٠.

(٤) التوحيد ١٤٩، الحديث ٣.

(٥) التوحيد: ١٥٠، الحديث ٤.

وَبِأَسْمَائِكَ الَّتي مَلَأَتْ أَرْكانَ كُلِّ شَيْءٍ ،

وأيضاً في التوحيد : بإسناده ، قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ ، قال : **كلّ شيء هالك إلّا من أخذ طريق الحقّ**»[١].

وأيضاً في التوحيد: بإسناده عن خيثمة ، قال: «سألت أبا عبدالله عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ ، قال: «**دينه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله ، ووجهه وعينه في عباده ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده على خلقه ، ونحن وجه الله**»[٢].

وهذه الوجوه الثلاثة كلّها واضحة بيّنة بحمد الله .

وَبِأَسْمَائِكَ الَّتي مَلَأَتْ أَرْكانَ كُلِّ شَيْءٍ: الأسماء جمع اسم ، والاسم مأخوذ من السمة ، وهي العلامة ، والأركان : جمع ركن ، بمعنى الجانب ، وآثاره وعلائمه تعالى ملأت وجودات الإمكانيّة كلّها ، حتّى قال عليه السلام : « **ما نظرت إلى شيء إلّا وقد رأيت الله قبله وبعده** »[٣].

إثبات واجب الوجود تعالى بطريق المتكلّمين:

وقال آخر : « **وفي كلّ شيء له آية** »[٤] ، دليل على أنّه الواحد ، وهو من أحد طرق إثبات واجب الوجود تعالى ، وهو طريق المتكلّمين ، وكيفيّة الاستدلال بالآثار

---

(١) التوحيد : ١٤٩ ، الحديث ٢ .

(٢) التوحيد : ١٥١ ، الحديث ٧ .

(٣) لم نجده ، وورد في مشرق الشمسين مرسلاً: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله قبله» ، وفي اللمعة البيضاء : ١٦٩ مرسلاً أيضاً : «وما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه» .

(٤) المجازات النبويّة / الشريف الرضيّ : ٢٢١ .

. . . .

والموجودات من حيث كونها محدثة ، وهذا الطريق يسمّى طريق الحدوث ، وهو طريق شريف أُشير إليه في الكتاب العزيز بقوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[1] ، والمراد بالآيات الآثار ، وبالآفاق السموات والأرض ، وبالأنفس نفس الإنسان ... في الآثار الحاصلة... الكونين ما يدلّ على وجود محدث لهما ، وهو طريق إبراهيم الخليل عليه السلام ، فإنّه استدلّ بالأُفول الذي هوحركة المستلزمة للحدوث المستلزمة للصانع ، كما حكى الله تعالى عنه في الكتاب العزيز.

وخلاصة هذا الدليل : هو أنّ العلم حادث ، وكلّ حادث محدثه محدث ، فننقل الكلام إلى ذلك المحدث ، فإن كان حادثاً فلا بدّ له من محدث ، فإمّا أن يدور أو يتسلسل ، وهما باطلان ، أو ينتهي إلى محدث غير حادث ، وهو القديم الواجب تعالى . ونزيدك بياناً : أنّ كلّ فقير وذي حاجة ، فهو ممكن ، وكلّ غنيّ بحيث لا يحتاج إلى غيره وغيره محتاج إليه فهو واجب .

ولا شكّ أنّ الموجودات كلّها ليست واجبة لثبوت الفقر فيها ، والواجب لا يكون فقيراً كما أنّها كلّها ليست ممكنة وإلّا لما وجدت ؛ لأنّ الممكن فقير يحتاج في وجوده إلى العلّة ، فالذي لا يسدّ خلّة نفسه ويحتاج في وجود نفسه إلى علّة كيف يفيض الوجود إلى غيره .

ولنعم ما قيل :

ذات نا يافته از هستى بخش   كى تواند كه شود هستى بخش

---

(١) فصّلت ٤١ : ٥٣.

وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ،

فلابدّ من غنيّ واجب الوجود بذاته يرجّح وجود الممكنات حتّى توجد ، وقد ورد بهذا المعنى أخبار كثيرة قد أفرد لها شيخنا الصدوق باباً مستقلّاً في توحيده ؛ عنوانه : باب إثبات حدوث العالم[١] ، ونحن نذكر خبراً واحداً هنا ، ومن أراد الزيادة فعليه الرجوع .

فقد روى بإسناده ، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه دخل عليه رجل ، فقال له : يابن رسول الله ، ما الدليل على حدوث العالم ، قال : **أنت لم تكن ثمّ كنت ، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ، ولا كوّنك من هو مثلك** »[٢] ، يعني أنّك ما خلقت نفسك ، وليس أمرك إليك وإلّا لقدرت على دفع المكاره عن نفسك ، وجلب المنافع إليها ، والحال أنّه ليس الأمر كذلك ، لعدم قدرتك على دفع المرض والفقر وأمثالهما عن نفسك ، فلمّا كنت عاجزاً محتاجاً فاعلم أنّ وجودك ليس منك ، بل من غيرك الذي هو المدبّر لأمرك وليس مثلك في الحاجة والعجز ، وكلّ من هو مثلك لا يتمكّن من إيجادك لما ذكر فيك .

وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ : لأنّك علّة الإحياء كلّها ، كلّيّاتها وجزئيّاتها ، فلكيّاتها وعنصريّاتها ، وقد تقرّر أنّ العلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول ، فينتج أنّه تعالى عالم بجميع المخلوقات ؛ إذ لا مؤثّر في الوجود بشراشره إلّا الله .

في إثبات علم الباري تعالى :

والتفصيل في هذه المرحلة هو أن يقال : إنّ من جملة الصفات الثبوتيّة لله

---

(١) التوحيد : ٢٨٥ ، الباب ٤٢ .

(٢) التوحيد : ٢٨٦ ، الحديث ٣ .

. . . .

عزّ وجلّ أنّه تعالى عالم، والعالم لا يحتاج إلى تفسير؛ لأنّ معناه شيء له العلم، وشيء ضروري التصوّر، وكذا قولنا له.

في أنّ العلم بديهي لا يحتاج إلى حدّ:

وأمّا العلم فقد اختلفوا فيه، فذهب المحقّقون إلى أنّ تصوّره ضروري بالضرورة، واستدلّ آخرون عليه بأنّ غير العلم إنّما يعلم بالعلم، فلو عرف العلم بغيره دار لتوقّف معلوميّة كلّ منهما على معلوميّة الآخر.

واعترض عليه بأنّ معلوميّة غير العلم بالعلم إنّما يكون بحصول علم جزئي متعلّق بذلك الغير لا بمعلوميّة حقيقة العلم، والعلم الذي يتوقّف معلوميّته على غير العلم إنّما هو حقيقة العلم لا حصول العلم الجزئي، فلا دور.

ثمّ اختلفوا في حدّه، فذهب بعضهم إلى أنّه صورة متساوية للمعلوم في العالم، وآخرون إلى أنّه نسبة وإضافة بين المعلوم والعالم، وآخرون إلى أنّه اعتقاد يقتضي سكون النفس، وينتقض بالتقليد، وآخرون إلى أنّه اعتقاد أنّ الشيء كذا مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون إلّا كذا.

والحقّ الأوّل، يعني أنّه بديهيّ التصوّر لا يحتاج إلى التعريف.

إذا عرفت ذلك فنقول: اتّفق جمهور العقلاء على أنّه تعالى عالم.

استدلال المتكلّمين أنّه تعالى عالم:

واستدلّ المتكلّمون على أنّه تعالى عالم بأنّ أفعاله تعالى محكمة متقنة، وكلّ من كان كذلك فهو عالم.

. . . .

أمّا المقدّمة الأولى فالحسّ يدلّ عليها، فإنّ العالم إمّا فلكيّ وإمّا عنصريّ، وآثار الإحكام ظاهرة فيها، أمّا الأفلاك فلأنّ خلق السماوات والنيّرات وتفاوتها في القرب والبعد، والمقتضيات للسخونة والبرودة، حتّى تتكوّن المركّبات، واختلاف الليل والنهار، وغير ذلك ظاهر، ومن وقف على علم الهيئة عرف الإتقان الثابت فيها، وأمّا العناصر فوجود الإحكام فيها بيّن أيضاً، فإنّ الآثار الصادرة في الحيوانات من خلق أعضائها لمنافعها ظاهرة، ومن وقف على علم التشريح ظهر له ذلك ظهوراً تامّاً.

وأمّا **المقدّمة الثانية** فضروريّة، وأيضاً فإنّ الله تعالى قادر على ما مرّ، ويستحيل صدور الفعل عن القادر إلّا بعد علمه به.

الاستشهاد على طريقتهم بكلام الصدوق ﵀:

قال الصدوق ﵀ في توحيده: «من الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى عالم أنّ الأفعال المختلفة التقدير، المتضادّة التدبير، المتفاوتة الصنعة لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممّن لا يعلمها، ولا يستمرّ على منهاج منتظم ممّن يجهلها.

ألا ترى أنّه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته ويضع كلّاً من دقيقه وجليله موضعه، من لا يعرف الصياغة؟ ولا أن ينظم كتابة يتبع كلّ حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة؟ والعالم ألطف صنعة وأبدع تقديراً ممّا وصفناه، فوقوعه من غير عالم بكيفيّته قبل وجوده أبعد، وأشدّ استحالة.

تصديق كلامه ﵀ بكلام الإمام ؈:

وتصديق ذلك: ما حدّثنا به عبدالواحد بن محمّد بن عبدوس العطّار، قال:

. . . .

حدّثنا عليّ بن محمّد بن قتيبة النيسابوري، عن الفضل بن شاذان، قال: «سمعت الرضا عليّ بن موسى عليه السلام يقول في دعائه: **سبحان من خلق الخلق بقدرته، وأتقن ما خلق بحكمته، ووضع كلّ شيء منه موضعه بعلمه، سبحان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**»[1]، انتهى كلامه عليه السلام.

فإن قيل: قد أسند جمع من العقلاء والحكماء عجائب خلقة الحيوان وتكوّن تفاصيل الأعضاء إلى قوّة عديم الشعور وسمّوها المصوّرة، فكيف يصحّ دعوى البداهة لكبرى القياس المسطور، أعني كلّ فاعلٍ فعلاً محكماً متقناً، فهو عالم.

التعرّض لبعض الإشكالات ودفعها:

قلنا: لعلّ مرادهم أنّ المصوّرة بمنزلة الآلة، والخالق إنّما هو الحكيم الخبير، وإسناد الفعل إلى الآلة شائع، وعلى تقدير التسليم فخفاء الضروري على بعض العقلاء جائز.

فإن قيل: يصدر عن الحيوانات العجم بالقصد والاختيار أفعال متقنة محكمة في تركيب مساكنها وتدبير معائشها، كما مرّ من عمل النحل والعنكبوت وكثير من الوحوش والطيور، على ما هو في الكتب مسطور، وفيما بين النّاس مشهور.

قلنا: لو سلّم أنّ موجد هذه الآثار هي هذه الحيوانات، فلم لا يجوز أن يكون فيها من العلم قدر ما يهتدي إلى ذلك، بأن يخلقها الله تعالى عالمة بذلك، أو يلهمها هذا العلم حين ذلك الفعل؟

---

(١) التوحيد: ١٣٧، الحديث ١٠.

. . . .

فإن قيل: لا نسلّم أنّ هذه الأفعال المتقنة المحكمة من أفعال الله تعالى، فإنّه لِمَ لا يجوز أن يوجب الباري موجوداً يستند إليه تلك الأفعال المتقنة؟

قلنا: المصنوع المدرك للكلّيّات والجزئيّات، القادر على الممكنات، الذي موجدها على أتمّ الإتقان والإحكام، أتمّ دليل على أنّ صانعه أيضاً كذلك.

من أقوى الشبهات أن يقال: العلم حصولي أو ضروري:

ثمّ اعلم -رحمك الله تعالى- من أقوى الشبهات، وأصعب المعضلات، هو أن يقال: إنّ العلم إمّا حصولي وإمّا حضوري.

والأوّل: عبارة عن حصول صورة الأشياء في القوى المدركة.

والثاني: عبارة عن حضور الأشياء بأنفسها عند العالم، كعلمنا بذواتنا.

والأوّل: يقتضي أن يكون العالم محلّاً للصور، وهو محال في علمه تعالى؛ لأنّ علمه تعالى عين ذاته، ولا يجوز التكثّر في ذاته، ولا في صفاته.

قال في شرح التجريد: «ولمّا ذادهم قائم البرهان عن القول بحضور صور الأشياء في ذاته تعالى حكم بعضهم بأنّ علمه تعالى بالأشياء إنّما هو بحضورها أنفسها عنده تعالى»[١].

والثاني: يقتضي جهله تعالى إن فرضنا عدم كلّ شيء ما عداه، ولصعوبة هذه الشبهة وغموضتها زلّت أقدام كثير من العلماء، حتّى الشيخ الرئيس ومن تبعه في

---

(١) شرح تجريد الاعتقاد / القوشجي:

. . . .

إثبات علم زائد على ذات الواجب، وحتّى شيخ أتباع الرواقيّة ومن تبعه في نفي العلم السابق على الإيجاد، فإذا كان حال هذين الرجلين مع فرط ذكائهما، وشدّة براعتهما، وكثرة خوضهما في هذا الفنّ هكذا، فكيف حال من دون هؤلاء من أهل البدع والأهواء؟

ولأجل ما ذكرنا من الصعوبة والإشكال أنكر بعض الأقدمين من الفلاسفة علمه تعالى بشيء من الموجودات غير ذاته تعالى، وصفاته التي عين ذاته، كما أنّ منهم من نفى علمه بشيء أصلاً بناءً على أنّ العلم عندهم إمّا إضافة بين العالم والمعلوم، ولا إضافة بين الشيء ونفسه، أو صورة زائدة على ذات المعلوم مساوية له، فيلزم تعدّد الواجب، وإذا لم يعلم ذاته لم يعلم غيره، إذ علم الشيء بغيره بعد علمه بذاته، فقد ضلّوا وأضلّوا، وخسروا خسراناً مبيناً.

والحقّ الذي لا ريب فيه هو أنّه قد ثبت بحجج واضحة، وبراهين لائحة، أنّه تعالى عالم بالأشياء، كيف ومن أنصف من نفسه يعلم أنّ الذي أبدع الأشياء وأفادها وأوجدها من العدم إلى الوجود، سواء كان العدم زمانيّاً أو ذاتيّاً، يعلم تلك الأشياء بحقائقها ولوازمها قبل إيجادها، سيّما وقد كانت على الترتيب والنظام، ونظامها أشرف النظامات وترتيبها أحسن تقويم، وإلّا لما أمكن إعطاء الوجود لها، فالعلم بها لامحة غيرها ومقدّم عليها.

وقد عرفت أنّ كلّ من تشبّث في إثبات علمه بالأشياء بشيء من مجعولاته كصورة أو عقل أو نفس أو نفس الأشياء، فذلك لقصور نظره، وضعف عقله، والراسخ في الحكمة الإيمانيّة من أثبت علمه بجميع الأشياء مع كثرتها وتفصيلها في رتبة ذاته السابقة على جميع اللوازم والخوارج، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من

. . . .

عباده ، وهم الذين تشبّثوا بأذيال العصمة والطهارة .

بيان أنّه لا حاجة إلى معرفة كيفيّة علمه تعالى بالأشياء :

فأقول ـ وبيده أزمّة التحقيق ـ : اعلم رحمك الله تعالى إذ قد فاز بمدارج التحقيق أنّه تعالى عالم بالأشياء ، فليست الضرورة داعية لنا إلى إدراك كيفيّة هذا العلم ، فإنّه لم يجب علينا إدراك هذه الكيفيّة لا عقلاً ولا نقلاً ، فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً أنّه تعالى عالم بالأشياء في الجملة ، ولا يغيب عنه شيء ، وإن لم يكن لنا العلم بكيفيّة هذا العلم حاصلاً .

أمّا الإشكال الذي اُورد من قبل فيمكن الجواب عنه : بأنّه لا نسلّم أنّ العلم بأقسامه منحصر في حصول صورة المعلوم ، أو حضوره ، ولم يقم دليل على هذا الحصر ولا برهان ، فحينئذٍ لِمَ لا يجوز أن يكون خصوصيّة ذات الواجب صالحة لأن يكون مبدءً لانكشاف الأشياء بدون افتقاره إلى شيء آخر ، وهذا ليس ببعيد .

ألا ترى أنّ كلّ موجود فهو إنّما يصير موجوداً بوجود زائد ، وواجب الوجود موجودٌ بدون وجودٍ زائدٍ ، وهكذا كلّ قادر ومريد وحيّ ، ونحو ذلك ؟ فلِمَ لا يجوز كونه عالماً بالأشياء بدون علم زائد عليه ؟ والذي يقلع مادّة هذا الاستبعاد هو أنّ الصورة التي قالوا بها إنّما سمّوها بها لمجرّد تغليط العوامّ ، فإنّه يتبادر من الصورة أنّ الصورة عبارة عن شبه مثالي ينتقش في الذهن كسائر الصور التي يصوّرها المصوّرون على الألواح والقراطيس ، وهذه الصورة تكون آلة لملاحظة الموجودات الخارجيّة كما يكون الشبه المثالي اللوحي آلة لإدراك ذي الصورة بوجه ما .

ومن هنا ينشأ الاستبعاد في قلوبهم في باب كون الصورة مبدء انكشاف لذي

. . . .

الصورة ، أمّا النظر الدقيق فيحكم حكماً جازماً أنّ إدراكنا لزيد ـ مثلاً ـ ليس بانتقاش صورة الخاصّة الملوّنة بلون خاصّ وغيره من العوارض الشخصيّة ، كيف ولو كان كذلك للزم أن يكون بطون الدماغ محالاً لصور كثيرة من الأعراض المتضادّة والجواهر المتباينة المتلوّنة بألوان مختلفة ، ولزم أن يحسّ من تلك النقوش لو انشقّ رأس أحد اتّفاقاً ، وللزم أن يكون بحسب كثرة الإدراكات كثرة الصور ، فيلزم أن ينتقش بعضها فوق بعض بحيث يؤدّي إلى الخلط وعدم امتياز بعض المعلومات عن بعض .

بل الصورة التي قالوا بها إنّما هي عبارة عن المعنى العقلي الذي ليس بينه وبين المعلوم الموجود في الخارج علاقة اتّحاد أصلاً ، لانفكاك كلّ منهما عن الآخر في الوجود ، فإنّه قد يكون المعنى العقلي متحقّقاً مع كون المعلوم معدوماً في الخارج ، وبالعكس ؛ ولأنّ هذا المعنى عرضاً ، والمعلوم قد يكون جوهراً ، فإذا ثبت صلوح هذا المعنى لأن يكون مبدأ انكشاف للموجود الخارجي ، فما الاستبعاد في كون الواجب تعالى مبدء انكشاف لمعلوماته مع هذه العلاقة القويّة التي لا يمكن مع هذه العلاقة وجود المعلولات بدون العلل ، بخلاف علاقة المعنى الذي قالوا به وسمّوه بالصورة ، فإنّك قد عرفت أنّ بين هذا المعنى وبين الموجود الخارجي ليس لزوماً أصلاً ، فضلاً عن الاتّحاد .

ويؤيّد ما قلناه قول الصادق عليه السلام : **« إنّ الله تبارك وتعالى علم لا جهل فيه ، وحياة لا موت فيه ، ونور لا ظلمة فيه »**[1] ، فإنّ العلم عبارة عن مبدء الانكشاف ، فلو لم يكن ذات الواجب بنفسها مبدء لانكشاف الأشياء لم يصحّ حمل العلم عليه تعالى ، وهذا ظاهر .

---

(١) الفصول المهمّة / العاملي : ١/٢٢٨ ، الحديث ٥ . نور البراهين : ١/٣٤٨ ، الحديث ١١ .

. . . .

وعن الحسين بن خالد ، قال : « قلت للرضا عليه السلام : إنّ قوماً يقولون : إنّه عزّ وجلّ لم يزل عالماً بعلم ، وقادراً بقدرةٍ ، وحيّاً بحياة ، فقال عليه السلام : **من قال ذلك ودان به فقد اتّخذ مع الله آلهة اُخرى ، وليس من ولايتنا على شيء.**

ثمّ قال عليه السلام : **لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته ، تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً »**[١].

بقي هنا استبعاد آخر ، وهو أنّ الشخص البسيط كيف يكون مبدءً لانكشاف جميع الأشياء المتباينة ، ويمكن دفعه بأنّه إذا جوّزنا أن يكون الشيء المبائن بحسب الخصوصيّة مبدءً لانكشاف ما يباينه ، فلِمَ لا يجوز أن يكون مبدء انكشاف لكلّ شيء يكون بينه وبين ذلك تلك الخصوصيّة ؟ أعني العلّيّة المطلقة ـ مثلاً ـ كيف وقد تحصل لنا حالة إدراكيّة ينكشف بها اُمور كثيرة دفعة ، فإنّا نعلم أفراد الإنسان ـ مثلاً ـ سواء كانوا موجودين أو لم يوجدوا بعد بأنّهم أجسام نامية حسّاسة ناطقة ـ مثلاً ـ فما الاستبعاد في أن يكون خصوصيّة ذات الواجب بحيث تصير مبدءً لانكشاف جميع معلولاته من جميع الوجوه مع أنّ الاستبعاد المجرّد لا يقتضي عدم علمه تعالى للأشياء المبرهن عليه بدلائل قطعيّة.

في أنّ علمه تعالى بالأشياء ليس زائداً على ذاته :

تنبيه: غير خفيّ عليك أنّه قد تقدّم منّا أنّ علمه تعالى بجميع الأشياء في مرتبة ذاته السابقة ، فإيّاك ثمّ إيّاك أن تفهم من ذلك أنّ صفاته الذاتيّة موجودة في مرتبة ذاته

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٠٩/٢ ، الحديث ١٠ . التوحيد : ١٤٠ ، الحديث ٣ . الاحتجاج : ١٩٢/٢ . نور الثقلين : ٧٠٧/١ ، الحديث ٣٤ و : ١٣٦/٣ ، الحديث ٦٣ .

. . . .

بأن يكون هناك علم غير الذات ، أو قدرة كذلك ، أو حياة كذلك ، حاشا ثمّ حاشا وكلّا ، فإنّ في مرتبة ذاته ليس شيء غير ذاته .

والمراد ممّا تقدّم من إثبات العلم في مرتبة الذات أنّه تعالى لم يكن في وقت من الأوقات خالٍ عن العلم ، بل ذاته تعالى لم يزل متّصفة بصفة العلم ، وأمّا كيفيّة الاتّصاف فهي كما نبّهناك هنا من أنّه عين الذات كباقي صفاته الثبوتيّة ، فإنّ الكثرة في مرتبة الذات محال ؛ إذ لو قلت : إنّ هناك علم وذات .

قلنا : ذلك العلم جزء للذات ، أو خارج عنه ، أو عينه ، فالأوّل يستلزم التركيب والمركّب يحتاج إلى أجزائه ، والمحتاج ممكن غير واجب ، والثاني -أعني كونه خارجاً- فهو إمّا قديم أو حادث ، فإن كان قديماً لزم منه تعدّد القدماء ، وهو باطل ، وإن كان حادثاً لزم اتصّال القديم بالحادث ، وهو أيضاً باطل ، والثالث هو المطلوب .

ولعلّك -من هذا التقرير- تفهم قول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل : « **كمال التوحيد نفي الصفات عنه** »[1] ، يعني التوحيد الكامل هو أن تنفي عنه تعالى جميع الصفات بأن لا تعتقد أنّ هناك صفة وذات متّصفة ، بل الذات عين الصفة ، والصفة عين الذات ، وتقصد من هذه العبارات شيئاً واحداً بسيطاً ، وهذه العبارات مثل قولك : عالم وقادر وحيّ وسميع وبصير ، وأمثالها ، عبارة عن كمال ذاته ، وعنوان الشيء واحد .

فتلخّص ممّا ذكر : أنّ علمه تعالى كباقي صفاته الثبوتيّة عين ذاته ، ومن هنا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣. مقالات الأُصول / آقا ضياء العراقي : ١٩٣/١. التعليقة على الفوائد الرضويّة : ١٠٤.

. . . .

يستبان بأوضح بيان أنّه كما لا يمكن العلم لنا بذاته تعالى كذلك لا يمكن لنا العلم بصفاته أيضاً ؛ لما علمت من أنّه لا صفة وراء الذات ، فمن اطّلع على حقيقة علمه تعالى فقد أحاط علماً بذاته تعالى لعدم الفرق بين الذات والعلم ، إلّا من حيث التعبير ، فإذاً الواجب عليك أن تثبت له الصفات الكماليّة من العلم والقدرة ، وأمثالهما ، وإن سألك سائل عن كيفيّة ذلك ، فالجواب بلا أدري خير من الاقتحام في مسالك الأوهام ؛ إذ لو تمكّنت من العلم بذلك لعلمت ذات الواجب وحقيقته ، وهو محال .

نعم ، لا بأس عليك لو قلت : إنّه أعلم أنّ في مرتبة ذاته ليس إلّا هو .

في إثبات عموم علمه تعالى:

خاتمة في عموم علمه تعالى بالنسبة إلى جميع الأشياء ،كما هو صريح قوله عليه السلام في هذه الفقرة أيضاً .

فنقول : اعلم ـ رحمك الله ـ أنّه إذا ثبت أنّه عالم في الجملة ثبت أنّه عالم بجميع الأشياء ؛ لأنّ علمه تعالى في الجملة من مقتضى ذاته بلا خلاف ، وإلّا يلزم افتقاره إلى علّة حادثة لعدم قديم سوى ذاته ، وهي أيضاً فعل اختياري مسبوق بالعلم ، وهذا خلف ، وإذا كان هذا العلم من مقتضى ذاته لزم أن يكون العلم بجميع الأشياء من مقتضى ذاته ؛ لأنه لا يمكن الفرق بين علمه تعالى ببعض الأشياء دون بعض ؛ لاستواء النسبة إليه لتجرّده تعالى أو صحّة كون جميعها معلومة .

ألا ترى من يقدر من سكّان مكّة المعظّمة فرضاً على أن يعلم ما في الصين ـ مثلاً ـ فهو يقدر لا محالة على علم ما في الأندلس ـ مثلاً ـ والفرق تحكّم ومكابرة ؟ وأيضاً

. . . .

قد فاز بدرجة التحقيق أنّ كلّ ما يمكن اتّصاف الواجب بالإمكان العام يجب اتّصافه به بالفعل ، والواجب ممكن الاتّصاف بالعلم بجميع الأشياء ، فيجب الاتّصاف به. وأيضاً اتّفاق العقلاء من الأنبياء والحكماء على كونه تعالى عالماً بجميع الأشياء ، وظهور أثر استجابة دعوات المضطرّين ، وإغاثة الملهوفين ، وملاحظة الإتقان والإحكام ، ونحو ذلك من السوانح الكثيرة يعدّ العقول السليمة للحدس بكونه تعالى الخالق القادر عالماً بجميع الأُمور ، بحيث لا يختلج في القلب شكّ ولا ريب ، وهذا ظاهر.

المنكرون لشمول علمه تعالى:

والمخالفون في شمول علمه تعالى منهم من قال: يمتنع علمه بعلمه ، وإلّا لزم اتّصافه بما لا يتناهى عدده من المعلوم ، وهو محال ؛ لأنّ كلّ ما هو موجود بالفعل فهو متناه على ما ثبت من بطلان اللاتناهي ، ووجه اللزوم أنّه لو كان جائزاً لكان حاصلاً بالفعل ؛ لأنّه مقتضى ذاته ، كما عرفت.

والجواب: أنّ علمه تعالى ذاته ، فالعلم بالعلم نفس العلم ، على أنّ مغايرة العلم بالشيء للعلم بالعلم على تقدير التسليم إنّما هي بحسب الاعتبار ، فلا يلزم كثرة الأعيان الخارجيّة فضلاً عن لا تناهيها.

ومنهم من قال: لا يجوز علمه بما لا يتناهى.

أمّا أوّلاً: فلأنّ كلّ معلوم يجب كونه ممتازاً ، وهو ظاهر ، ولا شيء من غير المتناهي بممتاز ؛ لأنّ المتميّز عن الشيء منفصل عنه محدود بالضرورة.

وأمّا ثانياً: فلأنّه يلزم صفات غير متناهية هي العلوم ، لما ثبت من تعدّد العلوم

. . . .

بتعدّد المعلومات .

والجواب عن الأوّل : إنّا لا نسلّم أنّ كلّ متميّز عن غيره يجب أن يكون متناهياً ، وأنّ انفصاله عن الغير يقتضي ذلك ، كيف ولا معنى للانفصال عن الغير إلّا مغايرته له .

والجواب عن الثاني : قد عرفت فيما سبق من أنّه تعالى مبدء لانكشاف جميع الأشياء ، وبناءً على هذا لا يلزم تعدّد العلوم ، فضلاً عن اللاتناهي ؛ لأنّ علم جميع الأشياء حينئذٍ تكون ذاته ، ولا تعدّد فيها ، غاية مايلزم منه عدم تناهي المعلومات ، ولا ضير فيه كما حقّق في محلّه .

ومنهم من قال : يمتنع علمه بالمعدوم ؛ لأنّ كلّ معلوم متميّز ولا شيء من المعدوم بمتميّز .

والجواب : منع الصغرى إن أُريد التميّز بحسب الخارج ، والكبرى إن أُريد بحسب العلم .

ومنهم الفلاسفة على ما هو المشهور من مذهبهم ، فإنّهم يقولون : إنّه يمتنع علمه بالجزئيّات على وجه كونها جزئيّات ، أي من حيث كونها زمانيّة يلحقها التغيّر ؛ لأنّ التغيّر المعلوم يستلزم تغيّر العلم ، وهو على الله تعالى محال في ذاته وصفاته ، وأمّا من حيث إنّها غير متعلّقة بزمان فيتعقّلها بوجه كلّي لا يلحقه التغيير ، فالله تعالى يعلم جميع الحوادث الجزئيّة وأزمنتها الواقعة هي فيها ، لا من حيث إنّ بعضها واقع الآن ، وبعضها في الزمان الماضي ، وبعضها في الزمان المستقبل ، ليلزم تغيّره بحسب تغيّر الماضي والحال والاستقبال ، بل علماً ثابتاً أبد الدهر غير داخل تحت الأزمنة .

مثلاً : يعلم أنّ القمر يتحرّك كلّ يوم كذا درجة ، والشمس كذا درجة ، فيعلم أنّه

وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ،

يحصل لهما مقابلة يوم كذا ، وينخسف القمر في أوّل الحمل ـ مثلاً ـ وهذا العلم ثابت له حال المقابلة وقبلها وبعدها ، ليس في علمه كان وكائن ويكون ، بل هي حاضرة عنده في أوقاتها أزلاً وأبداً ، وإنّما التعلّق بالأزمنة في علومنا .

والحاصل : انّ تعلّق العلم بالشيء الزماني المتغيّر لا يلزم أن يكون زمانيّاً ليلزم تغيّره .

والجواب : أنّ من الجزئيّات ما لا يتغيّر كذات الباري وصفاته الحقيقيّة عند من يثبتها ، وكذوات العقول ، فلا يتناولها الدليل .

وأيضاً : العلم إمّا إضافة ، أو صفة ذات إضافة ، وتغيّر الإضافة لا يوجب تغيّر المضاف ، كالقديم يتّصف بأنّه قبل الحادث إذا لم يوجد الحادث ، ومعه إذا وجد ، وبعده إذا فنى من غير تغيّر في ذات القديم .

فعلى تقدير كون العلم إضافة لا يلزم من تغيّر العلم تغيّر العلوم ، فضلاً عن تغيّر الذات ، على أنّك قد عرفت أنّ ذات الواجب هي مبدء انكشاف الأشياء بنفسه بدون افتقار إلى انضمام صفة ، فالمحكيّ عنه كيف ما كان ينكشف عنده تعالى إن كان مقترناً بالزمان الماضي ينكشف مقترناً به ، وإن كان بالزمان الحاضر أو المستقبل ، فكذلك ، فالتغيير في المحكيّ عنه لا في ذات الباري تعالى . ألا تنظر إلى الشمس أو المرآة ؟ فإنّهما باقيتان بحالهما مع تبدّل المستضيئات والصور وتغيّرهما .

وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ : وفي بعض النسخ تبديل اللام الجارّة للضمير بالباء ، ولا حاجة إلى ذلك لمجيء اللام بمعنى التعليل .

قال ابن مالك في أُرجوزته :

. . . .

واللامُ لِـلْمِلْكِ وشِـبْهِهِ وفـي تَـعْدِيَةٍ أيـضاً وَتَـعْليلٍ قُـفِي[١]

وكيف كان فقد عرفت فيما تقدّم إطلاق الوجه على الذات والحقيقة ، كما هـو المراد به هنا أيضاً ، وحينئذٍ فنحتاج إلى توجيه إضافة النور إليه تعالى ، فنقول : إنّه لا ريب في أنّ النور سبب للظهور.

ثمّ إنّه لمّا شاركت الهداية النور في هذا المعنى صحّ إطلاق اسم النور عليها ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً** ﴾[٣] ، وقال : ﴿ **وَلٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَشَاءُ مِن عِبَادِنَا** ﴾[٤].

فقوله عليه‌السلام : « **وَبِنُورِ وَجْهِكَ** » قسم بهدايته تعالى ، والمصدر مضاف إلى الفاعل ، يعني أُقسم عليك بهدايتك التي أضاءت واهتدى بها كلّ شيء ، وآتينا كـلّ شـيء هداه[٥].

وحاصل هذا التوجيه : أنّ النور مستعمل على نحوٍ من المجاز.

قال الشيخ الصدوق محمّد بن بابويه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[٦] : « إنّ المشبّهة تفسّر هذه الآية على أنّه ضياء السماوات والأرض ،

---

(١) شرح ابن عقيل : ٣/١٩ ، في حروف الجرّ.

(٢) البقرة ٢ : ٢٥٧.

(٣) الأنعام ٦ : ١٢٢.

(٤) الشورى ٤٢ : ٥٢.

(٥) لعلّه أراد الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾ السجدة ٣٢ : ١٣.

(٦) النور ٢٤ : ٣٥.

. . . .

ولو كان كذلك لما جاز أن توجد الأرض مظلمة في وقت من الأوقات ، لا بالليل ولا بالنهار ؛ لأنّ الله هو نورها وضياؤها على تأويلهم ، وهو موجود غير معدوم .

تأويل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ ﴾ :

فوجودنا الأرض مظلمة بالليل ووجودنا داخلها أيضاً مظلماً بالنهار يدلّ على أنّ تأويل قول الله ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ هو ما قاله الرضا عليه السلام[1] دون أقاويل المشبّهة ، وأنّه عزّ وجلّ هادٍ لأهل السماوات والأرض ، والمبيّن لأهل السماوات والأرض اُمور دينهم ومصالحهم ، فلمّا كان بالله وبهداه يهتدي أهل السماوات والأرض إلى صلاحهم وأُمور دينهم كما يهتدون بالنور الذي خلقه الله لهم في السماوات والأرض إلى صلاح دنياهم قال: إنّه نور السماوات والأرض على هذا المعنى ، وأجرى على نفسه هذا الاسم توسّعاً ومجازاً ؛ لأنّ العقول دالّة على أنّ الله عزّوجلّ لا يجوز أن يكون نوراً ولا ضياءً ولا من جنس الأنوار ؛ لأنّه خالق النور[2] وخالق جميع أجناس الأشياء »[3] ، انتهى ما أردنا نقله من كلامه زيد في إكرامه .

وهذا صريح فيما ذكرناه من كون النور مستعملاً مجازاً في الهداية ، وقد بيّن فيه وجه الشبهة .

وأمّا قول الرضا عليه السلام فهو إشارة إلى ما رواه بإسناده عن العبّاس بن الهلال ، قال: « سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، قال :

---

(١) نقل هذه الفقرة في شرح اُصول الكافي / المازندراني : ٥٦/٣.

(٢) في التوحيد : « الأنوار ».

(٣) التوحيد : ١٥٥ و ١٥٦.

. . . .

هادٍ لأهل السماء، وهادٍ لأهل الأرض».

وفي رواية البرقي: **«هدى من في السماوات، وهدى من في الأرض»**(١).

وعلى هذا المعنى ورد قول الشاعر:

ألم تَــرَ أنّــا نــورُ قَــوْمٍ وإنّــما نُبيِّنُ في الظَّلْماءِ للنّاسِ نُورَنا(٢)

إذ المعنى إنّما نسعى فيما ينفعهم ويهديهم إلى الخير.

وكذا قول أبي طالب عليه السلام:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بِوَجْهِهِ ثَمال الْيَتامىٰ عِـصْمَةٌ لِـلأرامِـلِ

تَطوفُ بِهِ الْهُلّاكُ مِنْ آلِ هـاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ في نِـعْمَةٍ وَفَـواضِـلِ

لم يعن بقوله: «أبيض» بياض لونه، وإنّما أراد كثرة إفضاله وإحسانه ونفعه والاهتداء به، ولهذا المعنى سمّاه الله تعالى «سراجاً منيراً»(٣) صلوات الله وسلامه عليه(٤).

هذا ولنا في توجيه إضافة النور إليه تعالى مسلك لا يخلو عن دقّة، وبيانه: أنّه من الضروري أنّ الموجودات بأسرها لمّا كانت ممكنة لذواتها، والممكن لذاته يستحقّ

---

(١) الكافي: ١١٥/١، الحديث ٤. التوحيد: ١٥٥. معاني الأخبار: ١٥، الحديث ٦. شرح أُصول الكافي: ٨/٤، الحديث ٤.

(٢) مجمع البيان: ٢٤٩/٧، والعجز فيه هكذا: «يبين في الظلماءِ نُورها».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ الأحزاب ٣٣: ٤٦.

(٤) مجمع البيان: ٢٤٩/٧ و ٢٥٠.

. . . .

العدم من ذاته، والوجود من غيره، والعدم هو الظلمة الحاصلة والوجود هو النور، فكلّ ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بإنارة الله تعالى، وكذا جميع معارفها بعد وجودها حاصل من وجود الله تعالى، فالحقّ سبحانه هو الذي أظهرها بالوجود بعد أن كانت في ظلمات العدم، وأفاض عليها أنوار المعارف بعد أن كانت في ظلمات الجهالة، فلا ظهور لشيء من الأشياء إلّا بإظهاره، وخاصّيّة النور إعطاء الإظهار والتجلّي والانكشاف.

في أنّه تعالى هو النور:

وعند هذا يظهر أنّ النور المطلق هو الله سبحانه، وأنّ إطلاق النور على غيره مجاز؛ إذ كلّ ما سواه فإنّه من حيث هو هو ظلمة محضة؛ لأنّه من حيث إنّه هو هو عدم محض، بل الأنوار إذا نظرنا إليها من حيث هي هي فهي ظلمات؛ لأنّها من حيث هي هي ممكنات، والممكن من حيث هو هو معدوم، والمعدوم مظلم. وأمّا إذا التفت إليها من حيث إنّ الحقّ سبحانه أفاض عليها نور الوجود، فبهذا الاعتبار صارت أنواراً، فثبت أنّه سبحانه هو النور، وأنّ كلّ ما سواه فليس بنور إلّا على سبيل المجاز، ولقد فسّر النور بهذا المعنى غير واحد من العارفين البالغين في فنّ العرفان حدّ الغاية منهم الشيخ أبو حامد الغزالي في كتابه المسمّى بمشكاة الأنوار[١].

شرح حال الصوفيّة:

هذا تمام الكلام فيما وسعني من شرح هذه الفقرة من هذا الدعاء.

---

(١) مشكاة الأنوار (ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي): ٦ و ٧.

. . . .

وربّما استدلّ بها على ما اشتهر من مشايخ الصوفيّة من القول بوحدة الوجود، وأنّ الوجودات، بل الموجودات ليست متكثّرة في الحقيقة، بل هنا موجود واحد قد تعدّدت شؤونه وتكثّرت أطواره، كما هو صريح عبارة الشوارق[١].

وقال صاحب گوهر مراد ما ترجمته الحرفيّة بالعربيّة في بحث كيفيّة صدور المعلول من العلّة: «ذهبت الصوفيّة إلى أنّ صدور المعلول من العلّة عبارة عن تنزّل العلّة إلى مرتبة وجود المعلول، والتطوّر بأطواره، ومن ذلك تفطّنوا إلى وحدة الوجود، وأنّ الوجود حقيقة واحدة سارٍ في جميع الموجودات، وأنّ ماهيّات الممكنات ليست إلّا أُمور اعتباريّة، وحقائق الموجودات كلّها مظاهر لتلك الحقيقة الواحدة على نحو لا يلزم منه الاتّحاد والحلول؛ لأنّهما فرع الإثنينيّة، ولا موجود إلّا واحد، وفهم هذا المعنى في غاية الإشكال»[٢]، انتهى.

وربّما يستدلّ عليه بالآية الشريفة: **﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾**[٣]، وبكلامه عليه‌السلام: **«نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره»**[٤]، ولا حاجة لنا في الخوض فيها بعد اعترافهم بأنّها لا تدرك بالعقول المتعارفة، بل لا بدّ من سلوك مسلك الرياضة والمجاهدة والفناء عن النفس وعن جميع المعقولات والموهومات، فضلاً عن المحسوسات.

وعلى كلّ حال، فلا ينبغي الاستيحاش ممّن أُطلقت عليه كلمة الصوفي،

---

(١) شوارق الإلهام / عبدالرزاق اللاهيجي: ٤١/١.

(٢) گوهر مراد: ٢٨٢ و٢٨٣، الفصل الثالث من المقالة الثانية.

(٣) الزمر ٣٩: ٦٩.

(٤) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري: ١٣٣/١ و: ٥/٢.

. . . .

بل ينبغي النظر في صفات الموصوفين بها وعقائدهم، فإنّ فيهم من زلّت قدمه من أوج سعادة الإيمان إلى حضيض درجة الكفر والخذلان، كمن ادّعى أنّ ليس في جبّته إلّا الله، كما يحكى عن بعضهم[١]، ومن ادّعى شيئاً من ذلك فكفره إن لم نقل بكونه ذاتياً، كما لعلّه الأقوى.

وعليه الشيخ كاشف الغطاء ﵀، فلا أقلّ من كونه منكراً لما علم من الدين ضرورة[٢].

ومنهم من ثبتت قدماه على صراط الهداية والرشاد، واستقام في منهج الحقّ وسبيل السداد، بل قد ورد مدحه في كلمات الأساطين من فقهائنا الربّانيّين.

قال الشهيد ﵀ في دروسه في كتاب الوقف: «والصوفيّة هم المشتغلون بالعبادة، المعرضون عن الدنيا، والأقرب اشتراط الفقر والعدالة فيهم، ليتحقّق المعنى المقتضي للفضيلة»[٣]، انتهى.

وقال المحقّق البهبهاني ﵀ في تعليقة الرجال عند ترجمة أحمد بن محمّد بن نوح: «ونسب ابن طاووس، ونصير الدين المحقّق الطوسي، وابن فهد، والشهيد الثاني، وشيخنا البهائي، وجدّي العلّامة -يعني المولى محمّدتقي المجلسي الأوّل- وغيرهم من الأجلّة إلى التصوّف، وغير خفيّ أنّ ضرر التصوّف إنّما هو فساد الاعتقاد من القول بالحلول أو الوحدة في الوجود أو الاتّحاد، أو فساد الأعمال

---

(١) نسبت هذه الكلمة الكافرة إلى الحسين بن منصور الحلّاج، المقتول سنة ٣٠٩هـ. انظر: «بلغة الفقيه: ٤/٢٠٩».

(٢) بلغة الفقيه / السيّد محمّد بحرالعلوم: ٤/٢٠٩ و ٢١٠.

(٣) الدروس الشرعيّة: ٢/٢٧٥.

. . . .

المخالفة للشرع التي يرتكبها كثير من المتصوّفة في مقام الرياضة أو العبادة ، وغير خفيّ على المطّلع بأحوال هؤلاء الأجلّة من كتبهم وغيرها أنّهم منزّهون من كلتا المفسدتين قطعاً »[١] ، انتهى .

وفي أوّل كتاب المعاد عبارة صريحة في مدح الصوفيّة[٢] ، وإذا قال سيّدنا الأُستاذ دام علاه في العروة الوثقى : « إنّ القائلين بوحدة الوجود من الصوفيّة إذا التزموا بأحكام الإسلام فالأقوى عدم نجاستهم »[٣] .

وقال سيّد العارفين حيدر بن عليّ العبدي الحسيني الآملي في جامع الأسرار ما لفظه : « أخذت من لدن عنفوان الشباب ، بل من حين صباوتي إلى هذا الزمان ، وهو كهلي في تحصيل المعارف الحقّة على طريقة أجدادي الطاهرين ، والأئمّة المعصومين ، وهي التي في الظاهر شريعة للشيعة الإماميّة ، وفي الباطن حقيقة من حقائق الصوفيّة الإلٰهيّة »[٤] ، انتهى .

وهو من أجلّة علماء الظاهر والباطن ، كان معاصراً لفخر الدين ولد العلّامة ، وله تآليف فائقة ، وتصانيف رائقة ، وقد كتب رسالته المسمّاة برافعة الخلاف[٥] في

---

(١) انظر : « رجال الخاقاني : ١٥٠ » ، ومثله في منتهى المقال / أبوعليّ الحائري : ٤٥ ـ الطبعة القديمة ـ.

(٢) وهي قوله ﷺ : « و خروش صوفيان صفوت نشان بزمزمهٔ دعای خلودات ابد توئمان با عند لبيبان اغصان سدرة المنتهى همدستان » . منه .

(٣) العروة الوثقى : ٦٨/١.

(٤) جامع الأسرار : ٥.

(٥) ذكره السيّد إعجاز حسين في كشف الحجب والأستار : ٢٢١ ، رقم ١١٤٠ ، وفي مرآة ⇐

بيان أنّ توقّف أمير المؤمنين عليه السلام من مخالفة الخلفاء في مسألة الخلافة ليس من باب العجز، بإشارة المحقّق المزبور واستدعائه.

وابن أبي جمهور الأحسائي[١] يعبّر عنه في كتبه بالسيّد العلّامة المتأخّر صاحب الكشف الحقيقي.

وقال شيخنا البهائي رحمه الله في المجلّد الخامس من كشكوله[٢]: «التصوّف علم يبحث فيه عن الذات الأحديّة وأسمائه وصفاته من حيث إنّها موصلة لكلّ من مظاهرها ومنسوباتها إلى الذات الإلٰهيّة، فموضوعها الذات الأحديّة، ونعوتها الأزليّة، وصفاتها السرمديّة».

وقال الجنيد وقد سئل عن التصوّف، فقال: «أن تكون مع الله بلا علاقة»[٣]، انتهى.

هذا وكيف يمكن فتح باب النكير عليهم مطلقاً مع أنّه من جملة المنخرطين في سلكهم الشيخ جمال الدين أبو العبّاس أحمد بن شمس الدين محمّد بن فهد

⇦ الكتب / التبريزي: ١١٥، وهديّة العارفين: ٣٤١/١. والذريعة: ١٧٧/٥ و: ٦١/١٠، رقم ٥٠.

(١) هو: محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي، فاضل، محدّث، صاحب كتاب «عوالي اللآلئ».

(٢) كشكول شيخ بهائى (فارسي): ٥١٧.

(٣) روى الخطيب في تاريخ بغداد: ٢٣٢/٥، عن محمّد بن إبراهيم يقول: «سمعت أبا العبّاس بن عطاء وقد سئل عن التصوّف ما هو؟ فقال: اتّفقت والجنيد على أنّ التصوّف نزاهة طبع كامنة في الإنسان، وحسن خلق مشتمل على ظاهره».

. . . .

الأسدي الحلّي قدّس سرّه وعطّر ضريحه، الذي هو معدود من أعاظم فقهائنا المتأخّرين، وهو ممّن مال إلى هذه الطريقة، كما صرّح به شيخنا يوسف[١].

وذكر ترجمته جدّي العلّامة بحر العلوم طاب ثراه، وقال: «إنّه ولد سنة **٧٥٧**، وتوفّي سنة **٨٤١**، فيكون مبلغ عمره **٨٥**، وقبره معروف بكربلاء المشرّفة في وسط بستان بجنب المخيّم الطاهر»[٢]، وقد كان السيّد صاحب الرياض ﵀ يقصده بالفاتحة والزيارة كما هو المنقول عنه: والحقير تبرّكت بذلك المزار كثيراً، ويكثر الورود عليه، ويأتون إليه من كلّ مكان من العرب والعجم، وعلى قبره الشريف قبّة مزيّنة بالطابَق[٣] الكاشي، ويروي عنه ـ على مشهده السلام ـ جماعة من العلماء الأعلام».

وهذا الشيخ الرئيس ابن سينا قد جعل النمط التاسع[٤] من إشاراته في مقامات العارفين، ونقل الخواجة نصير الملّة والدين المحقّق الطوسي ﵀ في شرحه عن الفاضل الشارح أنّ هذا الباب أجلّ ما في هذا الكتاب، فإنّه رتّب فيه علوم الصوفيّة ترتيباً ما سبقه إليه من قبله ولا لحقه من بعده[٥]، وأزيدك على ذلك أنّ عبدالحميد ابن أبي الحديد في أوّل شرحه لنهج البلاغة[٦] قد نسب علم التصوّف إلى

---

(١) لؤلؤة البحرين / يوسف البحراني: ١٥٦.

(٢) رجال السيّد بحر العلوم: ١٠٧/٢.

(٣) الطابَقُ: الآجُرُّ الكبير. «المعجم الوسيط: ٥٥٠/٢».

(٤) انظر أوائل النمط التاسع من «الإشارات والتنبيهات».

(٥) شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا / الخواجة نصير الدين الطوسي: ٣٦٣/٣.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١٩/١.

. . . .

أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن ما نسب إليه من العلوم.

وهذا المحقّق القوشجي شارح التجريد في بحث الإمامة قد صرّح بنسبة جملة من العلوم إليه عليه السلام، كالأُصول الكلاميّة، والفروع الفقهيّة، وعلم التفسير، وعلم التصوّف، وعلم النحو، والصرف، وغيرها، بل قال: «إنّ خرقة المشايخ تنتهي إليه»(١).

وكذلك العلّامة الحلّي في شرحه على التجريد في بحث الإمامة قد صرّح بأنّ الفضلاء من المشايخ كانوا يفتخرون بخدمة الأئمّة عليهم السلام، فأبو زيد البسطامي كان يفتخر بأنّه يسقي الماء لدار جعفر الصادق عليه السلام، ومعروف الكرخي أسلم على يد الرضا عليه السلام، وكان بوّاب داره إلى أن مات(٢).

وقال سيّد المتألّهين حيدر الآملي رحمه الله في «جامع الأسرار»: «إنّ الفرقة الناجية الإمامية طائفتان؛ إحداهما تحمل ظاهر علوم الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام، وهي العلوم الشرعيّة الفرعيّة، والثانية هي التي تحمل باطن علومهم، الذي هو عبارة عن طريقة الحقيقة والإيمان، والأُولى يسمّى بالمؤمن فقط، والثانية بالمؤمن الممتحن، والشيعي والصوفي لا فرق بين اللفظين بحسب المراد، وإن تغايرا بحسب التعبير»(٣)، انتهى.

والحقّ والإنصاف: إنّ طائفة من النّاس يشاركون الصوفيّة في هذا الاسم،

(١) شرح تجريد العقائد: ٣٧٧.

(٢) كشف المراد: ٤٢٢.

(٣) جامع الأسرار: ٤١.

. . . .

وفي الحقيقة هم خارجون من صنفهم ، كجماعة المباحيّة والحلوليّة والاتّحاديّة والمعطّلة وأمثالهم وأقرانهم ، كما إنّ هناك جماعة يشاركون الشيعة في هذا الاسم وفي الحقيقة هم خارجون عنهم ، بل إنّ الشيعة بريئون منهم ، كطائفة الغلاة والإسماعيليّة والزيديّة والكيسانيّة والفطحيّة والواقفيّة والشيخيّة والكشفيّة ، وغيرهم من سائر الحشويّة الذين يشملهم هذا العنوان ، حتّى أنّ جماعة من المسلمين يستنكفون من اسم الشيعة وينسبون الشيعة إلى الكفر والزندقة ، لما رأوا من دخول من عرفت فيهم مع فساد بعض معتقداتهم بحيث لا يقبله العقل السليم ، ولا يصدّقه من كان ذا رأي مستقيم .

وبهذا التفصيل يجمع بين ما ورد من المدح والذمّ للصوفيّة من الأخبار وكلمات العلماء الأخيار ، وبه يثبت ما رمناه من دعوى الموجبة الجزئيّة في قبال مدّعي السالبة الكلّية .

وممّن صرّح بهذا التفصيل العلّامة ﷺ في كتاب نهج الحقّ وكشف الصدق ، فإنّه بعد أن ذكر أنّ الضرورة قاضية ببطلان الاتّحاد ؛ إذ لا يعقل صيرورة الشيئين شيئاً واحداً ، قال : « وخالف في ذلك جماعة من الصوفيّة من الجمهور فحكموا بأنّه تعالى يتّحد بأبدان العارفين ، حتّى تمادى بعضهم وقال : إنّه تعالى نفس الوجود ، وكلّ موجود فهو الله تعالى ، وهذا عين الكفر والإلحاد »[١] ، انتهى .

وقال القاضي نور الله ﷺ في شرحه : « وظاهر أنّ تشنيع المصنّف مخصوص بالصوفيّة من الجمهور دون أبي يزيد والجنيد وأشباههم ، فإنّهم من الشيعة الخالصة ،

---

(١) نهج الحقّ وكشف الصدق : ٥٧ .

. . . .

كما حقّقنا ذلك في كتاب مجالس المؤمنين »[١].

وممّا يناسب المقام ذكره ما قاله عبدالرحمن بن خلدون المغربي في مقدّمة تاريخه المسمّى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر بعد تمجيده لعلم التصوّف، وكونه من علوم الشريعة، وتوصيفه لقدماء الصوفيّة، قال: « ثمّ إنّ هؤلاء المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف وفيما وراء الحسّ، توغّلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة ،كما أشرنا إليه، وملؤا الصحف منهم، مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف، وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة المتأخّرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلٰهيّة الأئمّة عليهم السلام مذهباً لم يعرف لأوّلهم فأُشرب كلّ واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم »[٢]، انتهى.

ولو أردنا توسيع المخاض في أمثال هذه العبارات ممّا يكون شاهداً على ما رمناه لأوجب تطويلاً ربّما ينجرّ إلى مايوجب المَلل، وفيما ذكرناه كفاية.

بيان وجه تسمية الصوفي:

بقي علينا أن نذكر وجه تسميتهم بهذا الاسم.

قال شهاب الدين أحمد الخفاجي من أعيان القرن الحادي عشر في كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: « إنّ لفظ التصوّف لم يرد في كلام العرب،

---

(١) ترجمة القاضي نور الله / جلال الدين الحسيني: ٤١.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٤٧٣/١. أضواء على السنّة المحمّديّة: ١٣٢.

. . . .

وإنّما استعمل المولّدون فقالوا: رجل صوفيّ، وجماعة صوفيّة ومتصوّفة»[١].

قال الإمام القشيري في رسالته: «اشتهر التصوّف بهؤلاء قبيل المائتين من الهجرة، قيل هو من الصوف، يقال: تصوّف، أي: لبسه، ولكنّهم لم يختصّوا بلبسه، وقيل: من الصفة، أي صفة مسجد رسول الله ﷺ، أو من الصفا، واللغة مانعة منه»[٢]، انتهى.

والظاهر الأوّل، والاختصاص ليس بلازم، انتهى موضع الحاجة من كلام الشفاء.

قلت: والتوجيه الأوّل هو المناسب من حيث الاشتقاق؛ لأنّه يقال: تصوّف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمّص إذا لبس القميص، مضافاً إلى ما هو المعلوم من أنّ لبسه كان شعار المتّقين.

كما يدلّ عليه ما ورد في باب ذمّ الدنيا والزهد عنها من أُصول الكافي مسنداً، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: «**قال أبو ذرّ رحمة الله عليه: جزى الله الدنيا عنّي مذمّة بعد رغيفين من الشعير: أتغدّى بأحدهما، وأتعشّى بالآخر، وبعد شملتي الصوف أتردّى بإحداهما، وأتّزر بالأُخرى**»[٣].

وما روي في العوارف مسنداً عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد تواضعاً، ويركب الحمار غير مستنكف، ويلبس الصوف غير متكلّف»[٤].

---

(١) شفاء الغليل: ٩٥.

(٢) نقله عنه في تاريخ ابن خلدون: ٤٦٧/١.

(٣) الكافي: ١٣٤/٢، الحديث ١٧. وفي آخره: «**أتّزر بإحداهما وأتردّى بالأُخرى**».

(٤) انظر: الطبقات الكبرى: ٣٧٠/١. تاريخ مدينة دمشق: ٧٨/٤. سبل الهدى والرشاد: ١١/٧.

. . . .

وما روي عن أهل البيت عليهم السلام: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خمسة لا أتركها حتّى تكون سنّة من بعدي: أركب الحمار ويردفني آخر، وأُسلّم على الصغير، وألبس الصوف، وآكل مع العبيد، وأجلس على الأرض وآكل عليها**»(١).

وروى الكشّي عن الأصبغ بن نباتة، قال: «كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً؟ فقال: **أين تمام المائة، لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل؟**

وإذا برجل عليه قباء صوف، متقلّداً بسيفين، فقال: ابسط يدك أُبايعك.

قال عليّ عليه السلام: **على ما تبايعي؟**

قال: على بذل مهجتي دونك.

فقال عليه السلام: **كن أُويساً**، فقال: أنا أُويس، قال: **كن قرنياً**، قال: نعم، أُويس القرني، فلم يزل يقاتل بين يديه حتّى قُتل فوجد في الرجّالة»(٢).

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه: «**يشفع لمثل ربيعة ومضر**»(٣).

---

(١) علل الشرائع: ١٣٠/١، الباب ١٠٨، الحديث ١. الخصال: ٢٧١، الحديث ١٢. وسائل الشيعة: ٢٥٦/٢٤، الحديث ٣٠٤٧٩.

(٢) رجال الكشّي: ٩١.

وانظر: خصائص الأئمّة / الشريف الرضي: ٥٣. مدينة المعاجز: ٢٩٨/٢، الحديث ٥٦١.

(٣) كنز العمّال: ٧٥/١٢، الحديث ٣٤٠٦٣ و: ٨/١٤، الحديث ٣٧٨٢٧. رجال الكشّي: ٣١٦/١. نقد الرجال / التفرشي: ٢٥٢/١. جامع الرواة: ١١٠/١. معجم رجال الحديث: ١٥٥/٤. تاريخ مدينة دمشق: ٤٣١/٩.

يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ ،

يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ : هما من جملة الأسماء الحسنى لله تعالى ، فقد ذكر خالنا العلّامة المجلسي ﵀ في البحار عن بعض كتب أصحابنا ـ أظنّه عوالي اللآلي ـ عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « **إنّ لله أربعة آلاف اسم : ألف لا يعلمها إلّا الله ، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة ، وألف لا يعلمها إلّا الله والملائكة والنبيّون ، وأمّا الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونه ، ثلاثمائة منها في التوراة ، وثلاثمائة في الإنجيل ، وثلاثمائة في الزبور ، ومائة في القرآن ؛ تسعة وتسعون ظاهرة ، وواحد منها مكتوم ، من أحصاها دخل الجنّة** »[1] .

وفي الكافي والتوحيد بتفاوت يسير بينهما ، عن أبي عبدالله ﵇ ، قال : « **إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت ، وباللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسّد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الأقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها ، وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الأسماء الثلاثة التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخّر سبحانه لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان ، فذاك اثنا عشر ركناً ، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها ، فهو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدّوس ، الخالق ، البارئ ، المصوّر ، الحيّ ، القيّوم ، لا تأخذه سِنة ولا نوم ، العليم ، الخبير ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العزيز ، الجبّار ، المتكبّر ، العليّ ، العظيم ، المقتدر ، القادر ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، البارئ ، المنشئ ، البديع ، الرفيع ، الجليل ، الكريم ، الرزّاق ، المحيي ، المميت ، الباعث ،**

---

(١) عوالي اللآلئ : ١٠٦/٤ ، الحديث ١٥٧ . مستدرك الوسائل : ٢٦٦/٥ ، الحديث ٢ .

. . . .

الوارث، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتّى تتمّ ثلاثمائة وستّون اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة؛ وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[1]»[2].

قال مولانا المجلسي ﷺ بعد ذكر هذا الحديث: «اعلم أنّ هذا الخبر من متشابهات الأخبار، وغوامض الأسرار التي لا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم، والسكوت عن تفسيره، والإقرار بالعجز عن فهمه أصوب وأوْلى وأحوط وأحرى»[3]، ثمّ ذكر وجهاً مبسوطاً على سبيل الاحتمال خوفاً عن التطويل المخلّ تركنا ذكره.

وقال الكفعمي ﷺ: «في كتاب التوحيد عن الصادق عليه السلام ما ملخّصه: **إنّ الله تعالى جعل أسماءه أربعة أجزاء؛ أظهر منها ثلاثة لفاقة الخلق إليها، وحجب منها الاسم الأعظم المكنون المخزون، وجعل لكلّ اسم من الأسماء الظاهرة أربعة أركان، ولكلّ ركن ثلاثين اسماً، فالأركان اثنا عشر، والأسماء ثلاثمائة وستّون اسماً، مثل الرحمن الرحيم إلى آخر العدد، أعني ثلاثمائة وستّين اسماً**»[4].

وفي التوحيد بإسناده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «**قال رسول الله ﷺ: إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلّا واحداً، من أحصاها دخل الجنّة،**

---

(١) الإسراء ١٧: ١١٠.

(٢) الكافي: ١/١١٢، الحديث ١. التوحيد: ١٩٠، الحديث ٣.

(٣) بحار الأنوار: ٤/١٦٧.

(٤) مصباح الكفعمي: ٣٢٨.

. . . .

وهي **الله ، الإلـه ، الواحد ،** إلى آخر العدد »[١].

وذكر الشيخ أبو العبّاس أحمد بن فهد رحمه الله في عدّته : أنّ الرضا عليه السلام روى عن أبيه عليه السلام عن عليّ عليه السلام : « **إنّ الله تسعة وتسعين اسماً ، من دعا بها استجيب له ، ومن أحصاها دخل الجنّة ، وهي الله الواحد الأحد** إلى آخر العدد »[٢].

وذكرها الشهيد أبو عبدالله محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد العاملي قدس سره[٣] في قواعده ، وهي الله الرحمن الرحيم[٤].

وبالجملة : ففي عددها اختلاف شديد ، والمراد من إحصائها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها لا صرف عدّها ، وكيف كان فقد عرفت وجه إطلاق لفظ النور عليه تعالى .

معنى القدّوس :

وأمّا القدوس فقد قال ابن فهد في العدّة : « هو فعّول من القدس ، وهو الطهارة ، والقدّوس الطاهر من العيوب ، المنزّه عن الأنداد والأولاد ، والتقديس التطهير والتنزيه ، وقوله عزّ وجلّ حكاية عن الملائكة : ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾[٥] ، أي ننسبك إلى الطهارة ، ونسبّحك ونسبّح لك ، بمعنى واحد ، وحظيرة

---

(١) التوحيد : ١٩٤ ، الحديث ٨.

(٢) عدّة الداعي : ٣٧١ ، باختلاف يسير.

(٣) هو الشهيد الأوّل المولود سنة ٧٣٤هـ ، والذي استشهد في الفتن الطائفيّة سنة ٧٨٦هـ. والمراد من قواعده : القواعد والفوائد.

(٤) نقلها عنه في مصباح الكفعمي : ٤٢٠.

(٥) البقرة ٢ : ٣٠.

يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ .

القدس موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا ، والأوصاب والأوجاع ، وقد قيل : إنّ القدّوس من أسماء الله عزّ وجلّ في الكتب السابقة »[١] ، انتهى .

وقريب منه في مصباح الكفعمي بزيادة قوله : « وقيل للجنّة حظيرة القدس ؛ لأنّها موضع الطهارة من الأدناس والآفات التي تكون في الدنيا »[٢] .

يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ :

في معنى الأوّل والآخر :

اعلم أنّ الموجودات الإمكانيّة بأسرها ، وإن تقادم عهدها بالحدوث ، فهي مسبوقة بالعدم ، ومحتاجة في الوجود إلى العلّة ، والعلّة مقدّمة على المعلول بالذات .

وبعبارة أُخرى : الأوّل من الممكنات لا بدّ أن ينتهي في طرفيه أحدهما إلى علّته ، والآخر إلى ما هو أوْلى بالنسبة إليه ، وذلك ثان له ، وأوّليّته سبحانه لا ينتهي أصلاً ، لأنّه لا علّة له حتّى ينتهي في جهة بدئه إليها ، ولا ثاني له عزّ شأنه حتّى يتمّ إلى حدّه ؛ إذ ليس هو واحد من الأعداد ، فليست له سبحانه في أوّليّته نهاية ، وكذا ليس هو سبحانه آخر شيء من الأشياء ، وإلّا لكان يتبعّض ذاته ، ولا آخر له ينتهي إليه ، وإلّا فيعزب عنه شيء من الأشياء ، فليس لآخريّته عزّ وجلّ حدّ ولا غاية فهو أوّل الأوّلين ، بمعنى أن لا شيء قبله ، وآخر الآخرين بمعنى أن لا شيء بعده ، وظاهر أنّه لا شيء فيه ، ولا هو في شيء ، فهوالثابت وما عداه هالك .

---

(١) عدّة الداعي : ٣٨٥ و ٣٨٦.

(٢) مصباح الكفعمي : ٤٢٧.

. . . .

وهذا معنى ما ذكره أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام في خطبته التي تعجّب النّاس من حسن صفته، وما ذكر من تعظيم الله جلّ جلاله المرويّة في توحيد الصدوق، حيث قال عليه السلام فيها: «**الذي ليست له في أوّليّته نهاية، ولا في آخريّته حدٌّ ولا غاية**»[1]، وفي جعل أداة النداء ياء الموضوعة للبعيد مع أنّه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد إشارة إلى أنّ جرائمنا أبعدتنا عن ساحة جلاله بمراحل، ولذا احتاج إلى النداء.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ: أي الالتجاء إلى الله عزّ وجلّ، واعتصموا بحبل الله، أي التجئوا إلى الله بطاعته، والمراد من هتكها قطع سبيل التمسّك والالتجاء، وهذه الذنوب كما روي عن الباقر عليه السلام[2]: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما يضحك النّاس من المزاح واللهو، وذكر عيوب النّاس، ومجالسة أهل الريب.

إشكال إضافة الذنب إلى المعصوم عليه السلام:

وهنا إشكال، وهو أنّ ما تضمّنه هذا الكلام من إثبات الذنب لا يستقيم بظاهره على قواعد الإماميّة القائلين بالعصمة، وقد ورد مثله كثيراً في الأدعية المرويّة عن أئمّتنا عليهم السلام كما روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه كان يقول في سجدة الشكر: «**رَبِّ عَصَيْتُكَ بِلِساني، وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لأَخْرَسْتَني، وَعَصَيْتُكَ بِبَصري وَلَوْ**

---

(١) التوحيد: ٣١، الباب ٢، الحديث ١.

(٢) بل عن السجّاد عليه السلام. انظر: معاني الأخبار: ٢٧١، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ٢٨٢/١٦، الحديث ٧.

. . . .

شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لأَكْمَهْتَني ، وَعَصَيْتُكَ بِسَمْعي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لأَصْمَمْتَني...»[١] إلى آخر الدعاء.

وفي الصحيفة الكاملة السجّاديّة أشياء كثيرة من هذا القبيل[٢]، بل روي عن النبيّ ﷺ ما يشعر بذلك أيضاً.

روى الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب في باب الاستغفار من الكافي، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: **«أنّ رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله عزّ وجلّ كلّ يوم سبعين مرّة»**[٣].

وفي خبر آخر أنّ في وصيّة عليّ عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: **«فالزم بيتك، وابكِ على خطيئتك»**[٤].

وروى العامّة في صحاحهم أنّه ﷺ قال: **«إنّي أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة»**[٥]. وأمثال ذلك من طرق الخاصّة والعامّة كثيرة.

بيان ما يرفع به الإشكال:

وقد يرفع الإشكال بوجوه:

الأوّل: ما ذهب إليه الصدوق رحمه الله، قال في اعتقاداته: «كلّ ما كان في القرآن مثل

---

(١) مصباح المتهجّد: ٦٦، رقم ٧٥ بتحقيق مرواريد.

(٢) أشرنا لبعض ذلك في مقدّمة التحقيق.

(٣) الكافي: ٤٣٨/٢، الحديث ٤.

(٤) أمالي المفيد: ٢٢١، الحديث ١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ٢٨٢/٢ و ٣٤١.

. . . .

قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[١]، ومثل قوله تعالى: ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾[٢]، ومثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** ﴾[٣]، وما أشبه ذلك، فاعتقادنا فيه أنّه نزل على «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»[٤]، انتهى.

وهو اختيار السيّد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء، حيث قال في الجواب عن الآية الأُولى ما لفظه: «الجواب: قد قلنا في هذه الآية: إنّ الخطاب للنبيّ ﷺ والمراد به أُمّته، فقد روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: **نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة**»[٥].

الثاني: أنّه تعليم لشيعتهم كيف يتضرّعون إليه سبحانه، وضعّفه بعض بأنّه من البعيد أن يصرف الإمام عليه السلام عمره الشريف في مثله مع إمكان التعليم بالقول.

الثالث: إنّه قد صدر منهم الأفعال المكروهة، كالصلاة في الثياب السود، ونحوه، وضعّف أيضاً بأنّه كسابقه لأنّ ارتكابهم للمكروهات إنّما هو لأجل التعليم والتفهيم حتّى لا يظنّ به الحرمة بسبب النهي فيه، فصدوره منهم إمّا على طريق الوجوب عليهم، أو الاستحباب.

---

(١) الزمر ٣٩: ٥٦.

(٢) الفتح ٤٨: ٢.

(٣) الإسراء ١٧: ٧٤ و ٧٥.

(٤) اعتقادات الصدوق: ٦٣.

(٥) تنزيه الأنبياء: ١١٩، وفي ط: ١٩٦ ـ بتحقيقنا ـ.

. . . .

الرابع: ما قيل: إنّه يجوز أن يوسوس لهم الشيطان في فعل من الأفعال، فيرجعوا إليه تعالى، وتكون تلك الوسوسة وسيلة إلى أعالي الدرجات التي لا تحصل إلّا بالتضرّع والندم، وليس هو من قبيل تسلّط الشياطين الباعث على حطّ مرتبة الأولياء، وهذا وأمثاله وإن وقع من آدم عليه السلام وأمثاله، إلّا أنّه لم ينقل وقوعه من أحد الأئمّة عليهم السلام.

الخامس: أنّ ما صدر منهم عليهم السلام إنّما هو من باب إنشاء التواضع، كقوله عليه السلام: «**أنا مثل الذرّة أو دونها**»[١]، وليس هو من باب الإخبار.

السادس: ما حكاه شيخنا البهائي رحمه الله في شرح الأربعين عن الفاضل الجليل بهاء الدين عليّ بن عيسى الإربلي رحمه الله في كتاب كشف الغمّة[٢]، وادّعى أنّه من أحسن ما تضمحلّ به هذه الشبهة، قال رحمه الله: «إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام تكون أوقاتهم مستغرقة بذكر الله، وقلوبهم مشغولة به، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة، كما قال صلى الله عليه وآله: «**اعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تره فإنّه يراك**»[٣] فهم أبداً متوجّهون إليه، منقلبون بكلّيّتهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب، والتفرّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً، واعتقدوه خطيئة فاستغفروا منه.

ألا ترى أنّ بعض أبناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم أنّه بمرأى من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند النّاس، ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيّده

---

(١) عوالي اللآلئ: ٣٣٥/١، قال ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام، وفيه: «**أنا الذي مثل الذرّة أو دونها**».

(٢) كشف الغمّة: ٤٧/٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٥٩.

. . . .

ومالكه، فما ظنّك بسيّد السادات ومالك الأملاك، وإلى هذا أشار بقوله ﷺ: «**إنّه ليران على قلبي، وإنّي لأستغفر بالنهار سبعين مرّة**»[١]، وقوله: «**حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين**»[٢].

وهذا ملخّص ما نقله عنه، ثمّ قال شيخنا البهائي: «وقد اقتفى أثره القاضي الفاضل البيضاوي في شرح المصابيح عند شرح قوله ﷺ: «**ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة**»[٣].

قال: الغين لغة في الغيم، وغان على كذا، أي غطّا عليه.

قال أبو عبيدة في معنى الحديث: «أي يتغشّى قلبي ما يلبسه»، وقد بلغنا عن الأصمعي أنّه سئل عن هذا الحديث فقال للسائل: عن قلب من تروي هذا؟ فقال: عن قلب النبيّ ﷺ، فقال: لو كان غير قلب النبيّ ﷺ لكنت أُفسّره لك.

قال القاضي: «ولله درّ الأصمعي في انتهاجه منهج الأدب، وإجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه، ومنزل تنزيله.

وبعد فإنّه مشرب سدّ عن أهل اللسان موارده، وفتح لأهل السلوك مسالكه، وأحقّ من يعرب أو يعبّر عنه مشائخ الصوفيّة الذين بارك الحقّ أسرارهم، ووضع الذكر عنهم أوزارهم، ونحن بالنور المقتبس من مشكاتهم نذهب ونقول: لمّا كان قلب النبيّ ﷺ أتمّ القلوب صفاءً، وأكثرها ضياء، وأعرفها عرفاناً، وكان مبيّناً

---

(١) شرح أُصول الكافي: ١٠/١٧٥.

(٢) شرح أُصول الكافي: ٤/٢١٣.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٨٥. المعجم الكبير: ١/٣٠٢، الحديث ٨٨٧ ـ ٨٨٩. كتاب الدعاء / الطبراني: ٥١٥. مستدرك الوسائل: ٥/٣٧٥، الحديث ٣.

. . . .

مع ذلك لتشريع الملّة ، وتأسيس السنّة ، ميسّراً غير معسّر ، لم يكن له بدّ من النزول إلى الترخّص ، والالتفات إلى حظوظ النفس ، مع ما كان ممتحناً [١] به من أحكام البشريّة ، فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرعت كدورة ما إلى القلب لكمال رقّته ، وفرط نورانيّته ، فإنّ الشيء كلّما كان أرقّ وأصفى كان ورود المكدّرات عليه أبين وأهدى ، وكان ﷺ إذا أحسّ بشيء من ذلك عدّه ذنباً فاستغفر منه » [٢] ، انتهى .

السابع : أنّ مراتبهم عليهم السلام في معرفة الله تعالى ، والاطّلاع إلى عالم الملكوت متجدّدة بتجدّد الأيّام والليالي ، متزايدة آناً فآناً ، فكلّما ترقّوا من مرتبة إلى أُخرى عدّوا تلك المرتبة السابقة ذنباً بالنسبة إلى ما هم فيه .

الثامن : أنّ العبد الممكن المتلوّث بشوائب النقص والعجز قابل للتلبّس بجميع المعاصي لولا الألطاف الإلـٰهيّة ، فاعترافهم عليهم السلام بالذنوب إنّما هو بالنسبة إلى المادّة البشريّة لا باعتبار العصمة الإلـٰهيّة ، وقد أُشير إلى هذا في قول يوسف عليه السلام : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً** ﴾ [٤] ، وقوله عليه السلام : « **اللّهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين** » [٥] ، ولقد عدّ هذا الوجه مولانا المجلسي رحمه الله من الإلهامات الإلـٰهيّة .

---

(١) في مجمع البحرين : « متمتّعاً » .

(٢) نقل عنه الطريحي في مجمع البحرين : ٣٤٨/٣ .

(٣) يوسف ١٢ : ٥٣ .

(٤) الإسراء ١٧ : ٧٤ .

(٥) دعوات الراوندي : ٢٣٢ ، الحديث ٦٤٥ . مناقب ابن شهرآشوب : ٥٢/١ . إقبال الأعمال : ١٨٢/١ .

. . . .

التاسع : أنّ التكاليف إنّما هي بإزاء النعم ، فكلّما كانت النعمة على العبد أتمّ كان تكليفه أشدّ من غيره ، ولذا كلّفوا عليهم السلام بتكاليف شاقّة ، ولا ريب في أنّه تعالى قد منحهم من النعم ما لم يمنحه غيرهم ، فهم يهمّون بالشكر الذي هو ثمن النعمة ولم يطيقوه ، فيعدّون أنفسهم في مرتبة التقصير والذنب ، فيستغفرون منه .

روي عن عطاء أنّه قال : « دخلت على إحدى زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله فقلت : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله .

فبكت وقالت : وأيّ شأنه لم يكن عجباً ! ؟ إنّه أتاني في ليلتي ، فدخل معي في فراشي ـ أو قالت : في لحافي ـ حتّى مسّ جلدي جلده ، ثمّ قال : **ذريني أتعبّد لربّي** .

فقلت : إنّي أُحبّ قربك ، فأذنت له ، فقام إلى قربة ماء فتوضّأ ، فلم يكثر صبّ الماء ، ثمّ قام يصلّي فبكى حتّى سالت دموعه على صدره ، ثمّ ركع فبكى ، ثمّ سجد فبكى ، ثمّ رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتّى جاء بلال فأذّن بالصلاة .

فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟

قال : **أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولِمَ لا أفعل وقد أنزل الله علَيَّ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** الآية[1] »[2] .

وهذا يدلّ على أنّ البكاء لا ينقطع منه أبداً .

---

(١) البقرة ٢ : ١٦٤ .

(٢) روي مثله عن عائشة . انظر : تفسير ابن كثير : ١/٤٥٠ . الإيضاح / الفضل بن شاذان : ٤٣١ . زبدة البيان : ١٣٩ .

. . . .

بكاء الحجر من خوف النار:

روي أنّه مرّ بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير، فتعجّب، فأنطقه الله تعالى فقال: منذ سمعت قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[١] أنا أبكي من خوفه، فسأله أن يجيره من النّار، فأجاره، ثمّ رآه بعد مدّة مثل ذلك، فقال: لِمَ تبكي الآن؟ فقال: ذاك بكاء الخوف، وهذا بكاء الشكر والسرور.

حال داود عليه السلام وبكاؤه:

وروي: أنّ داود عليه السلام بكى أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتّى نبت المرعى من دموعه حتّى غطّى رأسه، فنودي: يا داود، أجائع أنت فتطعم، أم ظمآن فتسقى، أم عارٍ فتكسى؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حرّ جوفه، ثمّ أنزل الله التوبة والمغفرة، فقال: يا ربّ، اجعل خطيئتي في كفّي، فصارت خطيئته في يده مكتوبة، وكان لا يبسط كفّه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما، إلّا رآها فأبكته.

قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء، فإذا تناوله وأبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتّى يفيض من دموعه.

مناجاة داود عليه السلام:

وروي أنّه ما رفع رأسه إلى السماء حتّى مات حياء من الله تعالى، وكان يقول في مناجاته: إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علَيَّ الأرض بما رحبت، وإذا ذكرت رحمتك ارتدّت إليَّ روحي، سبحانك إلٰهي أتيت أطبّاء عبادك ليداووا خطيئتي فكلّهم

---

(١) البقرة ٢: ٢٤.

. . . .

يدلّوني عليك[١]، فبؤساً للقانطين من رحمتك، وكان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبراً إلى البرّ فيأمر سليمان عليه السلام ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبِيع، فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليأت.

قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوامّ من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، وتأتي العذارى من خدورهنّ، ويجتمع النّاس لذلك اليوم، ويأتي داود عليه السلام حتّى يرقى المنبر ويحيط بنو إسرائيل، وكلّ صنف على حدته يحيطون به، وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربّه فيضجّون بالبكاء والصراخ، ثمّ يأخذ في ذكر الجنّة والنّار فيموت الهوامّ وطائفة من الوحوش والسباع والنّاس، ثمّ يأخذ في أهوال القيامة، وفي النياح على نفسه، فيموت من كلّ نوع طائفة.

فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال: يا أبتاه، قد مزّقت المستمعين كلّ ممزّق، وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوامّ، فيأخذ في الدعاء.

فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض بني إسرائيل: يا داود، عجلت بطلب الجزاء على ربّك.

قال: فخرّ داود مغشيّاً عليه.

ولمّا نظر سليمان إلى صاحبه وما أصابه أتى بسرير فحمله عليه، ثمّ أمر منادٍ

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٢٩/١٤. الدرّ المنثور: ٣٠٤/٥.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ ،

ينادي : ألا من كان له مع داود حميم فليأت بسريره يحمله عليه ، فإنّ الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنّة والنّار .

ثمّ إذا أفاق داود دخل بيت عبادته .

وكان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل ، فيأتيه جبرئيل عليه السلام فيقول له : الجبّار يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلاً يخاف خليله ؟ فيقول : يا جبرئيل ، إنّي إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلّتي ، ومثل هذا كثير » .

العاشر : أنّه تعالى معشوقهم الحقيقي ، ومقصودهم التحقيقي ، فهم يحبّون أن لا يعصى ، فإذا رأوا من غيرهم معصية انكلمت[1] خواطرهم الشريفة ، حيث إنّه وقع بحضرتهم فهم يعدّونه ذنباً ، كما لو جلس أحدنا في مجلس سمع فيه غيبة أخيه . تلك عشرة كاملة ، ولولا مخافة التطويل لذكرنا وجوهاً كثيرةً .

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ : انتقم منه ، أي عاقبه ، والاسم منه : النقمة ، وهي الأخذ بالعقوبة ، والجمع : نقمات ، ونقم ككلمة وكلمات وكلم .

قال الجوهري في الصحاح : « وإن شئت سكّنت القاف ونقلت حركتها إلى النون فقلت : نقمة ، والجمع : نقم ، كنعمة ونِعم »[2] .

وعن الصادق عليه السلام : « **إنّ الذنوب التي تنزل النقم هي الظلم** »[3] .

---

(١) أي : انجرحت .

(٢) الصحاح : ٢٠٤٥/٥ ـ نقم ـ .

(٣) علل الشرائع : ٥٨٤/٢ . جواهر الكلام : ١٢٩/١٢ .

. . . .

أخبار الظلم:

وفي الحديث: «ألا وإنّ الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأمّا الظلم الذي لا يغفر: الشرك بالله سبحانه، فأمّا الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، يعني الصغيرة من الزلّات، وأمّا الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً»[(١)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب مرجوّ لصاحبه ويخاف عليه.

قيل: يا أمير المؤمنين، فبيّنها لنا؟

قال: نعم، أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين.

وأمّا الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض. إنّ الله إذا برز للخليقة أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي، لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّاً بكفّ، ولو مسحة بكفّ، ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجمّاء[(٢)]، فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد مظلمة، ثمّ يبعثهم الله للحساب.

وأمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، ونرجو له الرحمة، ونخاف عليه العقاب»[(٣)].

---

(١) مجمع البحرين: ٩٥/٣. ونحوه في المصنّف/عبدالرزاق: ١٨٣/١١، الحديث ٢٠٢٧٦.

(٢) الشاة الجمّاء: التي لا قرن لها.

(٣) المحاسن / البرقي: ٧/١، الحديث ١٨. الكافي: ٤٤٣/٢، الحديث ١. شرح أصول ⇦

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ ،

قال بعض شرّاح الحديث: «ولعلّه عليه السلام أراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها، لما عرفت من أنّ التوبة الجامعة للشرائط مقبولة، فإذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور».

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ: روي عن الصادق عليه السلام: «إنّ الذنوب التي تغيّر النعم البغي»[1].

وقال الطريحي في المجمع: «قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[2]، قال بعض الأعلام: يكتب في اللوح أشياء مشروطة وأشياء مطلقة، فما كان على الإطلاق فهو حتم لا يغيّر ولا يبدّل، وما كان مشروطاً نحو: أن يكون مثبتاً في اللوح أنّ فلاناً إن وصل رحمه ـ مثلاً ـ يعيش ثلاثين سنة، وإن قطع رحمه فثلاث سنين، وإنّما يكون ذلك بحسب حصول الشرط، وقد قال الله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[3]»[4]، انتهى.

خواصّ قطيعة الرحم:

قلت: ويستفاد من هذا الكلام أنّ قطيعة الرحم ممّا يوجب قصر العمر.

⇦ الكافي: ١٨٥/١٠. بحار الأنوار: ٢٩/٦، الحديث ٣٥ و: ٢٦٥/٧، الحديث ٢١.

(١) الكافي: ٤٤٧/٢، الحديث ١. معاني الأخبار: ٢٦٩، الحديث ١. علل الشرائع: ٥٨٤/٢. جواهر الكلام: ١٢٩/١٢.

(٢) الرعد ١٣: ١١.

(٣) الرعد ١٣: ٣٩.

(٤) مجمع البحرين: ٣٤٥/٣.

. . . .

وعن الصادق عليه السلام : « **إنّها التي تعجّل الفناء** »[١].

وفي حديث شهر رمضان : « **وصلوا أرحامكم** »[٢].

حصول الصلة بمثل السلام :

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : « **صلوا أرحامكم ولو بالسلام** »[٣].

وقصر بعض العلماء الرحم على من يحرم نكاحه ، والظاهر أنّه كلّ من عرف بنسبه وإن بعُد .

ويؤيّده ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾[٤] أنّها نزلت في بني اُميّة[٥] ، وما صدر منهم بالنسبة إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

ولذا قال في الجواهر في باب الهبة : « والمراد بالرحم في هذا الباب وفي الصلة وغيرهما مطلق القريب المعروف بالنسب ، وإن بعدت لحمته ، وجاز نكاحه » .

وفي المسالك : « إنّه موضع نصّ ووفاق »[٦].

مضافاً إلى آية اُولي الأرحام[٧] والصدق العرفي وغير ذلك ، فما عن بعضهم

---

(١) الكافي : ٤٤٨/٢ ، الحديث ٢. معاني الأخبار : ٢٧١.

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢٦٥/٢ . روضة الواعظين : ١٤٠ و ٣٤٥.

(٣) الخصال : ٦١٣ . تحف العقول : ٥٧ و ١٠٣ . المجازات النبويّة : ١٠١.

(٤) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧ : ٢٢.

(٥) تفسير القمّي : ٣٠٨/٢.

(٦) مسالك الأفهام : ٣١/٦.

(٧) الأنفال ٨ : ٧٥.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ ،

من اختصاصه بمن يحرم نكاحه شاذٌ محجوج بما عرفت »[١]، انتهى.

ومن تفنّناتي في الكلمات القصار: « **رحمك لحمك، فاحم لحمك، وخصّه بكرمك، وأذقه حلاوة كرمك، وشاركه في نعمك، واسع في حاجته بفمك وقلمك، وقدمك** »، والظاهر حصول الصلة بأقلّ ما يسمّى برّاً وإحساناً، كما هو صريح النبويّ المتقدّم آنفاً.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ:

وفي الحديث: « **أعوذ بك من الذنوب التي تردّ الدعاء** »، وهي ـ كما جاءت به الرواية عن الصادق عليه السلام ـ: « **سوء النيّة والسريرة، أو ترك التصديق بالإجابة والنفاق مع الإخوان، وتأخير الصلاة عن وقتها** »[٢].

وفي هذا المقام اُمور لا بدّ من التنبيه عليها:

بيان فضائل الدعاء:

الأوّل: في بيان فضيلة الدعاء وفوائده:

اعلم أنّ أفضل العبادات، وأقرب طرق تقرّب العبد إلى جناب قاضي الحاجات، هو طريقة الدعاء والتضرّع والمناجاة، وبكثرة الدعاء والمناجاة يزداد اليقين بذاته تعالى وصفاته الكماليّة، ويقوى التوكّل والتفويض إلى جنابه المقدّس، ويوجب قطع الأطماع والعلائق من الخلق.

---

(١) جواهر الكلام: ١٨٣/٢٨.

(٢) مجمع البحرين: ٣٨/٢.

. . . .

وهذه الطريقة هي المنقولة من الأئمّة الأخيار، عليهم صلوات الله الملك الجبّار، فإنّهم كانوا بعد أداء الفرائض والسنن لم يزل مشغولين بالتضرّع والمناجاة، خصوصاً سيّد الساجدين عليه السلام، وقد ورد الأمر به في القرآن الشريف في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[(١)].

وكثير من الأخبار الواردة عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّ المراد من العبادة في هذه الآية هو الدعاء، فأوّلاً الله تبارك وتعالى أمر بالدعاء، ثمّ وعد بالاستجابة، ثمّ عدّ الدعاء عبادة وتركه تكبّراً، وترتّب على تركه الدخول في جهنّم.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[(٢)].

وسئل من الباقر عليه السلام: أيّ عبادة أحسن وأفضل؟

فقال عليه السلام: **ليس عبادة أحسن عند الله تعالى من أن يسألوا عنه، ويطلبوا من مراحمه الغير المتناهية التي عنده، وما أحد عند الله أشدّ عداوة، وأسوء حالاً ممّن يتكبّر عن عبادة الله التي هي الدعاء، ولا يسأل من عطايا الباري ومراحمه»**[(٣)].

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: **«أي ميسر، ادع ولا تقل إنّ المقدّر كائن، فإنّ عند الله منزلة لا يمكن الوصول إلى تلك المنزلة إلّا بالدعاء والمسألة، ولو أنّ أحداً أصمّ فمه**

---

(١) غافر ٤٠: ٦٠.

(٢) البقرة ٢: ١٨٦.

(٣) الكافي: ٤٦٦/٢، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ١٦٩/٥، الحديث ٥٥٨٧، مع اختلاف في الألفاظ.

. . . .

ولم يدع ولم يسأل من الله لم يصله شيء، فاطلب حتّى يعطيك.

يا ميسر، من دقّ باباً وأكثر الدقّ يفتح على وجهه الباب، ألبتّة»[١].

وفي رواية أُخرى قال عليه السلام: «**من لم يسأل من فضل الله يفتقر**»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «**عليكم بالدعاء، فإنّه لا يحصل لكم القرب إلى الله بعبادة مثل الدعاء، ولا تتركوا طلب الحاجة الصغيرة لأجل صغرها، فإنّ الحاجة صغيرة وكبيرة كلّها بيد الله تعالى**»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «**إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: أُحبّ الأعمال عند الله تعالى في الأرض الدعاء، وقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يدعو كثيراً**»[٤].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الدعاء سلاح المؤمن لدفع أعدائه، وعمود الدين الذي به المؤمن قائم، ونور السماء والأرض**»[٥].

وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال للصحابة: «**تريدون أدلّكم على سلاح ينجيكم من**

---

(١) روي باختلاف في: الكافي: ٤٦٦/٢، الحديث ٣. عدّة الداعي: ٢٣ و ٣٣. وسائل الشيعة: ٣٤/٧، الحديث ١.

(٢) الكافي: ٤٦٧/٢، الحديث ٤، وفيه: «**من لم يسأل الله من فضله فقد افتقر**».

(٣) الكافي: ٤٦٧/٢، الحديث ٦، مع اختلاف في الألفاظ.

(٤) الكافي: ٣٣٩/٢، الحديث ٨. شرح أُصول الكافي: ٢٣٢/١٠، الحديث ٨. وسائل الشيعة: ٣١/٧، الحديث ٤.

(٥) الكافي: ٤٦٨/٢، الحديث ١. عيون أخبار الرضا: ٤٠/١، الحديث ٩٥. عوالي اللآلئ: ١٩/٤، الحديث ٥١. حواشي الشرواني: ١٠٣/٢. إعانة الطالبين: ٢١٦/١. الإمامة والتبصرة: ١٧٩. شرح أُصول الكافي: ٢٣٣/١٠، الحديث ١. مجمع الزوائد: ١٤٧/١٠.

. . . .

شرّ أعدائكم ، ويزيد رزقكم ؟

فقالوا : بلى .

فقال : **ادعوا ربّكم بالليل والنهار ، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء »**[(١)] .

سلاح النبيّين الدعاء :

وعن الرضا عليه السلام أنّه قال : « **عليكم بسلاح النبيّين الذي هو الدعاء »**[(٢)] .

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال : « **الدعاء أسرع من السهم »**[(٣)] .

وقال عليه السلام : « **الدعاء يردّ القضاء ، وإن نزل من السماء وكان محكماً »**[(٤)] .

وقال عليه السلام : « **ادعوا كثيراً ، فإنّ الدعاء مفتاح جميع المراحم ، وموجب للوصول إلى**

---

(١) الكافي : ٤٦٨/٢ ، الحديث ٣ . ثواب الأعمال : ٢٦ . مكارم الأخلاق : ٢٦٨ . عدّة الداعي : ١٢ . الرسالة السعديّة / العلّامة الحلّي : ١٢٨ . شرح أُصول الكافي : ٢٣٤/١٠ ، الحديث ٣ . وسائل الشيعة : ٣٩/٧ ، الحديث ٥ . جواهر الكلام : ١٣١/١٢ . مستدرك الوسائل : ١٦٤/٥ ، الحديث ١١ .

(٢) الكافي : ٤٦٨/٢ ، الحديث ٥ . دعوات الراوندي : ١٨ ، الحديث ٥ . مكارم الأخلاق : ٢٧٠ . عوالي اللآلئ : ١٩/٤ ، الحديث ٥٢ . وسائل الشيعة : ٣٩/٧ ، الحديث ٦ . شرح أُصول الكافي : ٢٣٤/١٠ ، الحديث ٥ .

(٣) مهج الدعوات : ٢٠٨ .

(٤) الكافي : ٤٦٩/٢ ، الحديث ١ و ٣ و ٧ . دعوات الراوندي : ١٧ ، الحديث ١ . قرب الإسناد : ٣٢ ، الحديث ١٠٤ . دعائم الإسلام : ١٣٦/٢ ، الحديث ٤٧٧ . شرح أُصول الكافي : ٢٨٥/١ و : ٢٣٦/١٠ ، الحديث ١ ، و : ٢٣٧ ، الحديث ٣ و ٧ . جواهر الكلام : ١٣١/١٢ .

. . . .

كلَ الحاجات ، ولا يمكن الوصول إلى كرامات الباري إلّا بالدعاء ، وكلَ باب أُكثر من دقّه أُلبتّة يفتح على وجه »[١].

وقال عليه السلام : « **عليك بالدعاء ، فإنّه شفاء جميع الأمراض** »[٢].

وعن الكاظم عليه السلام أنّه قال : « **كلّ بلاء نزل على العبد المؤمن وأُلهمه الله تعالى الدعاء أُلبتّة ذلك البلاء يزول سريعاً ، وكلّ بلاء نزل على العبد ولم يوفّق إلى الدعاء وترك العبد ذلك البلاء يطول ، فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى ربّ العالمين** »[٣].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « **داووا مرضاكم بالتصدّق ، وادفعوا أنواع البلاء بالدعاء ، واحفظوا أموالكم بإعطاء الزكاة ، فإنّه ما من طير يقع في شبكة الصيد إلّا وترك تسبيحه** »[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « **ادفعوا أسباب البلاء عنكم بالدعاء قبل أن ينزل عليكم البلاء ، فوالله الذي فلق الحبّ ، وأخرج منه أنواع الزرع ، وخلق الخلق ، إنّ البلاء يأتي إلى جانب المؤمن أسرع من السيل النازل من الجبل ، وأسرع من الخيل السريعة العدو ، وما من نعمة وطراوة عيش تزول من العباد إلّا بذنوبهم ، ولو استقبلوا البلاء بالدعاء**

---

(١) الكافي : ٤٧٠/٢ ، الحديث ٧. دعوات الراوندي : ١٧ ، الحديث ١. شرح أُصول الكافي : ٢٣٧/١٠ ، الحديث ٧. جواهر الكلام : ١٣١/١٢.

(٢) الكافي : ٤٧٠/٢ ، الحديث ١ و : ٤١٣/٦ ، الحديث ٣. تهذيب الأحكام : ١١٣/٩ ، الحديث ٢٢٤.

(٣) الكافي : ٤٧١/٢ ، الحديث ٢. شرح أُصول الكافي : ٢٤٠/١٠ ، الحديث ٢.

(٤) قرب الإسناد : ١١٧ ، الحديث ٤١٠ ، باختلاف في بعض الألفاظ. وسائل الشيعة : ٢٩/٩ ، الحديث ١١٤٤٣.

. . . .

والتضرّع والإنابة والتوبة ما كان ينزل عليهم ، ولو عندما ينزل البلاء وتزول النعمة منهم التجأوا إلى الله وتضرّعوا ولم يتماهلوا في العبادة والعبوديّة ، وترك المعاصي ، لأصلح كلّ فاسد لهم ، وردّ كلّ نعمة سلبها عنهم »[(١)].

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال : « ثلاثة أشياء لا يصل إليها ضرر : الدعاء عند البلاء والشدائد ، والاستغفار بعد المعصية ، والشكر عند النعمة »[(٢)].

وقال عليه السلام أيضاً : « إنّ الله تعالى قرّر أرزاق المؤمنين من أماكن لا ظنّ لهم ، فإنّ العبد إذا لم يعلم رزقه من أين يأتيه يكثر الدعاء »[(٣)].

وقال عليه السلام : « من أُعطي أربعة لم يحرم أربعة : من أُعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أُكرم بالاستغفار يقبلون توبته ، ومن أُعطوه الشكر ازدادوا نعمته ، ومن أعطوه الصبر لا يحرمونه من الأجر والثواب »[(٤)].

في توضيح مجمل من آداب الدعاء :

الأمر الثاني : في توضيح مجمل من شرائط الدعاء وآدابه :

---

(١) الخصال : ٦٢١ . عيون الحكم والمواعظ : ٩٣ . وسائل الشيعة : ٤٠٢/٩ ، الحديث ٨ . بحار الأنوار : ٩٩/١٠ و : ٢٠٣/٨١ و : ٢٨٩/٩٣ ، الحديث ٥ .

(٢) الكافي : ٩٥/٢ ، الحديث ٧ . وسائل الشيعة : ٤٥/٧ ، الحديث ١٠ .

(٣) الكافي : ٨٣/٥ ، الحديث ١ و : ٨٤ ، الحديث ٤ . دعوات الراوندي : ١١٦ ، الحديث ٢٦٥ . الدروس / الشهيد الأوّل : ١٦١ . مجمع الفائدة والبرهان : ٧/٨ .

(٤) تحف العقول : ٤١ . نهج البلاغة : ٣٣/٤ ، خطبة رقم ١٣٥ . الخصال : ٢٠٢ ، الحديث ١٦ . معاني الأخبار : ٣٢٤ ، الحديث ١ . خصائص الأئمّة : ١٠٣ .

. . . .

فاعلم حيث إنّ الدعاء مكالمة ومحاورة، وعرض حاجة إلى حضرة قاضي الحاجات، فلا بدّ للإنسان من فهم معنى الدعاء حتّى يدعو مع الفهم وحضور القلب، ولا أقلّ من أن يلاحظ الآداب التي يلاحظها العقلاء عند طلب الحاجات ممّن هو في العجز وعدم القدرة مثلهم، فكيف وهو يعلم أنّه يطلب من الله العظيم الذي هو خالق ورازق ومالك جميع الأُمور.

وظاهر أنّ من يعرض إلى مخلوق حاجته يراعي أُموراً:

منها: أن يعلم ما يقول، فلو تكلّم مع كبير من النّاس في حال الغفلة وعدم الالتفات إن لم يجروا في حقّه السياسة فلا يعتنون بكلامه، فعند مناجاة العبد مع ربّه لا بدّ وأن يكون قلبه ملتفتاً إلى ما يجريه على لسانه بحيث يكون طلبه عن جدّ وجهد، وناشٍ عن اهتمام وحثّ، ولا يكون غير معتني بحاجة نفسه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يقبل الله دعاء قلب لاهٍ**»(١).

ومنها: إنّ من ادّخر لنفسه شخصاً يلتجئ إليه عند الشدائد، فلا جرم من أن يكون مواظباً له في سائر الأوقات، متردّداً إليه في جميع الأزمان، وفي غير حال الشدّة حتّى يتيسّر له الدخول عليه في حال الشدّة، فكذلك ينبغي للعبد أن يكون مواظباً على الدعاء، والطلب والمسألة من الخالق في حال النعمة، ولا يكون وفور نعمته سبباً لنسيان خالقه حتّى تقضى حاجته عند الضيق والالتجاء بسرعة، مع أنّ العبد لا ينفكّ في أن من الآنات الحكمية عن ألف حاجة من أُمور دنياه وآخرته

---

(١) الكافي: ٤٧٣/٢، الحديث ٢. عدّة الداعي: ٢١٢ و ٢٣٧ ـ بتحقيقنا «نشر مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم» ـ عوالي اللآلي: ٢٠/٤. وسائل الشيعة: ٥٤/٧، الحديث ٣.

. . . .

إلى ربّ الأرباب .

كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : «**من تقدّم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء ، وقيل : صوت معروف ، ولم يحجب عن السماء ، ومن لم يتقدّم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل البلاء ، وقالت الملائكة : إنّ ذا الصوت لا نعرفه ، أين كنت قبل هذا اليوم**»(١) . وبهذا المضمون أخبار كثيرة .

ومنها : إنّ من كانت له حاجة إلى شخص لم يتماهل في خدماته اللائقة بحاله التي ترضيه طبعاً ، ويجتنب عن كلّ ما يكرهه ، فكذلك الله سبحانه وتعالى ، فإنّه أقرب إلى إجابة من هو أكثر طاعة له من غيره .

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : «**أحسن الأدعية ما صدر من صدر نقي من العيوب ، والصفات الذميمة ، وقلب متورّع ، وفي المناجاة سبب النجاة ، وبالإخلاص في الأعمال يحصل الخلاص من العقاب ، فكلّ ما كثر فزعكم وخوفكم التجئوا إلى ربّكم**»(٢) .

وعن الصادق عليه السلام أنّه جاء إليه رجل وقال له : إنّ الله يقول : ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ ونحن ندعو ولا يستجاب ، فقال له عليه السلام : «**إنّ دعاءكم لا يستجاب لأنكم ما وفيتم بعهودكم التي أخذها الله منكم في العمل بالأوامر ، وتركتم المناهي ،**

---

(١) الكافي : ٢/٤٧٢ ، الحديث ١ . مكارم الأخلاق : ٢٧١ و ٣٨٩ . شرح أُصول الكافي : ١٠/٢٤١ ، الحديث ١ . وسائل الشيعة : ٧/٤٠ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ٩٣/٢٩٦ و ٣٤٠ .

(٢) التحفة السنيّة : ١٤٦ ، بألفاظ متقاربة ، ونحوه في الكافي : ٢/٤٦٨ ، الحديث ٢ . وسائل الشيعة : ٧/٣٩ ، الحديث ٨٦٥٥ .

. . . .

والله يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[١]، والله لو أنّكم توفون الله أيضاً وفى الله لكم»[٢].

وفي بعض الأخبار: «**إنّ من أحبّ أن يستجاب له دعاؤه فليحلل كسبه**»[٣].

وهذا أمر في غاية الوضوح أنّ الإنسان كلّما ازداد قرباً إلى الله تعالى كان دعاؤه إلى القبول أقرب، كما هو المشاهد في المتقرّبين إلى سلاطين الدنيا وملوك العالم، فإنّ قضاء حوائجهم الدنيويّة الراجعة إلى أنفسهم أو إلى غيرهم على حسب قربهم إليه، فكلّ من كان أقرب إليه كان أسرع قضاء لحاجته.

ومن المحقّق أيضاً أنّه كلّما كانت المناسبة بين الفاعل والقابل أكثر ازدادت قابليّة الاستفاضة والمانع من الفيض الذي هو من طرف القابليّة كلّما كان القابل أكمل كان مانعه أقلّ وقابليّته للرحمة والفيض أكثر.

من الشرائط: مراعاة جهة الدعاء

إذا عرفت ذلك فنقول:

من الشرائط رعاية جهة الدعاء، كما روى عثمان بن عيسى، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت: «آيتان في كتاب الله تعالى أطلبهما ولا أجدهما؟

قال عليه السلام: **ما هما**.

---

(١) البقرة ٢: ٤٠.

(٢) الاختصاص: ٢٤٢. مستدرك الوسائل: ١٨٩/٥، الحديث ٥٦٥٣ «نحوه».

(٣) الجعفريّات: ٢٢٤. مستدرك الوسائل: ٢٧/١٣، الحديث ١٤٦٤٤، وفيهما: **«من سرّه أن يستجاب دعوته فليطيّب كسبه»**.

. . . .

قلت : قول الله ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، فندعوه ولا نرى إجابة .

قال عليه السلام : **أفترى الله أخلف وعده ؟**

قلت : لا .

قال عليه السلام : **فممّ ذلك ؟**

قلت : لا أدري .

فقال عليه السلام : **لكنّي أخبرك ، من أطاع الله تعالى فيما أمره ، ثمّ دعاه من جهة الدعاء أجابه .**

فقلت : ما جهة الدعاء ؟

قال : **تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ، ثمّ تشكره ، ثمّ تصلّي على النبيّ ، ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها ، ثمّ تستغفر الله منها ، فهذه جهة الدعاء »**[١] .

من الشرائط : الاجتماع

ومنها : الاجتماع في الدعاء ، قال أبو عبدالله عليه السلام : **« ما اجتمع أربعة رهط قطّ على أمر واحد ، فدعوا الله إلّا تفرّقوا عن إجابة »**[٢] .

وقال عليه السلام : **« كان أبي إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ، ثمّ دعا وأمّنوا »**[٣] .

---

(١) الكافي : ٢/٤٨٦ ، الحديث ٨ . عدّة الداعي : ١٦ . شرح أُصول الكافي : ١٠/٢٦٠ . وسائل الشيعة : ٧/٨٢ ، الحديث ٧ .

(٢) الكافي : ٢/٤٨٧ ، الحديث ٢ . شرح أُصول الكافي : ١٠/٢٦٢ ، الحديث ٢ . وسائل الشيعة : ٧/١٠٤ ، الحديث ٢ .

(٣) الكافي : ٢/٤٨٧ ، الحديث ٣ . عدّة الداعي : ١٤٦ . شرح أُصول الكافي : ١٠/٢٦٢ ، ⇐

. . . .

وقال عليه السلام: «**الداعي والمؤمّن في الأجر شريكان**»(١).

من الشرائط: العموم في الدعاء

ومنها: العموم في الدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا دعا أحدكم فليعمّ، فإنّه أوجب للدعاء**»(٢).

من الشرائط: رعاية براعة الاستهلال

ومنها: أن يدعو الله بأسمائه المناسبة لمقصوده رعاية لبراعة الاستهلال التي هي من آداب الدعاء، فإنّ المطلوب من الدعاء إن كان رفع الفقر والفاقة فينبغي أن يذكر في ذلك المقام الغني والمنعم ونحوه، وإن كان المقصود غفران الذنب فينبغي أن يذكر فيه العفو والغفور وأشباههما، وكذا سائر المناسبات.

من الشرائط: الدعاء للإخوان

ومنها: الدعاء للإخوان. روى ابن أبي عمير، عن زيد النرسي، قال: «كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو، فتفقّدت دعاءه، فما رأيته يدعو لنفسه بحرف، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق، ويسمّيهم ويسمّي آباءهم

⇐ الحديث ٣. دعوات الراوندي: ٢٩، الحديث ٥٤. بحار الأنوار: ٢٩٧/٤٦، الحديث ٢٨.

(١) الكافي: ٤٨٧/٢، الحديث ٤. الإمامة والتبصرة: ١٧٩. مكارم الأخلاق: ٢٧٤. شرح أُصول الكافي: ٢٦٣/١٠، الحديث ٤. مستدرك الوسائل: ٢٤٠/٥، الحديث ١.

(٢) الكافي: ٤٨٧/٢، الحديث ١. ثواب الأعمال: ١٦٢. شرح أُصول الكافي: ٢٦٤/١٠، الحديث ١. وسائل الشيعة: ١٠٦/٧، الحديث ١.

. . . .

حتّى أفاض النّاس .

فقلت له : يا عمّ ، لقد رأيت عجباً منك .

فقال : وما الذي أعجبك ممّا رأيت ؟

فقلت : إيثارك إخوانك على نفسك في هذا الموضع ، وتفقّدك رجلاً رجلاً .

فقال لي : لا يكون تعجّبك من هذا ، يابن أخي ، فإنّي سمعت مولاي ومولاك ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة موسى بن جعفر عليه السلام ، وكان والله سيّد من مضى وسيّد من بقي بعد آبائه عليهم السلام وإلّا صمّتا أُذنا معاوية ، وعميت عيناه ، ولا نالته شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله إن لم أكن سمعت منه وهو يقول : **من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من سماء الدنيا : يا عبدالله ، لك مائة ألف ضعف ممّا دعوت .**

وناداه ملك من السماء الثانية : يا عبد الله ، ولك مائتا ألف ضعف .

وهكذا إلى السماء السابعة ، فيقول ملكها : يا عبد الله ، ولك سبعمائة ألف ضعف ، ثمّ ينادي الله عزّ وجلّ : أنا الغنيّ الذي لا أفتقر ، لك ألف ألف ضعف ممّا دعوت ، فأيّ الخطرين أكبر ، يابن أخي ، ما اخترته أنا لنفسي أو ما تأمرني به »[1] ؟

من الشرائط : الرقّة

ومنها : الرقّة ، قال الصادق عليه السلام : « **إذا رقّ أحدكم فليدع ، فإنّ القلب لا يرقّ حتّى يخلص** »[2] .

---

(١) دعوات الراوندي : ٢٨٩ ، الحديث ٣٠ . عدّة الداعي : ١٧١ . بحار الأنوار : ٣٨٧/٩٣ ، الحديث ١٩ .

(٢) عدّة الداعي : ١٦٦ . عوالي اللآلي : ٢١/٤ ، الحديث ٦٢ . وسائل الشيعة : ٧٢/٧ ، ⇦

. . . .

سيّد الآداب البكاء:

ومنها: البكاء، وهو سيّد الآداب لدلالته على الإخلاص الذي يحصل عنده الإجابة.

قال الصادق عليه السلام: «**إذا اقشعرّ جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك، فدونك دونك، فقد قصد قصدك**»(١).

من الشرائط: الإلحاح في الدعاء

ومنها: الإلحاح في الدعاء.

قال عليه السلام: «**والله لا يلحّ عبد مؤمن على الله في حاجة إلّا قضاها، وقد كره إلحاح النّاس بعضهم على بعض في المسألة، وأحبّ ذلك لنفسه**»(٢).

من الشرائط: تسمية الحاجة

ومنها: تسمية الحاجة.

قال الصادق عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكنّه يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج**»(٣).

⇦ الحديث ١. بحار الأنوار: ٣٤٥/٩٣، الحديث ٩.

(١) الخصال: ٨٢، الحديث ٦. عدّة الداعي: ١٥٤. وسائل الشيعة: ٧٣/٧، الحديث ٦.

(٢) الكافي: ٤٧٥/٢، الحديث ٤. تحف العقول: ٢٩٣. مكارم الأخلاق: ٢٧٠. عدّة الداعي: ١٤٣. شرح أُصول الكافي: ٢٤٥/١٠، الحديث ٤. وسائل الشيعة: ٥٨/٧، الحديث ٢.

(٣) الكافي: ٤٧٦/٢، الحديث ١. مكارم الأخلاق: ٢٧٠. عدّة الداعي: ١٤٣. شرح ⇦

. . . .

من الشرائط: الإسرار في الدعاء

ومنها: الإسرار في الدعاء.

قال الرضا عليه السلام: **«دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية»**[(١)].

من الشرائط: رفع اليدين بالدعاء

ومنها: رفع اليدين بالدعاء، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين.

كيفيّات رفع اليدين عند الدعاء

وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدعاء ورفع اليدين، فقال: **«على خمسة أوجه:**

أمّا التعوّذ: فتستقبل القبلة بباطن كفّيك.

وأمّا الدعاء في الرزق: فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء.

وأمّا التبتّل: فإيماؤك بإصبعك السبّابة.

وأمّا الابتهال: فترفع يديك تجاوز بهما رأسك.

وأمّا التضرّع: فأن تحرّك إصبعك السبّابة ممّا يلي وجهك، وهو دعاء الخيفة»[(٢)].

⇦ أصول الكافي: ٢٤٦/١٠، الحديث ١. وسائل الشيعة: ٣٣/٧، الحديث ١.

(١) الكافي: ٤٧٦/٢، الحديث ١. ثواب الأعمال: ١٦١. شرح أصول الكافي: ٢٤٦/١٠، الحديث ١. وسائل الشيعة: ٦٣/٧، الحديث ١.

(٢) عدّة الداعي: ١٨٣. وسائل الشيعة: ٥٠/٧، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٢٠٥/٨٥، الحديث ٢٢.

. . . .

وقال عليه السلام: «**الرغبة أن تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرهبة تبسط يديك وتظهر ظهرهما، والتضرّع تحرّك السبّابة اليمنى يميناً وشمالاً، والتبتّل تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها، والابتهال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء**»(١).

وقال عليه السلام: «**هكذا الرغبة** وأبرز باطن راحتيه إلى السماء، **وهكذا الرهبة**، وجعل ظهر كفّيه إلى السماء، **وهكذا التضرّع** وحرّك أصابعه يميناً وشمالاً، **وهكذا التبتّل** يرفع أصابعه مرّة ويضعها أُخرى، **وهكذا الابتهال** ومدّ يديه تلقاء وجهه إلى القبلة، وقال: **لا تبتهل حتّى تجري الدمعة**»(٢).

وفي حديث آخر: «**الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه**»(٣).

وأراد بعض المحقّقين بيان مناسبات لهذه الأُمور، فقال: لعلّ المراد ببسط كفّيه في الرغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله، وحسن ظنّه بإفضاله، ورجائه لنواله، فالراغب يسأل بالآمال فيبسط كفّيه لما يقع فيهما من الإحسان، والمراد بالرهبة بجعل ظهر الكفّين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلّة والاحتقار لعالم الخفيّات والأسرار: أنا ما أُقدم على بسط كفّي إليك، وقد جعلت وجههما إلى الأرض ذلّاً وخجلاً بين يديك.

---

(١) الكافي: ٤٨٠/٢، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ٢٥٢/١٠، الحديث ٤. عدّة الداعي: ١٨٤. وسائل الشيعة: ٤٨/٧، الحديث ١.

(٢) فلاح السائل: ٣٣. عدّة الداعي: ١٨٤. مستدرك الوسائل: ١٨٧/٥، الحديث ٤.

(٣) فلاح السائل: ٣٣. بحار الأنوار: ٣٣٩/٩٣، الحديث ٧. مستدرك الوسائل: ١٨٧/٥، الحديث ٤.

. . . .

والمراد بالتضرّع بتحرّك الأصابع يميناً وشمالاً أنّه تأسّياً بالثاكل عند المصاب الهائل ، فإنّها تقلّب يديها وتنوح بهما إدباراً وإقبالاً ، ويميناً وشمالاً .

والمراد بالتبتّل برفع الأصابع مرّة ووضعها أُخرى بأنّ معنى التبتّل الانقطاع ، كأنّه يقول بلسان حاله لمحقّق رجائه وآماله : انقطعت إليك وحدك لما أنت أهله من الإلهيّة ، فيشير بإصبعه وحدها من دون الأصابع على سبيل الوحدانيّة .

والمراد بالابتهال بمدّ يديه تلقاء وجهه إلى القبلة ، أو مدّ يديه وذراعيه إلى السماء ، أو رفع يديه وتجاوزهما رأسه بحسب ما في الروايات أنّه نوع من أنواع العبوديّة والاحتقار والذلّة والصغار ، أو كالغريق الرافع يديه ، الحاسر عن ذراعيه ، المتشبّث بأذيال رحمته ، والمتعلّق بذوائب رأفته التي أنجت الهالكين ، وأغاثت المكروبين ، ووسعت العالمين ، وهذا مقام جليل فلا يدّعيه العبد إلّا عند العبرة ، وتزاحم الأنين والزفرة ، ووقوفه موقف العبد الذليل ، واشتغاله بخالقه الجليل ، عن طلب الآمال ، والتعرّض للسؤال .

والمراد بالاستكانة برفع يديه إلى منكبيه أنّه كالعبد الجاني إذا حمل إلى مولاه ، وقد أوثقه قيد هواه ، وقد يصفّد بالأثقال ، ويناجي بلسان الحال : هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرأتي عليك[١] .

من الشرائط : رعاية الوقت

ومنها : رعاية أوقات مظنّة الاستجابة ، فإنّ الله تعالى قد جعل لبعض الأوقات

---

(١) عدّة الداعي : ١٨٤ .

. . . .

والأزمان مدخليّة تامّة لاستجابة الدعاء.

قال أبو عبدالله عليه السلام: «**اطلبوا الدعاء في أربع ساعات: عند هبوب الرياح، وزوال الأفياء ـ يعني زوال الشمس ـ ونزول القطر، وأوّل قطرة تقطر على الأرض من دم القتيل المؤمن، فإنّ أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء**»[(١)].

وقال عليه السلام: «**يستجاب الدعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب**»[(٢)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اغتنموا الدعاء عند أربع: قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفّين للشهادة**»[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير وقت دعوتم الله عزّ وجلّ فيه الأسحار**»[(٤)]، ولذا كان عليّ عليه السلام يداوم عليه.

وحديث ضرار بن ضمرة الليثي ودخوله على معاوية مشهور على الألسن[(٥)].

---

(١) الكافي: ٤٧٧/٢، الحديث ١. مكارم الأخلاق: ٢٧١. شرح أُصول الكافي: ٢٤٧/١٠. وسائل الشيعة: ٦٤/٧، الحديث ١.

(٢) الكافي: ٤٧٧/٢، الحديث ٢ و: ٣٤٣/٣، الحديث ١٧. تهذيب الأحكام: ١١٤/٢، الحديث ١٩٦. الاختصاص: ٢٢٣. مكارم الأخلاق: ٢٧١. عدّة الداعي: ٥٩. شرح أُصول الكافي: ٢٤٧/١٠، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ٤٣٠/٦، الحديث ٤.

(٣) الكافي: ٤٧٧/٢، الحديث ٣. مكارم الأخلاق: ٢٧١. شرح أُصول الكافي: ٢٤٧/١٠، الحديث ٣. وسائل الشيعة: ٦٤/٧، الحديث ٢.

(٤) الكافي: ٤٧٧/٢، الحديث ٦. شرح أُصول الكافي: ٢٤٧/١٠، الحديث ٦. وسائل الشيعة: ٦٨/٧، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٢٦٦/١٢، الحديث ٣٤.

(٥) بحار الأنوار: ١٢٠/٤١، الحديث ٢٨. مستدرك الوسائل: ٢٧٢/٣، الحديث ٤.

. . . .

وعن عمر بن أُذينة ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **إنّ في الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم ثمّ يصلّي ويدعو الله عزّوجلّ فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة** .

قلت : أصلحك الله ، وأيّ ساعة هي من الليل ؟

قال عليه السلام : **إذا مضى نصف الليل ، وهي السدس الأوّل من أوّل النصف** »[١] ، وكذا ساعة في يوم الجمعة ، وهي وقت فراغ الإمام من الخطبة إلى أن يقوموا إلى الصلاة ، وعند استتار نصف القرص في يوم الجمعة .

من الشرائط : التصدّق على الفقراء

ومنها : التصدّق على الفقراء ، فإنّ من كانت له حاجة عند الملك فاللازم عليه أوّلاً إكرام بوّابه وحجّاب باب داره ، وجلب مراضيهم بالإحسان إليهم حتّى يحصل له التيسير إلى الدخول على الملك ويساعدوه على إسعاف حاجته .

ومن المعلوم أنّ بوّاب مالك الملوك وحجّابه الفقراء والمساكين ، فلا بدّ له من التصدّق عليهم ، وهو مرويّ عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « **إذا مرض أحدكم يطلب الطبيب ويعطيه شيئاً ، وإن كان له حاجة إلى سلطان يعطي الرشوة إلى حجّابه ، فإن كان له حاجة إلى الله فلا بدّ أن يتصدّق بقليل أو كثير** » .

---

(١) الكافي : ٤٧٨/٢ ، الحديث ١٠ . شرح أُصول الكافي : ٢٤٩/١٠ ، الحديث ١٠ . بحار الأنوار : ٣٤٥/٩٣ ، الحديث ٩ .

. . . .

في ذكر من لا يستجاب دعاؤه:

الأمر الثالث: فيمن لا يستجاب دعاؤه، ويتسبّب عن أُمور:

الأوّل: أن يكون سأل ما لا صلاح فيه، ويكون مفسدة له أو لغيره؛ إذ ليس أحد يدعو الله سبحانه على ما يوجبه الحكمة ممّا فيه الصلاح إلّا أجابه، وعلى الداعي أن يشترط ذلك بلسانه، أو يكون منويّاً في قلبه.

الثاني: ما تقدّم من الذنوب التي تردّ الدعاء، من: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلاة المفروضة حتّى تذهب أوقاتها.

الثالث: ترك الإقبال بالقلب، كما تقدّمت الإشارة إليه.

الرابع: حبّ الدنيا.

روي أنّ موسى عليه السلام مرّ برجل وهو يبكي، ثمّ رجع وهو يبكي، فقال: إلهي، عبدك يبكي من مخافتك! فقال: يا موسى، لو نزل دماغه مع دموع عينيه لم أغفر له، وهو يحبّ الدنيا[1].

الخامس: الإسراف في الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[2]، أي لا يتجاوز الحدّ في دعائه.

السادس: ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: « **لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى**

---

(١) التحصين: ٢٧، الحديث ٤٦. الجواهر السنيّة: ٧٣. بحار الأنوار: ٩٣/٣٤١.

(٢) الأعراف ٧: ٥٥.

. . . .

على محمّد وآل محمّد »[١].

وقال عليه السلام : « **من دعا ولم يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه ، فإذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفع الدعاء »**[٢].

السابع : ترك التقدّم ،كما تقدّم .

الثامن : الشكّ في أهل البيت عليهم السلام .

قال عليه السلام : « **نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشكّ فينا »**[٣]، وأمّا ما يقع من استجابة دعاء المخالفين فهو من باب الاستدراج لا غير .

التاسع : ما روي من أنّه لا يستجاب دعاؤك على غيرك ؛ لأنّ غيرك دعا عليك ، فأمّا أن ترضى بقبولهما أو أن ترضى بردّهما .

العاشر : ما روي في الحديث القدسي : « **لا يحجب عنّي دعوة إلّا دعوة آكل الحرام»**[٤].

---

(١) الكافي : ٤٩١/٢ ، الحديث ١ . أمالي الطوسي : ٦٦٢ ، الحديث ٢٣ . شرح أُصول الكافي : ٢٦٧/١٠ ، الحديث ١ . وسائل الشيعة : ٩٣/٧ ، الحديث ٥ و : ٩٥ ، الحديث ١٢ .

(٢) الكافي : ٤٩١/٢ ، الحديث ٢ . مكارم الأخلاق : ٢٧٤ . عدّة الداعي : ١٥٤ . شرح أُصول الكافي : ٢٦٧/١٠ ، الحديث ٢ . وسائل الشيعة : ٩٣/٧ ، الحديث ٦ .

(٣) أمالي المفيد : ٣ ، عدّة الداعي : ٥٨ . تأويل الآيات : ٨٧/١ ، الحديث ٧٣ . مستدرك الوسائل : ١٦٦/١ ، الحديث ٤٣ .

(٤) عدّة الداعي : ١٢٨ . وسائل الشيعة : ١٤٥/٧ ، الحديث ٤ .

. . . .

بيان من يؤخّر دعاؤه:

الأمر الرابع: فيمن يؤخّر دعاؤه، وله أسباب:

منها: ما رواه إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**إنّ المؤمن ليدعو الله عزّ وجلّ في حاجته، فيقول الله عزّ وجلّ: أخّروا إجابته، شوقاً إلى صوته ودعائه، فإذا كان يوم القيامة قال الله عزّ وجلّ: عبدي، دعوتني فأخّرت إجابتك، وثوابك كذا وكذا، ودعوتني فيكذا وكذا، فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا.**

قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثواب»[1].

ومنها: ما رواه جابر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنّ العبد يدعو الله وهو يحبه فيقول لجبرئيل: اقض لعبدي هذا حاجته وأخّرها، فإنّي أُحبّ لا أزال أسمع صوته**[2].

وفي دعاء موسى وهارون على فرعون فقال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾[3]**، وما ظهرت الإجابة إلّا بعد أربعين سنة**»[4].

ومنها: ارتكابه للذنوب، فإنّه من أسباب تأخير الإجابة.

---

(١) الكافي: ٢/٤٩٠، الحديث ٩. مشكاة الأنوار: ٥٠١. شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٦٦، الحديث ٩. وسائل الشيعة: ٧/٦٢، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٩٣/٣٧٤.

(٢) كتاب الدعاء / الطبراني: ٤٥. مجمع البيان: ٢/١٩. وسائل الشيعة: ٧/٦٣، الحديث ٧. بحار الأنوار: ٩٣/٣٧٩، الحديث ٢٢.

(٣) يونس ١٠: ٨٩.

(٤) الكافي: ٢/٤٨٩، الحديث ٥. الخصال: ٥٤٠، الحديث ١١. الوسائل: ٧/٥٧، الحديث ٨٧١١.

. . . .

في التنبيه على أمر نبيه:

تنبيه: اعلم أيّها العزيز أنّ الله سبحانه وتعالى يداوي عباده الجهّال مع طبعهم الجهول بنوع من غاية اللطف والمحبّة، ويدنيهم إلى ساحة كبريائه بطعمة إسعاف إرادة طباعهم على وفق حكمته، ولنشبّه لك تشبيهاً وهو أنّ السلطان لو أراد أن يصطاد شاهيناً، لو خاطب الشاهين[١] وقال له: أيّها الحيوان، إنّك لو أتيتني جعلت لك مكاناً على يدي، وجعلتك ملعبة لأوج عزّتي، فلا يؤثّر هذا الكلام في تسخيره، فلا بدّ أوّل الأمر أن يطمّعه بشيء من الحبوبات، ويؤنسه إلى شبكته، فلمّا حصل له القرب بذلك إلى ساحته وصار مأنوساً بسبب ما يدركه من المحبّة والرفق من صاحبه صار مكانه على يده وأين ما وجّهه عاد إليه سريعاً.

ولو أنّ الأب الذي هو في غاية الشفقة على ولده أراد أن يرسل ولده إلى كسب العلوم والحقائق، وأخذ في إقامة البراهين والأدلّة على إثبات نفعه في ذلك، وحسن خاتمة أمره، وعاقبة حاله، لما قنع منه الطفل، فلا بدّ للأب حينئذٍ أن يتحيّل في رفع استيحاش الطفل من المكتب، واستيناسه إلى ذلك بإكرامه وإعزازه، والمشي معه على مذاق الأطفال، وتهيئة بعض المأكولات من قبيل الحلوى وأمثاله، ويحببه بالألبسة الفاخرة، ويوعده إنجاز مراداته حتّى يميل الطفل تدريجيّاً إلى ذلك، فإذا أذاق مشربه وعرف مطلبه، والتذّ بفهم الحقائق، وفاز بإدراك الحكم والدقائق، صار لا يرتدع عن شغله بأشدّ السياسات، آخذاً في إتعاب بدنه بالرياضات، وعنّى نفسه بالمجاهدات.

---

(١) الشاهين: طائر من جنس الصقر.

. . . .

فحال هذا الإنسان المغرور كحال ذاك الطفل والحيوان العادم الشعور في بدء الحال، حيث لم يجد فضيلة وكمالاً ولذّة ومنفعة في غير المأكل والملابس والسفاد والدرهم والدينار والخيل والحشم، ولم يفهم تلك الرموز، ولا يهتدي إلى هاتيك الكنوز، لعكوفه على الحظوظ الدنيّة، وانهماكه في اللذّات البدنيّة، فالكريم المطلق، والحليم اللّايزال دعاه إلى باب كرمه، وأوعد بإنجاز إرادته، فلعلّ العبد يتوجّه إليه بهذه الوسيلة ومن كثرة الدعوات والتوسّلات والمناجاة يفوز بالقرب إليه، ويجد لذّة المناجاة مع قاضي الحاجات، ويعرض عن المخلوق في كافّة أُموره، ويتوجّه في إنجاحها إلى من بيده أزِمّتها.

فانظر إلى كرم الباري تعالى ولطفه على العباد كيف قرّبهم إلى ساحة كبريائه، وأنت أيّها الجاهل تشكّ في الإجابة، ويتأثّر قلبك من تأخيرها ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾[1]. أما علمت أنّ أصل الدعاء والمسألة هي بنفسها عبادة مستقلّة قد حصل في ضمنها العبوديّة لله عزّ وجلّ، والمحاورة مع مالك الملوك، ووطئت برجلك بساط قرب جبّار السموات، وجعلته أنيساً لك ومحرماً لسرّك.

وسمعت بإذن اليقين والإيمان، تلبية الجواب من عرش الرحمن، ولو فهمت معنى المناجاة ولذّته، وسمعت تلك المسامرات الخفيّة بإذن قلبك، وأدركت تلك الملائمات والملاطفات من المحبوب الحقيقي، وإقباله عليك حين التضرّع والدعاء، لنسيت جميع آمالك، وغفلت حتّى عن نفسك، فانظر لو عسر عليك الدخول على مجلس السلطان، ثمّ حصلت لك رخصة بإشارة منه بطرف عينه كيف

---

(١) العاديات ١٠٠: ٦.

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجاءَ،

تنسى جميع حوائجك، فهيهات هيهات كفى فخراً للجسم المخلوق من التراب، أن يؤذن في المكالمة مع ربّ الأرباب، وعرض حاجاته عليه، وأودع مفاتيح رحمته إلى لسانه.

وبالجملة:

«كس در اين درگه نيامد باز گردد نا اميد

گر گدا كاهل بود تقصير صاحب خانه چيست»

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ: في الحديث: «**أعوذ بك من الذنوب التي تنزل البلاء**»(١)، وهي كما جاءت به الرواية عن سيّد الساجدين عليه السلام: «**ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»(٢).

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجاءَ: وفي الحديث: «**أعوذ بك من الذنوب التي تقطع الرجاء**»، وقد فسّرها عليه السلام باليأس من رَوح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعده(٣).

ويناسب المقام ذكر نبذة من الآيات والأخبار المتضمّنة لرحمة الله تعالى على عباده.

---

(١) مصباح المتهجّد: ٥٧٢. تهذيب الأحكام: ٩٥/٣. إقبال الأعمال: ٣٣٤/١.

(٢) مجمع البحرين: ١٥٥/٢.

(٣) مجمع البحرين: ٢٤٨/١.

. . . .

قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[١]، وقال سبحانه: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٢].

وفي الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قطّ على قلب أحد حتّى أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه**»[٣].

وروي في الكافي عنه صلى الله عليه وآله، قال: «**لولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا، ثمّ يستغفروا الله فيغفر لهم**»[٤].

ونقل الشيخ أبو حامد الغزالي في الإحياء عن الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه كان يقول لأصحابه: «**أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عزّ وجلّ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ﴾، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله قوله سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾**[٥]، أراد عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يرضى وواحد من أُمّته في النّار»[٦].

---

(١) الرعد ١٣: ٦.

(٢) الزمر ٣٩: ٥٣.

(٣) حسن الظنّ بالله / ابن أبي الدنيا: ٩٩، الحديث ٩٤. الكامل / ابن عديّ: ٣١٧/٥. كنز العمّال: ٢٤٤/٤، الحديث ١٠٣٥٩.

(٤) الكافي: ٤٢٤/٢، الحديث ١. تحف العقول: ٣٩. شرح أُصول الكافي: ١٤٨/١٠ و ١٥٣. بحار الأنوار: ٤٢/٦ و: ٥٧/٧٠، الحديث ٢٨.

(٥) الضحى ٩٣: ٥.

(٦) إحياء علوم الدين: ١٤٧/٤. تهذيب إحياء علوم الدين: ٢١٦/٢. تفسير الثعالبي: ⇦

. . . .

وروي عن صفوان بن مهران الجمّال أنّه قال: «دخلت على الصادق عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، سمعتك تقول: **شيعتنا في الجنّة**، وفي الشيعة أقوام يذنبون، ويرتكبون الفواحش، ويشربون الخمر، ويتمتّعون في دنياهم؟

فقال: **نعم، هم أهل الجنّة، إنّ الرجل من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلى بسقم أو مرض، أو بدَينٍ، أو بجارٍ يؤذيه، أو بزوجة سوء، فإن عوفي من ذلك شدّد الله عليه النزع حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه.**

فقلت: لا بدّ من ردّ المظالم؟

فقال: **إنّ الله عزّ وجلّ جعل حساب خلقه يوم القيامة إلى محمّد وعليّ، فكلّ ما كان من شيعتنا حسبناه من الخمس في أموالهم، وكلّما كان بينهم وبين خالقهم استوهبناه لهم حتّى لا يدخل أحد من شيعتنا النّار**»[١].

يقول المؤلّف: إنّ في آخر كتاب الوافية[٢] الذي هو من تصانيف الشيخ الأجلّ إبراهيم بن سليمان القطيفي رحمه الله ثمانية عشر حديثاً بهذا المضمون، وممّا يؤيّد هذه الأحاديث ما رواه الشيخ ابن بابويه القمّي في كتاب عيون المجالس بإسناد ينتهي إلى الرضا، عن آبائه الكرام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عزّ وجلّ أنّه قال تعالى: «**ولاية عليّ بن أبي طالب حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**»[٣].

⇨ ٦٠١/٥. شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري: ٥٦/١ و: ٦٤/٢. ملحقات إحقاق الحقّ: ٢٠٠/١٢.

(١) عوالي اللآلي: ٣٤٥/١، الحديث ١٢٢. بحار الأنوار: ١١٤/٦٨، الحديث ٣٣. كتاب الأربعين / الشيخ الماحوزي: ١٠٥.

(٢) اسمه «الوافية في تعيين الفرقة الناجية».

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٤٦/١، وفي طبعة: ١٣٦/٢، الحديث ١. الأمالي: ٣٠٦، ⇦

. . . .

ويزيده تأييداً ما ينسب إلى الإمام السيّد السجّاد عليه السلام :

وما فاز من فاز إلّا بنا … وما خاب من حبّنا زاده

ومن سرّنا نال منّا السرور … ومن ساءنا ساء ميلاده[١]

ولنِعم ما قيل بالفارسيّة :

دارم از لطف ازل منظر فردوس طمع … گرچه در بانی میخانه فراون کردم

سایهٔ بر دل ریشم فکن ای گنج مراد … که من این خانه بسودای تو ویران کردم

فإن قيل : إنّ بإزاء هذه الأخبار أخبار متعدّدة دالّة على أنّ الشيعي هو الذي يعمل التقوى ويتّصف بالورع .

قلنا : الجواب لا بدّ من الجمع بين الأخبار لامتناع صدور التناقض من المعصوم عليه السلام ، فيحمل الأخبار الدالّة على اشتراط التقوى والورع وأمثالهما في التشيّع على التشيّع الكامل ، والأخبار المذكورة على غير الكامل ، ونظير هذا الحمل ما قيل في تأويل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[٢] أنّ المراد من الإيمان هو الإيمان الكامل لعدم اشتراط الخوف والزيادة المذكورَين في الآية في أصل الإيمان ، ولعلّنا نتعرّض لتفصيل الكلام بأزيد من ذلك في مقام أنسب .

⇦ الحديث ٩ . معاني الأخبار : ٣٧١ ، الحديث ١ .

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢٩٥/٣ . بشارة المصطفى : ١٧٩ . كشف الغمّة : ٣٥٤/٢ . بحار الأنوار : ٩١/٤٦ و ٢٧١ .

(٢) الأنفال ٨ : ٢ .

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا : الذنب : الإثم ، والجمع ذنوب .

ذكر أنواع من الذنوب :

واعلم أنّ الذنوب تتنوّع إلى ماليّة وبدنيّة ، والبدنيّة إلى قوليّة وفعليّة ، والفعليّة تختلف باختلاف الآلات التي تفعل بها ، إلى غير ذلك .

فمنها : ما يغيّر النعم .

ومنها : ما ينزل النقم .

ومنها : ما يقطع الرجاء .

ومنها : ما يحبس الدعاء .

ومنها : ما ينزل البلاء ، وقد ذكرنا تفسيرها ، فمن جملة الذنوب أيضاً ما تحبس غيث السماء ، وقد فسّرت في الحديث[١] بجور الحكّام ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، ومنع الزكاة ، والمعاونة على الظلم ، وقساوة القلب على الفقراء .

ومنها : ما يكشف الغطاء ، أي الستر ، وهي كما وردت بها الرواية عنهم عليهم السلام الاستدانة بغير نيّة الوفاء ، والإسراف في النفقة في الباطل ، والبخل على الأهل والولد ، وسوء الخلق ، وقلّة الصبر ، والكسل ، والضجر ، والاستهانة بأهل الدين[٢] .

ومنها : ما يظلم الهواء ، وهي كما جاءت به الرواية : السحر ، والكهانة ، والإيمان

---

(١) معاني الأخبار : ٢٧١ .

(٢) معاني الأخبار : ٢٧١ . مجمع البحرين : ٣١٨/٣ .

. . . .

بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين[١].

ومنها: ما يورث الندم، وفسّرت في الرواية بقتل النفس التي حرّم الله، وترك صلة الرحم حين يقدر، وترك الوصيّة، وردّ المظالم، ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت[٢].

ومنها: ما يدفع القِسَم، أعني الحصّة والنصيب، وهي كما في الرواية عنهم عليهم السلام: إظهار الافتقار، والنوم عن صلاة العتمة، وعن صلاة الغداة، واستحقار النعم، وشكوى المعبود تعالى[٣].

وروي عنهم عليهم السلام: «**إنّ جميع الذنوب منحصرة في أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والشهوة، والغضب**»[٤]، ثمّ الأخطاء هو فوت الصواب بغير عمد. يقال: خطأ إذا أثم، وأخطأ إذا فاته الصواب.

أقسام الخطيئة:

والخطيئة كالحسنة تنقسم إلى ما هو خطيئة بأصل الشرع، كشرب الخمر، وإلى ما يصير خطيئة بالنيّة والعزم؛ كالأكل للتقوى على المعصية ـ مثلاً ـ.

---

(١) معاني الأخبار: ٢٧١. وسائل الشيعة: ٣٧٣/١١، الحديث ٦ و: ٢٨٢/١٦، الحديث ٨. بحار الأنوار: ٢٧٤/٥٨، الحديث ٦٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧٠. مجمع البحرين: ٢٨٨/٤.

(٣) معاني الأخبار: ٢٧٠، الحديث ٢. عدّة الداعي: ١٩٩. وسائل الشيعة: ٢٨١/١٦، الحديث ٨.

(٤) مجمع البحرين: ١٠٦/٢.

. . . .

وإلى خطيئة الجوارح ، وخطيئة القلوب ؛ كالجهل والشرك الخفي ، وكالعزم على قتل مسلم وعلى سرقة ماله ، وغيرهما من المعاصي ، مع عدم الظفر عليها ، وكلّ منهما إلى الكبيرة والصغيرة ، واختلفت آراء الأكابر في الكبائر على أقوال شتّى ، وليس على شيء منها دليل يطمئنّ به القلب ، ولعلّ المصلحة في إخفائها اجتناب المعاصي كلّها مخافة الوقوع فيها ، نظير إخفاء ليلة القدر ، والصلاة الوسطى .

اختلاف آراء الأكابر في الكبائر:

وبالجملة : فقال قوم : هي كلّ ذنب توعّد الله عليه بالعقاب في الكتاب العزيز ، وقال بعضهم : هي كلّ ذنب رتّب عليه الشارع حدّاً أو صرّح فيه بالوعيد ، وقالت طائفة : هي كلّ معصية يؤذن بقلّة اكتراث فاعلها بالدين ، وقال آخرون : كلّ ذنب علم حرمته بدليل قاطع ، وقيل : كلّما توعّد عليه توعّداً شديداً في الكتاب أو السنّة .

وعن ابن مسعود أنّه قال : « اقرأوا من أوّل سورة النساء إلى قوله تعالى : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾[1] ، فكلّ ما نهي عنه في هذه السورة إلى هذه الآية فهو كبيرة »[2] .

وقال جماعة : « الذنوب كلّها كبائر لاشتراكها في مخالفة الأمر والنهي ، لكن قد يطلق الصغير والكبير على الذنب ، بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته ، فالقبلة صغيرة بالنسبة إلى الزنا ، وكبيرة بالنسبة إلى النظر بشهوة »[3] .

---

(١) النساء ٤: ٣١.

(٢) مجمع البحرين : ١٠/٤.

(٣) مجمع البحرين : ١٠/٤.

. . . .

قال الشيخ أمين الإسلام أبو علي الطبرسي طاب ثراه في مجمع البيان ـ بعد نقل هذا القول ـ: « وإلى هذا ذهب أصحابنا رضي الله عنهم ، فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبيرة [من حيث كانت قبائح]، لكنّ بعضها أكبر من بعض ، وليس في الذنوب صغيرة ، وإنّما تكون صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ، ويستحقّ العقاب عليه أكثر »[١] ، انتهى كلامه .

وقال قوم : إنّها سبع : الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرّم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والزنا ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين[٢] .

ورووا في ذلك حديثاً عن النبيّ ﷺ ، وزاد بعضهم على ذلك ثلاثة عشر اُخرى : اللواط ، والسحر ، والربا ، والغيبة ، واليمين الغموس ، وشهادة الزور ، وشرب الخمر ، واستحلال الكعبة ، والسرقة ، ونكث الصفقة ، والتعرّب بعد الهجرة ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله .

وقد يزاد أربعة عشر اُخرى : أكل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما اُهلّ به لغير الله من غير ضرورة ، والسحت ، والقمار ، والبخس في الكيل والوزن ، ومعونة الظالمين ، وحبس الحقوق من غير عسر ، والإسراف ، والتبذير ، والخيانة ، والاشتغال بالملاهي ، والإصرار على الذنب[٣] .

وهذه الأربعة عشر منقولة في عيون الأخبار عن مولانا الرضا عليه السلام[٤] ، فهذه عشر

---

(١) مجمع البيان : ٣/٧٠ . مجمع البحرين : ٤/١٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٨٨/٢٥ .

وروي نحوه في الكافي : ٢/٢٨١ . ثواب الأعمال : ١٣٠ . مشكاة الأنوار : ٢٧٢ .

(٣) ذخيرة المعاد / المحقّق السبزواري : ٢/٣٠٤ .

(٤) عيون أخبار الرضا : ١/١٣٤ .

. . . .

أقوال نقلها شيخنا البهائي ﷺ، وقال بعد ذلك: «ثمّ لا يخفى أنّ كلام الشيخ الطبرسي مشعر بأنّ القول بأنّ الذنوب كلّها كبائر متّفق عليه بين علماء الإماميّة، وكفى بالشيخ ناقلاً:

إذا قالت حذام فصدّقوها فإنّ القول ما قالت حذام[١]

لكن صرّح بعض أفاضل المتأخّرين منهم بأنّهم مختلفون، وأنّ بعضهم قائل ببعض الأقوال السابقة، ونسب هذا القول إلى رئيس الطائفة الشيخ المفيد وابن البرّاج والمحقّق محمّد بن إدريس والشيخ أبي علي الطبرسي رضوان الله عليهم.

وتحقيق المرام يقتضي نمطاً آخر من الكلام[٢].

في أنّ الصغيرة قد تكبر:

تنبيه: اعلم أنّ الصغيرة قد تكبر بأسباب منها: الإصرار والمواظبة.

قال الصادق عليه السلام: «**لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار**»[٣].

مثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توالي، فتؤثّر فيه، وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة لم يؤثّر.

---

(١) نقله عنه الشيخ البحراني في الحدائق الناضرة: ١٠/٥٢.

(٢) نقله المازندراني ـ عن الأربعين للبهائي ـ في شرح أُصول الكافي: ٩/٢٦٠، وكذا الملّا هادي السبزواري في شرح الأسماء الحسنى: ١/٣٤.

(٣) الكافي: ٢/٢٨٨، الحديث ١. مجمع البيان: ٢/٣٩٥. مسالك الأفهام: ١٤/١٦٨. مجمع الفائدة والبرهان: ١٢/٣١٩. وسائل الشيعة: ١٥/٣٣٨، الحديث ٣.

. . . .

وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]: «**الإصرار أن يذنب فلا يستغفر، ولا يحدّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار**»[2].

ومنها: أن يستصغر الذنب، فإنّ العبد كلّما استعظمه من نفسه صغر عند الله، وكلّما استصغره كبر عند الله.

قال الصادق عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتّقوا المحقّرات من الذنوب، فإنّها لا تغفر.**

قيل: وما المحقّر؟

قال: **الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك**[3]»[4].

والأخبار بهذا المضمون كثيرة.

ومنها: السرور بالصغيرة، والتبجّح بها، وإعداد التمكّن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، فكلّما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة، وعظم أثرها في تسويد قلبه، فإنّ الذنوب مهلكات، وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمد عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسّف بسبب غلبة العدوّ

---

(١) آل عمران ٣: ١٣٥.

(٢) الكافي: ٢/٢٨٨، الحديث ٢. تفسير الصافي: ١/٣٨٢. وسائل الشيعة: ١٥/٣٣٨، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ١/٢٨٢ و: ٩/٢٨١.

(٣) أي: غير ذلك الذنب.

(٤) الكافي: ٢/٢٨٧، الحديث ١. مشكاة الأنوار: ٢٧٣. بحار الأنوار: ٧٣/٣٤٥، الحديث ٢٩. وسائل الشيعة: ١٥/٣١٠، الحديث ١.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ ،

عليه ، وبسبب بعده من الله .

ومنها : التهاون بستر الله عليه ، وحلمه عنه ، وإمهاله إيّاه ، ولا يدري أنّه يمهل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً .

ومنها : أن يأتي بالذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه ، أو يأتي به في مشهد غيره ، فإنّ ذلك جناية منه على ستر الله الذي أسدله عليه ، وتحريك لرغبة الشرّ فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله ، فهما جنايتان انضمّتا إلى جنايته فتغلّظت به ، فإن إنضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه ، والحمل عليه ، وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة ، وتفاحش الأمر ، وهذا لأنّ من صفات الله سبحانه ونعمه أنّه يظهر الجميل ، ويستر القبيح ، ولا يهتك الستر ، فالإظهار كفران لهذه النعمة .

ومنها : أن يكون المذنب عالماً يقتدى به ، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه ، كلبس العالم الإبريسم والذهب ، وأخذه مال الشبهة ، وإطلاق اللسان في الأغراض ، ونحو ذلك ، فهذه ذنوب يتّبع العالم عليها فيموت ويبقى شرّه مستطيراً في العالم ، فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه .

فعلى العالم وظيفتان : إحداهما ترك الذنب ، والآخر إخفاءه ، وكما يتضاعف أوزاره ، فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا تبع .

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ : المراد من القرب إليه القرب إلى نعمه وألطافه وبرّه وإحسانه ، لا قرب الذات والمكان ؛ لأنّ ذلك من صفات الأجسام ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

أمّا **الذّكر** فيحتمل فيه وجوه :

. . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾:

الأوّل: أن يكون المراد به الصلاة، كما قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾[(١)] أنّ المعنى أقم الصلاة لذكرها؛ لأنّه إذا ذكرها، فقد ذكر الله تعالى.

وفي الحديث: «**الصلاة قربان كلّ تقيّ**»[(٢)]، أي الأتقياء من النّاس يتقرّبون بها إلى الله تعالى، أي يطلبون القرب منه بها.

الثاني: أن يكون المراد به مطلقاً العبادة الذكريّة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ **اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً** ﴾[(٣)]. إنّ الذكر يشمل: الصلاة، وقراءة القرآن، والحديث، وتدريس الصلاة، ومناظرة العلماء.

الثالث: أن يكون المراد بالذكر هو استحضار أسمائه الحسنى وصفاته العليا في صورة قلبه الذي هو المقصد الأصلي، والغرض الأوّلي من كثرة المسألات منه تعالى، وإنزال الحاجات ببابه، وإناخة رواحل المطالب بفنائه، ولذا ذكر بعض أهل المعرفة أنّ الإنسان في الدعاء والمسألة من الله تعالى ينبغي أن ينظر من طرف خفي إلى صقع الربوبيّة، وتذكّره الحقيقي أن يجعل الدعاء والمسألة ذريعة ومقدّمة للذكر لا أن يتذكّر من باب المقدّمة والذريعة لقضاء الحاجة، ولذا أمر موسى عليه السلام أن يطلب من جنابه المقدّس كلّ ما يحتاج إليه حتّى ملح طعامه إذ كلّ ما يجلب إلى جانبه

---

(١) طه ٢٠: ١٤.

(٢) الكافي: ٢٦٥/٣، الحديث ٦. من لا يحضره الفقيه: ٢٠١/١، الحديث ٦٣٧. تحف العقول: ١١٠ و ٢٢١. خصائص الأئمّة عليهم السلام: ١٠٣. وسائل الشيعة: ٤٣/٤، الحديث ١.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٤١.

. . . .

فهو مطلوب حسن .

ولهذا ورد من المعصوم عليه السلام : «**فوت الحاجة أحبّ إليّ من طلب الحاجة**»[١] .

والأدعية المأثورة لدرك المطالب ونيل المآرب كثيرة ، وما أحسن ما قيل :

أجدُ الملامةَ في هواك لذيذة ... حبّاً لذكرك فليلمني اللوّمُ[٢]

وقيل بالفارسيّة :

سر رشتهٔ دولت اى برادر مگذار ... دين عمر گرامى بخسارت مگذار

يعنى همه جا با همه كس در همه كار ... مى‌دار نهفته چشم دل جانب يار

﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ**﴾[٣] .

ترجيح الذكر على سائر العبادات:

تنبيه: أهل الذكر أفضل أم العبادات الأُخر ؟ الحقّ الأوّل ؛ لأنّ الصلاة أفضل القربات ، وعمود الدين للنصوص ، ولأنّها عبادة جامعة لفنون الطاعات ، والذكر

---

(١) تحف العقول : ٣٥٩ . نهج البلاغة : ١٥/٤ ، رقم ٦٦ . وسائل الشيعة : ٤٤٢/٩ ، الحديث ١٣ . بحار الأنوار : ٦٢/٧٦ ، الحديث ٢ . شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ٣٢/١ و : ١١٤/٢ .

(٢) قائله : محمّد بن رزين بن سليمان ، الملقّب بـ«أبي الشيص» . انظره في : الأغاني : ٤٠٢/١٦ . البداية والنهاية : ٢٥٩/١٠ .

(٣) النور ٢٤ : ٣٧ .

. . . .

أفضل منها لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ (١)، ولأنّه غاية لها، والغاية أشرف. قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (٢)، ولأنّ كلّ صلاة فيها ذكر، والأعمّ أشرف، ولأنّه يجوز حيث لا يجوز الصلاة، ولا يرخّص فيها، كالذكر عند التخلّي، والذكر بدل الفرائض للحائض، وغير ذلك، فمعلوم أنّه عمدة على كلّ حال لا يجوز الإخلال به.

والحقّ سبحانه لم يصف القربات الأُخر بالكثرة، كالذكر، كما قال: ﴿ **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ** ﴾ (٣).

وهل الذكر الإخفائي أفضل أم الجهري؟

والحقّ هو الأوّل لكونه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، والإخلاص هو العمدة في كلّ باب.

نعم، في الذكر الجهري حسن من وجه بشرط أن يصفو من الرياء، وهو أنّه يتنزّل من القلب إلى الخيال، ثمّ من الخيال إلى اللسان، ثمّ يصعد إلى الصماخ (٤)، ومنه إلى الخيال ومنه إلى القلب، فعاد إلى ما بدأ فيتأثّر ثانياً، وتحصل حركة دوريّة على وفق الحركة الدوريّة الفلكيّة، وهما تحكيان قوسي النزول والصعود.

وهل الذكر القلبي مجوّز أم لا؟ فيه إشكال، ولعلّ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ**

---

(١) العنكبوت ٢٩: ٤٥.

(٢) طه ٢٠: ٤١.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٣٥.

(٤) **الصِماخ**: قناة الأُذن التي تفضي إلى طبلته.

وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلىٰ نَفْسِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ ،

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ يدلّ على الأوّل ؛ إذ لو كان المراد الذكر الجهري أو الإخفائي ، فالصلاة مشتملة عليهما ، ولعلّ لفظ الإلهام في قول سيّد الساجدين عليه‌السلام : « **وألهمنا الذكر الخفيّ** » مشعر بذلك أيضاً ، وكذا قوله تعالى : ﴿ **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ** ﴾[١] يدلّ عليه ، ولكن في ظاهر الشرع لا بدّ من الإعراب عمّا في الضمير وللمذكور محامل[٢] .

وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلىٰ نَفْسِكَ : لأنّ كثرة ذنوبي ، وعظيم جرائمي وعيوبي أوجبت لي اليأس والقنوط من رحمتك بحيث لا تقبل في حقّي شفاعة الشافعين ، فلا حيلة لي في التمسّك بعفوك عن ذنوبي ، وإدخالك إيّاي في سعة من رحمتك إلّا الاستشفاع بك ، وهذا من باب خادعت كريماً فانخدع .

وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ :

معنى القرب إلى الله تعالى:

اعلم أنّ القرب من جانب العبد إلى الله تعالى إنّما يتصحّح بالتخلّق بأخلاقه تعالى ، والاتّصاف بصفاته ، وهذا هو القرب المطلوب في العبادات الأركانيّة والقلبيّة ، ولولاه لم يعبأ بها .

وحاصل معنى هذه الفقرة : هو طلب الداعي من الله أن يقرّبه إلى التخلّق بأخلاقه ، ويدنيه إلى ذلك .

---

(١) البقرة ٢ : ٢٨٤ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ١٨٣/١ ـ ١٨٤ .

وَأَنْ تُوزِعَني شُكْرَكَ،

وَأَنْ تُوزِعَني: أي تلهمني.

شُكْرَكَ: اقتباساً من قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ** ﴾[١]... إلخ.

والشكر ـ في اللغة ـ: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم، ومورده الثلاثة أعني: اللسان والأركان والجنان.

وفي الاصطلاح: صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى عليه إلى ما خلق لأجله، كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته، والسمع إلى تلقّي ما ينبئ عن مرضاته، والتوقّي بالاستعانة بها عن معصيته، حتّى أنّ شكر العينين أن تستر كلّ عيب تراه بمسلم، ومن شكر الأُذنين أن تستر كلّ عيب تسمعه لمسلم، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء.

بل نقول: ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس أيضاً، فالإبصار إنّما يتمّ بهما، وإنّما خلقا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه، ويتّقي بهما ما يضرّه فيهما.

بل نقول: المراد من خلق الأرض والسماء وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله، ولا وصول إليه إلّا بمحبّته، والأُنس به في الدنيا، والتجافي عن غرور الدنيا، ولا أُنس إلّا بدوام الذكر، ولا محبّة إلّا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلّا ببقاء البدن، ولا يبقى البدن إلّا بالأرض والماء والهواء والنّار، ولا يتمّ ذلك إلّا بخلق الأرض والسماء، وخلق سائر الأعضاء، وكلّ ذلك لأجل البدن، والبدن مطيّة النفس، والراجع إلى الله،

---

(١) النمل ٢٧: ١٩.

. . . .

وهي المطمئنّة بطول العبادة والمعرفة ، فكلّ من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ منها لإقدامه على تلك المعصية .

قال الله تعالى : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾[(١)] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ** ﴾[(٢)] .

وعن الصادق عليه السلام قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الطاعم الشاكر ، له من الأجر كأجر الصائم المحتسب ، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر ، والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع** »[(٣)] .

وعنه عليه السلام ، قال : « **من أُعطي الشكر أُعطي الزيادة ، قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾**[(٤)] »[(٥)] .

وعنه عليه السلام ، قال : « **ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه**[(٦)] **، وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه ، حتّى يؤمر له بالمزيد** »[(٧)] .

---

(١) سبأ ٣٤ : ١٣.

(٢) النساء ٤ : ١٤٧.

(٣) قرب الإسناد : ٧٤ ، الحديث ٢٣٧. الكافي : ٢/٩٤ ، الحديث ١. ثواب الأعمال : ١٨٢. تحف العقول : ٣٦٤. وسائل الشيعة : ١٦/٣١٠ ، الحديث ٤.

(٤) إبراهيم ١٤ : ٧.

(٥) المحاسن / البرقي : ١/٣ ، الحديث ١. الكافي : ٢/٦٥ ، الحديث ٦ و : ٩٥ ، الحديث ٨. الخصال : ١٠١ ، الحديث ٥٦. روضة الواعظين : ٣٢٥.

(٦) أي : عرف قدر النعمة وعظمتها ، وأنّها من الله تعالى .

(٧) الكافي : ٢/٩٥ ، الحديث ٩. بحار الأنوار : ٧١/٤٠ ، الحديث ٢٨.

. . . .

وعن الباقر عليه السلام ، قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها ، فقالت : يا رسول الله ، لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟

فقال صلى الله عليه وآله : يا عائشة ، أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أصابع رجليه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[1] »[2].

وعن الصادق عليه السلام : « شكر المنعم اجتناب المحرّمات ، وتمام الشكر قول الرجل : الحمد لله ربّ العالمين »[3].

وسئل صلى الله عليه وآله : هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكراً ؟

قال : نعم .

قيل : ما هو ؟

قال : يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهلٍ ومال ، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه » .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾[4]، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[5]، وقوله : ﴿ رَّبِّ

---

(١) طه ٢٠ : ١ و ٢ .

(٢) الكافي : ٩٥/٢ ، الحديث ٦ . مشكاة الأنوار : ٧٦ . وسائل الشيعة : ٤٩٠/٥ ، الحديث ٢ .

(٣) مشكاة الأنوار : ٧١ . بحار الأنوار : ٤٠/٧١ ، الحديث ٢٩ . مستدرك الوسائل : ٣١٢/٥ ، الحديث ١٥ .

(٤) الزخرف ٤٣ : ١٣ .

(٥) المؤمنون ٢٣ : ٢٩ .

. . . .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[1] [2].

وعنه عليه‌السلام ، قال : «كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله إذا ورد عليه أمر يسرّه قال : الحمد لله على هذه النعمة ، وإذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال : الحمد لله على كلّ حال»[3].

وعن الباقر عليه‌السلام قال : «إذا ذكر أحدكم نعمة الله فليضع خدّه على التراب شكراً لله ، فإن كان راكباً فلينزل وليضع خدّه على التراب ، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خدّه على قربوسه ، فإن لم يقدر فليضع خدّه على كفّه ثمّ ليحمد الله على ما أنعم الله عليه»[4].

في بلوغ حدّ الشكر :

وقال بعض العارفين : اعلم أنّه لا يبلغ أحد حقيقة الشكر إلّا بأن يعلم أنّ النعم كلّها من الله ، وأنّ الشكر أيضاً نعمة من الله تحتاج إلى شكر آخر ، وهكذا[5].

قال الصادق عليه‌السلام : «فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه‌السلام : يا موسى ، اشكرني حقّ شكري ، فقال : يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به

---

(١) الإسراء ١٧ : ٨٠.

(٢) الكافي : ٢/٩٦ ، الحديث ١٢. بحار الأنوار : ٧١/٢٩ ، الحديث ٧.

(٣) الكافي : ٢/٩٧ ، الحديث ١٩. مشكاةالأنوار : ٧٠. وسائل الشيعة : ٣/٢٤٧ ، الحديث ٤.

(٤) الكافي : ٢/٩٨ ، الحديث ٢٥. وسائل الشيعة : ٧/١٩ ، الحديث ٣. بحار الأنوار : ٧١/٣٥ ، الحديث ٢٠.

(٥) ورد نحوه في : عدّة الداعي : ٢٢٥. تفسير الميزان : ١٦/٢١٥.

. . . .

إلّا وأنت أنعمت به عليّ ؟ !

قال : يا موسى ، الآن شكرتني حيث علمت أنّ ذلك منّي »[١].

وعن السجّاد عليه السلام ، قال : « كان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾[٢] يقول : سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها ، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه .

فشكره تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن شكره ، فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً ، كما علم علم العالمين بأنّهم لا يدركونه ، فجعله إيماناً ، علماً منه أنّه قد وسع العباد ، فلا يتجاوز ذلك ، فإنّ شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته ، وكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له ولا كيف ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً »[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال : « إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات : اللّهمّ ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا ربّ حتّى ترضى ، وبعد الرضا ، فإنّك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة »[٤].

---

(١) الكافي : ٩٨/٢ ، الحديث ٢٧ . مشكاة الأنوار : ٧١ . الجواهر السنيّة : ٤١ . بحار الأنوار : ٣٥١/١٣ ، الحديث ٤١ .

(٢) إبراهيم ١٤ : ٣٤ .

(٣) الكافي : ٣٩٤/٨ ، الحديث ٥٩٢ . تحف العقول : ٢٨٣ . شرح أُصول الكافي : ٥٧١/١٢ . الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ٢٥ ، الدعاء ٦ .

(٤) الكافي : ٩٩/٢ ، الحديث ٢٨ . بحار الأنوار : ٣٦/٧١ ، الحديث ٢٣ .

وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ.

فصل

طريق تحصيل الشكر:

الطريق إلى تحصيل الشكر: المعرفة والتفكّر في صنائعه تعالى، والنظر إلى الأدنى في الدنيا، وإلى الأعلى في الدين، ويشكر في المصائب على أن لا يصيبه أكبر منها، وأن لا تكون في الدين، وأن تعجّل عقوبته ولا تدّخر للآخرة، وأنّها كانت آتية ففرغ منها، وأنّ ثوابها خير له، وأنّها تنقص من القلب حبّ الدنيا، فهي في التحقيق نعم أو لا تخلو عن تكفير الخطيئة، أو رياضة النفس، أو رفع الدرجة، ومع ذلك كلّه فالعافية خير من البلاء.

فعن النبيّ ﷺ أنّه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، وكان يقول هو والأنبياء والأوصياء عليهم السلام: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[1]، وكان يستعيذ من شماتة الأعداء، وقال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله العافية، فما أُعطي عبدٌ أفضل من العافية إلّا اليقين**»[2]، وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشكّ، فإنّ عافية القلب أعلى من عافية البدن.

وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ: على الدوام، أو في أكثر الأوقات مع حضور القلب، وهو غاية ثمرة العبادات.

---

(١) البقرة ٢: ٢٠١.

(٢) السنن الكبرى / النسائي: ٢٢١/٦، الحديث ١٠٧٢٠. مسند أبي يعلى: ١٢٣/١. تهذيب الكمال: ٣٥٤/٤. الدرّ المنثور: ٣٥١/٣.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ مُتَضَرِّعٍ ، أَنْ تُسامِحَني

الكلام في الذكر:

وللذكر أوّل وآخر ، فأوّله يوجب الأُنس والحبّ ، وآخره يوجب الأنس والحبّ ، والمطلوب منه في هذه الفقرة من الداعي ذلك الأُنس ، فإنّ العبد في بداية الأمر يكون متكلّفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى ، فإن وفّق للمداومة أنس به ، وانغرس في قلبه حبّ المذكور ، ومن أحبّ شيئاً أكثر ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وإن كان متكلّفاً أحبّه ، ثمّ إذا حصل الأُنس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله ، وما سوى الله يفارقه عند الموت ، ولا يبقى إلّا ذكر الله ، فإن كان قد أنس به تمتّع به ، وتلذّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ؛ إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصدّ عن ذكر الله ، ولا يبقى بعد الموت عائق ، فكأنّه خلّي بينه وبين محبوبه ، فعظمت غبطته ، وتخلّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أُنسه ، وهذا الأُنس يتلذّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله ، ويترقّى من الذكر إلى اللقاء .

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ مُتَضَرِّعٍ: قد عرفت معنى كلّ واحد من الخضوع والتذلّل والخشوع ، والأصل في هذا الكلام : أسألك سؤال عبد خاضع ، فحذف الموصوف ـ أعني عبداً ـ وأُقيمت الصفة مقامه .

أَنْ تُسامِحَني: بفتح الهمزة وسكون النون موصول حرفي تنصب المضارع ، نحو : ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[1] ، أي : صومكم خير لكم ، ونظيره ما نحن فيه ، أي اسألك المسامحة ، أي المساهلة ، من قولهم : تسامحوا ، أي : تساهلوا .

---

(١) البقرة ٢: ١٨٤.

وَتَرْحَمَني ، وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً ،

وَتَرْحَمَني ، وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً: القِسم : جمع قِسم ـ بالكسر ـ: وهو الحصّة والنصيب[١] ، الراضي والقانع بمعنى ، وكرّر لضرب من التأكيد واختلاف اللفظ . قال الشاعر : « وألقى قولها كذباً وميناً »[٢] .

قال الجوهري : « القانع : الراضي بما قسم له ، والقناعة الرضا بالقسم ، وأقنعني بكذا ، أي : أرضاني »[٣] .

في حقيقة الرضا:

اعلم أنّ الرضا عبارة عن ترك الاعتراض والسخط . قال الله تعالى : ﴿ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[٤] .

وعن النبيّ ﷺ أنّه سأل طائفة من أصحابه : **ما أنتم ؟**

فقالوا : مؤمنون .

فقال : **ما علامة إيمانكم ؟**

قالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء .

فقال : **مؤمنون وربّ الكعبة**[٥] .

---

(١) مجمع البحرين : ٥٠٥/٣ . شرح أُصول الكافي : ٤٢/٩ .

(٢) القائل هو عديّ بن زيد ، انظر أحكام القرآن / الجصّاص : ٢٢٩/٢ ، والبيت هكذا:

وقددت وإن الأديم لراهشيه   كما وألقى قولها كذباً ومينا

(٣) الصحاح : ١٢٧٣/٣ ـ ١٢٧٤ .

(٤) المائدة ٥ : ١١٩ .

(٥) التمحيص : ٦١ ، الحديث ١٣٧ . مسكّن الفؤاد : ٧٩ . المحجّة البيضاء : ١٠٧/٧ .

. . . .

وفي خبر آخر قالوا: «**حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء**»[١].

وعن السجّاد عليه السلام: «**الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله عزّ وجلّ له فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خير له**»[٢].

وعن الباقر عليه السلام: «**أحقّ خلق الله أن يسلم لما قضى الله، من عرف الله، ورضي بالقضاء أتى عليه القضاء، وعظّم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره**»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «**إنّ أعلم النّاس بالله أرضاهم بقضاء الله**»[٤].

وعنه عليه السلام: «**إنّ فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى بن عمران، ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإنّي إنّما أبتليه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضى بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري**»[٥].

وعن الكاظم عليه السلام: «**ينبغي لمن يعقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه، ولا يتّهمه في قضائه**»[٦].

---

(١) البداية والنهاية: ١٠٩/٥. السيرة النبويّة / ابن كثير: ١٨١/٤. معجم قبائل العرب: ١٧/١.

(٢) الكافي: ٦٠/٢، الحديث ٣. شرح أُصول الكافي: ١٩٩/٨.

(٣) الكافي: ٦٢/٢، الحديث ٩. شرح أُصول الكافي: ٢٠٢/٨.

(٤) الكافي: ٦٠/٢، الحديث ٢. التمحيص: ٦٠، الحديث ١٣٠.

(٥) التوحيد: ٤٠٥، الحديث ١٣. التمحيص: ٥٥، الحديث ١٠٨.

(٦) الكافي: ٦١/٢، الحديث ٥. التمحيص: ٦٣، الحديث ١٤٢.

وَفي جَمِيعِ الأَحْوالِ مُتَواضِعاً.

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة، والراحة من الهموم، وفي المآل رضوان الله، والنجاة من غضبه، فقد قال الله سبحانه: «**من لم يرض بقدري وقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليطلب ربّاً سواي**»[١].

بيان طريق تحصيل الرضا:

تنبيه نبيه: والطريق إلى تحصيله: أن يعلم أنّ ما قضى الله سبحانه له فهو الأصلح بحاله، وإن لم يبلغ علمه بسرّه، ولا مدخل اللّهمّ فيه، ولا يتبدّل القضاء به، فإنّ ما قدّر يكون، وما لم يقدّر لم يكن، وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت، فلا فائدة، وتبقى تبعة السخط، بل ينبغي أن يدهشه الحبّ عن الإحساس بالألم كما للعاشق والحريص، وأن يهوّن عليه العلم بجزالة الثواب الشدّة كما للمريض والتاجر المتحمّلين شدّة الحجامة والسفر، فيفوّض أمره إلى الله، إنّ الله بصير بالعباد.

وَفي جَمِيعِ الأَحْوالِ مُتَواضِعاً: أي متذلّلاً، كما ورد في الحديث: «**ما تواضع أحد لله إلّا رفعه**».

قال بعض الشارحين: فيحتمل رفعه في الدنيا وفي الآخرة، وفي كليهما[٢].

ثمّ اعلم أنّ التواضع من الأخلاق العالية التي قد كثر طلبها من الله في كلام الأئمّة عليهم السلام في أدعيتهم، ومن جملة الأخلاق العالية: معاشرة الإخوان،

---

(١) كنز الفوائد: ١٦٨ و ١٦٩. مسكّن الفؤاد: ٢٣. شرح أُصول الكافي: ١/٢٢٢.

(٢) مجمع البحرين: ٤/٥١٥.

. . . .

والتواضع لهم، وودّهم، وكذلك التعظيمات المتعارفة من القيام والانحناء وغيرهما ممّا جرت به عادة زماننا، وإن لم يكن من السلف لدلالة العمومات عليه. قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[١]، وقال ﷺ: « **لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً** »[٢].

استحباب تعظيم المؤمن بالقيام له:

فعلى هذا يجوز القيام والتعظيم بالانحناء وشبهه، وربّما وجب إذا أدّى تركه إلى التباغض والتقاطع، أو إهانة المؤمن، ويكفي في إثبات ذلك ما رواه صاحب كتاب «رياض الأبرار في مناقب الكرّار»[٣] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: « **من رأى واحداً من أولادي ولم يقم له تعظيماً له قد جفاني، ومَن جفاني فهو منافق** »[٤].

وروي أيضاً عن سلمان الفارسي، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: « **من رأى واحداً من أولادي ولم يقم له قياماً كاملاً تعظيماً له ابتلاه الله ببلاء ليس له دواء** »[٥].

---

(١) الحجّ ٢٢: ٣٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٩٤/٢ و: ٢٢٥/٣. الموطّأ: ٩٠٧/٢، الحديث ١٤. صحيح البخاري: ٨٨/٧ و ٩١ و: ٨/٨. الأربعون حديثاً / ابن زهرة: ٢٢. القواعد والفوائد / الشهيد الأوّل: ١٦٠/٢. بحار الأنوار: ٣٨/٧٦. مستدرك الوسائل: ٩٧/٩، الحديث ١٠٣٢٩.

(٣) فارسي، مؤلّفه: كمال الدين فتح الله بن هبة الله بن عطاء الله الحسني الحسيني الشامي العاملي، انظر: تكملة أمل الآمل: ٣١٨، رقم ٣٠٢. إيضاح المكنون: ٥٩٩/١. الذريعة: ٣١٥/١١، رقم ١٩١١.

(٤) مستدرك سفينة البحار: ٦٣١/٨، نقلاً عن روضات الجنّات.

(٥) مستدرك سفينة البحار: ٦٣١/٨، نقلاً عن روضات الجنّات.

. . . .

مضافاً إلى ذلك كلّه ما قد صحّ أنّ النبيّ ﷺ قام لفاطمة عليها السلام ، وقام لجعفر لمّا قدم من الحبشة ، وقال للأنصار: « **قوموا إلى سيّدكم** »[1].

ونقل إنّه ﷺ قام لعكرمة بن أبي جهل لمّا قدم من اليمن فرحاً بقدومه[2] ، وأمّا ما ورد في النبويّ : « **من أحبّ أن يتمثّل له النساء والرجال قياماً فليتبوّء مقعده من النّار** »[3] ، وما نقل عنه ﷺ أنّه كان يكره أن يقام له ، فكان إذا قدم لا يقومون لعلمهم كراهته ذلك ، فإذا فارقهم قاموا حتّى يدخل منزله ، لما يلزمهم من تعظيمه ، فيمكن حمله على تمثّل الرجال قياماً على ما تعارف فعله للجبابرة من إلزامهم النّاس بالقيام حال جلوسهم إلى أن ينقضي مجلسهم لا مثل هذا القيام المخصوص ، وأمّا كراهته ﷺ فتواضع لله أيضاً ، وتخفيف على أصحابه ، وكذا ينبغي للمؤمن أن لا يحبّ ذلك ، وأن يؤاخذ نفسه بمحبّته له إذا مالت نفسه إليه ، ولأنّ الصحابة كانوا يقومون كما جاء في الحديث.

حكم المصافحة:

وأمّا المصافحة فهي من السنّة المؤكّدة ، وقد أفرد الكليني رحمه الله لها باباً مستقلاً في

---

(١) الهداية / الصدوق: ٣٧. المقنع / الصدوق: ٤٣. القواعد والفوائد / الشهيد الأوّل: ١٦٠/٢. الفروق / القرافي: ٢٥٣/٤. عوالي اللآلي: ٤٣٤/١. نضد القواعد الفقهيّة / المقداد السيوري: ٢٧٣. بحار الأنوار: ٣٨/٧٦. مستدرك الوسائل: ١٥٩/٩ ، رقم ٢٠.

(٢) القواعد والفوائد: ١٦١/٢. نضد القواعد الفقهيّة: ٢٧٣. عوالي اللآلي: ٤٣٤/١. بحار الأنوار: ٣٨/٧٦. مستدرك الوسائل: ١٥٩/٩ ، الحديث ٢٠.

(٣) القواعد والفوائد: ١٦١/٢. نضد القواعد الفقهيّة: ٢٧٣. اللمعة البيضاء / الأنصاري: ٥٤٦ ، وفيه: « يتمثّل له الناس ».

. . . .

أصول الكافي[1]، ولا بأس بذكر خبر واحد منها، وهو ما رواه بإسناده عن مالك الجهني، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**يا مالك، أنتم شيعتنا، ألا ترى أنّك تفرط في أمرنا، إنّه لا يقدر على صفة الله، وكما لا يقدر على صفة الله كذلك لا يقدر على صفتنا، وكما لا يقدر على صفتنا كذلك لا يقدر على صفة المؤمن. إنّ المؤمن ليلقى المؤمن فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحاتّ عن وجوههما كما يتحاتّ الورق عن الشجر حتّى يفترقا، فكيف يقدر على صفة من هو كذلك**»[2].

وهذا الخبر يدلّ على مدح مالك لأنّه يدلّ على أنّه كان مظهراً للتشيّع مذعناً به، بل يدلّ على أنّه مفرط في مدح الأئمّة الكرام عليهم السلام، وكأنّ من ضعّف روايته من الفقهاء رحمهم الله قد غفل عن الحديث؛ ولذا عدّه غير واحد من المتأخّرين من الموثّق.

حكم المعانقة:

وأمّا المعانقة فكذلك، كما في الكافي أيضاً بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام، قالا: «**أيّما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة منه حسنة، ومحا عنه سيّئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثمّ باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبديَّ تزاورا وتحابّا فيَّ، حقّ عليَّ أن لا أعذّبهما بالنّار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيّعته ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء**

---

(١) الكافي: ٢/١٧٩.

(٢) الكافي: ٢/١٨٠، الحديث ٦. بحار الأنوار: ٧٦/٢٦، الحديث ١٦. شرح أصول الكافي: ٩/٥٨.

. . . .

الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل ، فإن مات فيما بينهما أُعفي من الحساب ، وإن كان المزور يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور كان له مثل أجره »[١].

وقال شيخنا الشهيد ﴿ في القواعد : « وأمّا المعانقة فجائزة أيضاً ، لما ثبت من معانقة النبيّ ﷺ جعفراً ، واختصاصه به غير معلوم ، وفي الحديث : أنّه قبّل ما بين عيني جعفر ﷺ مع المعانقة »[٢] ، انتهى .

تقبيل الجبهة :

وأمّا تقبيل الجبهة فكذلك أيضاً . قال الصادق ﷺ : « **إنّ لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتّى أنّ أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النور من جبهته** »[٣] .

تقبيل اليد :

وأمّا تقبيل اليد وإن تعارف في كلّ الأعصار إلّا أنّه روي عن الصادق ﷺ أنّه قال : « **لا يقبّل رأس أحد ولا يده إلّا رسول الله ﷺ أو من أُريد به رسول الله ﷺ** »[٤] ، والكلام فيمن أُريد به رسول الله ﷺ قيل : الظاهر أنّ المراد به الأئمّة المعصومين ﷺ ،

---

(١) الكافي : ٢/١٨٣ ، الحديث ١ . شرح أُصول الكافي : ٩/٦٣ .

(٢) القواعد والفوائد : ٢/١٦٣ .

(٣) نضد القواعد الفقهيّة : ٢٧٥ . ومثله عن أبي الحسن ﷺ في عوالي اللآلي : ١/٤٣٦ .

(٤) الكافي : ٢/١٨٥ ، الحديث ٢ . عوالي اللآلي : ١/٤٣٥ ، الحديث ١٤٣ . وسائل الشيعة : ١٢/٢٣٤ ، الحديث ٣ . بحار الأنوار : ٧٦/٣٧ ، الحديث ٣٥ . شرح أُصول الكافي : ٩/٦٥ ، الحديث ٢ .

. . . .

فإنّهم نوّابه وقوّامه.

ويدلّ عليه رواية السابري، قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فتناولت يده فقبّلتها، فقال عليه السلام: **أما إنّها لا تصلح إلّا لنبيّ أو وصيّ نبيّ**»[١]، وقيل: المراد من انتسب إليه انتساباً صوريّاً، وهم مطلق أولاد فاطمة عليها السلام الصلحاء الأخيار، وقيل: المراد به مطلق الانتساب، فيندرج تحته الانتساب المعنوي كانتساب العلماء والمجتهدين إليه، فإنّهم قد ورثوا ميراثه الذي هو العلم ومعرفة أحكام شريعته، وقاموا بالأمر بعده، فهم يؤلون إليه مآلاً معنويّاً روحانيّاً، فهم أولاده الروحانيّون، وكذلك الأولياء الكاملون والحكماء المتألّهون والمقتبسون من مشكاة أنواره، سواء سبقوه بالزمان أو لحقوه، ولا شكّ أنّ هذه النسبة آكد من النسبة الحقيقيّة، وإذا اجتمع النسبتان كان نوراً على نور، كما في الأئمّة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

قال بعض الأساطين من أصحاب الكمال كلاماً يناسب هذا المقام، وهو أنّه كما حرم على الأولاد الصوريّين الصدقة الصوريّة حرم على الأولاد المعنويّين الصدقة المعنويّة، أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف[٢].

هذا ملخّص كلامه، وهو ممّا يستوجب أن يكتب بالتبر على الأحداق، لا بالحبر على الأوراق.

---

(١) الكافي: ١٨٥/٢، الحديث ٣. عوالي اللآلي: ٤٣٥/١، الحديث ١٤٤. نضد القواعد الفقهيّة: ٢٧٤، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ٢٣٤/١٢، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ٦٥/٩، الحديث ٣.

(٢) مجمع البحرين: ١٣٤/١. شرح الزيارة الجامعة / عبدالله شبّر: ٤٠.

. . . .

وكيف كان فالرواية الثانية مع جهالة سندها ليست بصريحة في الحرمة ، بل ظاهرة في الكراهة .

حكم تقبيل الرجل :

وأمّا تقبيل الرجل ، فقد ورد النهي عنه عن الصادق عليه السلام ، قال الطريحي في المجمع في مادّة قسم ما لفظه : « ومنه حديث التقبيل ، فقلت : جعلت فداك ، رجلاك ! فقال : أقسمت أقسمت أقسمت ، وبقي شيء وبقي شيء وبقي شيء ، قال رحمه الله : ولعلّ المراد بقوله : أقسمت ، أي حلفت لا أُعطي رجلي للتقبيل ، والتكرار للتوكيد ، وقوله عليه السلام : « وبقي شيء » ، لعلّ المراد منه التقبيل بين العينين ، كما وردت به الرواية ، والتكرار للتوكيد كسابقه ، والله أعلم » ، انتهى [١] .

وفيه تصريح بجواز تقبيل ما بين العينين ، كما ذكرنا .

تقبيل الفم :

وأمّا القبلة للفم ، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه « **ليس القبلة على الفم إلّا للزوجة والولد الصغير** » [٢] .

آداب زيارة الأئمّة عليهم السلام :

ثمّ المناسب للمقام ذكر آداب زيارة الأئمّة عليهم السلام :

---

(١) مجمع البحرين : ٣/٥٠٥ .

(٢) الكافي : ٢/١٨٦ ، الحديث ٦ . تحف العقول : ٤٠٩ . شرح أُصول الكافي : ٩/٦٦ . نضد القواعد الفقهيّة : ٢٧٥ ، الحديث ٤ .

. . . .

فأحدها: الغسل قبل دخول المشهد، والكون على طهارة، حتّى لو أحدث أعاد الغسل، كما قاله المفيد رحمه الله، وإتيانه بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة نظيفة جدد[١].

وثانيها: الوقوف على بابه والدعاء والاستئذان بالمأثور، فإن وجد خشوعاً ورقّة دخل، وإلّا فالأفضل له تحرّي زمان الرقّة؛ لأنّ الغرض الأهمّ حضور القلب، فإذا دخل قدّم رجله اليمنى، وإذا خرج فباليسرى.

وثالثها: الوقوف على الضريح ملاصقاً، وتوهّم أنّ البعد أدب وهم، فقد نصّ على الاتّكاء على الضريح وتقبيله.

ورابعها: استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة، ثمّ يضع عليه خدّه الأيمن عند الفراغ من الزيارة ويدعو متضرّعاً، ثمّ يضع خدّه الأيسر ويدعو سائلاً من الله تعالى بحقّه وبحقّ صاحب القبر أن يجعله من أهل شفاعته، ويبالغ في الدعاء، ثمّ ينصرف إلى ما يلي الرأس، ثمّ يستقبل القبلة ويدعو.

وخامسها: الزيارة بالمأثور، ويكفي السلام والحضور.

وسادسها: صلاة ركعتين للزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبيّ صلى الله عليه وآله، ففي الروضة، وإن كان لأحد الأئمّة عليهم السلام فعند رأسه، ولو صلّاهما بمسجد المكان جاز.

جواز صلاة الزيارة إلى قبر المعصوم عليه السلام:

ورويت رخصة صلاتهما إلى القبر، كما صرّح به في الدروس، ولو استدبر القبر

---

(١) المقنعة: ٤٩٤.

. . . .

وصلّى جاز، وإن كان غير مستحسن إلّا مع البعد.

وسابعها: الدعاء بعد الركعتين بما نقل.

وثامنها: تلاوة شيء من القرآن عند الضريح وإهداؤه إلى المزور.

وتاسعها: إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع.

وعاشرها: الصدقة على الخدمة وإكرامهم وإعظامهم، فإنّ فيه إكرام صاحب المشهد عليه‌السلام، وينبغي لهؤلاء أن يكونوا من أهل الخير والصلاح والدين والمروّة.

حادي عشرها: أنّه إذا انصرف من الزيارة إلى منزله استحبّ له العود إليها ما دام مقيماً، فإذا حان الخروج ودّع ودعا بالمأثور[١].

حكم تقبيل الأعتاب:

وأمّا تقبيل الأعتاب، فلم نقف به على نصّ يعتدّ به، كما صرّح به شيخنا الشهيد رحمه‌الله في دروسه، ولكن عليه الإماميّة[٢]، ويحرم السجود لغير الله تعالى، فإنّه غاية الخضوع، فيختصّ بمن هو في الكبرياء والعظمة، وسجدة الملائكة لم تكن لآدم بل كان قبلة لهم، كما في الرواية، والتاريخ كما أنّ سجدة يعقوب عليه‌السلام وولده لم يكن ليوسف عليه‌السلام بل لله تعالى شكراً، حيث رأوا ما أعطاه الله من الملك، فما يفعله سواد الشيعة من صورة السجدة عند قبر أمير المؤمنين وغيره من الأئمّة عليهم‌السلام مشكل جدّاً، ولو سجد الزائر ونوى بالسجدة الشكر لله تعالى على بلوغه

---

(١) ذكر هذه الآداب الشهيد الأوّل في الدروس الشرعيّة: ٢/٢٢ ـ ٢٤.

(٢) الدروس: ٢/٢٥.

. . . .

تلك البقعة كان أوْلى .

ولعلّ بهذا الاعتبار يصحّ ما يفعله بعض الأُمراء في مجلس العلماء أيضاً إذا كان غرضهم بذلك إظهار الفرح بما أنعم الله عليه من التوفيق لخدمته ، بل أقول بهذا الاعتبار : يمكن تصحيح ما يفعل مثل ذلك في مجلس بعض سلاطين الشيعة إذا كان الفاعل قصد الشكر لله بما أنعم عليه من إعلاء الحقّ وإطفاء نائرة الباطل بوجوده .

وأمّا المنقول عن المفيد ﷺ من أنّه لا يجوز الدخول في حرم الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام ، بل يزار من ظاهر الشبابيك ، ومنع من دخول الدار[١] .

وعن الشيخ أبي جعفر الطوسي أنّه هو الأحوط ؛ لأنّها ملك الغير ، ولا يجوز التصرّف فيها إلّا بإذنه[٢] ، فهو بعيد جدّاً في غاية البعد لما قاله في الدروس من أنّه لو دخله أحد لم يكن مأثوماً ، وخاصّة إذا تأوّل في ذلك ما روي عنهم عليهم السلام أنّهم جعلوا شيعتهم في حلّ من مالهم ، فتدبّر .

قبلة الخدّ :

وأمّا القبلة على الخدّ فجائزة ، كما في الخبر المروي في الكافي بإسناده إلى أبي الحسن عليه السلام ، قال : « **من قبّل للرحم ذا قرابة فليس عليه شيء ، وقبلة الأخ على الخدّ ، وقبلة الإمام بين عينيه** »[٣] ، قوله : « للرحم » أي لا للشهوة والأغراض الباطلة ،

---

(١) المقنعة : ٤٨٦ . الدروس : ٢/١٥ .

(٢) تهذيب الأحكام : ٦/٩٤ .

(٣) مسائل عليّ بن جعفر : ٣٤٣ ، الحديث ٨٤٤ . الكافي : ٢/١٨٦ ، الحديث ٥ . مشكاة الأنوار : ٣٥٣ . شرح أُصول الكافي : ٩/٦٦ ، الحديث ٥ .

اللّٰهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدائِدِ

وقبلة الأخ أي النسبي أو الإيماني، وقبلة الإمام الظاهر أنّه إضافة إلى المفعول، وقيل إلى الإمام، أي قبلة الإمام عليه السلام ذا قرابته بين العينين، وكأنّه ذهب إلى ذلك لفعل النبيّ صلى الله عليه وآله بجعفر عليه السلام، ولا يخفى ما فيه[١].

عدم جواز السجود لغير الله:

وأمّا السجدة فلا تجوز لغير الله تعالى مطلقاً، وإن كانت بنيّة التعظيم للأنبياء عليهم السلام لانعقاد الإجماع على حرمتها مطلقاً، وأيضاً يدلّ عليه الأحاديث الكثيرة:

منها: قول أمير المؤمنين عليه السلام على ما روي مخاطباً للجاثليق الذي أراد سجدته عليه السلام «**اسجد لله تعالى ولا تسجد لي**»، وقال بعد ذلك ما حاصله: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لو جاز السجدة لغير الله تعالى لأمرت أن تسجد المرأة لزوجها»، ونحو ذلك، فيكون السجدة لغير الله تعالى كفراً أو فسقاً[٢].

اللّٰهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ: من الشدّة، يعني من بلغ فقره واحتياجه إلى درجة الشدّة، وهو كناية عن الحثّ في الطلب، فإنّ السائل كلّما ازداد فقره واشتدّت حاجته بالغ في الإلحاح والطلب.

وَأَنْزَلَ بِكَ: وحدك لا بك وبغيرك، فيكون قصر إفراد، أو بك لا بغيرك بدلك، فيكون قصر قلب.

عِنْدَ الشَّدائِدِ: جمع الشدّة، سواء كانت دنيويّة أم اُخرويّة.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٠/٧٦، الحديث ٣٨.

(٢) انظر: المصنّف / ابن أبي شيبة: ٤٠٩/٢، الحديث ٢. أحكام النساء / الشيخ المفيد: ٣٩. مدينة المعاجز: ٥٠/٢، الحديث ٣٩٦. الأنوار العلويّة / جعفر النقدي: ٢٥٧.

حَاجَتَهُ ، وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ. اللّٰهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ ، وَعَلَا مَكَانُكَ ، وَخَفِيَ مَكْرُكَ ،

حَاجَتَهُ: لأنّك منتهى حوائج العباد ، فإذا قنطوا في قضاء حوائجهم من غيرك فزعوا إليك .

وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ: من الثواب الجزيل ، والأجر الجميل .

رَغْبَتُهُ: من قولك : رغبت في الشيء كسمع ، يرغب رغبة إذا حرص عليه وطمع فيه .

اللّٰهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ: لأنّك والي مملكة الوجود .

وَعَلَا مَكَانُكَ: المراد من العلوّ هي الفوقيّة العقليّة ، أعني الإحاطة التامّة بجميع المخلوقات من دون تباعد منهم بأن يترتّب الدرجات إلى أن ينتهي إليه سبحانه حتّى يكون نسبة الأشياء إليه متفاوتة في القرب والبعد ، بل هو سبحانه محيط بجميع الأشياء لا يخلو عنه مكان مع أنّه ليس في شيء من المكان ، وهذا هو المراد من قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، والمتعالي عن الخلق بلا تباعد منهم في خطبته التي تعجّب النّاس من حسن صفته ، وما ذكر من تعظيم الله جلّ جلاله .

وَخَفِيَ مَكْرُكَ: المكر من غير الله خبث وخداع ، ومن الله استدراجه العبد من حيث لا يعلم .

معنى الاستدراج:

قال في القاموس : « استدرجه خدعه ، واستدراج الله تعالى للعبد أنّه كلّما جدّد

. . . .

خطيئة جدّد له نعمة وأنساه الاستغفار، فيأخذه قليلاً قليلاً، ولا يباغته، يعني يفاجئه، من البغتة، وهي الفجأة[١].

وفي الحديث: «**إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة، ويذكّره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٢]»[٣].

وإن أردت التحقيق فنقول: قد ثبت في العلوم العقليّة أنّ تكرّر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة، فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثمّ أعطاه الله مراده، فحينئذٍ يصل الطالب إلى مطلوبه، وذلك موجب لحصول اللذّة، وهو يزيد في الميل فيوجب مزيد السعي، ولا يزال يتأدّى كلّ واحد منهما إلى الآخر، وتتقوّى كلّ هاتين الحالتين درجة فدرجة، ومعلوم أنّ الاشتغال بهذه اللذّات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف، فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة إلى أن يتكامل، فهذا هو الاستدراج.

في الفرق بين الاستدراج والكرامة:

والفرق بينه وبين الكرامة التي خصّها الله أولياءه المقرّبين، وعباده المكرّمين، إنّ صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهورها يصير خوفه من الله تعالى

---

(١) نقله عنه الطريحي في مجمع البحرين: ٢/٢١.

(٢) الأعراف ٧: ١٨٢.

(٣) الكافي: ٢/٤٥٢، الحديث ١. علل الشرائع: ٢/٥٦١، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٠١، الحديث ١. مجمع البحرين: ٢/٢١.

وَظَهَرَ أَمْرُكَ ، وَغَلَبَ قَهْرُكَ ، وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ ،

أشدّ ، وحذره من قهر الله أقوى ، فإنّه يخاف أنّ ذلك من باب الاستدراج .

وأمّا صاحب الاستدراج فإنّه يستأنس بذلك ، ويظنّ أنّه إنّما وجدت تلك الكرامة لأنّه كان مستحقّاً لها ، وحينئذٍ يستحقر غيره ويتكبّر عليه ، ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ، ولا يخاف من سوء العاقبة ، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دلّ ذلك على أنّها كانت استدراجاً لا كرامة ، ولهذا قال المحقّقون أكثر ما اتّفق من الانقطاع عن حضرة الله تعالى إنّما وقع في مقام الكرامات ، فلا جرم تراهم يخافون من الكرامة كما يخافون من أنواع البلاء .

وفي الحديث : «**كم من مستدرج يستر الله عليه**»[١] .

وفي الدعاء : « لا تستدرجنا بجهلنا »[٢] .

وَظَهَرَ أَمْرُكَ : الظهور بمعنى الغلبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ** ﴾[٣] ، فأصبحوا ظاهرين ، أي غالبين ، والمعنى أنّ أمرك وحكمك غالب ونافذ ، لا رادّ لحكمك ، ولا ناقض لأمرك ، ولا سيّما التكويني منهما .

وَغَلَبَ قَهْرُكَ : والقهر هنا عبارة عن إفناء الكلّ بالفناء السرمدي ، والحكم على الكلّ بالهلاك الذاتي والعدم الحقيقي .

وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ : في الممكنات كلّها بحيث لا يمتنع عليك شيء منها ، كما تقدّم لك تفصيل ذلك كلّه بما لا مزيد عليه .

---

(١) مجمع البحرين : ٢١/٢.

(٢) مجمع البحرين : ٢٢/٢.

(٣) الصفّ ٦١ : ١٤.

وَلَا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ. اللّٰهُمَّ لَا أَجِدُ لِـذُنُوبِي غَـافِراً، وَلَا لِـقَبائِحي سَاتِراً، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِيَ الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ،

وَلَا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ: إلّا إليك؛ لأنّك العزيز المقتدر الذي لا ملجأ ولا مهرب ولا منجى منه؛ لأنّ الكلّ مملكتك، ولا يردّ حكومتك، ولا يدفع عقوبتك إلّا برحمتك، كما نقل أنّه ذكر عند أمير المؤمنين عليه السلام قول أفلاطون الإلهي: الأفلاك قسي، والحوادث سهام، والإنسان هدف، والله هو الرامي، فأين المفرّ؟ فقال عليه السلام: **ففرّوا إلى الله**»[1].

اللّٰهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِراً، وَلَا لِقَبائِحي سَاتِراً، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِيَ الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ: فإنّك غافر الذنب، وقابل التوب، تستر القبيح، وتظهر الجميل.

كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون عليه، ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بالمعصية أرخى الله على مثاله ستراً لئلا يطّلع عليه الملائكة**»، وهذا تأويل «يا من أظهر الجميل، وستر القبيح»[2].

ولذا لم تبرز ملكات الأشقياء الكامنة بصورها المناسبة، حيث إنّ الإنسان بحسب باطنه كجنس تحته أنواع أربعة: الملك والشيطان والسبع والبهيمة.

فإذا غلب عليه العلم والعمل الصالح صار ملكاً، كما إذا غلبت عليه الشيطنة

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري: ٦٥/٢.

(٢) المصدر المتقدّم: ٩١/١. مجمع البحرين: ١٠١/٣.

. . . .

والنكرى صار شيطاناً جنّياً ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الْإِنْسِ ﴾[١]. ولذا قال صاحب كتاب إخوان الصفا على ما حكي عنه أنّ النفوس السعيدة إذا فارقوا الأبدان صاروا ملائكة، والنفوس الشقيّة إذا فارقوها صاروا شياطين وأجنّة. وكما إذا غلب عليه الغضب والشهوة صار سبعاً وبهيمة.

قال المولوي:

أي دريـــده اسـتين يـوسفان	**گرگ برخيزى ازين خواب گران**
كشته گرگان هر يكى خوهاى تو	**ميدرانند از غضب اعضاى تـو**
باش تا از خواب بيدارت كنند	**در نـهاد خـود گـرفتارت كـنند**

وقال الشيخ العطّار النيشابوري:

در نـهاد هـر كسـى بس خـوك هست	**خـوك بـايد كشت يـا زنـار بست**[٢]

وقال شيخنا البهائي ﷺ في الأربعين: «والعجب منك أنّك تنكر على عبّاد الأصنام عبادتهم لها، ولو كشف الغطاء عنك وكوشفتَ بحقيقة حالك، ومثّل لك ما يمثّل للمكاشفين، إمّا في النوم أو اليقظة، لرأيتَ نفسك قائماً بين يدي خنزير، مشمّراً ذيلَك في خدمته، ساجداً له مرّة وراكعاً أُخرى، منتظراً لإشارته وأمرِه، فمهما طلب الخنزير شيئاً من شهواته، توجّهتَ على الفور إلى تحصيل مطلوبه، وإحضار مشتهياته، ولأبصرتَ نفسك جاثياً بين يدي كلبٍ عقورٍ عابداً له، مطيعاً لما يلتمسه، مدقّقاً للفكر في الحيل الموصلة إلى طاعته، وأنت بذلك ساعٍ فيما يرضي

---

(١) الأنعام ٦: ١٢٨.

(٢) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري: ٩١/١.

. . . .

الشيطان ويسرّه ، فإنّه هو الذي يهيّج الخنزير والكلب ، ويبعثهما على استخدامك ، فأنت من هذا الوجه عابد للشيطان وجنوده ، ومندرج في المخاطبين المعاتبين يوم القيامة بقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[(١)] »[(٢)].

توجيه تبديل العمل القبيح بالحسن:

وأمّا تبديل العمل القبيح بالحسن ، فيجوز أن يكون إشارة إلى ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾[(٣)] ، أي الصلوات الخمس تكفّر ما بينهما من الذنوب ، كما روي عن عليّ عليه السلام ، قال : « **سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله **يقول : أرجى آية في كتاب الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾[(٤)] ، وقرأ الآية كلّها .**

يا عليّ ، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ أحدكم ليقوم في وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب ، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أُمّه ، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتّى عدّ الصلوات الخمس .

ثمّ قال : يا عليّ ، إنّما منزلة الصلوات الخمس لأُمّتي كنهر جارٍ على باب أحدكم ، فما يظنّ أحدكم لو كان في جسده درن ثمّ اغتسل من ذلك النهر خمس مرّات في اليوم

---

(١) يس ٣٦ : ٦٠ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري : ١/٩١ ـ ٩٢ . الأربعون حديثاً / البهائي : ٨٨ .

(٣) و (٤) هود ١١ : ١١٤ .

. . . .

أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأُمّتي»[(١)].

ويجوز أن يكون إشارة إلى ما رواه مسلم في الصحيح، عن أبي ذرّ في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[(٢)]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه، ونحّوا عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وهو مقرّ لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كلّ سيّئة عملها حسنة، فيقول: إنّ لي ذنوباً ما أراها هاهنا!**

قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتّى بدت نواجده»[(٣)].

ويجوز أن يكون إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا**﴾[(٤)]، كما ورد في بعض الأخبار، فتكون هذه الفقرة حينئذٍ أبلغ ممّا جاء في الحديث مروياً، كما عن معاني الأخبار للصدوق بإسناده إلى هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «**كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: ويل لمن غلبت آحاده أعشاره.**

فقلت: وكيف هذا؟

---

(١) تفسير العيّاشي: ٢/١٦١، الحديث ٧٤. عوالي اللآلي: ٢/٢٤، الحديث ٥٤. بحار الأنوار: ٨٢/٢٢٠، الحديث ٤١. مستدرك الوسائل: ٣/٤٠، الحديث ٢.

(٢) الفرقان ٢٥: ٧٠.

(٣) صحيح مسلم: ١/١٧٧. عوالي اللآلي: ١/١٢٤، الحديث ٥٦. تأويل الآيات: ١/٣٨٢، الحديث ١٩. تفسير البرهان: ٣/١٧٦، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٧/٢٨٦ و: ٧١/٣٣٢.

(٤) الأنعام ٦: ١٦٠.

. . . .

فقال: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ ، فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشراً ، والسيّئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة ، فنعوذ بالله ممّن يرتكب في يوم واحد عشر سيّئات ولا تكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيّئاته »[١] .

ووجه الأبلغيّة معلوم من حيث إنّ غلبة السيّئات على الحسنات فرع لثبوت أصل الحسنة .

في معنى الإحباط وأقسامه :

ويجوز أن يكون إشارة إلى الإحباط بالمعنى الذي قال به العدليّة من أصحابنا الإماميّة وأبو هاشم ، وهو أنّ الإحباط الموازنة ، وهو أنّه ينتفي الأقلّ بالأكثر ، وينتفي من الأكثر بالأقلّ ما ساواه ، ويبقى الزائد مستحقّاً وإن تساويا صار كأن لم يكن ، ولا ينبغي الارتياب في صحّة الإحباط بهذا المعنى لدلالة الآيات والأخبار عليه ، وكأنّ من نفاه من بعض أصحابنا المتأخّرين بعد المحقّق الطوسي في هذا ، فإنّه قد نفاه مطلقاً استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[٢] ونظائرها من الآيات والأخبار .

وأنت عند التأمّل ترى انطباق هذه الآيات مع تلك ، فإنّ رواية ما عمل لا ينافي الإحباط بذلك المعنى لتحقّقها معه لأنّه يرى خير ما عمل حيث إنّه دفع عنه جزء من

---

(١) معاني الأخبار: ٢٤٨ ، الحديث ١. وسائل الشيعة: ١٠٣/١٦ ، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٢٤٣/٧١ ، الحديث ٧.

(٢) الزلزلة ٩٩: ٧ و٨.

لَا إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ

العذاب الذي استحقّه بفعل المعاصي، ويرى شرّ ما عمل حيث إنّه منعه عن الترقّي إلى درجات الصالحين ومجاورة المقرّبين، وأمّا فائدة وضع الموازين، ووزن أعمال الصالحين والفاسقين، فلعلّ من فوائده اطّلاعهم على كمّيّة أعمالهم وكيفيّاتها، حتّى لا يظنّ أحد الظلم على ذلك الجناب، وبعد ما يرون الأعمال بأعينهم يعاملهم بالإحباط بما قلناه.

هذا وأكثر المعتزلة على أنّ معنى الإحباط إسقاط الثواب المتقدّم بالمعصية المتأخّرة، وتكفير الذنوب المتقدّمة بالطاعات المتأخّرة، والجبّائي على أنّ المتأخّر يسقط المتقدّم، ويبقى هو على حاله(١).

ولا ريب أنّ الإحباط بهذين المعنيين باطل على قواعد العدليّة، كما صرّح به غير واحد من الأفاضل.

لَا إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ: أي لا معبود إلّا أنت، ويلزمه أن لا واجب، بل لا موجود حقيقيّاً إلّا أنت.

بيان ذلك: أنّ لكلّ موجود حتّى الأُمور المستحقرة نصيباً من العبوديّة لكونه محتاجاً إليه في النظام الكلّي، فللمحتاج تذلّل له، ولذلك كثير من الأشياء اتّخذت أصناماً كالشمس والقمر والنجوم والنّار والماء وأمثالها، حتّى الكلب والخنزير، جسمانيّة كانت أو غيرها، نحو كلب الغضب وخنزير الشهوة، قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ** ﴾(٢)، وقال: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ**

---

(١) كتاب الشهادات الأوّل / الگلپايگاني: ٦٨.

(٢) الجاثية ٤٥: ٢٣.

. . . .

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، بل بهذا الاعتبار لا شيء إلّا وقد تذلّل له وعبد، فعند طلوع نور الحقيقة واكتحال بصيرة القلب بنور وارد منه ينكشف أن لا معبود ولا متذلّل إليه في الوجود إلّا هو، وأنّ جميع ما عداه من المجازات باطل مضمحلّ ما خلا وجهه الكريم، ولنِعم ما قيل في هذا المقام:

عارف حق‌شناس را بايد   كه بهر سو كه ديده بگشايد

در حوايج خداى را بيند   جز شهود خداى نگزيند

ثمّ إنّ إيثار كلمة أنت التي للحضور؛ لأنّ هنا مقامات، ففي مقام لا يرى الذاكر في نفسه ولا في غيره إلّا السرابيّة والفقر والفاقة والعبوديّة المحضة، وإنّ ماهيّة العبد وما في يدها من الوجود وكمال الوجود لمولاها. وحينئذٍ يقول: يا هو، يا من هو، يامن لا إلـه إلّا هو، وفي مقام يرى أنّ الحقّ حقيقة الوجود، وهو الحاضر الشهيد على كلّ شيء، وهو المحيط بكلّ الوجودات والمهيّات، وبه خرجت المهيّات عن استواء الوجود والعدم، وصارت واجبة بالغير أحديّة الوجه.

خصائص كلمة التوحيد:

وحينئذٍ يقول: «لا إلـه إلّا أنت» بل لا أنت إلّا أنت، قيل: ومن هنا وقع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في فاتحة الكتاب إيماءً إلى أنّ القارئ ينبغي أن يكون حاله هكذا، ولذا كان من أسماء سورة الفاتحة سورة تعليم المسألة.

ثمّ اعلم انّه روى الصدوق ﵀ في التوحيد؛ بإسناده عن أبي سعيد الخدري،

---

(١) يس ٣٦: ٦٠.

. . . .

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما قلت، وما قال القائلون قبلي مثل لا إلٰه إلّا الله**»[1]، أي ما قلت أنا ولا قالوا كلمة تامّة الإفادة للتوحيد، ومقالة مستوفاة الدلالة على التفريد مثل تلك الكلمة الشريفة، والمقالة المنيفة؛ لأنّها أتمّ في تلك الإفادة، وأدلّ شيء في هذه الدلالة، وأكمل في تركيب الكلمة، لأنّها صريحة الحصر لاشتمالها على أداته، ولأنّها كما تدلّ على توحيد معبود الحقّ كذلك تدلّ على هلاك ما سواه وبطلان ما عداه؛ لأنّ كلّ ما يطاع من دونه وينظر إليه من أنّ له حولاً وقوّة، فهو إلٰه، ولأنّ حروفها من جوف الفم فيمكن بها التكلّم جهرة وخفية، ولأنّ نفي الأغيار متقدّم في هذه الكلمة على إثبات الواحد القهّار إشارة إلى أنّ السالك إلى الله ما لم ينف غيره ولم يحكم بهلاك ما سواه، لم يصل إلى قرب الله وجواره.

وبالجملة: فقد قال الشيخ السعيد الشريف القمّي طاب ثراه في شرح توحيد الصدوق فيما يتعلّق بالمقام: إنّ لهذا التركيب بحسب الوضع الإلٰهي فوائد عظيمة بحسب التأثير، وترتّب الآثار الغريبة من تصفية الباطن، وتنوير القلب، وتكميل النفوس الإنسانيّة، وحصول التقرّب إلى الملكوت الأعلى والملائكة المقدّسة، ومشاهدة الأنوار، واللحوق إلى الأبرار، والتخلّص من الصفات الذميمة، والنقاوة عن الأخلاق الرديّة، كما يعرفه أهل الذكر ﴿**فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2].

قال عليه السلام: «وقد أطنبت الكلام في اشتقاق لفظة الله، وفي عَلَميّتها وعدمها،

---

(١) التوحيد: ١٨، الحديث ١. ثواب الأعمال: ٤. مكارم الأخلاق: ٣١٠. وسائل الشيعة: ٢١١/٧، الحديث ٧.

(٢) النحل ١٦: ٤٣. الأنبياء ٢١: ٧.

سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ،

وفي تقدير الخبر في الكلمة الشريفة ، ودفع الشكوك عن ذلك في كتابنا الأربعين ، من أراد ذلك فليطلب هناك »[١] ، انتهى كلامه رفع مقامه .

تركيب كلمة لا إلـه إلّا الله :

قلت : ولعلّه يشير إلى ما وقع لهم من الإشكال في كلمة لا إلـه إلّا الله من حيث إنّ لفظة الله علم للذات الواجب الوجود المعبود بالحقّ ، فإن كان الإلـه اسماً لذلك أيضاً لزم استثناء الشيء عن نفسه ، وإن كان أعمّاً من المعبود بالحقّ والباطل فيلزم التناقض .

وأُجيب عنه : بأنّه اسم لمن يستحقّ العبادة ، فالمعنى لا مستحقّ للعبادة إلّا الله ، وفيه : أنّه لا ينفي التعدّد مطلقاً ؛ إذ غاية ما يدلّ عليه حينئذٍ هو نفي إلـه يستحقّ العبادة ، وهو أعمّ من النفي المطلق ، مع أنّه إن قدر الخبر موجوداً فلا ينفي الإمكان لأنّ الإمكان أعمّ من الوجود ، ونفي الخاصّ لا يدلّ على نفي العامّ ، وإن قدر الخبر ممكناً فلا يدلّ على وجوده فعلاً ، لأنّ إثبات العامّ لا يدلّ على إثبات الخاصّ أيضاً ، فتأمّل فيه وفي حلّه .

سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ : سبحان مصدر كغفران ، بمعنى التنزيه ، ولا يكاد يستعمل إلّا مضافاً منصوباً بفعل مضمر ، كمعاذ الله ، فمعنى سبحانك أُنزّهك تنزيهاً عمّا لا يليق بجناب قدسك ، وعزّ جلالك ، وهو مضاف إلى المفعول ، وربّما جوّز كونه مضافاً إلى الفاعل بمعنى التنزّه ، والواو في « وبحمدك » إمّا حاليّة أو عاطفة ، والتقدير : وأنا متلبّس بحمدك على ما وفّقتني لتنزيهك ، وأهّلتني لعبادتك ، كأنّ

---

(١) شرح توحيد الصدوق : ١/٢٣.

ظَلَمْتُ نَفْسي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلي، وَسَكَنْتُ إلى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لي وَمَنِّكَ عَلَيَّ.

الداعي لمّا أسند التسبيح إلى نفسه، أوهم ذلك تبجّحاً فعقّب بهذه الجملة الحالية ليزول على قياس ما قيل في ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[١].

ظَلَمْتُ نَفْسي: بإنفاق عمري في المعاصي، وعدم سلوكي مسلك الرشاد.

وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلي: من الجرأة، وهو الهجوم على الشيء من غير تروٍّ، وهو على وزن غرفة، وربّما تركت الهمزة فيقال: الجرة كالكرة، والمعنى: أنّي تجرّأت على معاصيك بسبب ما بي من الجهالة، وعدم العلم، واختياري اللذّة الفانية على اللذّة الباقية، وقد قلت ـ يا ربّي ـ في كتابك الكريم: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** ﴾ الآية[٢]، فاعف عنّي، وارحمني، وتب علَيَّ.

وَسَكَنْتُ إلى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لي: بالخير والرحمة.

وَمَنِّكَ: يعني عطاءك.

عَلَيَّ: من القديم بحسن تربيتي بأن عدلتني وسوّيتني بعد أن خمّرت طينتي بيديك المباركتين الجماليّة والجلاليّة، ونفخت فيها من روحك، وألهمتني مصالحي حين كنت في الظلمات الثلاث، أعني بها: ظلمة العدم الأزلي، وظلمة الكون في ظهور الآباء، وظلمة الكون في بطون الأرحام، وبعده ألقيت في قلب اُمّي ما ألقيت من الرحمة والعطوفة، ولولا الرحمة منك لما سلبت منها الراحة والدعة للاشتغال بحضانتي، ولما آثرتني على نفسها، وهكذا وكّلت علَيَّ جمّاً غفيراً، أو عدداً من الأسباب خطيراً لحفظي وكلاءتي، حتّى بلغت أشدّي فوفّقتني لمعرفتك، والإيمان

---

(١) الفاتحة ١: ٥.

(٢) النساء ٤: ١٧.

اللّهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ ؟

بك علماً وإيقاناً وشهوداً وعياناً ، حتّى نوّهت باسمي كبيراً بعد أن ربّيتني في نعمك وإحسانك صغيراً .

ثمّ اعلم أنّ المنّ مأخوذ من اسمه تعالى المنّان ، يعني كثير العطاء والإحسان ، وأمّا المنّان الذي لا يعطي شيئاً إلّا منّ به ، واعتدّه على من أعطاه فلا يطلق عليه تعالى لأنّه مذموم في الخلق ، فضلاً عن الخالق جلّ شأنه ، وفي الأدعية السجّاديّة عليه السلام : **«مَنْ لَا يُكَدِّرُ عَطاياهُ بِالْإِمْتِنانِ»**[١] .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ **بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ** ﴾[٢] فهو من باب صنعة المشاكلة ، وأنّه لو جاز عليه الامتنان لكان له المنّة علينا لا لنا عليه .

اللّهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ : كم خبريّة بمعنى كثير ، ومن لبيان الجنس على الصحيح لا زائدة ، كما ذهب إليه بعضهم ، حتّى ذهب الفرّاء إلى أنّها إذا لم تكن مذكورة لفظاً فخفض التميز بها تقديراً لا بالإضافة ، وعمل الجارّ المقدّر وإن كان في غير هذا الموضع نادر إلّا أنّه لمّا كثر دخول من على مميّز كم الخبريّة نحو « وكم من قرية » ، وكم من آية ساغ عمله مقدّراً لأنّ الشيء إذا عرف في موضع جاز تركه لقوّة الدلالة عليه .

على أنّ المشهور من مذهب النحويّين ـ ما عدا الأخفش[٣] ـ أنّ « مِنْ » لا تزاد في

(١) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري : ٢٧/٢ . الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ٨٤ ، دعاء ٣٩ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ١٧ .

(٣) فمذهبه أنّ « مِنْ » تزاد في الإيجاب ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ **يَغْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ** ﴾ الأحقاف ٤٦ : ٣١ . نوح ٧١ : ٤ .

. . . .

غير النفي، فالجرّ بالإضافة عند الجمهور حملاً لكم على ما هي مشابهة له من العدد، والمميّز فيه إنّما يخفض بالإضافة، وكم في موضع رفع على الابتداء كما في قولك: «زيد ضربته»، وجملة سترته هو الخبر، ويجوز أن يكون في موضع نصب بفعل محذوف، ومماثل للموجود مفسّر به، فيكون من باب الاشتغال، والتقدير: كم من قبيح سترت سترته، أو سترت كم من قبيح سترته، والتقدير الأوّل أوْلى للزوم كم التصدّر.

والثاني: لا مانع منه[١]، لأنّ المقدّر معلوم لفظاً، والتصدير اللفظي هو المقصود، كما نصّ عليه الرضي[٢]، والوجه الأوّل ـ أعني الرفع ـ أرجح لسلامته من التقدير بلا مقتضٍ، ومن أوجبه بعض النحويّين في نحو: زيد ضربته، هذا والقبيح ضدّ الحسن، وستره تعالى للقبيح حجبه عمّن ينظر إليه، وهو كناية عن عدم اطّلاع أحد من الخلائق على ما يصدر منه من الذنوب والمعاصي.

كما روي أنّ الله تعالى قد جعل على كلّ إنسان أربعين جنّة تستره، وتغطّي مساويه، فإذا فعل كبيرة هتك منها جنّة، وكلّ كبيرة يفعلها يرتفع بها جنّة حتّى ترتفع الجنن كلّها، فيبقى مهتوك الحجاب، فيأمر الله تعالى الملائكة الحافظين لأعماله بأن يضعوا أجنحتهم عليه ستراً له، فإذا أخذ في بغض أهل البيت عليهم السلام أمر الله تعالى الملائكة بأن يرفعوا أجنحتهم عنه، فيبقى بلا ستر ولا حجاب، ويقول تعالى للملائكة: لو كان فيه خير لما تركته من يدي[٣].

---

(١) أي: لا مانع من تقدير الناصب قبل «كم».

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٣/١٦٠.

(٣) الاختصاص: ٢٢٠. بحار الأنوار: ٧٣/٣٦١، الحديث ١٧. مستدرك الوسائل: ⇦

وَكَمْ مِنْ فادحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقَلْتَهُ ؟ وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ ؟

وتقدّم عن الصادق عليه السلام حديث : مثال المؤمن في العرش ، مع تفصيل يناسب المقام[١].

وَكَمْ مِنْ فادحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقَلْتَهُ : البلاء الفادح : هو البلاء الثقيل الباهظ ، وفي الحديث : « **من كانت له ابنة فهو مفدوح** »[٢] ، أي مبهوظ ، وأقال الله عثرته : إذا رفعه من سقوطه ، ومنه الإقالة في البيع ؛ لأنها رفع العقد[٣].

وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ : العثرة : الكبوة في المشي ، استعير للذنب مطلقاً أو الخطأ منه ، وقريب منه الزلّة ، ويمكن تخصيص إحداهما بالذنوب ، والأُخرى بمخالفة العادات والآداب ، والوقاية : المنع ، والمراد من منعه تعالى الذنب عدم تيسّره للعبد وتوفيقه لتركه .

من الخيانة طلب عثرات المؤمنين :

هذا ، ومن أعظم الخيانة طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم ، ولذا قال بعض العارفين : لا بدّ من أن تأخذ صديقاً معتمداً موافقاً مأموناً شرّه ، ولا يحصل ذلك إلّا بعد اعتبارك إيّاه قبل الصداقة آونة من الزمان في جميع أقواله وأفعاله مع بني نوعه ، ومع ذلك لا بدّ بعد الصداقة من أن تخفي كثيراً من أحوالك وأسرارك منه ، فإنّه ليس

⇐ ١١٦/٩ ، الحديث ١٤ و : ٣٢٩/١١ ، الحديث ١٣ . شرح أُصول الكافي : ٤٩٠/١٠ .

(١) انظر : روضة الواعظين : ٤٧ . شرح أُصول الكافي : ٢٤٦/٥ .

(٢) الكافي : ٦/٦ ، الحديث ٦ . وسائل الشيعة : ٣٦٤/٢١ ، الحديث ٢ . بحار الأنوار : ٩١/١٠٤ ، الحديث ١١ . مجمع البحرين : ٣٧٠/٣ .

(٣) البحر الرائق / ابن نجيم المصري : ١٦٧/٦ ، نقلاً عن المصباح .

. . . .

بمعصوم ، فلعلّ بعد المفارقة منك لأمر قليل يوجب زوال الصداقة » ، انتهى[١].

ومن تفنّناتي في بعض الكلمات القصار: ليس أخوك من أظهر إخاءك مدّة رخائك ، فإذا تغيّر هواك ، وسكنت رحاك ارتدّ عن دينه ، وتزلزل عن يقينه ، فيشمت بك إن عرضت لك ورطة ، ويفضحك إن بدت منك ضرطة . إنّما الصاحب من صحبك فقيراً وغنيّاً ، وأكل من نعمك نضيجاً ونيّاً .

وفي الكافي : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام ، قال : قالا : « **أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما** »[٢].

وفيه أيضاً : بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام يقول : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تذمّوا المسلمين ، ولا تتّبعوا عوراتهم ، فإنّه من يتّبع عوراتهم يتّبع الله عورته ، ومن يتّبع الله عورته يفضحه ولو في بيته** »[٣].

وفيه أيضاً : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **إنّ أقرب ما يكون الرجل إلى الكفر...** » إلى آخر ما سمعت .

وبهذا المضمون جملة من الأخبار لا حاجة في الإطالة بذكرها ، والمراد بتتبّع الله

---

(١) بحار الأنوار : ٢١٧/٧٥.

(٢) الكافي : ٣٥٤/٢ ، الحديث ١ و : ٣٥٥ ، الحديث ٣ و ٦ . الاختصاص : ٢٢٧ . أمالي المفيد : ٢٣ ، الحديث ٦ . شرح أُصول الكافي : ٣/١٠ ـ ٥ .

(٣) الكافي : ٣٥٤/٢ ، الحديث ٢ . الاختصاص : ٢٢٥ . وسائل الشيعة : ٢٧٥/١٢ ، الحديث ٣ . بحار الأنوار : ٢٥٩/٧٥ ، الحديث ٥٤ .

. . . .

سبحانه عورته منع لطفه ، وكشف سرّه ، ومنع الملائكة عن ستر ذنوبه وعيوبه ، فهو يفتضح في السماء والأرض ، ولو أخفاها وفعلها في جوف بيته ، واهتمّ بإخفائها ولو كانت فضيحة عند أهل بيته .

وقد روى الشيخ المفيد ﷺ في المحكي عن الاختصاص بإسناده عن الصادق عليه السلام : « **إنّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جنّة ، فمتى أذنب ذنباً كبيراً رفع عنه جنّة ، فإذا اغتاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه انكشفت تلك الجنن عنه ، ويبقى مهتوك الستر ، فيفتضح في السماء على ألسنة الملائكة ، وفي الأرض على ألسنة النّاس ، ولا يرتكب ذنباً إلّا ذكروه ، وتقول الملائكة الموكّلون به : يا ربّنا قد بقي عبدك مهتوك الستر ، وقد أمرتنا بحفظه ، فيقول عزّ وجلّ : ملائكتي ، لو أردت بهذا العبد خيراً ما فضحته ، فارفعوا أجنحتكم عنه ، فوعزّتي لا يؤول بعدها إلى خير أبداً** »[(١)].

ثمّ المراد بإحصاء العثرات كما قيل حفظها وضبطها في الخاطر أو الدفاتر ليعيّره بها يوماً من الأيّام ، ويفهم أنّ كمال قربه من الكفر بمجرّد الإحصاء بهذا القصد ، وإن لم يقع منه ، وقيل : وجه قربه من الكفر أنّ ذلك منه باعتبار عدم استقرار إيمانه في قلبه ، والمراد بالكفر كفر نعمة الاخوّة ، فهو مع هذا القصد قريب من الكفر ، ويتحقّق الكفر بوقوع التعنيف ، بل ينبغي للأخ في الله إذا عرف من أخيه عثرة أن ينظر أوّلاً إلى عثرات نفسه ، ويطهّر نفسه منها ، ثمّ ينصح أخاه بالرفق واللطف والشفقة ليترك تلك العثرات ، وتكمل الاخوّة والصداقة .

وقال العلّامة خالنا المجلسي ﷺ : « يمكن أن يكون المراد بتلك العثرات ما ينافي

---

(١) الاختصاص : ٢٢٠.

وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ ؟

حسن الصحبة والعِشرة ، وأمّا ما ينافي الدين من الذنوب فلا يعنّفه على رؤوس الخلائق ، ولكن يجب عليه من باب النهي عن المنكر زجره عنها على الشروط والتفاصيل التي سنذكرها في محلّها إن شاء الله تعالى »[1] ، انتهى كلامه ﷺ .

وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ : ولعلّ المراد من دفع المكروه جعل الأسباب الدافعة له ، والوسائل الموصلة إلى التحرّز عنه كالأذكار الواردة في طلب الرزق ، وأداء الدين ، والأدعية الواردة لدفع الهمّ والكرب والخوف وسائر الرقيّ والحروز والتعويذات لسائر العلل والأمراض ، وخواصّ حمل القرآن وقراءته ، خصوصاً بعض السور منه ، وخواصّ حفظه ، وخواصّ زيارة الأئمّة عليهم السلام ، خصوصاً سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، والاستشفاء بتربته المباركة ، والتبرّك بها ، وتحنيك الأولاد بها ، واستصحابها عند الخوف ، وعند المرض ، حتّى أنّه قد ورد فيه ثلاثة عشر حديثاً ، وقد شوهد ذلك في جملة من المواقع ، وجرّب في كثير من المهالك .

خواصّ تربة الحسين عليه السلام :

وحكي عن العلّامة في المنتهى ، مرفوعاً ، قال : « إنّ امرأة كانت تزني وتضع أولادها وتحرقهم بالنّار خوفاً من أهلها ، ولم يعلم بها غير أُمّها ، فلمّا ماتت ودفنت ، فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الأرض ، فنقلت من ذلك المكان إلى غيره ، فجرى لها ذلك ، فجاء أهلها إلى الصادق عليه السلام وحكوا له القصّة ، فقال لأُمّها : **ما كانت تصنع هذه في حياتها من المعاصي** ، فأخبرته بباطن أمرها ، فقال الصادق عليه السلام : **إنّ الأرض لا تقبل هذه ، لأنّها كانت تعذّب خلق الله بعذاب الله ، اجعلوا في قبرها شيئاً من تربة**

---

(١) بحار الأنوار : ٢١٨/٧٥.

. . . .

الحسين عليه السلام ، ففعل ذلك فسترها الله تعالى »[١].

في فضل الصدقة وأخبارها:

ومن أعظم الوسائل الصدقة ، فقد ورد في فضلها وخواصّها ما لا يعدّ ولا يحصى ، ولا ينتهي ولا يستقصى من الأخبار.

ففي الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **: الصدقة تدفع ميتة السوء** »[٢].

وفيه أيضاً : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **البرّ والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن سبعين ميتة السوء** »[٣].

وفي خبر آخر : « **يدفعان عن شيعتي ميتة السوء** »[٤].

وفيه : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **لأن أحجّ حجّة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة** ، حتّى انتهى إلى عشرة ، ومثلها ومثلها ، حتّى انتهى إلى سبعين ، **ولأن أعول أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم ، وأكسو عورتهم ، وأكفّ وجوههم عن النّاس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة** حتّى انتهى إلى عشر وعشر وعشر

---

(١) منتهى المطلب : ٤٦١/١. وفي : نهاية الأحكام : ٢٧٧/٢. تذكرة الفقهاء : ٥٢/١. جامع المقاصد : ٤٤٠/١. بحار الأنوار : ٤٥/٨٢ ، الحديث ٣١. كشف اللثام : ٣٨٦/٢.

(٢) الكافي : ٢/٤ ، الحديث ١ و : ٥ ، الحديث ٣. شرح أصول الكافي : ٢٤٢/٤. وسائل الشيعة : ٣٦٧/٩ ، الحديث ٢.

(٣) الكافي : ٢/٤ ، الحديث ٢. من لا يحضره الفقيه : ٦٦/٢ ، الحديث ١٧٢٩.

(٤) الكافي : ٢/٤ ، الحديث ٢. الحدائق الناضرة : ٢٧٤/٢٢.

. . . .

ومثلها ومثلها ، حتّى انتهى إلى سبعين »[١].

وبإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صدّق بالخلف جاد بالعطيّة** »[٢].

وبإسناده أيضاً قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « **داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فإنّها تفكّ من بين لحيي سبعمائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الربّ تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد** »[٣].

وبإسناده أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن ، فإنّ صدقته تظلّه** »[٤].

وبإسناده أيضاً عن أبي عبدالله بن سنان ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **الصدقة باليد تقي ميتة السوء ، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء ، وتفكّ عن لحيَي سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لا يفعل** »[٥].

وبإسناده عن معاوية بن عمّار ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **كان في وصيّة**

---

(١) الكافي : ٢/٤ ، الحديث ٣.

(٢) الكافي : ٢/٤ ، الحديث ٤. وسائل الشيعة : ٣٦٩/٩ ، الحديث ٦. بحار الأنوار : ٣٥٧/٧١ ، الحديث ٢٠.

(٣) الكافي : ٣/٤ ، الحديث ٥.

(٤) الكافي : ٣/٤ ، الحديث ٦.

(٥) الكافي : ٣/٤ ، الحديث ٧. من لا يحضره الفقيه : ٦٦/٢ ، الحديث ١٧٣١. وسائل الشيعة : ٣٧٧/٩ ، الحديث ١.

. . . .

النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام : وأمّا الصدقة فجهدك جهدك حتّى يقال : قد أسرفت ، ولم تسرف »[١] .

وبإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « سمعته يقول : **يستحبّ للمريض أن يعطي للسائل بيده ويأمر السائل أن يدعو له »**[٢] .

وبإسناده عن محمّد بن عمر بن يزيد ، قال : « أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام أنّي أُصبت بابنين وبقي لي بنيّ صغير ، فقال : **تصدّق عنه** .

ثمّ قال حين حضر قيامي : **مر الصبيّ فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قلّ ، وإنّ كلّ شيء يراد به الله ، وإن قلّ بعد أن تصدق النيّة فيه عظيم ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾**[٣] .

وقال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[٤] علم الله عزّ وجلّ أنّ كلّ أحد لا يقدر على فكّ رقبة ، فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك تصدّق عنه »[٥] .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة .

---

(١) الكافي : ٣/٤ ، الحديث ٨. وسائل الشيعة : ٣٧٩/٩ ، الحديث ١.

(٢) الكافي : ٤/٤ ، الحديث ٩. من لا يحضره الفقيه : ٦٦/٢ ، الحديث ١٧٣٢. وسائل الشيعة : ٣٧٨/٩ ، الحديث ٢.

(٣) الزلزلة ٩٩ : ٧ و٨.

(٤) البلد ٩٠ : ١١ ـ ١٦.

(٥) الكافي : ٤/٤ ، الحديث ١٠. وسائل الشيعة : ٣٧٦/٩ ، الحديث ١.

وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ ؟ اللّٰهُمَّ عَظُمَ بَلائي ، وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالي ،

بيان المراد من الصدقة :

وقوله عليه السلام : « **تقع في يد الربّ** »[1] كناية عن قبوله تعالى ، والمراد بها هنا العطيّة المتبرّع بها من غير نصاب للقربة ، وهي على أقسام وأنواع ، وأفضلها صدقة السرّ ، سيّما على القرابة .

وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ : الثناء ـ بالمدّ ـ هو : الذكر الحسن ، والكلام الجميل . يقال : أثنيت على زيد بالألف مدحته ، والاسم الثناء ، واستعماله في الذكر الجميل أكثر من القبيح ، والنشر هو الإذاعة .

اللّٰهُمَّ عَظُمَ بَلائي : لمّا فرغ الداعي من تعظيمه الباري عزّ وجلّ يذكر ما تقدّم من بعض اُمّهات الفواضل بعضها من باب جلب المنفعة ، وبعضها من باب دفع المضرّة ، وحاسب ووازن بين طاعاته القليلة ، ومننه الكثيرة ، وتفضّلاته الجمّة الغفيرة ، فوجد طاعاته في جنب نعمه وآلائه كقطرة في بحر لجّي ، بل لا شيء في الحقيقة ؛ لأنّ الطاعة أيضاً بتوفيقه وبحوله وقوّته ، فاستشعر الخوف عند ذلك ، واستعظم البلاء ، وأخذ في الاعتراف بالتقصير بذكر جملة من فضائح أعماله ، وطائفة من فضائع أحواله ، وعظائم أهواله ، قائلاً :

وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالي : من الإفراط بمعنى مجاوزة الحدّ خلاف التفريط ، أعني التقصير عن الحدّ والتأخير فيه .

---

(١) الكافي : ٣/٤ ، الحديث ٥ . من لا يحضره الفقيه : ٦٦/٢ ، الحديث ١٧٣٠ . تهذيب الأحكام : ١١٢/٤ ، الحديث ٦٥ .

وَقَصُرَتْ بي أَعْمَالي ، وَقَعَدَتْ بي أَغْلَالي ، وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ آمَالي ،

وَقَصُرَتْ بي أَعْمَالي: الظاهر قَصَرَ ـ بفتح الصاد ـ من باب قعد ، بمعنى عجز ، ومنه قصر السهم عن الهدف قصوراً : إذا لم يبلغه ، وقصرت بنا النفقة لم تبلغ بنا مقصدنا ، فالباء فيه للتعدية ، كما في سابقه ، والمقصود : الاعتراف بالتقصير من حيث العمل بعدم الصدور منه بقدر ما يبلغ به المقصود من الفوز بالثواب والنجاة من العقاب .

وَقَعَدَتْ بي أَغْلَالي: يعني أقعدتني عن النهوض بإتيان صالح الأعمال ، والأغلال : القيود التي جمعت يدي إلى عنقي كالأسير ، وفيه اعتراف من الداعي بأنّ توغّله في حبّ الدنيا وتقيّده بها بلغت به إلى حال جعلته كالأسير المغلّل الذي لا يستطيع الحركة .

وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ آمَالي: الحبس : المنع ، يعني منعني عن الاشتغال بما ينفعني ويخلّصني من العقاب بُعد آمالي ، إشارة منه إلى ذمّ طول الأمل .

أخبار طول الأمل ومفاسده:

كما ورد في الخبر عنه عليه السلام أنّه قال : « **ما أطال عبد الأمل إلّا ساء العمل** » .

وكان يقول : « **لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض العمل من طلب الدنيا** »(١) .

وقيل للباقر عليه السلام : « حدّثني بما أنتفع به ؟

قال : **أكثر ذكر الموت ، فإنّه لم يكثر ذكره إنسان إلّا زهد في الدنيا** »(٢) .

---

(١) الكافي : ٢٥٩/٣ ، الحديث ٣٠ . وسائل الشيعة : ٤٣٧/٢ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ١٦٦/٧٣ ، الحديث ٢٨ .

(٢) الكافي : ١٣١/٢ ، الحديث ١٣ و : ٢٥٥/٣ ، الحديث ١٨ . دعائم الإسلام : ٢٢١/١ .

. . . .

وقال جدّي بحر العلوم في درّته :

لا تنس ذكر هادم اللذّات إن لم تكن تأتيه فهو آتِ

مت قبل موت فهو الحياة ما أهون الموت على من ماتوا(١)

وقال النبيّ ﷺ : « **الموت أوّل منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأوّلها ، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم ، وهو يعدّه أبعد فما أجرأ الإنسان على نفسه ، وما أضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين ، وهلاك المجرمين ، لذاك اشتاق من اشتاق ذكره ، وكره من كره** »(٢).

وقال أيضاً : « **من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** »(٣).

وقال النبيّ ﷺ في قصر الأمل : « **إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، وخذ من دنياك لآخرتك ، ومن حياتك لموتك ، ومن صحّتك لسقمك ، فإنّك لا تدري ما اسمك غداً** »(٤) إشارة منه ﷺ إلى أنّ الإنسان

---

(١) الدرّة النجفيّة : ٦٣.

(٢) مصباح الشريعة : ٤٥٥ وفي ط : ١٧٢. بحار الأنوار : ١٣٣/٦ ، الحديث ٣٢. مستدرك الوسائل : ١٠٦/٢ ، الحديث ٢١.

(٣) الذكرى : ٥٢. جامع المقاصد : ٤١٧/١. مسالك الأفهام : ٩٧/١. مدارك الأحكام : ١٢٨/٢. شرح أُصول الكافي : ٣٩١/١٠.

(٤) أمالي الطوسي : ٥٢٦. مكارم الأخلاق : ٤٥٩. عدّة الداعي : ٧٤. مسكّن الفؤاد :⇦

. . . .

بعد موته لا يسمّى باسمه ، بل يعبّر عنه بالجنازة أو الميّت .

وقال ﷺ : « **إنّ أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان : اتّباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فأمّا اتّباع الهوى فإنّه يبعد عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فإنّه يحبّب الدنيا** » .

ثمّ قال : « **إنّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ومن يبغض ، وإذا أحبّ الله عبداً أعطاه الإيمان ، ألا إنّ للدين أبناء وللدنيا أبناء ، فكونوا أبناء الدين ، ولا تكونوا أبناء الدنيا** »[١] .

وروي : « أنّ أسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فقال النبيّ ﷺ : **ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر. إنّ أسامة لطويل الأمل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلّا ظننت أنّ شفريَّ لا يلتقيان حتّى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت أنّي خافضه حتّى أُقبض ، ولا لقمت لقمة إلّا ظننت أنّي لا أُسيغها حتّى أغصّ بها من الموت** »[٢] .

وقال بعض العارفين : « اعلم أنّ طول الأمل له سببان :

أحدهما الجهل ، والآخر حبّ الدنيا ، أمّا حبّ الدنيا فهو أنّه إذا أنس بها وبشهواتها ولذّاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه عن الفكر في الموت

⇦ ٢٦. وسائل الشيعة : ١١٤/١ ، الحديث ١٣ .

(١) إحياء علوم الدين : ٣٨٤/٤ ، وفي ط : ٦٥٩/٤ . كنز العمّال : ٢٣/١٦ ، الحديث ٤٣٧٦٦ .

(٢) مشكاة الأنوار : ١٦٠ و ٥٢٣ . بحار الأنوار : ١٦٦/٧٣ ، الحديث ٢٧ . مستدرك الوسائل : ١٠٩/٢ ، الحديث ٩ .

. . . .

الذي هو سبب مفارقتها، وكلّ من كره شيئاً دفعه عن نفسه، والإنسان مشعوف[١] بالأماني الباطلة، فيمنّى أبداً ما يوافق مراده، وإنّما يوافق مراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهّمه ويقرّره في نفسه، ويقدّر توابع البقاء، وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودوابّ وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر، موقوفاً عليه، فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدّر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف، ووعد نفسه وقال: الأيّام بين يديك إلى أن تكبر ثمّ تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخاً، وإذا صار شيخاً قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، أو ترجع من هذا السفر، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ عن قهر هذا العدوّ الذي يشمت بك، ولا يزال يسوّف ويؤخّر ولا يخوض في شغل إلّا ويتعلّق بإتمامه ذلك الشغل عدّة أشغال أُخر، وهكذا على التدريج يؤخّر يوماً بعد يوم، ويفضي به شغل إلى شغل، بل إلى أشغال إلى أن تتخطّفه المنيّة في وقت لا يحتسبها، فيطول عند ذلك حسرته»[٢]، انتهى.

توجيه الجمع بين ما دلّ على ذمّ الدنيا وما ورد من الحثّ على الكسب:

وحيث انجرّ بنا الكلام إلى هذا المجال فلا بأس بتفصيل المقال، وبيان حقيقة

---

(١) المشعوف: من أُصيبت شَعفَةُ قلبهِ بحبّ، أو ذُعر، أو جُنون. «المعجم الوسيط: ٤٨٥ ـ شعف ـ».

(٢) ذكر نحوه في التحفة السنيّة: ٧١.

. . . .

الحال ، فنقول ومن الله الاستعانة : إنّه قد ورد في ذمّ الدنيا والخوض فيها ما قد كفت شهرته وكثرته عن نقله ، ومثله ما قد ورد في أمر الكسب والحثّ عليه ، والسعي في طلب الرزق ، وأنّه قد يكون واجباً وقد يكون مستحبّاً ، بل وبما ينقسم إلى الأحكام الخمسة ، ومن المعلوم أنّ الشارع الحكيم لا يأمر بشيء وبضدّه مع اتّحاد الجهة ، فلا بدّ من معرفة وجه الجمع .

وهو ـ كما قيل ـ يحتمل أوجهاً ، أظهرها : أنّ ما تضمّن الأمر بتحصيل الدنيا المراد به ـ والله أعلم ـ ما لم يكن مانعاً من تحصيل الآخرة ، ومثل هذا يكون عوناً على الآخرة ، وإطلاق الدنيا عليه باعتبار تحصيله في دار الدنيا ، وتقضي العمر به في الدنيا ، وإلّا فهو من مقدّمات الآخرة وأسبابها ، وما كان مانعاً من تحصيل الآخرة فذاك الدنيا المذمومة ، فمن طلب الدنيا من وجه حلال ليكفّ وجهه عن النّاس ، ويحصل ما يقوم بكفايته وكفاية عياله ، بل ما يحصل به التوسعة عليهم كانت دنياه محمودة ، ومن طلبها مع عدم ذلك أو من وجه يقتضي ارتكاب ما لا يحسن شرعاً كانت دنياه مذمومة ، والضابط فيها ما حصل منه الإخلال بأمر الآخرة وعدمه ، ومن المعلوم أنّ ما كان مراد الشارع من المكلّف إذا امتثله يكون محموداً ، ومع عدمه يكون مذموماً .

فظهر أنّه ليس كلّ من سعى في تحصيل الدنيا يطلق عليه أنّه من أهل الدنيا المذمومة ، ولا كلّ من زهد في الدنيا يكون زهده من أهل الآخرة ، وما ورد من مدح الفقر المقتضي لترجيحه على الغنى إنّما هو لما يترتّب غالباً من المفاسد على الغنى ما لا يترتّب على الفقر ، فإنّه مع وجود سبب الفساد قلّ أن يحفظ الإنسان نفسه عن التورّط في المهالك ، وإلّا فمع حفظ النفس والقيام بالشروط التي أرادها الشارع

. . . .

من مثل ترك الإسراف والتقتير وصرف المال في ما أمر بصرفه فيه لازم للغنى ، ومثله الفقر ، فإنّ لحسنه شروطاً أعظمها الصبر عليه ، والرضا بقضائه تعالى ، وشكره تعالى على كونه لم يعطه ما يكون باعثاً على طماح نفسه إلى ما فيه هلاكها ، فهذا هو الفقر المحمود ، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ظهر لك معنى ذمّ الدنيا ومدحها ، وذمّ الفقر ومدحه ، وما ذكرناه ميزان لهذا وغيره ، ممّا يرد من هذا القبيل ، فزن وانتقد ولا تتّهم مولاك ومرشدك .

توجيه حديث : « اعمل لدنياك » :

إذا عرفت ذلك فنقول : ربّما احتمل هذا المعنى ما روي عن العالم عليه السلام ـ كما في باب المعايش من الفقيه ـ أنّه عليه السلام قال : **« اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً »**[١] .

وقد ذكر لها معنى آخر .

وقد ذكر المعنيين ابن الأثير في النهاية ، وهذا كلامه فيه ـ أي في الحديث ـ : « احرث لدنياك كأنّك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً ، أي اعمل لدنياك ، فخالف بين اللفظين . يقال : حرثت واحترثت ، والظاهر من مفهوم لفظ هذا الحديث : أمّا في الدنيا ، فللحثّ على عمارتها وبقاء النّاس فيها حتّى يسكن فيها وينتفع بها من يجئ بعدك ، كما انتفعت أنت بعمل من كان قبلك ، وسكنت فيها عمراً ، فإنّ الإنسان إذا علم أنّه يطول عمره أحكم ما يعمله ، وحرص على ما يكسبه ،

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١٥٦/٣ ، الحديث ٣٥٦٩.

. . . .

وأمّا في جانب الآخرة، فإنّه حثّ على إخلاص العمل، وخلوص النيّة وحضور القلب في العبادات والطاعات، والإكثار منها، فإنّ من يعلم أنّه يموت غداً يكثر من عبادته، ويخلص في طاعته، كقوله في حديث آخر: «**صلّ صلاة مودّع**»[(١)].

وقال بعض أهل العلم: المراد من هذا الحديث غير السابق إلى الفهم من ظاهره؛ لأنّ النبيّ إنّما ندب إلى الزهد في الدنيا، والتقليل منها، ونهى عن الانهماك فيها، والاستمتاع بلذّاتها، وهو الغالب على أوامره ونواهيه فيما يتعلّق بالدنيا، فكيف يحثّ على عمارتها والاستكثار منها، وإنّما أراد ـ والله أعلم ـ أنّ الإنسان إذا علم أنّه يعيش أبداً قلّ حرصه، وعلم أنّ ما يريده لن يفوته تحصيله بترك الحرص عليه، والمبادرة إليه، فإنّه يقول: إن فاتني اليوم أدركته غداً، فإنّي أعيش أبداً، فقال ﷺ: «**اعمل عمل من يظنّ أنّه يخلد، فلا يحرص في العمل فيكون حثّاً له على التوئدة**».

والتقليل بطريقة أنيقة من الإشارة والتنبيه، ويكون أمره لعمل الآخرة على ظاهره، فيجمع الأمرين حالة واحدة، وهو الزهد والتقليل، لكن بلفظين مختلفين، وقد اختصر الأزهري هذا المعنى، فقال: «معناه تقديم أمر الآخرة وأعمالها حذار الموت بالفوت على عمل الدنيا، وتأخير أمر الدنيا كراهة الاشتغال بها عن عمل الآخرة»[(٢)]، انتهى.

وقد يخطر بالبال وجه لطيف لمعنى هذا الحديث إذا تأمّلته بحدّة مغايراً لهذين المعنيين في الجملة، وجامعاً بينهما في الجملة، أخذته من بعض المجاميع لبعض الفضلاء من المتأخّرين، وهو أنّه قد ورد في الأخبار مثل قوله: «**نِعم العون الدنيا على**

---

(١) فقه الرضا: ١٠١. دعوات الراوندي: ٤٠، الحديث ٩٨. غنائم الأيّام: ٢/٤٥١.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١/٣٤٦ ـ ٣٤٧.

. . . .

الآخرة »[(١)]، ومثل قوله: «**ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه**»[(٢)]. وأمثال ذلك ممّا يقتضي الجمع بين الدنيا والآخرة، فالمكلّف مأمور بعمل دنياه وعمل آخرته، والحديث الثاني تضمّن أنّ كلّاً منهما ينبغي أن يكون محكماً متقناً، فإحكام عمل الدنيا بأن يكون على وجه يستريح معه ويتفرّغ لغيره، ولا يكون على وجه سهل يعقب صاحبه تعباً إن بقي، ويتعب غيره إن لم يبق.

مثال ذلك: ما إذا بنيت بيتاً فسكنته أنت وعيالك، فينبغي لك إحكامه بحيث تنتفع به أنت وغيرك، ولا يخطر ببالك ما هو للآخرة من توقّع الموت غداً، فتقول: أبني ما أسكن فيه اليوم لأنّي لا أقدر الحياة غداً، فتبني ما لا ثبات له، وربّما انهدم في الغد، أو ما يقرب منه، وينظر في هذا ونحوه كلّ أحد ما يناسبه ممّا لا يضرّ بآخرته، وكما لو كتبت كتاباً فينبغي أن يكون ما يتعلّق به محكماً بحيث لو عشت أبداً لانتفعت به، ولو لم تعش انتفع به غيرك، واكتفيت أنت وذلك ما لغير مؤونة تحصيل غيره، وصرف الأوقات التي تصرف في مثل ذلك فيما هو مهمّ من عمل الدنيا والآخرة.

وقس على هذا ما هو من أعمال الدنيا، ولا يتوهّم من هذا الاعتناء بشأن الدنيا

---

(١) الكافي: ٧٢/٥، الحديث ٨ و: ٧٣، الحديث ١٥. كتاب الزهد / الأهوازي: ٥١، الحديث ١٣٦. من لا يحضره الفقيه: ١٥٦/٣، الحديث ٣٥٦٧. وسائل الشيعة: ٣٠/١٧، الحديث ٣. بحار الأنوار: ١٢٧/٧٣، الحديث ١٢٦. مستدرك الوسائل: ١٥/١٣، الحديث ٣ و: ١٧، الحديث ١٠ و: ٥٨، الحديث ٤.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه: ١٥٦/٣، الحديث ٣٥٦٨. وسائل الشيعة: ٧٦/١٧، الحديث ١.

. . . .

فقط والسعي في تحصيل ما يصدر عن الآخرة، فإنّ المقصود جمع الإنسان بين العملين، فلو رجح أحدهما أو اختاره على الآخر كان داخلاً فيمن ترك الدنيا للآخرة، أو الآخرة للدنيا، فهذا الحديث مودع سرّاً آخر، وفي معناه قوله ﷺ في حديث آخر، وقد يجمعها أقوام فإنّ الجمع بينهما لا يكون إلّا باعتبار عدم اشتمال كلّ منهما على ما ينافي الآخر.

وفي حديث موت سعد بن معاذ، فنزل رسول الله ﷺ حتّى لحّده وسوّى عليه اللبن، فلمّا أن فرغ وحثا التراب عليه، وسوّى قبره، قال رسول الله ﷺ: **إنّي لأعلم أنّه سيبلى، ويصل إليه البلى، ولكنّ الله عزّ وجلّ يحبّ عبداً إذا عمل عملاً فأحكمه**»[1] الحديث ذكره في كتاب العلل، وهو يدلّ صريحاً على ما ذكرته.

ونحو هذا إحكام عمل الآخرة، فإنّه إنّما يتمّ بما ذكر فيه، فإنّ الإنسان إذا قدر أن يموت غداً أحكم عمله بالإخلاص، وصدق النيّة، والإقبال عليه، فكان عمله ما عاش من هذا القبيل، فيخلص عمله مدّة بقائه، وفي هذا إحكام وإتقان لعمل الآخرة، كما تقدّم في إحكام أمر الدنيا، فظهر أنّ الزهد في الدنيا ليس ترك ما هو مطلوب منه من العمل فيها، والزهد في الآخرة لا يحصل من ترك العمل المطلوب في الدنيا، ولعدم تدبّر نحو هذا تاه قوم وهلك آخرون بتوهّم أنّ ترك الدنيا مطلقاً زهد فيها، وقلّة العمل للآخرة زهد فيها، وهذا الطريق الواضح يظهر لمن أحكم أحكام الشريعة، وظهرت له حكمة التكليف، واطّلع على سرّ ذلك من كلام الشارع وحكمته، وبما ذكر من إتقان العملين يحصل انتظام نظام الدنيا والآخرة،

---

(١) علل الشرائع: ١/٣١٠، الحديث ٤. أمالي الطوسي: ٤٢٧، الحديث ١٢. بحار الأنوار: ٢٢/١٠٧، الحديث ٦٧ و: ٧٣/٢٩٨، الحديث ١١ و: ٨٢/٤٩، الحديث ٣٩.

وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا بِغُرُورِها ،

والخلل الواقع إنّما هو من عدم إحكام عمل الدنيا والآخرة ، وذلك كالخلل الواقع من عدم إطاعة من أرسله الله لإرشاد الخلق وإقامة الحقّ بسوء اختيار المكلّفين ، وإلّا فلو أحكم كلّ أحد أمر آخرته ودنياه ، وراعى في كلّ واحد منهما عدم إضراره بالآخرة ، وانقاد إلى من يجب عليه الانقياد له لما وقع خلل .

وإذا تدبّرت هذا الوجه ظهر لك اتّفاق مضمون هذه الأحاديث وغيرها ممّا ينتظم في هذا السلك ، والله أعلم .

وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا بِغُرُورِها: الغرور ـ بضمّ المعجمة ـ: الباطل ، مصدر غررت ، وما اغترّ به من متاع الدنيا وزينتها . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[١] ، أي الخداع الذي لا حقيقة له ، وهو المتاع الرديء الذي يدلّس به على طالبه حتّى يشتريه ، ثمّ يتبيّن له رداءته .

الآيات الدالّة على ذمّ الدنيا :

وقد ورد في ذمّ الدنيا والاغترار بها أخبار كثيرة ، مضافاً إلى ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾[٢] .

قال بعض أهل العرفان : « هذه الأمتعة هي أعيان الدنيا ، إلّا أنّ لها مع العبد علاقتين : علاقة مع القلب ، وهو حبّه لها ، وحظّه منها ، وانصراف همّه إليها ،

---

(١) آل عمران ٣ : ١٨٥ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٤ .

. . . .

حتّى يصير قلبه كالعبد أو المحبّ، والعلاقة الثانية: مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره»[١]، انتهى ملخّصاً.

وكقوله تعالى: ﴿**مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[٤].

وبالجملة: الآيات الواردة في ذمّ الدنيا كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذمّ الدنيا، وصرف الخلق عنها، ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو مقصود بعث الأنبياء، ولم يبعثوا إلّا لذلك، فلا حاجة إلى الاستشهاد بها لظهورها، وإنّما نورد بعض الأخبار الواردة فيه ليكون أُنموذجاً لغيره ممّا لا يحصى.

سرد الأخبار الواردة في ذمّ الدنيا:

فعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه: أُوصيك ونفسي بتقوى من لا تحلّ معصيته، ولا يرجى غيره، ولا الغنى إلّا به، فإنّ من اتّقى الله عزّ وجلّ قوي وشبع وروي، ورفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل**

---

(١) بحار الأنوار: ٧٣/٣٠.

(٢) الكهف ١٨: ٤٥.

(٣) الشورى ٤٢: ٢٠.

(٤) البقرة ٢: ٨٦.

. . . .

الدنيا ، وقلبه وعقله معاين الآخرة ، فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدنيا ، فقذر حرامها ، وجانب شبهاتها ، وأضرّ والله بالحلال الصافي إلّا ما لا بدّ له من كسرة منه يشدّ بها صلبه ، وثوب يواري به عورته ، من أغلظ ما يجد وأخشنه ، ولم يكن له فيما لا بدّ منه ثقة ورجاء ، فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء ، فجدّ واجتهد وأتعب بدنه حتّى بدت الأضلاع ، وغارت العينان ، فأبدل الله له من ذلك قوّة في بدنه ، وشدّة في عقله ، وما ذخر له في الآخرة أكثر ، فارفض الدنيا ، فإنّ حبّ الدنيا يعمي ويصمّ ويبكم ، ويذلّ الرقاب ، فتدارك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد ، فإنّما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني ، والتسويف حتّى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيّقة ، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون ، فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا ، وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال ، أعاننا الله وإيّاك على طاعته ، ووفّقنا وإيّاك لمرضاته »[١] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة الدنيا : « مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ! في حَلاَلِهَا حِسَابٌ ، وَفي حَرَامِهَا عِقَابٌ . مَنِ اسْتَغْنَىٰ فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ »[٢] .

وعن الباقر عليه السلام ، قال : «قال عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، والآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكلّ واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ،

---

(١) الكافي : ١٣٦/٢ ، الحديث ٢٣ . مشكاة الأنوار : ٤٦٦ . شرح أُصول الكافي : ٣٨٦/٨ .

(٢) نهج البلاغة : ١٣٠/١ ، الخطبة ٨٢ . خصائص الأئمّة : ١١٨ . أمالي السيّد المرتضى : ١٠٧/١ . نزهة الناظر / الحلواني : ٦٦ ، الحديث ٥٦ .

. . . .

ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، ألا إنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، وقرّضوا من الدنيا تقريضاً .

ألا وإنّ من اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النّار رجع عن المحرّمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب .

ألا إنّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين ، وأهل النّار في النّار معذّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة ، أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم ، وهم يجأرون[1] إلى ربّهم ، يسعون في فكاك رقابهم ، وأمّا النهار فحلماء علماء ، بررة أتقياء ، كأنّهم القداح[2] ، قد براهم الخوف من العبادة ، ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النّار وما فيها »[3] .

وروى شيخنا الشهيد الثاني ﵀ في رسالته المسمّاة بـ« كشف الريبة عن أحكام الغيبة » : بإسناده عن شيخ الطائفة ، عمّن روى عنه ، عن أبي عبدالله ﵇ أنّه ـ قال ﵇ في حديث طويل جواباً عن رسالة النجاشي الواردة عليه ﵇ منه ـ قال : قال أمير المؤمنين ﵇ : « **إنّي كنت بفدك في بعض حيطانها ، وقد صارت لفاطمة ﵍ ، فإذا أنا**

---

(١) يجأرون : يتضرّعون .

(٢) القِداح : السهم بلا ريش ولا نصل . فشبّههم في نحافة أبدانهم بالأسهم .

(٣) الكافي : ٢/١٣١ ، الحديث ١٥ . الخصال : ٥١ ، الحديث ٦٢ . تحف العقول : ٢٨١ . المجازات النبويّة : ١٩٨ ، الحديث ١٥٥ .

. . . .

بامرأة قد قحمت علَيَّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها ، فلمّا نظرت إليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها ، فشبّهتها ببثينة بنت عامر الجمحي ، وكانت من أجمل نساء قريش ، فقالت : يابن أبي طالب ، هل لك أن تتزوّج بي فأُغنيك عن هذه المسحاة ، وأدلّك على خزائن الأرض ، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك ؟

فقلت لها : من أنت حتّى أخطبك من أهلك ؟

فقالت : أنا الدنيا .

قلت لها : ارجعي واطلبي زوجاً غيري ، فأقبلت على مسحاتي ، وأنشأت أقول :

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة — وما هي وإن غرّت قروناً بنائلِ

أتتنا على زيّ العزيز بثينةٍ — وزينتها في مثل تلك الشمائلِ

فقلت لها غرّي سواي فإنّني — عزوف عن الدنيا ولست بجاهلِ

وما أنا والدنيا فإنّ محمّداً — أجلّ صريعاً بين تلك الجنادلِ

وهيهات أُمنّى بالكنوز وودّها — وأموال قارون وملك القبائلِ

أليس جميعاً للفناء مصيرنا — ويطلب من خزّانها بالطوائل

فغرّي سواي إنّني غير راغب — بما فيك من عزّ وملك ونائل

فقد قنعت نفسي بما قد رزقته — فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل

فإنّي أخاف الله يوم لقائه — وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه بيعة لأحد حتّى لقي الله تعالى محموداً غير ملوم ولا مذموم ، ثمّ اقتدت به الأئمّة عليهم السلام من بعده » الحديث[1] .

---

(١) رسائل الشهيد الثاني : ٣٣٠. مناقب ابن شهرآشوب : ٢/١٠٢ ـ ١٠٣. عدّة الداعي : ⇦

. . . .

فائدة: بثينة هذه معشوقة جميل بن معمر الشاعر، كان معاصراً لعبدالملك بن مروان، وهو الذي وطأ التشبّب للشعراء فأكثر منه، وتفنّن فيه، لكنّه كان يشبّب بحبيبته بثينة، وهو في عرف أهل الأدب إمام المحبّين، فاستحسن النّاس تشبيهه لأنّه طبيعي صادر عن حبّ صادق، فأخذوا يقلّدونه فيه.

ذكر تشبيه بعض الحكماء للدنيا:

وقال بعض الحكماء: «ما أشبه حال الإنسان واغتراره بالدنيا، وغفلته عن الموت، وما بعده من الأهوال، وانهماكه في اللذّات الفانية العاجلة الممتزجة بالكدورات بشخص مدلّى في بئر مشدودٍ وسطه بحبل، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجّه إليه، منتظر سقوطه، فاتح فاه لالتقامه، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لا يزال يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً، ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات، وذلك الشخص مع أنّه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آناً فآناً، قد أقبل على قليل عسل قد تلطّخ به جدار ذلك البئر، وامتزج بترابه، واجتمع عليه زنابير كثيرة، وهو مشغول بلطعه، منهمك فيه، ملتذّ بما أصاب منه، مخاصمٌ لتلك الزنابير عليه، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك، غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته.

فالبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والثعبان الفاتح فاه هو الموت، والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار، والعسل المختلط بالتراب هو لذّاتها الممتزجة

⇦ ١١٠. مدينة المعاجز: ٢/٧٧، الحديث ٤١١. بحار الأنوار: ٧٣/٨٤، الحديث ٤٧. ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ١٦٧ و ١٦٨.

وَنَفْسي بِخِيانَتِها ،

بالكدورات والآلام ، والزنابير هم أبناء الدنيا ، المتزاحمون عليها ، وما أشدّ انطباق هذا المثال على الممثّل ، فنسأل الله الهداية والبصيرة ، ونعوذ به من الغفلة والغواية(١) .

وكان الحسن بن عليّ يتمثّل بهذا البيت :

يا أهل لذّات دنياً لا بقاء لها ... إنّ اغتراراً بظلٍّ زائلٍ حمق(٢)

وما أحسن ما قيل بالفارسيّة :

غافل مشو ز عمر كه چون كشتى روان ... ايستاده مى‌نمايد و چون به او مى‌رود

وقال آخر :

دنيا چه رباط و ما در او مهمانيم ... غافل منشين كه ما در او نمى‌مانيم

در هر دو جهان خداى مى‌ماند و بس ... باقى همه كلّ من عليها فانيم

وقال الآخر :

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكبٍ ... أناخَ عَشِيّاً وهو في الصُّبحِ راحلُ(٣)

وَنَفْسي بِخِنايَتِها ـ بالخاء المعجّمة ـ : وهي مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ ،

---

(١) نحوه في مستدرك سفينة البحار / النمازي : ٧/٨ .

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ١٨١/٣ . محاسبة النفس / الكفعمي : ١٥٨ . كشف الغمّة : ١٨٣/٢ . بحار الأنوار : ٣٤١/٤٣ .

(٣) نُسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، انظر نهج السعادة : ٧١/٧ .

. . . .

وهي نقيض الأمانة، والمراد من خيانة النفس في المقام مخالفة أمر الباري تعالى بمتابعتها القوّة الشهويّة والغضبيّة، وجعلها رذائل الأخلاق لها ملكة.

تحقيق في النفس:

فإنّ النفس على ما حقّقه بعض أرباب القلوب واقعة بين القوّة الشهوانيّة والقوّة العاقلة، فبالاولى يحرص على تناول اللذّات البدنيّة البهيميّة، كالغذاء والسفاد والتغالب، وسائر اللذّات العاجلة الفانية، وبالأُخرى يحرص على تناول العلوم الحقيقيّة والخصال الحميدة المؤدّية إلى السعادة الباقية أبد الآبدين.

وإلى هاتين القوّتين أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[2]، فإن جعلت أيّها الإنسان الشهوة منقادة للعقل فقد فزت فوزاً عظيماً، واهتديت صراطاً مستقيماً، وإن سلّطت الشهوة على العقل وجعلته منقاداً لها، ساعياً في استنباط الحيل المؤدّية إلى مراداتها هلكت يقيناً، وخسرت خسراناً مبيناً.

شقوق النفس:

واعلم أنّ النفس إذا تابعت القوى الشهويّة سمّيت بهيميّة، وإذا تابعت الغضبيّة سمّيت سبعيّة، وإن جعلت رذائل الأخلاق لها ملكة سمّيت شيطانيّة، وسمّى الله تعالى هذه الجملة في التنزيل نفساً أمّارة بالسوء إن كانت رذائلها ثابتة وإن لم تكن

---

(١) البلد ٩٠: ١٠.

(٢) الإنسان ٧٦: ٣.

وَمِطَالِي يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ

ثابتة بل تكون مائلة إلى الشرّ تارة، وإلى الخير أُخرى، وتندم على الشرّ وتلوم عليه سمّاها لوّامة، وإن كانت منقادة للعقل العملي سمّاها مطمئنة، والمعين على هذه المتابعات قطع العلائق البدنيّة، كما قال بعضهم:

إذا شئت أن تحيى فمت عن علائق ... من الحسّ خمس ثمّ عن مدركاتها

وقابل بعين النفس مرآة عقلها ... فتلك حياة النفس بعد مماتها[١]

وَمِطَالِي: عطف على قوله: «بِخِيانَتِها»: من المطل، وهو اللّيّ والتسويف والتعلّل في أداء الحقّ، وتأخيره من وقت إلى وقت، ومقصود الداعي: أنّ نفسي قد خدعتني بأن حملتني على مخالفتي لأمر الله عزّ وجلّ، والتسويف في أداء ما أوجبه عليَّ من الطاعات، وترك المعاصي.

يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ:

الفاء الفصيحة:

الفاء في «فأسألك» هي المسمّاة بالفاء الفصيحة عند بعض أهل العربيّة، وهي الفاء السببيّة المنبئة عن محذوف هو السبب لما بعدها، وسمّيت فصيحة لإفصاحها عن ذلك المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن مع حسن موقع ذوقي لا يمكن التعبير عنه، نحو: قوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ**﴾[٢]، أمّا بتقدير شرط كما هو رأي صاحب الكشّاف[٣]، أي إذا كان

---

(١) مجمع البحرين: ٣٥٠/٤.

(٢) البقرة ٢: ٦٠.

(٣) الكشّاف: ١٤٤/١.

بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائي سُوءُ عَمَلي وَفِعَالي ، وَلَا تَفْضَحْني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي ، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلىٰ مَا عَمِلْتُهُ في خَلَواتي ، مِنْ سُوَءِ فِعْلي

كذلك فأسألك ، أو غير شرط ، كما هو رأي صاحب المفتاح ، أي وحظّي عظيم ، فأسألك ، وأشهر أمثلتها قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثمّ القفول فقد جئنا خراسانا[1]

بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائي سُوءُ عَمَلي : برفع المضاف .

وَفِعَالي : لمّا ذكر الداعي طائفة من فضائح أعماله ، وعدّد جملة من فضائع أحواله وأهواله ، اضطرب اضطراباً شديداً ، ودهش وتجلبب جلباب الخوف من جساراته لدى السيّد العظيم ، والسلطان الجليل ، الذي هو أشدّ بأساً ، وأعظم تنكيلاً فكاد أن يرجع كئيباً كليلاً ، ويأخذه اليأس والقنوط أخذاً وبيلاً ، فأُلهم الداعي بما هو الترياق الأعظم لجميع السموم ، وسفينة النجاة للمنغمسين في بحار الغموم ، ونيران علم الهداية في أودية الهموم ، وهو التشبّث برحمته الواسعة ، وفي هذه الفقرة إشارة إلى ما تقدّم في بحث الدعاء من أنّ بعض الذنوب ردّ الدعاء ، فتذكّر .

وَلَا تَفْضَحني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي : أي ما كتمته من المعاصي ، والمقصود طلب سترها وعدم كشفها ، كما في بعض الأدعية . ولا تفضحنا بين خلقك : أي استر عيوبنا .

وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلىٰ مَا عَمِلْتُهُ في خَلَواتي ، مِنْ سُوَءِ فِعْلي

---

(١) تفسير الكشّاف : ٢٦/٤ .

وَإِسَاءَتي ، وَدَوامِ تَفْرِيطي وَجَهَالَتي ، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتي وَغَفْلَتي ،

وَإِسَاءَتي ، وَدَوامِ تَفْرِيطي : أي تقصيري عن الحدّ ، وتأخيري فيه .

وَجَهَالَتي ، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتي وَغَفْلَتي : الغفلة : غيبة الشيء عن بال الإنسان ، وعدم تذكّره ، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ** ﴾[١] ، والمناسب للمقام هو المعنى الثاني ، وفي هذه الفقرة من كلامه عليه السلام دلالة إلى تسبيب بعض المعاصي تعجيل العقوبة عليها في دار الدنيا .

تعجيل عقوبة بعض المعاصي :

ثمّ اعلم أنّ تعجيل العقوبة على قسمين : فقسم منه ما يكون بداعي صرف تعجيل العذاب في دار الدنيا قبل العذاب في الآخرة ، بحيث لا يكون سبباً لسقوط عذابها ، بل ولا يؤثّر تخفيفاً فيها ، وهو الذي ينبغي أن يستجير منه الداعي ، ويطلب من الله تعالى العفو عنه ، وقسم منه ما يكون بداعي تخليص العبد وتصفيته حتّى يخرج من الدنيا ، وهو صاف من العيوب ، خالٍ من الذنوب ، كما قد يذاب الذهب لغرض تصفيته من الغشّ ، وذلك إصلاح له ، وفي الأخبار إشارة إلى كلا المعنيين .

فممّا أُشير فيه إلى الأوّل : ما رواه الكليني في الكافي ، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا بالله منهنّ : لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتّى يعلنوها إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلّا أُخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة إلّا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم**

---

(١) الأنبياء ٢١ : ١ .

. . . .

لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلّا سلّط الله عليهم عدوّهم ، وأخذ بعض ما في أيديهم ، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم »[١] .

أقول : الفاحشة هو الزنا ، وقيل في معنى الخبر : أنّه يترتّب على كلّ واحد من المعاصي المذكورة عقوبة تناسبه ، فإنّ الأوّل لمّا كان فيه تضييع آلة النسل ناسبه الطاعون الموجب لانقطاعه .

والثاني لمّا كان القصد فيه زيادة المعيشة ناسبه القحط : وشدّة المؤنة ، وجور السلطان ، بأخذ المال وغيره .

والثالث لمّا كان فيه منع ما أعطاه الله بتوسّط الماء ناسبه منع نزول المطر من السماء .

والرابع لمّا كان فيه ترك العدل والحاكم العادل ناسبه تسلّط العدوّ وأخذ الأموال .

والخامس لمّا كان فيه رفض الشريعة وترك القوانين العدليّة ناسبه وقوع الظلم بينهم وغلبة بعضهم على بعض[٢] .

وفيه أيضاً : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها ، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان ، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم**

---

(١) الكافي : ٣٧٣/٢ ، الحديث ١ . مسند الشاميّين : ٣٩١/٢ . ثواب الأعمال : ٢٥٢ . المستدرك على الصحيحين : ٥٤٠/٤ . بحار الأنوار : ٣٦٧/٧٣ ، الحديث ٢ و : ٣٧٦ ، الحديث ١٣ . مستدرك الوسائل : ٢٣٥/١٣ ، الحديث ٨ .

(٢) بحار الأنوار : ٣٦٨/٧٣ . شرح أُصول الكافي : ٣٩/١٠ .

. . . .

عدوّهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم، فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم»[١].

وما أُشير فيه إلى الثاني: ما رواه الكليني في الكافي أيضاً: بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم، فإن لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة، فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب.**

قال: **وإن كان من أمره أن يهين عبداً، وله عنده حسنة صحّح بدنه، وإن لم يفعل به ذلك وسّع عليه رزقه، فإن هو لم يفعل ذلك به هوّن عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة**»[٢].

وفيه أيضاً: بإسناده عن ابن عيينة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه الله بالحزن ليكفّرها**»[٣].

وقال الشيخ أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾، أي من بلوى في نفس أو مال فبما

---

(١) الكافي: ٢/٣٧٤، الحديث ٢. علل الشرائع: ٥٨٤، الحديث ٢٦. ثواب الأعمال: ٢٥٢. شرح أُصول الكافي: ١٠/٤٠، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٧٣/٣٦٩، الحديث ٣.

(٢) الكافي: ٢/٤٤٤، الحديث ١. مشكاة الأنوار: ٢٧٤ و ٥٠٧. تفسير كنز الدقائق: ٢/٦٣١. شرح أُصول الكافي: ١٠/١٨٩، الحديث ١.

(٣) الكافي: ٢/٤٤٤، الحديث ٢. الهمّ والحزن / ابن أبي الدنيا: ٦٤. التمحيص: ٤٤، الحديث ٥٦. شرح أُصول الكافي: ١٠/١٨٩.

وَكُنِ اللّٰهُمَّ بِعِزَّتِكَ لي في كُلِّ الْأَحْوالِ رَؤُوفاً ، وَعَلَيَّ في جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً . إِلٰهي وَرَبِّي مَنْ لي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ

كسبت أيديكم من المعاصي ، ﴿ **وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ** ﴾[١] منها فلا يعاقب بها ، إلى أن قال : وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير آية في كتاب الله هذه الآية .**

يا عليّ ، ما من خدش عودٍ ، ولا نكبة قدمٍ ، إلّا بذنب ، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه ، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثنّي على عبده »[٢] ، انتهى .

والأخبار في أمثال ذلك كثيرة .

وَكُنِ اللّٰهُمَّ بِعِزَّتِكَ لي في كُلِّ الْأَحْوالِ[٣] رَؤُوفاً ، وَعَلَيَّ في جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً : أي شفيقاً .

إِلٰهي وَرَبِّي : أضاف الداعي إلهه إلى نفسه ، وهذه الإضافة تشريفيّة ، وفيها من الابتهاج والالتذاذ ما لا يخفى ، وبمثل هذه الإضافة سكر إبليس ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[٤] .

مَنْ لي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ : الضمير المنصوب راجع إلى لفظ الغير ، و« من » اسم استفهام مبتدأ و« لي » جار ومجرور خبر مقدّم ، و« غيرك » مبتدأ مؤخّر ، والجملة

---

(١) الشورى ٤٢ : ٣٠ .

(٢) مجمع البيان : ٥٣/٩ . بحار الأنوار : ٣١٦/٧٣ .

(٣) في بعض النسخ : « في الْأَحْوالِ كُلِّها » .

(٤) ص ٣٨ : ٧٨ .

كَشْفَ ضُرِّي، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي. إِلٰهي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَىٰ نَفْسي

خبر لمن، وجملة أسأله من الفعل والفاعل والمفعول في محلّ رفع على أن يكون صفة لغير، فهي من الجمل التابعة للمفرد التي محلّها من الإعراب ما للمفرد.

كَشْفَ ضُرِّي، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي: وتدبّره، من قولهم: نظرت في الأمر: تدبّرت، والضرّ ـ بالضمّ ـ: الضرر في النفس من مرض وهزال، و ـ بالفتح ـ: الضرر من كلّ شيء، وقوله تعالى: ﴿**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**﴾[(١)]، أي من الأمراض والأوجاع، وكان أيّوب كثير الأموال والأولاد، فابتلاه الله بذهاب أمواله وأولاده، والمرض في بدنه ثلاثة عشر سنة، أو سبع سنين وسبعة أشهر، فلمّا كشف الضرّ عنه أحيى ولده ورزقه مثلهم.

إِلٰهي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَىٰ نَفْسي: ولم أقهرها على ملازمة الطاعات، ومجاذبة المنهيّات، ومراقبتها على مرور الأوقات، ومحاسبتها على ما ربحته وخسرته في دار المعاملة من السعادات، وكسر قوّتها البهيميّة والسبعيّة بالرياضات، كما قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[(٢)].

وقال بعض الأفاضل فيما حكي عنه في قوله عليه السلام: «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[(٣)] أنّه يمكن أن يراد بالنفس القوى الحيوانيّة من الشهوة والغضب

---

(١) الأنبياء ٢١: ٨٤.

(٢) الشمس ٩١: ٩ و ١٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٥٣، الحديث ٩. معاني الأخبار: ١٦٠، الحديث ١. مشكاة الأنوار: ٤٣١. وسائل الشيعة: ١٦٣/١٥، الحديث ٩. مستدرك الوسائل: ١٣٧/١١، الحديث ٢.

وَلَمْ أَحْتَرِسْ فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَىٰ، وَأَسْعَدَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْقَضَاءُ

وأمثالهما، وإطلاق النفس على هذه القوّة شائع، ثمّ حكى كلام الغزالي تطلق النفس على الجامع للصفات المذمومة، أي القوى الحيوانيّة المضادّة للقوى العقليّة، وهو المفهوم عند الإطلاق، وإليه الاشارة بقوله ﷺ: «**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**»[١].

وَلَمْ أَحْتَرِسْ فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي: يعني ولم أتحفّظ في هذا الأمر ممّا زيّنه لي وحسّنه في نظري عدوّي، وهو النفس الأمّارة بالسوء ـ حسب ما سمعته آنفاً ـ أو الشيطان.

فَغَرَّنِي ـ ذلك العدوّ ـ.

بِمَا أَهْوَىٰ: من ترك الطاعة، وملازمة المعصية، ومخالفة الحكم، وغرّه غرّاً وغُروراً وغِرّة ـ بالكسر ـ: أطمعه بالباطل.

وَأَسْعَدَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْقَضَاءُ: أي قضاؤك عليَّ بنقصان عقلي، ووفور جهلي، ولولاهما لما غرّني الشيطان ولا غيره.

قال الطبرسي ؒ في المجمع في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٢]: «المعنى أنّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم؛ إذ عرفوه حقّ معرفته وعلموه حقّ علمه. قال ؒ: وعن الصادق ؑ: يعني بالعلماء

---

(١) مجمع البحرين: ٤١٩/١.

(٢) فاطر ٣٥: ٢٨.

فَتَجاوَزْتُ بِمَا جَرىٰ عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوامِرِكَ،

من صدّق قوله فعله، ومن لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم»[١]، انتهى.

فالآية صريحة في أنّ الخشية لا تصدر من غير العالم، لكن بحسب السياق تدلّ على أنّ الخشية من لوازم العلم لا تنفكّ عنه، وعليه بناء خبر الصادق كما يدلّ عليه جملة من الأخبار أيضاً.

وقال ابن هشام في المغني: «جزم النحويّون بأنّ «ما» في هذه الآية كافّة، ولا يمتنع أن تكون بمعنى الذي، و«العلماء» خبر، والفاعل مستتر في يخشى»، انتهى. وذلك مؤيّد لما ذكره الشيخ الطبرسي.

وعن كلام بعض الأفاضل: قرئ بنصب الجلالة ورفع العلماء، وبالعكس على أن يكون الخشية مستعارة للتعظيم، وفيه بعد كما اعترف به الطريحي في مجمعه[٢].

فَتَجاوَزْتُ بِمَا جَرىٰ عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ: أي بسبب ماجرى عليَّ من القضاء بالجهل.

بَعْضَ حُدُودِكَ: أي محارمك ومناهيك، وسمّيت حدود إلّا أنّ الشرائع كالحدود المضروبة للمكلّفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها.

وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوامِرِكَ: جمع أمر بمعنى الطلب، كما صرّح به الفيّومي في «المصباح»[٣]، والجوهري في «الصحاح»[٤]، والرازي في مختاره[٥]، فلا وجه

---

(١) مجمع البيان: ٢٤٢/٨. مجمع البحرين: ٦٥٢/١.

(٢) نقله عنه الطريحي في مجمع البحرين: ٦٥٢/١.

(٣) المصباح المنير: ٢١/١.

(٤) الصحاح: ٥٨١/٢.

(٥) مختار الصحاح: ١٠.

. . . .

لما عن بعض من إنكار صحّته وأنّ جمعه: أُمور.

ذكر نبذة ممّا جاء في صفة العلم، وفضله، وفضل العلماء:

والمناسب للمقام ذكر نبذة ممّا جاء في الأخبار في صفة العلم وفضله، وفضل العلماء.

ففي الكافي: بإسناده عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «**دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟**

فقيل: علامة.

فقال: وما العلامة؟

فقالوا له: أعلم النّاس بأنساب العرب، ووقائعها، وأيّام الجاهليّة، والأشعار العربيّة.

قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه»، ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[1].

والمراد من الآية المحكمة أُصول العقائد، والفريضة العادلة إشارة إلى علم الأخلاق الذي هو عبارة عن التخلّي عن المساوئ، والتحلّي بالمحاسن، فإنّ ذلك من أهمّ الفرائض، والسنّة القائمة إشارة إلى شرائع الأحكام.

---

(١) الكافي: ٣٢/١، الحديث ١. أمالي الصدوق: ٣٤٠، الحديث ١٣. معاني الأخبار: ١٤١، الحديث ١. مشكاة الأنوار: ٢٤١. منية المريد: ١١٣. شرح أُصول الكافي: ٢١/٢، الحديث ١. وسائل الشيعة: ٣٢٧/١٧، الحديث ٦.

. . . .

وفي هذه الرواية إشارة إلى تقدّم علم الكلام على الفقه رتبة، كما هو صريح منظومة جدّي بحر العلوم أيضاً، حيث قال ﵀:

وأنّ علم الفقه في العلوم — كالقمر البازغ في النجوم

بنوره من بعد شمس المعرفة — معالم الدين غدت منكشفة[(١)]

فإنّ المراد من شمس المعرفة هو علم الكلام.

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله ﵇، قال: «**إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[(٢)].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله ﵇، قال: «**إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين**»[(٣)].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي جعفر ﵇، قال: قال: «**الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة**[(٤)]**، وتقدير المعيشة**»[(٥)].

---

(١) الدرّة النجفيّة: ٢.

(٢) الكافي: ٢٤/١، الحديث ٢. أمالي الصدوق: ١١٦، الحديث ٩. ثواب الأعمال: ١٣١. دعوات الراوندي: ٦٣، الحديث ١٥٧. روضة الواعظين: ٩. وسائل الشيعة: ٧٨/٢٧، الحديث ٢.

(٣) الكافي: ٣٢/١، الحديث ٣.

(٤) النائبة: الحادثة.

(٥) الكافي: ٣٢/١، الحديث ٤.

. . . .

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**العلماء أُمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة**».

وفي رواية أُخرى: «**العلماء منار**»[1].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا خير في العيش إلّا لرجلين: عالم مطاع، أو مستمع واع**»[2].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد**»[3].

وفيه أيضاً: بإسناده عن معاوية بن عمّار، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبثّ ذلك في النّاس، ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل؟

قال: **الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**»[4].

وقال في ثواب العالم والمتعلّم: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنّه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض، حتّى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر**

---

(١) الكافي: ١/٣٣، الحديث ٥.

(٢) الكافي: ١/٣٣، الحديث ٧.

(٣) الكافي: ١/٣٣، الحديث ٨.

(٤) الكافي: ١/٣٣، الحديث ٩.

فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ في جَمِيعِ ذٰلِك، وَلَا حُجَّةَ لي فِيمَا جَرَىٰ عَلَيَّ فِيهِ قَضاؤُك، وَأَلْزَمَني ـ فِيهِ ـ حُكْمُكَ وَبَلاؤُك.

النجوم ليلة البدر، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء. إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر»(١).

وقال في حقّ العالم: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**كان أمير المؤمنين** عليه السلام **يقول: إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً، وخصّه بالتحيّة دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تشر بيدك، ولا تكثر من قول: قال فلانٌ وقال فلانٌ خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فإنّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتّى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»**(٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في هذا الباب الفائقة حدّ الإحصاء والعدّ.

قال عليه السلام:

فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ في جَمِيعِ ذٰلِك: لأنّك أتممت الحجّة على كلّ جاهل ناقص بلسان الأنبياء والأولياء.

وَلَا حُجَّةَ لي فِيمَا جَرَىٰ عَلَيَّ فِيهِ قَضاؤُك، وَأَلْزَمَني ـ فِيهِ ـ حُكْمُكَ وَبَلاؤُك:

---

(١) الكافي: ١/٣٤، الحديث ١. أمالي الصدوق: ١١٦، الحديث ٩. ثواب الأعمال: ١٣١.

(٢) الكافي: ١/٣٧، الحديث ١. مستطرفات السرائر: ٦٤٦. شرح أُصول الكافي: ٢/٨٣، الحديث ١.

. . . .

الحجّة بمعنى الغلبة ، وما موصولة بمعنى الذي ، والضمير المجرور بـ« في » يعود إلى الموصول ، والقضاء بمعنى العلم ، أي لا غلبة لي في الذي جرى عليَّ فيه علمك من شقائي وعصياني ، إذ لا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه ما لا يكون له في حدّ ذاته ، بل هو تابع للمعلوم ، فلا حكم من العالم على المعلوم إلّا بالمعلوم ، وبما يقتضيه بحسب استعداده الكلّي والجزئي ، فما قدّرته علَيَّ من الشقاء والعصيان فهو من نفسي باقتضاء ماهيّتي وطلبي بلسان استعدادي أن تجعلني شقيّاً عاصياً ، كما يطلب عين الكلب الحكم عليها بالنجاسة العينيّة ، فما كنت في علمك ظهرت في عالم الوجود العيني ، فليس لك يا ربّي إلّا إفاضة الوجود الذي هو خير محض ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[1] ، أي ما قدرت عليهم الكفر الذي يشقيهم ، ثمّ طالبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به ، بل ما عاملناهم إلّا بما علّمناهم ، وما علّمناهم إلّا بما أُعطوا من نفوسهم ممّا هم عليه ، فإن كان ظلماً فهم الظالمون ، ولذا قال تعالى : ﴿ **وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[2].

وفي الحديث : « **من وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه** »[3] ، والمراد بالحكم حكمه تعالى في التكليف الأوّل يوم الميثاق قبل تعلّق الأرواح بالأبدان ، حيث ظهرت ذلك اليوم الطاعة والمعصية ، فقال عزّ شأنه مشيراً

---

(١) ق ٥٠ : ٢٩.

(٢) البقرة ٢ : ٥٧.

(٣) صحيح مسلم : ١٧/٨. المستدرك على الصحيحين : ٢٤١/٤. المحلّى / ابن حزم : ٤٨/١. الحكايات / الشيخ المفيد : ٨٥. بحار الأنوار : ٤٥٤/١٠.

وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلٰهي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرافي عَلىٰ نَفْسي مُعْتَذِراً نَادِماً، مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً، مُسْتَغْفِراً مُنِيباً، مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً، لَا أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ في أَمْرِي، غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي، وَإِدْخالِكَ إِيَّايَ في سَعَةِ

إلى من ظهرت ذلك اليوم منه الطاعة: هؤلاء للجنّة ولا أُبالي، ومشيراً إلى من ظهرت ذلك اليوم منه المعصية: هؤلاء للنّار ولا أُبالي.

هذا بناءً على ما في بعض النسخ من التعبير في الفقرة الأُولى بقوله: «فلك الحجّة علَيّ».

وأمّا بناءً على ما في أكثر النسخ من التعبير عن الفقرة المزبورة بقوله: «فلك الحمد عَلَىٰ» كما في نسخة «المصباح» للكفعمي[(١)] التي هي عندي، وفي «زاد المعاد» للمجلسي[(٢)] أيضاً، فالظاهر أنّ المراد بقرينة ما ذكرناه آنفاً أنّك تستحقّ عليّ الحمد في جميع ذلك؛ إذ لم يصدر منك إلّا ما هو خير محض، ونفع بحت، أعني إفاضته الوجود والوجودات تابعة للحقائق، والحقائق غير مجعولة، بل هي صور علميّة للأسماء الإلٰهيّة، فتستحقّ منّي الحمد على هذه الموهبة.

وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلٰهي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرافي عَلىٰ نَفْسي مُعْتَذِراً نَادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً مُسْتَغْفِراً مُنِيباً مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً، لَا أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ في أَمْرِي، غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي، وَإِدْخالِكَ إِيَّايَ في سَعَةِ

---

(١) مصباح الكفعمي: ٧٣٩.

(٢) زاد المعاد: ٦٢.

مِنْ رَحْمَتِكَ. اللّٰهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثاقي. اللّٰهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثاقي.

مِنْ رَحْمَتِكَ[١].

اللّٰهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثاقي: التقصير في الأمر: التواني فيه، والإسراف فيه، والإفراط فيه، والجهل والاعتذار إظهار ما يقتضي العذر، والندم ضرب من الغمّ، وهو أن يغتمّ على ما وقع منه يتمنّى أنّه لم يقع. يقال: إنّه ندم على ما فعل ندامة فهو نادم: إذا حزن وتندّم مثله.

وفي الحديث: «**الندم توبة**»[٢]، وكان في المقام ناقصة لا تامّة، بمعنى الحدوث والوقوع.

تحقيق الفرق بين كان التامّة والناقصة:

قال الرازي في تفسيره في تحقيق الفرق بين مفاد كان التامّة والناقصة: «إن كان لا معنى له إلّا حدث ووقع ووجد إلّا أنّ قولك: وجد وحدث، على قسمين:

أحدهما: أن يكون المعنى وجد وحدث الشيء، كقولك: وجد الجوهر وحدث العرض.

والثاني: أن يكون المعنى وجد وحدث موصوفيّة الشيء بالشيء، فإذا قلت: كان زيد عالماً فمعناه حدث في الزمان الماضي موصوفيّة زيد بالعلم، والقسم الأوّل هو

---

(١) في بعض نسخ الدعاء: «سَعَةِ رَحْمَتِكَ».

(٢) تحف العقول: ٥٥. عوالي اللآلي: ٢٩٢/١، الحديث ١٦٨. بحار الأنوار: ١٥٩/٧٧، الحديث ١٥٤.

. . . .

المسمّى بكان التامّة ، والقسم الثاني هو المسمّى بالناقصة ، وفي الحقيقة فالمفهوم من كان في الموضعين هو الحدوث والوقوع إلّا أنّ في القسم الأوّل المراد حدوث الشيء في نفسه ، فلا جرم كان الاسم الواحد كافياً ، والمراد في القسم الثاني حدوث موصوفيّة أحد الأمرين بالآخر ، فلا جرم لم يكن الاسم الواحد كافياً ، بل لا بدّ فيه من ذكر الاسمين حتّى يمكنه أن يشير إلى موصوفيّة أحدهما بالآخر»[١].

والمفرّ : المهرب .

مراتب الفرار إلى الله :

قال بعض المحقّقين : «الفرار إلى الله : الإقبال عليه ، وتوجيه السير إليه ، وهو على مراتب :

أوّلها : الفرار من أثر غضبه إلى أثر رحمته .

والثاني : أن يفرّ العبد عن مشاهدة الأفعال ويترقّى من درجة القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال ، وهي الصفات فيفرّ من بعضها إلى بعض ،كما يستعاذ من سخط الله بعفوه ، والسخط والعفو صفتان .

الثالث : أن يترقّى عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات فيفرّ منها إليها ، وقد جمع الرسول ﷺ هذه المراتب حين أمر بالقرب في قوله : ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾[٢] ، فقال في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، والعفو كما يكون صفة للعافي كذلك

---

(١) التفسير الكبير : ١٠٨/٧ .

(٢) العلق ٩٦ : ١٩ .

يَا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني ، وَرِقَّةَ جِلْدِي ، وَدِقَّةَ عَظْمي ،

يكون الأثر الحاصل عن صفة العفو ، ثمّ قرب وغنى عن مشاهدة الأفعال ، وترقّى إلى مصادرها ، وهي الصفات ، قال : « أعوذ برضاك من سخطك » ، وهما صفتان .

ثمّ لمّا ترقّى عن مشاهدة الصفات واقترب إلى ملاحظة الذات قال : « وأعوذ بك منك » ، وهذا فرار منه إليه ، وهو مقام الوصول إلى ساحل العزّة ، ثمّ للسباحة في لجّة الوصول درجات اُخر لا تتناهى ، ولذلك لمّا ازداد صلّى الله عليه وآله قرباً قال : « لا اُحصي ثناء عليك » ، وفي قوله بعد ذلك : « أنت كما أثنيت على نفسك » كمال للإخلاص وتجريد له[1] .

يَا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني ، وَرِقَّةَ جِلْدِي ، وَدِقَّةَ عَظْمي : اعلم أنّ الربّ أقرب الأسماء إلى الاسم الأعظم ، ولذا لم يذكر الله تعالى دعاء من أدعية الأنبياء والصالحين إلّا افتتحها به ، كقوله :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا ﴾[2] ، **﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾**[3] ، **﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾**[4] ، **﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا ﴾**[5] ، **﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾**[6] ، **﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾**[7] ، **﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾**[8] ، **﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا**

---

(١) مجمع البحرين : ٣/٣٨٠.

(٢) الأعراف ٧ : ٢٣.

(٣) الكهف ١٨ : ١٠.

(٤) البقرة ٢ : ٢٢٠ و ٢٠١.

(٥) الفرقان ٢٥ : ٦٥.

(٦) آل عمران ٣ : ٨.

(٧) البقرة ٢ : ٢٨٦.

(٨) الأنبياء ٢١ : ٨٣.

. . . .

فِتْنَةً﴾[١]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[٢]، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾[٣]، ومثله كثير، وفيه استعطاف لما فيه من الدلالة على تربية كلّ شيء وتكميله وحفظه، وإخراجه من حدّ النقص إلى الكمال بحسب ما يليق بحاله.

ثمّ الربّ منادى مضاف إلى ياء المتكلّم، والأصل يا ربّي حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلاً عليها، وهذا وجه من أوجه خمسة:

ويليه أن تثبّت الياء ساكنة، نحو: ربّي.

وإن شئت فاقلب الكسرة فتحة.

والياء ألفاً نحو: ربّاً، بإثبات الألف أو حذفه، نحو: ربَّ.

وأحسن من هذا ثبوت الياء محرّكة، نحو: ربّيَ.

وزاد بعضهم سادساً، وهو الاكتفاء من الإضافة بنيّتها، وجعل المنادى مضموماً كالمفرد المعرفة مبنيّاً على الضمّ، وأمّا الأوجه الخمسة فهي التي أُشير إليها في ألفية ابن مالك بقوله:

وَاجْعَلْ مُنادىً صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا ... كَعَبْدِ عَبْدي عَبْدَ عَبْداً عَبْدِيا[٤]

والألف في عبديا للإطلاق لأجل القافية للشطر الأوّل من البيت، فافهم.

والضعف خلاف القوّة، والبَدَن من الجسد: ما سوى الرأس، كما عن القاموس[٥]،

---

(١) يونس ١٠: ٨٥. الممتحنة ٦٠: ٥.

(٢) القمر ٥٤: ١٠.

(٣) الأعراف ٧: ٨٩.

(٤) شرح ابن عقيل: ٣/٢٧٤.

(٥) القاموس المحيط: ٤/٢٠٠.

يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي وَذِكْرِي ، وَتَرْبِيَتي وَبِرِّي وَتَغْذِيَتي ،

وقيل : إنّ البدن اسم لما تعلّقت به الروح كما عن ظاهر الصحاح[١] .

ويؤيّده قوله تعالى : ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ** ﴾[٢] ، ويؤيّده أيضاً هذه الفقرة ؛ إذ ليس المراد منها تعلّق الرحمة بما سوى الرأس من البدن قطعاً .

يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي : من بدأ بالشيء فعله ابتداءً .

وَذِكْرِي : يعني بدأ ذكري أيضاً بعد أن مضى عليَّ وقت لم أكن موجوداً في الأرض ، مذكوراً بين أهل الأرض ، كما ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً** ﴾[٣] [٤] .

وَتَرْبِيَتي وَبِرِّي وَتَغْذِيَتي : وربّيته تربية : غذّوته ، وهو لكلّ ما ينمى ، كالولد والزرع ، والبرّ هو الإحسان ، والتغذية هو الإطعام ، والمراد من كلّ ذلك تعداد الفواضل الصادرة من الكريم المتعال على العبد .

تفصيل ابتداء الخلق إلى الكمال :

والمناسب للمقام ذكر تفصيل ابتداء الخلق إلى الكمال ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ**

---

(١) الصحاح : ٥/٢٠٧٧ .

(٢) يونس ١٠ : ٩٢ .

(٣) الإنسان ٧٦ : ١ .

(٤) مجمع البحرين : ٢/٩٨ .

. . . .

خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[(١)].

وروي عنهم عليهم السلام: «أنّ الله تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي ممّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أوقعها في الرحم، وبعث ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها، فماثها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها فيكون أربعين يوماً نطفة، ثمّ يصير علقة أربعين يوماً، ثمّ يصير مضغة أربعين يوماً، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقّان له السمع والبصر وسائر الجوارح، ثمّ يوحي الله إلى الملكين: اكتبا عليه قضائي وقدري، واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيرفعان رؤوسهما، فإذا اللوح يقرع جبهته، وفيه صورته ورؤيته وأجله وميثاقه، شقيّاً أو سعيداً، وجميع شأنه، فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويختتمان الكتاب، ويجعلانه بين عينيه، ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أُمّه، وربّما عتى فانقلب ولا يكون إلّا عاتٍ أو مارد، فإذا بلغ أوان خروجه تامّاً أو غير تامّ أوحى الله إلى ملك يقال له: زاجر، فيزجره زجرة يفزع منها، فينقلب فيخرج باكياً من الزجر، وينسى الميثاق»[(٢)].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ النطفة تردّد في بطن المرأة تسعة أيّام في كلّ عرق ومفصل منها وللرحم ثلاثة أقفال: قفل في أعلاها ممّا يلي أعلى السرّة من الجانب الأيمن، والقفل الآخر وسطها، والقفل الآخر أسفل الرحم، فيوضع بعد تسعة أيّام في القفل الأعلى، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١٢ ـ ١٤.

(٢) الكافي: ١٤/٦، الحديث ٤. بحار الأنوار: ٣٤٤/٦٠، الحديث ٣١.

هَبْني لابْتِداءِ كَرَمِكَ وَسالِفِ بِرِّكَ بي.

والتهوّع[١]، ثمّ ينزل إلى القفل الأوسط، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، وسرّة الصبي فيها مجمع العروق، عروق المرأة كلّها منها، يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثمّ ينزل إلى القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فذلك تسعة أشهر، ثمّ تطلق المرأة، فكلّما طلقت انقطع عرق من سرّة الصبي، فأصابها ذلك الوجع ويده على سرّته حتّى يقع على الأرض ويده مبسوطة»[٢].

قال بعض الشارحين: وفي هذا الحديث دلالة على أنّه يخرج مبسوط اليد، وفي غيره من الأخبار أنّها تخرج مقبوضة.

ومن ثمّ قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

وفي قبض كفّ الطفل عند ولاده ... دليل على الحرص المركب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات مواعظ ... ألا فانظروني قد خرجت بلا شيّ[٣]

قال رحمه الله: «ودفع التناقض بما هو المشاهد من القبض بعد البسط فيكون ذلك البسط خوفاً من زجرة الملك؛ لأنّ الأعضاء تسترخي حال الخوف»، انتهى كلامه.

هَبْني لابْتِداءِ كَرَمِكَ وَسالِفِ بِرِّكَ بي[٤].

---

(١) التهوّع: تكلّف القيء.

(٢) الكافي: ٦/١٥، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٦٠/٣٦٣، الحديث ٥٧.

(٣) ورد البيتان في ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٢١، وهما من بحر الطويل.

(٤) هذه الفقرة لم يشرحها المؤلّف رحمه الله، فآثرنا إيرادها تتميماً للفائدة.

قال السيّد عبدالأعلى السبزواري رحمه الله في شرح دعاء كميل: ١٤٠.

هب: أمرٌ من الهبة، وهي العطاء. ⇦

⇨ **الكرم:** كالموهبة من الله تعالى، إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض...

يَا إِلٰهي وَسَيِّدِي وَرَبِّي ، أَتَرَاكَ مُعَذِّبي بِنَارِكَ

يَا إِلٰهي وَسَيِّدِي وَرَبِّي ، أَتَرَاكَ : ـ بفتح حرف المضارعة ـ كما هو المنقول عن نسخة صحّحها الفاضل النراقي ، كذلك .

مُعَذِّبي بِنَارِكَ : الهمزة للإنكار الإبطالي التي تقتضي أنّ ما بعدها غير واقع ، وأنّ مدّعيه كاذب ، كما في قوله تعالى : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً** ﴾[١] .

تجاهل العارف :

ويمكن حملها على معناها الحقيقي من باب تجاهل العارف الذي هو من المحسّنات البديعيّة لنكتة الوله والدهشة ، وأنّهما بلغا حدّاً لا يعرف الداعي المتحسر بهما شيئاً ، وقد وقع في القرآن المجيد مثل هذا الأُسلوب .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[٢] .

وفي النثر العربي : « أبدر ظاهر أم جبينه ، وبحرٌ زاخرٌ أم يمينه » .

وفي الشعر :

سالف الزمان: ما مضى منه .

البرّ: الإحسان . وبالفتح بمعنى : البارّ المحسن .

يريد السائل : أنّه لأجل ألطافك القديمة ، ومواهبك العظيمة العميمة السالفة التي أعطيتها لي في ابتداء وجودي إلى الآن ، اغفر لي ذنوبي ، وأعطني سؤلي ، فإنّك عوّدتني بمواهبك السنيّة ، ومراحمك البهيّة العليّة .

(١) الحجرات ٤٩ : ١٢.

(٢) سبأ ٣٤ : ٢٤.

. . . .

تاللهِ يا ظبيّاتِ القاعِ قلن لنا ... ليلايَ منكنّ أم ليلى منَ البشرِ[١]

وقال المتنبّي :

أرِيقُكِ أمْ ماءُ الغَمامةِ أمْ خَمْرُ ... بفيَّ بَرُودٌ وهْوَ في كَبدي جَمْرُ[٢]

والجملة الواقعة بعد فعل رأى في موضع المفعول الثاني إن كان من رأي العلميّة ، كما هو المتعيّن في المقام ، وفي موضع الحال إن كان من رأي البصريّة ، وربّما يوجد في بعض النسخ : تُراك ـ بضمّ حرف المضارعة ـ على أن يكون فعلاً مبنيّاً للمجهول ، والكاف ضمير في محلّ رفع على أن يكون نائباً عن الفاعل ، والمعنى : أترى أنت هكذا ؟ وفيه أنّ الكاف من الضمائر المتّصلة التي لا يكون محلّها إلّا منصوباً أو مجروراً ، كقوله تعالى : ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ** ﴾[٣] ، ولم تقع قطّ مرفوعة ، كما صرّح بذلك ابن هشام وغيره في المغني وغيره[٤] ، وربّما توهّم بعض أنّ هذا التركيب ملحق بما مكرّر في الكتاب والسنّة من أرأيتك وأرأيتكم ، وهي كلمة تقال عند الاستخبار والتعجّب ، ومعناها أخبرني .

قال الزمخشري : « لمّا كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحّة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبر »[٥] ، انتهى .

---

(١) البيت لعليّ بن أحمد الغريبي ، ويروى للمجنون العامري . انظر : مختصر المعاني / التفتازاني : ٥٠ . تاج العروس : ٢٣١/٢ .

(٢) ديوان المتنبّي : ٥٤ في مدح عبدالله بن يحيى البحتري .

(٣) الضحى ٩٣ : ٣ .

(٤) مغني اللبيب : ١٨١/١ .

(٥) نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار : ٦٤/٣ .

بَعْدَ تَوْحِيدِكَ ،

وهو توهّم فاسد ، فإنّ الوارد من ذلك فيهما هو خصوص أرأيتك وما يتبعه من صيغة التثنية والجمع كأرأيتكما وأرأيتكم ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ** ﴾[(١)].

قال في القاموس : « وفي الحديث : « **أرأيتَك وأرأيتَكما** » ، وهي كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني وأخبراني وأخبروني »[(٢)] ، انتهى .

وكيف كان فتاءها مفتوحة أبداً ، وهي الفاعل ، والكاف حرف معنى لا محلّ له من الإعراب ، ومعناه الخطاب ، وهذا هو الصحيح الذي عليه سيبويه .

وقال الفرّاء : « التّاء حرف خطاب ، والكاف فاعل ، لكونها المطابقة للمسند إليه في الأفراد والتثنيّة والجمع ، ويردّه صحّة الاستغناء عن الكاف ، وأنّها لم تقع قطّ مرفوعة ، كما عرفت »[(٣)].

وقال الكسائي : « التاء فاعل ، والكاف مفعول ، ويلزمه أن يصحّ الاقتصار على الاسم الظاهر المنصوب في نحو : أرأيتك زيداً ما شأنه ، لأنّه المفعول الثاني ، مع أنّ الفائدة لا تتمّ عنده ، فلا يجوز الاقتصار عليه ، وأمّا ﴿ **أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ** ﴾[(٤)] ، فالمفعول الثاني محذوف ، تقديره : تفضيله أو تكريمه »[(٥)].

بَعْدَ تَوْحِيدِكَ : أي بعد أن وحّدتك وقد قلت على لسان رسلك وأوليائك عليهم السلام

---

(١) الأنعام ٦ : ٤٠.

(٢) القاموس المحيط : ٣٣١/٤.

(٣) و (٥) مغني اللبيب : ١٨١/١.

(٤) الإسراء ١٧ : ٦٢.

. . . .

أن لا تعذّب أهل التوحيد بالنّار.

أخبار التوحيد:

فقد روى شيخنا الصدوق في التوحيد: بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾[١]، قال: « **قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن أُتّقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة** ».

وقال عليه السلام: « **إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لا يعذّب أهل توحيده بالنّار أبداً** »[٢].

وبإسناده: عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: « **إنّ الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحّدين على النّار** »[٣].

قال بعض شرّاح الحديث: إنّ في هذا الحديث أُموراً:

الأوّل: أنّ الموحّدين لا يعذّبون بالنّار وذلك لا ينفي أن يعاقب بالآلام الدنيويّة، وشدّة النزع، وضغطة القبر، إلى غير ذلك، نعوذ بالله منها.

الثاني: أنّ الأجساد محشورة ومنعّمة ومعذّبة.

الثالث: وجه حرمة أجساد الموحّدين على النّار وهو أنّ النّار مخلوقة من غضب

---

(١) المدّثّر ٧٤: ٥٦.

(٢) التوحيد: ٢٠، الحديث ٦.

(٣) التوحيد: ٢٠، الحديث ٧. بحار الأنوار: ٣/٤، الحديث ١١.

. . . .

الله جلّ جلاله ، وهو سبحانه إنّما ينظر أوّلاً إلى البواطن ، فمنشأ النّار إنّما هو من باطن الإنسان ، فإذا كان الباطن معتقداً لتوحيد الله ومؤمناً بكتبه ورسله والدار الآخرة ، فليس للنّار التي هي مخلوقة من غضب الله منشأ ومبدء في باطن ذلك الموحّد ، فلا يعذّب بالنّار ، وإن كان قد يعاقب بغيرها من إساءة الأعمال ،كالأُمور الخارجة من الأمراض الدنيويّة وغيرها ،كما قلنا .

الرابع : أنّ الشيخ ﷫ نقل في رسالة الاعتقادات عن المعصومين أنّ أهل التوحيد إنّما يتألّمون بخروجهم من النّار ، ووجه ذلك أنّ الخروج إنّما يكون عندما يتخلّصون من أثر القبائح والذمائم ، فحينئذٍ يستشعرون بما يخالف الحالة الأُولى ، وليس الألم إلّا إدراك المنافر ، فقبل الخروج كانت تلك الحالة ملائمة لهم بسبب وضوح الأخلاق الذميمة وآثار الأعمال القبيحة ، وإن كانت منافية لاعتقاداتهم لكن لغلبة الآثار التي هي نتائج الذمائم والقبائح لم يستشعروا بها من حيث المنافرة وحين التخلّص منها استشعروا بها ، فصحّ أنّهم لا يعذّبون بالنّار ، وإنّما يتألّمون بالخروج منها [١] .

وبإسناده : عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر ﵇ ، قال : « **جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمّد ، طوبى لمن قال من أُمّتك : لا إلـه إلّا الله وحده وحده وحده** » [٢] ، وتثليث قوله : وحده باعتبار توحيد الذات والصفات والأفعال ، فافهم .

وبإسناده : عن عبيد بن زرارة ، قال : قال أبو عبدالله ﵇ : « **قول لا إلـه إلّا الله ثمن الجنّة** » [٣] . قلت : وذلك لأنّ التلفّظ بها لساناً يدخل في حكم المسلمين ، ويخرج من

---

(١) شرح توحيد الصدوق : ٣٣/١ و ٣٤.

(٢) التوحيد : ٢١ ، الحديث ١٠. ثواب الأعمال : ٥. الكافي : ٥١٧/٢ ، الحديث ١.

(٣) التوحيد : ٢١ ، الحديث ١٣. ثواب الأعمال : ٤. وسائل الشيعة : ٢١٢/٧ ، ⇦

وَبَعْدَ مَا انْطَوىٰ عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ ،

العقوبات الدنيويّة التي أُعدّت للكافرين من القتل والأسر ونهب الأموال والبنين ، والقائل بها اعتقاداً يدخل في زمرة المؤمنين ، ويصير إلى جنّة وحور عين ، ومرافقة الصالحين .

وَبَعْدَ مَا انْطَوىٰ عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ: المراد من معرفة الله تعالى ـ كما قيل ـ: الاطّلاع على نعوته وصفاته الجلاليّة والجماليّة بقدر الطاقة البشريّة ، وأمّا الاطّلاع على الذات المقدّسة فممّا لا مطمع فيه لأحد .

مراتب المعرفة:

قال سلطان المحقّقين[(١)]: « إنّ مراتب المعرفة مثل مراتب النّار ـ مثلاً ـ وإنّ أدناها من سمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه ، ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه ، ويسمّى ذلك الموجود ناراً ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المقلّدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة .

وأعلى منها : مرتبة من وصل إليه دخان النّار وعلم أنّه لا بدّ له من مؤثّر ، فحكم بذات لها أثر هو الدخان ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع .

وأعلى منها : مرتبة من أحسّ بحرارة النّار بسبب مجاورتها ، وشاهد الموجودات بنورها ، وانتفع بذلك الأثر ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنّت قلوبهم بالله ، وتيقّنوا أنّ الله نور السماوات والأرض ،

⇦ الحديث ١١ .

(١) أعني الخواجة نصير الدين الطوسي ﷺ ـ منه .

وَلَهِجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ ،

كما وصف به نفسه .

وأعلى منها : مرتبة من احترق بالنّار بكلّيّته ، وتلاشى فيها بجملته ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله ، وهي الدرجة العليا ، والمرتبة القصوى ، رزقنا الله الوصول إليها ، والوقوف عليها بمنّه وكرمه .

وقد جعل بعض الشارحين المعرفة التي تضمّنها قوله عليه السلام : « **من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعناء نفسه بالصيام والقيام** . . .إلخ »[1] هي المرتبة الثالثة والرابعة .

ويمكن أن يكون المراد من المعرفة في هذا المقام الثقة به تعالى ، والانقطاع إليه ، والتوكّل عليه ، والاستغناء به عن غيره ، كما ورد بهذا المعنى في الحديث أيضاً ، قال عليه السلام : « **لو يعلم النّاس ما فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا**[2] »[3] .

وَلَهِجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ : لهج بالشيء لهجاً من باب تعب أولع به ، وفيه دلالة على حسن الذكر وفضله .

في حسن الذكر وفضله:

ففي الكافي : بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **مكتوب في التوراة التي لم تغيّر :**

---

(١) الكافي : ٢/٢٣٧ ، الحديث ٢٥ . أمالي الصدوق : ٣٨٠ ، الحديث ٧ و : ٦٤٧ ، الحديث ٦ . روضة الواعظين : ٢٩٢ .

(٢) من قوله : « سلطان المحقّقين » إلى هنا أخرجه الطريحي في مجمع البحرين : ٣/١٦٢ .

(٣) الكافي : ٨/٢٤٧ ، الحديث ٣٤٧ . شرح أُصول الكافي : ١٢/٣٤١ .

. . . .

أنّ موسى سأل ربّه فقال: يا رب، أقريب أنت منّي فُأناجيك، أم بعيد فأُناديك ؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكرني.

فقال موسى عليه السلام: فمن في سترك يوم لا ستر إلّا سترك ؟

فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم، ويتحابّون فيَّ فأُحبّهم، فأُولئك الذين إذا أردت أن أُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم»[١].

حسن الذكر حتّى في حال الجنابة والخلاء:

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «لا بأس بذكر الله وأنت تبول، فإنّ ذكر الله عزّ وجلّ حسن على كلّ حال، فلا تسأم من ذكر الله»[٢].

وهذا الحديث يدلّ على استحباب الذكر في حال الجنابة والخلاء وسائر الأحوال الخسيسة.

جواز قراءة المجنب ما عدا آية السجدة من سور العزائم:

وربّما يستدلّ به على جواز قراءة القرآن للجنب والحائض ـ كما هو الأقوى ـ حتّى سور العزائم، فإنّ الحرمة فيها مختصّ بخصوص آيات السجدة منها لا غير.

وفي الكافي أيضاً: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى، لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كلّ حال، فإنّ كثرة

---

(١) الكافي: ٢/٤٩٦، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٧٧.

(٢) الكافي: ٢/٤٩٧، الحديث ٦. شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٧٨.

. . . .

المال تنسي الذنوب ، وإنّ ترك ذكري يقسي القلوب »(١) .

وبإسناده : عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **مكتوب في التوراة التي لم تغيّر : أنّ موسى** عليه السلام **سأل ربّه ، فقال : إلـهي ، إنّه يأتي علَيَّ مجالس أُعزّك وأُجلّك أن أذكرك فيها .**

فقال : يا موسى ، إنّ ذكري حسن على كلّ حال »(٢) .

وبإسناده : عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **قال الله عزّ وجلّ : يابن آدم ، اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملئك »**(٣) .

وبإسناده أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **قال الله عزّ وجلّ : من ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ من الملائكة »**(٤) .

وبإسناده : عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه ، فرض الله عزّ وجلّ الفرائض ، فمن أدّاهنّ فهو حدّهن ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه ، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه ، إلّا الذكر فإنّ الله عزّ وجلّ لم يرض منه بالقليل ، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه »** ، ثمّ تلا هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾(٥) ، فقال : « **لم يجعل الله عزّ وجلّ له حدّاً ينتهي إليه »** ، قال : « **وكان أبي كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنّه**

---

(١) الكافي : ٤٩٧/٢ ، الحديث ٧. علل الشرائع : ٨١/١ ، الحديث ٢. الخصال : ٣٩.

(٢) الكافي : ٤٩٧/٢ ، الحديث ٨. شرح أُصول الكافي : ٢٧٨/١٠.

(٣) الكافي : ٤٩٨/٢ ، الحديث ١٢.

(٤) الكافي : ٤٩٨/٢ ، الحديث ١٣. شرح أُصول الكافي : ٣٣/١.

(٥) الأحزاب ٣٣: ٤١ و ٤٢.

. . . .

ليذكر الله تعالى ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إلـه إلّا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ، ويأمرنا بالقراءة من كان يقرأ منّا ، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر .

آثار قراءة القرآن في البيت :

والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزّ وجلّ فيه تكثر بركته ، وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّيّ لأهل الأرض ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ، ولا يذكر الله فيه ، تقلّ بركته ، وتهجره الملائكة ، وتحضره الشياطين ، وقد قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بخير أعمالكم أرفعها في درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من الدينار والدرهم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلونكم ؟

فقالوا : بلى .

قال : ذكر الله كثيراً ، ثمّ قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : من خير أهل المسجد ؟ فقال : أكثرهم لله ذكراً .

وقال رسول الله ﷺ : « من أعطي لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[1] : لا تستكثر ما عملت من خير الله »[2] .

---

(١) المدّثّر ٧٤ : ٦ .

(٢) الكافي : ٢/٤٩٨ ، الحديث ١ . شرح أصول الكافي : ١٠/٢٨١ .

. . . .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

معنى الذكر الكثير:

واعلم أنّه اختلف في معنى الذكر الكثير.

فقيل: أن لا ينسى الله أبداً ـ عن مجاهد.

وقيل: هو أن يذكره سبحانه بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وينزّهه عمّا لا يليق به.

وقيل: هو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلّا الله، والله أكبر، على كلّ حال ـ عن مقاتل[١].

وروى العلّامة المجلسي ﵀ عن أئمّتنا عليهم السلام أنّهم قالوا: من قالها ثلاثين مرّة فقد ذكر الله ذكراً كثيراً[٢].

وعن زرارة وحمران ابني أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر الله ذكراً كثيراً**»[٣].

وروى الواحدي بإسناده عن الضحّاك، عن ابن عبّاس، قال: جاء جبرئيل إلى

---

(١) مجمع البيان: ١٦٦/٨.

(٢) مجمع البيان: ١٦٦/٨. بحار الأنوار: ٢٤/٨٦، الحديث ٢٥ و: ١٣٨. نور الثقلين: ٢٨٧/٤، الحديث ١٥٤.

(٣) مجمع البيان: ١٦٧/٨. وسائل الشيعة: ٤٤٣/٦، الحديث ٦. بحار الأنوار: ٣٣٥/٨٥، الحديث ٢٢.

وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ ،

النبيّ ﷺ فقال : يا محمّد ، قل : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلّا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ، عدد ما علم ، وزنة ما علم ، وملء ما علم ، فإنّه من قالها كتب الله له بها ستّ خصال ؛كتب من الذاكرين الله كثيراً ، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وكان له غرساً في الجنّة ، وتحاتت[1] عنه خطاياه كما تحاتّ ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله إليه ، ومن نظر إليه لم يعذّبه »[2].

وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ :

في حقيقة المحبّة:

اعلم أنّ المحبّة هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعدها مقام إلّا وهو ثمرة من ثمراتها ، كالشوق والأُنس ، ولا قبلها مقام إلّا وهو مقدّمة من مقدّماتها كالصبر والزهد ، وسائر المقامات وإن عزّ وجودها فلا تخلو القلوب عن الإيمان بإمكانها ، فأمّا محبّة الله عزّ وجلّ فقد عزّ التصديق بها حتّى أنكر بعض أهل العلم إمكانها ، فقال جمهور المتكلّمين : إنّ المحبّة نوع من أنواع الإرادة ، والإرادة لا تعلّق لها إلّا بالجائزات ، فيستحيل تعلّق المحبّة بذات الله تعالى وصفاته ، فإذا قلنا : نحبّ الله ، فمعناه : نحبّ طاعة الله وخدمته ، أو نحبّ ثوابه وإحسانه .

وأمّا العارفون فقد قالوا : العبد قد يحبّ الله تعالى لذاته ، وأمّا حبّ خدمته أو حبّ ثوابه فدرجة نازلة .

واحتجوا بأن قالوا : إنّا وجدنا اللذّة محبوبة لذاتها ، والكمال أيضاً محبوباً لذاته .

---

(١) تحاتت : تناثرت وسقطت.

(٢) مجمع البيان : ١٦٧/٨ .

. . . .

أمّا اللذّة فإنّه إذا قيل لنا : لِمَ تكتسبون ؟ قلنا : لنجد المال ، فإذا قيل : ولِمَ تطلبون المال ؟ قلنا : لنجد به المأكول والمشروب ، فإن قالوا : لِمَ تطلبون المأكول والمشروب ؟ قلنا : لتحصيل اللذّة ، ودفع الألم ، فإذا قيل لنا : ولِمَ تطلبون اللذّة وتكرهون الألم ؟ قلنا : هذا غير معلّل ، فإنّه لو كان كلّ شيء إنّما كان مطلوباً لأجل شيء آخر لزم ، أمّا التسلسل والدور وهما محالان فلا بدّ من الانتهاء إلى ما يكون مطلوباً لذاته .

وإذا ثبت ذلك فنحن نعلم أنّ اللذّة مطلوبة الحصول لذاتها ، والألم مطلوب الدفع لذاته لا بسبب آخر .

وأمّا الكمال فلأنّا نحبّ الأنبياء والأولياء لمجرّد كونهم موصوفين بصفات الكمال ، وإذا سمعنا حكاية بعض الشجعان مثل : رستم واسفنديار ، وشجاعة عليّ عليه السلام ، وسخاوة حاتم ، مالت قلوبنا إليهم ميلاً ضروريّاً .

وليس ذلك من نظر إلى صورة محسوسة ، ولا عن حظّ يناله المحبّ منهما ، حتّى أنّه قد يبلغ ذلك الميل إلى إنفاق المال العظيم في تقرير تعظيمه ، وقد ينتهي ذلك إلى المخاطرة بالروح في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه ، وكون اللّذّة محبوبة لذاتها لا ينافي كون الكمال محبوباً لذاته .

إذا ثبت هذا فنقول : الذين حملوا محبّة الله تعالى على محبّة طاعته ، أو على محبّة ثوابه ، فهؤلاء الذين عرفوا أنّ اللذّة محبوبة لذاتها ولم يعرفوا أنّ الكمال محبوب لذاته ، أمّا العارفون الذين قالوا : إنّه تعالى محبوب في ذاته ولذاته فهم الذين انكشف لهم أنّ الكمال محبوب لذاته ؛ وذلك لأنّ أكمل الكاملين هو الحقّ سبحانه وتعالى ، فإنّه لوجوب وجوده غنيّ عن كلّ ما عداه ، وكمال كلّ شيء فهو مستفاد

. . . .

منه ، وأنّه سبحانه وتعالى أكمل الكاملين في العلم والقدرة ، فإذا كنّا نحبّ الرجل العالم لكماله في علمه ، والرجل الشجاع لكماله في شجاعته ، والرجل الزاهد لبراءته عمّا لا ينبغي من الأعمال ، فكيف لا نحبّ الله وجميع العلوم بالنسبة إلى علمه كالعدم ، وكلّ قدرة بالنسبة إلى قدرته كالعدم ، وجميع ما للخلق من البراءة عن النقائص بالنسبة إلى ما للحقّ من ذلك كالعدم ، فلزم القطع بأنّ المحبوب الحقّ هو الله تعالى ، وأنّه محبوب في ذاته ولذاته ، سواء أحبّه غيره أو ما أحبّه غيره .

واعلم أنّك لمّا وقفت على النكتة في هذا الباب فنقول : العبد لا سبيل له إلى الاطّلاع على كمال الله سبحانه ابتداء ، بل ما لم ينظر في مخلوقاته لا يمكنه الوصول إلى ذلك المقام ، لا جرم كلّ من كان اطّلاعه على دقائق حكمة الله وقدرته في المخلوقات أتمّ كان علمه بكماله أتمّ ، فكان حبّه له أتمّ ، ولمّا كان لا نهاية لمراتب وقوف العبد على دقائق حكمة الله تعالى فلاجرم لا نهاية لمراتب محبّة العباد لجلال حضرة الله تعالى ، ثمّ تحدث هناك حالة أُخرى ، وهي أنّ العبد إذا كثرت مطالعته لدقائق حكمة الله تعالى كثر ترقّيه في مقام محبّة الله ، فإذا كثر ذلك صار ذلك سبباً لاستيلاء حبّ الله تعالى على قلب العبد ، وغوصه فيه على مثال القطرات النازلة من الماء على الصخرة الصمّاء ، فإنّها مع لطافتها تثقب الحجارة الصلدة ، فإذا غاصت محبّة الله في القلب تكيّف القلب بكيفيّتها ، واشتدّ أُلفه بها ، وكلّما كان ذلك الأُلف أشدّ كانت النفرة عمّا سواه أشدّ ؛ لأنّ الالتفات إلى ما عداه يشغله عن الالتفات إليه ، والمانع عن حضور المحبوب مكروه ، فلا تزال تتعاقب محبّة الله ونفرته عمّا سواه على القلب ، ويشتدّ كلّ واحد منها بالآخر إلى أن يصير القلب نفوراً عمّا سوى الله تعالى .

. . . .

وفي دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «**وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبّائِكَ حَتّىٰ لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلىٰ غَيْرِكَ**».

وقال عليه السلام: «**يا مَنْ أَذاقَ أَحِبّاءَهُ حَلاوَةَ الْمُؤانَسَةِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ**»[(١)].

وفي مناجاة السجّاد عليه السلام: «**إِلٰهِي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجارُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ في حَدائِقِ صُدُورِهِمْ ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلُوبِهِمْ**»[(٢)].

وبالجملة: فالنفرة توجب الإعراض عمّا سوى الله ، والإعراض يوجب الفناء عمّا سوى الله تعالى ، فيصير القلب مستنيراً بأنوار القدس ، مستضيئاً بأضواء عالم العظمة ، فانياً عن الحظوظ المتعلّقة بعالم الحدوث.

وهذا المقام أعلى الدرجات ، وليس له في هذا العالم مثال إلّا العشق الشديد على أيّ شيء كان ، فإنّك ترى من التجّار المشغوفين بتحصيل المال من نسي جوعه وطعامه وشرابه عند استغراقه في حفظ المال ، فإذا عقل ذلك في ذلك المقام الخسيس فكيف يستبعد ذلك عند مطالعة جلال الحضرة الصمديّة.

وإلى ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «**إنّ لله تعالى شراباً لأوليائه ، إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتّصلوا ، وإذا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم**»[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٨/٢٢٦.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الجامعة: ٤١٧ ، الدعاء ١٩٣ (في مناجاة العارفين).

(٣) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري: ١/١٩٨.

وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافي

وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافي : بتوحيدك وإن ساءت أعمالي في دار الدنيا ، ولكن إقراري بتوحيدك أعظم من ذنوبي ، وما خلقت خلقاً أحبّ إليك من المقرّين بتوحيدك .

فوائد التوحيد وثمراته :

كما أخبرنا بذلك رسولك الصادق المصدّق فيما روى عنه ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله ﷺ : **والذي بعثني بالحق بشيراً ، لا يعذّب الله موحّداً بالنّار أبداً ، وإنّ أهل التوحيد ليشفعون فيشفّعون** » .

ثمّ قال ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النّار ، فيقولون : يا ربّنا ، كيف تدخلنا النّار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا ؟ ! وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا ؟ ! وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إلـه إلّا أنت ؟ ! أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفّرناها لك في التراب ؟ ! أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك ؟ !**

فيقول الله جلّ جلاله : عبادي ، ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنّم ، فيقولون : يا ربّنا ، عفوك أعظم أم خطيئتنا ؟ فيقول عزّ وجلّ : بل عفوي ، فيقولون : رحمتك أوسع أم ذنوبنا ؟ فيقول عزّ وجلّ : بل رحمتي ، فيقولون : إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا ؟ فيقول عزّ وجلّ : بل إقراركم بتوحيدي أعظم ، فيقولون : يا ربّنا ، فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كلّ شيء ، فيقول الله جلّ جلاله : ملائكتي ، وعزّتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من المقرّين بتوحيدي ، وأن لا إلـه غيري ، وحقّ عليّ أن لا أُصلي بالنّار أهل توحيدي ، أُدخلوا عبادي الجنّة »[١] .

---

(١) التوحيد : ٢٩ ، الحديث ٣١. أمالي الصدوق : ٣٧٢ ، الحديث ١٠ .

. . . .

هذا ويظهر من إضافة الصدق إلى الاعتراف أنّ الإقرار المنجي هو ما كان من اعتقاد قلبي وعرفان يقيني ،كما ورد في النبوي : « **أنّ لا إلـه إلّا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ ، من قالها مخلصاً استوجب الجنّة ، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه ، وكان مصيره إلى النّار** »[١] ، وقد يفسّر بالإخلاص في الدين بأن لا يشوبه بشيء من الشرك كنفي الرسالة والولاية ، وإنكار المعاد ، وسائر ما علم من الدين ضرورة ، وقد بيّن ذلك في بعض الأخبار الأُخر ، حيث قال فيه : تسلب لا إلـه إلّا الله عمّن ليس على هذا الأمر .

وهذا الأمر إشارة إلى دين الحقّ الذي عمدته الإقرار بجميع الأئمّة عليهم السلام ، وبما بيّنوه عليهم السلام من أُصول الدين وعقائدهم الحقّة ، كما روى الصدوق رحمه الله في المجالس والعيون بإسناده عن إسحاق بن راهويه ، قال : « لمّا وافى أبو الحسن عليه السلام الرضا نيسابور ، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون ، اجتمع إليه أصحاب الحديث ، فقالوا له : يابن رسول الله ، ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك ؟ وقد كان قعد في العماريّة ، فأطلع رأسه وقال : **سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول : سمعت أبي جعفر بن محمّد عليه السلام يقول : سمعت أبي محمّد بن عليّ عليه السلام يقول : سمعت أبي عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : سمعت أبي الحسين بن عليّ عليه السلام يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل عليه السلام يقول : سمعت الله عزّ وجلّ يقول : لا إلـه إلّا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي ،** فلمّا مرّت الراحلة نادانا : **بشروطها ، وأنا من شروطها** »[٢] .

---

(١) التوحيد : ٢٣ ، الحديث ١٨ . وسائل الشيعة : ٢١٣/٧ ، الحديث ١٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا : ١٤٤/١ ، الحديث ٤ ، وفي ط : ١٣٤/٢ ، الحديث ٢ . ⇦

وَبَعْدَ دُعَائي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ. هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ،

وَبَعْدَ دُعَائي: لك، وتضرّعي إليك حال كوني:

خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ: بإظهار الليسيّة الإمكانيّة.

وبالجملة: لمّا رأى الداعي نفسه من الذين لا يثقل حسناتهم على سيّئاتهم تشبّث بعفو الله ورحمته، ومحض التوحيد الذي لا يقابله شيء من السيّئات.

هَيْهَاتَ: كناية عن البعد.

قال الجوهري: «هيهات كلمة تبعيد، والتاء مفتوحة، مثل: كيف، وناس يكسرونها بمنزلة نون التثنية، وقد تبدّل الهاء الأولى همزة فيقال: أيهات»[1]. والغرض من استعمالها في المقام إظهار استبعاد وقوع العذاب من الله تبارك وتعالى على العبد، ولذاعقّبه بقوله:

أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ: ضاع يضيع ضيعة وضياعاً ـ بالفتح ـ أي هلك، ومنه الدعاء: وأعوذ بك من مال يكون عليَّ ضياعاً، أي هلاكاً، ونسبة التربية إليه تعالى لظهور أنّه لم يكن في الحقيقة مربّ سواه، وإن أثبتنا تربيته على سبيل الإعداد للغير كالأفلاك والأُمّهات، ففي النظر الظاهري، وفي الحقيقة لم يكن تربيتها إلّا بحوله وقوّته، وهذا معنى كلام المولوي:

در طفوليّت كه بودم شير جو ‍ ‍ ‍ ‍ گاهوار مرا كه جنبانيد او

⇦ أمالي الصدوق: ٣٠٦، الحديث ٨. صحيفة الرضا: ٧٩، الحديث ١. معاني الأخبار: ٣٧٠، الحديث ١. التوحيد: ٢٥، الحديث ٢٣. ثواب الأعمال: ٦. أمالي الطوسي: ٢٧٩، الحديث ٥٣٦.

(١) الصحاح: ٢٢٥٨/٦.

أَوْ تُبَعِّدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ ، أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ ،

از كه خوردم شير غير از شير او — كه مرا پرورد جز تدبير او

فإنّه كما قال عليه السلام : « **قلعت باب خيبر بقوّة ربّانيّة** »[١] ، وكما يكون بعض ما يرد على القلب من الخواطر ربّانيّاً ، ويعرف بالثقوب والتسلّط وعدم الاندفاع ،كذلك يكون ما يرد على قلب الأُمّ من المحبّة التي سلبت فؤادها ، وتحمّلت معها التعب والنصب ، وسهر الليل ودؤب النهار من الله الرؤوف العطوف الذي هو أرحم من الأب الرحيم ، والأُمّ الشفيقة ، ولذاته التسلّط والقوّة بحيث لا يمكن دفعه ، وهكذا في الحيوانات ﴿ **قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ** ﴾[٢] ، والخير كلّه بيده[٣] .

أَوْ تُبَعِّدَ[٤] **مَنْ أَدْنَيْتَهُ** : وآنسته ومننت عليه بهذه المنّة العظيمة الجسيمة بأن رخّصته في إجراء اسمك الجليل على لسانه الكليل ، ولولا هذه الرخصة منه فأين الدرّة من الذرّة ، والبيضاء[٥] من الحِرباء[٦] ، وأين لوث الإمكان من إزار كبرياء الوجوب ،كما أُشير إليه في الدعاء : « اللّهمّ أذنت لي في دعائك ومسألتك »[٧] .

أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ : أي تطرد من ضممته إلى رحمتك .

---

(١) شرح أُصول الكافي : ٣/٢٠٧ . شرح مئة كلمة / ابن ميثم البحراني : ٢٥٧ .

(٢) النساء ٤ : ٧٨ .

(٣) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري : ١/٢٣٠ .

(٤) في بعض النسخ : « تُبْعِدَ » .

(٥) البيضاء لها معانٍ ، منها : مؤنّث الأبيض ، الشمس ، الحنطة ، القِدر ، حِبالة الصائد ...

(٦) الحِرباء : دُوَيْبَّة على شكل سامّ أبرص ، ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخطّطة الظهر ، تستقبل الشمس نهارها وتدور معها كيف دارت ، وتتلوّن ألواناً . « المعجم الوسيط : ١٦٤ » .

(٧) مصباح المتهجّد : ٥٧٨ . إقبال الأعمال : ١/١٣٨ .

أَوْ تُسَلِّمَ إلى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ. وَلَيْتَ شِعْري يا إلـهي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، أَتُسَلِّطُ النَّارَ عَلَى وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً، وَعَلىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدِكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً،

أَوْ تُسَلِّمَ إلى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ: أسلم فلان فلاناً، أي ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوّه.

وبالجملة: يذكر الذاكر الداعي كثرة الإحسان واللطف والرأفة التي وقعت من المحسن المجمل عمّت ألطافه بالنسبة إليه، ويتذكّرها ويعرضها عليه، ويعدّها على رؤوس الأشهاد ترغيباً على دوام الإحسان والمحبّة، فأخذ في إحصائها بأنّك الذي ربّيتني وأدنيتني وآويتني وكفيتني ورحمتني.

وَلَيْتَ شِعْري: أي ليت علمي حاضرٌ أو محيطٌ، فحذف الخبر، وهو كثير.

يا إلـهي وَسَيِّدِي[1] **وَمَوْلَايَ، أَتُسَلِّطُ النَّارَ عَلَى وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً**: والاستفهام فيه للإنكار، كما تقدّم نظيره، والمقصود طلب عدم تسلّط النّار على الذاكر الداعي، باعتبار اطّلاع الله عزّ وجلّ على جميع أعضائه وجوارحه، ورؤية عمل كلّ واحد منها حيث صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله، إذ الوجه حقّه أن يعفّر لله بالتراب بالخضوع والسجود.

وأخذ يحصي باقي الأعضاء بوظائفها، فقال:

وَعَلىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدِكَ صادِقَةً: إذ اللسان إنّما خلق لذكر التوحيد.

وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً: إذ الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام، سواء

---

(١) في نسخة: «يَا سَيِّدِي وَإلـهي».

وَعَلىٰ قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلى ضَمَائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتَّى صَارَتْ خَاشِعَةً، وَعَلَى جَوارِحَ سَعَتْ إِلىٰ أَوْطَانِ تَعَبُّدِكَ طَائِعَةً.

كان ذكراً باللسان، أو اعتقاداً ومحبّة بالجنان، أو عملاً وخدمة بالأركان، فمورد الشكر يعمّ اللسان وغيره.

وَعَلىٰ قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً: إذ القلب شأنه الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد اعتقد كلّ ذلك.

وَعَلى ضَمَائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ: ضمير الإنسان قلبه وباطنه، والجمع ضمائر على التشبيه بسريرة وسرائر، ولذا منع منه التنوين وجرّ بالفتحة لكونه غير منصرف، والمراد من العلم هو التصديق اليقيني كما هو الظاهر من تعديته بالباء، والمعنى: كيف تسلّط النّار على قلوب قد اعتقدت وتيقّنت بك؟!

حَتَّى صَارَتْ خَاشِعَةً: يعني أثر ذلك العلم والاعتقاد فيها الخشوع والانقطاع إليك.

وَعَلَى جَوارِحَ سَعَتْ إِلىٰ أَوْطَانِ تَعَبُّدِكَ طَائِعَةً: جوارح الإنسان: أعضاؤه التي يكتسب بها، كيديه ورجليه، ولذا سمّيت الصوائد من السباع والطير جوارح؛ لأنّها كواسب بأنفسها، وسعى إلى الصلاة، ذهب إليها على أيّ وجهٍ كان، وأوطان: جمع وطن، مثل أسباب وسبب: مكان الإنسان ومقرّه، ومنه قيل لمربض الغنم: وطن، والتعبّد هو التنسّك والاشتغال بالعبادة.

يقول الداعي: ربّي كيف تحرق أعضائي وجوارحي بالنّار وقد سعيت بها إلى محلّ عبادتك، وبادرت بها إلى المعابد والمساجد والأماكن المشرّفة المعدّة للعبادات والأعمال الصالحة؟! كما في رواية ابن عبّاس المتقدّمة الذكر.

وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً ؟

وقد روي في البحار مرسلاً أنّه يأمر الله عزّ وجلّ برجال إلى النّار فيقول لمالك : قل للنّار : لا تحرقي لهم أقداماً ، فقد كانوا يمشون إلى المساجد ، ولا تحرقي لهم أيدياً ، فقد كانوا يرفعونها إليَّ بالدعاء ، ولا تحرقي لهم ألسنة ، فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن ، ولا تحرقي لهم وجوهاً ، فقد كانوا يسبغون الوضوء .

فيقول مالك : يا أشقياء ، فما كان حالكم ؟

فيقولون : كنّا نعمل لغير الله ، فقيل : لتأخذوا ثوابكم ممّن عملتم له[١] .

وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ : من شرت العسل أشوره شوراً من باب قال : جنيته ، شبّه حلاوة الاستغفار بحلاوة العسل ، كما قيل في معنى أشار عليَّ بكذا ، أي أراني ما عنده من المصلحة[٢] ، أنّه شبّه حسن النصيحة بشرب العسل ، ويمكن تبديل الراء المهملة بالدال ، أي أشادت ، كما نقل عن المير الداماد ﷺ ، فيكون من الإشادة بمعنى رفع الصوت ، وعليه فالمناسبة غير خفيّة أيضاً .

مُذْعِنَةً : يعني منقادة إليك ، مقرّة بأنّك غفّار الذنوب لا يغفر الذنوب سواك ، وفيه تحريض على الاستغفار ، كما نطقت به جملة من الأخبار ، فإنّ الغفران أهمّ المطالب وأعظمها لأنّه يصير سبباً لرفع السيّئات التي هي أعظم حجب إجابة الدعوات ، ولذا ورد في الحديث أنّه قال رسول الله ﷺ : **« خير الدعاء الاستغفار »**[٣] .

---

(١) علل الشرائع : ١٥١/٢ . ثواب الأعمال : ٢٠١ . عدّة الداعي : ٢١٤ . بحار الأنوار : ٢٩٦/٧٢ ، الحديث ٣١ .

(٢) بحار الأنوار : ٣٠٢/٦٩ .

(٣) الكافي : ٥٠٤/٢ ، الحديث ١ . عدّة الداعي : ٢٤٩ . شرح أُصول الكافي : ٢٩٣/١٠ . ⇦

مَا هكَذَا الظَّنُّ بِكَ، وَلَا أُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ

مَا هكَذَا الظَّنُّ بِكَ، وَلَا أُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ: ولا يخفى ما في هذا الاسم من المناسبة لمقصود الداعي، وقد ذكرنا سابقاً في ضمن بيان آداب الدعاء أن يدعو الله تعالى بأسمائه المناسبة للمقصود.

وجوه حسن الظنّ بالله تعالى:

ثمّ إنّ الفقرة الأُولى دالّة على حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ، كما ورد في ذلك جملة من الأخبار، ففي الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لا يتّكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي، ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم، ومتى يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، وبذلك تسمّيت**»[1].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره: والذي لا إلـه إلّا هو، ما أُعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إلـه إلّا هو، لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء**

⇦ مستدرك الوسائل: ٣٢١/٥، الحديث ١.

(١) الكافي: ٧١/٢، الحديث ١. وسائل الشيعة: ٩٦/١، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ٢٢٨/٨ و: ٤٠٧/١٠.

. . . .

ظنّه بالله، وتقصيره في رجائه، وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذي لا إلـه إلّا هو، لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم، بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه»[1].

حسن الظنّ بقبول العمل شرط الإجابة:

قال خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه في شرح هذا الحديث عند قوله: «إلّا بحسن ظنّه» قيل: معناه حسن ظنّه بالغفران إذا ظنّه حين يستغفر، وبالقبول إذا ظنّه حين يتوب، وبالإجابة إذا ظنّها حين يدعو، وبالكفاية إذا ظنّها حين يستكفي؛ لأنّ هذه صفات لا تظهر إلّا إذا حسّن ظنّه بالله تعالى، وكذلك تحسين الظنّ بقبول العمل عند فعله إيّاه، فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادق، فإنّ الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة.

وأمّا لو فعل هذه الأشياء وهو يظنّ أن لا يقبل ولا ينفعه، فذلك قنوط من رحمة الله تعالى، والقنوط كبيرة مهلكة.

وأمّا ظنّ المغفرة مع الإصرار، وظنّ الثواب مع ترك الأعمال، فذلك جهل وغرور يجرّ إلى مذهب المرجئة، والظنّ هو ترجيح أحد الجانبين بسبب يقتضي الترجيح، فإذا خلا عن سبب فإنّما هو غرور وتمنٍّ للمحال»[2]، انتهى كلامه رفع مقامه.

---

(١) الكافي: ٧١/٢، الحديث ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧٠. شرح أُصول الكافي: ٢٣٠/٨.

يَارَبِّ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيا وَعُقُوبَاتِهَا ، وَمَا يَجْرِي فِيهَا

وروي أيضاً في الكافي : بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « **أحسن الظنّ بالله ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشرّاً** »[1] ، وهو مرويّ من طرق العامّة أيضاً .

وفي الكافي أيضاً : بإسناده إلى ابن عيينة ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **حسن الظنّ بالله أن لا ترجو إلّا الله ، ولا تخاف إلّا ذنبك** »[2] .

وفي هذا الخبر إشارة إلى أنّ حسن الظنّ بالله ليس معناه ومقتضاه ترك العمل والاجتراء على المعاصي اتّكالاً على رحمة الله ، بل معناه أنّه مع العمل لا يتّكل على عمله ، وإنّما يرجو قبوله من فضله وكرمه ، ويكون خوفه من ذنبه وقصور عمله لا من ربّه ، فحسن الظنّ لا ينافي الخوف ، بل لا بدّ من الخوف وضمّه مع الرجاء وحسن الظنّ ، كما هو صريح بعض الأخبار أيضاً ، ولعلّه قد تقدّم سابقاً .

يَا رَبِّ : قد عرفت الوجوه فى هذه الكلمة .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيا : يعني تعلم عجزي عن تحمّل قليل من بلاء الدنيا ، كالمرض والشيب والفقر والفاقة .

وَعُقُوبَاتِهَا : الحاصلة فيها ممّا قدّمنا لك ذكره .

وَمَا يَجْرِي فِيهَا : الضمير إلى الدنيا .

---

(١) الكافي : ٢/٧٢ ، الحديث ٣ . شرح أُصول الكافي : ٨/٢٣٠ ، الحديث ٣ و : ١١/٣٥٩ . بحار الأنوار : ٧٠/٣٦٦ و : ٣٨٥ ، الحديث ٤٤ .

(٢) الكافي : ٢/٧٢ ، الحديث ٤ . شرح أُصول الكافي : ٨/٢٣٠ ، الحديث ٤ . وسائل الشيعة : ١٥/٢٣٠ ، الحديث ٤ .

مِنَ الْمَكَارِهِ عَلىٰ أَهْلِهَا، عَلىٰ أَنَّ ذٰلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ، قَلِيلٌ مَكْثُهُ، يَسِيرٌ بَقَاؤُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ،

مِنَ الْمَكَارِهِ: جمع الكره ـ بالفتح ـ المشقّة.

عَلىٰ أَهْلِهَا، عَلىٰ أَنَّ ذٰلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ: على هذا الاستدراك والأضراب مثلها في قول الشاعر:

بكلّ تداوينا فلم يشفِ ما بنا … على أنّ قُربَ الدار خيرٌ من البُعدِ[1]

ثمّ قال:

على أنّ قُربَ الدارِ ليسَ بنافعٍ … إذا كانَ مَن تَهواهُ ليس بذي ودٍّ

أبطل بعلى الأُولى عموم قوله: «لم يشف ما بنا» فقال: بلى، إنّ فيه شفاء ما، ثمّ أبطل بالثانية قوله: «على أنّ قرب الدار خير من البعد»[2]، وكذا الحال فيما نحن فيه، كما لا يخفى، وهي خبر لمبتدأ محذوف، أي والتحقيق على كذا كما هو اختيار ابن الحاجب.

قَلِيلٌ مَكْثُهُ، يَسِيرٌ بَقَاؤُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ: كما هو الشاهد لنا من حال الدنيا مع أهل الدنيا من التغييرات والتبدّلات الحاصلة لهم من الصحّة والمرض، والفقر والغناء، والضيق والسعة، والأمن والخوف، وغير ذلك من سائر المكاره والمشاقّ، فكم من مريض مضني في مدّة مديدة وأيّام عديدة قد براه السقم بري السيف للقلم، قد منّ

---

(١) القائل هو: أبو الدمنية، كما في ديوانه: ٢٨، وحماسة أبي تمام: ٢٥٧/٣. انظر: إعجاز القرآن / الباقلاني: ١٠٢.

(٢) مغني اللبيب: ١٤٥/١.

. . . .

الله عليه بالشفاء، فألبسه ثوب العافية حتّى صار في أكمل نعمة منه تعالى وافية، وربّ صحيح تراه وهو في غاية القوّة والنشاط، ونهاية الفرح والانبساط، إذا أصبح مريضاً.

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى بالفارسيّة:

شب تا بسحر بـر سـر بـيمار گـريست — چون صبح شد او بمرد وبيمار بزيست

وهكذا حال الغنى والفقر وبقيّة الحالات، فإنّها كلّها مؤقّتة غير لازمة، بل لو فرض أنّها استوعب عمر الإنسان، فالمدّة أيضاً قليلة لقلّة مكثه في دار الدنيا.

انظر إلى قول الشاعر حيث يقول:

إذا ذَهَب القـرن الذي أنت فـيهم — وخلفت في قَرن فـأنت غَـريبُ[1]

تفسير القرن لغة:

وانظر إلى ما فسّر به القرن لغة، فإنّهم ذكروا أنّ القرن: الجيل من النّاس؛ قيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون سنة.

وفي مجمع الطريحي: «إنّ في الحديث: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم

---

(١) المجموع / النووي: ٢٢٥/٢٠. تفسير القرطبي: ٣٩١/٦. الصحاح: ٢١٨/٦. لسان العرب: ٣٣٤/١٣. الفروق اللغويّة: ٤٢٧. مجمع البحرين: ٤٩٧/٣.
ونسبه في شجرة طوبى: ٣٧/١ إلى أمير المؤمنين عليه السلام.
ونسبه في تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٤/٤٦، والإصابة: ١١٤/٥ إلى عمرو بن عامر السلمي.

. . . .

ستّون سنة . قيل : همزته للسلب ، أي أزال عذره ، فإذا لم يتب في هذا العمر لم يكن له عذر ، فإنّ الشابّ يقول : إذا شخت ، والشيخ ماذا يقول .

ومثله الخبر : أعذر الله إلى من بلغ من العمر ستّين سنة » .

قال في النهاية : أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة ولم يعتذر »[1] ، انتهى .

وقيل : ثلاثون سنة .

تفسير حديث : « من بلغ الأربعين .. إلخ » :

ومن هنا ورد في الخبر الصحيح « أنّ من بلغ الأربعين ولم يحمل العصا فقد عصى »[2] ، فحمل العصا كناية عن التهيّؤ لسفر الآخرة ، والمسافر يستحبّ له حمل العصا .

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

حملت العصا لا العجز أوجب حملها ... عليَّ ولا أنّي انحنيت من الكبر
ولكنّني عوّدت نفسي حملها ... لأُعلمها أنّي مقيم على السفر[3]

---

(١) مجمع البحرين : ٣/١٤٣ . نهاية ابن الأثير : ٣/١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) التحفة السنيّة (مخطوط) : ٣١٧ . كشف الخفاء : ١/٣٢١ .

(٣) وردَ البيتان في : تفسير القرطبي : ١١/١٨٩ . الوافي بالوفيات : ٥/١٧٤ مرسلاً ، بلفظ :

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها ... عليَّ ولا أنّي تحنيت من كبر
ولكنّني ألزمت نفسي حملها ... لأُعلمها أنّ المقيم على سفر

وأوردهما ابن كثير في البداية والنهاية : ١٢/١٢٧ ناسبهما إلى محمّد بن وشاح ، ⇦

فَكَيْفَ احْتِمَالي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ

وإنّما خصّ هذا العدد لنكتة أنّ الإنسان من بدو دخوله في هذا العالم الطبيعي هو في النموّ والترقّي إلى أن يبلغ الثلاثين، ومن الثلاثين إلى أن يبلغ الأربعين هو واقف لا ينحطّ ولا ينمو، فإذا أكمل الأربعين فقد أكمل سفر عالم الطبيعة، وابتدأ في سفر عالم الآخرة، ففي كلّ يوم، وفي كلّ سنة يسافر عضو من أعضائه إلى عالم الآخرة، ويرحل من هذا العالم، فلذا ترى قواه يوماً فيوماً في انحطاط وضعف، ونور بصره مع سمعه في نقصان، وقواه المادّيّة في النزول، وبدنه في الذبول، ومن لم يحمل العصا فكأنّه خارج عن فكر سفر الآخرة، وغافل عنها.

ثمّ اعلم كما أنّ مدّة تكميل الجسميّة في هذا السنّ كذلك مرتبة السعادة والشقاوة، ومن هنا ورد في الأثر الصحيح «أنّ من لم يبيّض وجهه عند بلوغ الأربعين مسح الشيطان وجهه، ويقول: بأبي وأُمّي وجه لا يفلح أبداً، ويقول له: قد ثبت اسمك في صحيفة جندي»[1]، وهذا مقام يطول شرحه، ولا يسعنا الإطالة في المقال.

فَكَيْفَ احْتِمَالي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ: والاستفهام إمّا حقيقي أو مجازي، أُخرج مخرج التعجّب، نحو ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ**﴾[2]، وهو خبر مقدّم، والمصدر المضاف إلى الفاعل مبتدأ مؤخّر، والهمزة فيه للوصل، وبلاء الآخرة مفعول للمصدر.

ذكر لام التقوية:

واللام فيه لتقوية العامل، أعني المصدر لكونه فرعاً في العمل كاسمي الفاعل

⇦ وفيه في عجز البيت الأوّل: «أنّي نحلت من الكبر».

(١) تفسير الثعالبي: ٣٩٢/٤.

(٢) البقرة ٢: ٢٨.

وَجَلِيلُ وُقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا ،

والمفعول ، وأمثلة المبالغة نحو : عجبت من ضرب زيد لعمرو ، ونحو ﴿ **مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ** ﴾[١] ، ونحو : زيد معطي للدرهم ، ونحو : ﴿ **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾[٢] ، بل لو أُخّر العامل عن المعمول ، احتاج إلى تقوية العامل ، وإن كان أصلاً في العمل ، نحو : ﴿ **إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** ﴾[٣] ، والأصل : والله أعلم إن كنتم تعبّرون الرؤيا ، فلمّا أخّر الفعل وتقدّم معموله ضعف عمله ، فقوّي باللام .

وَجَلِيلُ : ـ بالرفع ـ أو بالكسر ؛ عطفاً على المجرور باللام .

وُقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا : واعلم أنّ المراد من الآخرة هي الحالة بعد الموت ، كما أنّ الدنيا عبارة عن حالتك قبل الموت ، سمّيت بذلك لقربها ، وعليه فيدخل في هذه المكاره شدّة سكرات الموت ، وأهوال القبر ، وأحوال عالم البرزخ إلى وقت الحشر ، وكفى في عظم تلك الأهوال والمكاره مضمون قول النبيّ ﷺ : « **إنّه لو علمت الوحوش من الموت بقدر ما تعلمونه أنتم لما سمن لحمها** »[٤] .

وقد كان الباقر عليه السلام مع جنازة ، فلمّا وصل إلى القبر بكى بكاءً شديداً حتّى ابتلّت لحيته المباركة مع ثيابه ، ثمّ قال : **أيّها الإخوان ، لمثل هذا اليوم يلزم أن نستعدّ** ، ثمّ قال عليه السلام : **إنّ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة ، إذا نجوت منه فما بعده أسهل ، وإلّا بعده أشدّ** »[٥] .

---

(١) البقرة ٢ : ٤١ . النساء ٤ : ٤٧ .

(٢) هود ١١ : ١٠٧ . بروج ٨٥ : ١٦ .

(٣) يوسف ١٢ : ٤٣ .

(٤) دعائم الإسلام : ٢٢١/١ ، عن عليّ عليه السلام .

(٥) روضة الواعظين : ٤٩٤ ، عن النبيّ ﷺ ، وكذا في المعجم الأوسط / الطبراني : ⇦

وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ.

وعليك بمراجعة ما رواه شاذان في فضائله عن سلمان الفارسي ﵁، وحديث تكلّمه مع الموتى بأمر النبيّ ﷺ، «فتكلّم مع ميّت كان من أهل الخير والعبادة، فأوّل ما قال له: يا سلمان، إنّ قرضاً بالمقاريض، ونشراً بالمناشير، أهون عليّ من غصّة من غصص الموت»[1]، ولذلك أنّ جمعاً من العبّاد والزهّاد كانوا يهيّئون لأنفسهم قبوراً، وكانوا يدخلونها عند استنباط القساوة من قلوبهم، والتماهل والتهاون في العبادة والرياضة، وعند ذلك يتذكّرون أحوال القبر وأهواله، ثمّ يطلبون المهلة والرجوع إلى عالم الدنيا، فيرجعون إلى العبادة والرياضة ويغتنمون الفرصة.

وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ: ـ بفتح الميم ـ هو مصدر ميمي بمعنى الإقامة، وهو المكث.

إشارة إلى القيامة وأهوالها:

فيه إشارة إلى القيامة وأفزاعها وأهوالها. قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِن عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

وقال في سورة الأنعام: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا**

⇦ ٩٢/٣، والسنن الكبرى / البيهقي: ٣٦٩/٣.

(١) الفضائل / شاذان: ٨٧.

(٢) المائدة ٥: ٣٦.

. . . .

لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١].

وفي جامع الأخبار عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: «**إذا كان يوم القيامة، لا يزول العبد قدماً عن قدم حتّى يُسأل عن أربعة أشياء: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت**»[٢].

وعن فاطمة عليها السلام قالت لأبيها: «**يا أبتِ، أخبرني كيف يكون النّاس يوم القيامة؟**

قال: **يا فاطمة، يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحدٍ، ولا والد إلى ولد، ولا ولد إلى أُمّه.**

قالت: **هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟**

قال: **يا فاطمة، تبلى الأكفان، وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمنين وتبدى عورة الكافرين.**

قالت: **يا أبتِ، ما يستر المؤمنين؟**

قال: **نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور.**

قالت: **يا أبتِ، فأين ألقاك يوم القيامة؟**

قال: **انظري عند الميزان وأنا أُنادي: يا ربّ، أرجح من شهد أن لا إله إلّا الله، وانظري عند الدواوين إذا نشرت الصحف، وأنا أُنادي: يا ربّ، حاسب أُمّتي حساباً يسيراً، وانظري عند مقام شفاعتي على جسر جهنّم كلّ إنسان يشتغل بنفسه، وأنا مشتغل**

---

(١) الأنعام ٦: ٢٧ و ٢٨.

(٢) جامع الأخبار: ٤٩٩، الحديث ٣. الخصال: ١/٢٥٣، الحديث ١٢٥. أمالي الطوسي: ٢/٢٠٦. الزهد: ٩٤، الحديث ٢٥٢. تحف العقول: ٣٩.

. . . .

بأمّتي أنادي: ياربّ، سلّم أمّتي، والنبيّون حولي ينادون: ربّ، سلّم أمّة محمّد، وقال: إنّ الله يحاسب كلّ خلق إلّا من أشرك بالله، فإنّه لا يحاسب ويؤمر به إلى النّار»[١].

مواقف يوم القيامة:

وعن ابن مسعود قال: «كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إنّ في القيامة لخمسين موقفاً، كلّ موقف ألف سنة، فأوّل موقف خرج من قبره حبسوا ألف سنة عراةً حفاةً جياعاً عطاشاً، فمن خرج من قبره مؤمناً بربّه، مؤمناً بجنّته وناره، مؤمناً بالبعث والحساب والقيامة، مقرّاً بالله، مصدّقاً بنبيّه صلى الله عليه وآله وبما جاء به من عند الله عزّ وجلّ نجا من الجوع والعطش، قال الله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾[٢] من القبور إلى الموقف أُمماً، كلّ أُمّة مع إمامهم، وقيل: جماعات مختلفة»[٣].

صور ما يحشر عليه بعض الأصناف:

وعن معاذ أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا معاذ، سألت عن أمر عظيم من الأُمور، ثمّ أرسل عينيه وقال: يحشر عشرة أصناف من أُمّتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنزير، وبعضهم على وجوههم منكبّون أرجلهم فوق رؤوسهم، يسحبون عليها، وبعضهم عمياً، وبعضهم صمّاً وبكماً، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلّاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل

---

(١) جامع الأخبار: ٤٩٩، الحديث ٤ و: ٥٠٠، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٧/١١٠، الحديث ٤١.

(٢) النبأ ٧٨: ١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٧/١١١، الحديث ٤٢.

. . . .

الجمع ، مقطّعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع النّار ، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيفة ، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم ، وأمّا الذين على صورة القردة القتّات من النّاس ، وأمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأمّا المنكبّون على وجوههم فآكلة الربا ، وأمّا العمي فالذين يجورون في الحكم ، وأمّا الصمّ والبكم فالمعجبون بأموالهم ، وأمّا الذين قطّعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران ، وأمّا المصلّبون على جذوع النّار فالسعاة بالنّاس إلى السلطان ، وأمّا الذين أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتّبعون الشهوات واللذّات ومنعوا حقّ الله في أموالهم ، وأمّا الذين يلبسون الجباب أهل الكبرياء والفجور والبخلاء والخيلاء »[١].

ثمّ اعلم أنّ المراد من العقبات التي على طريق المحشر حسب ما صرّح به في بعض الأخبار المتقدّمة وغيرها على ما ذكره شيخنا الصدوق ﷺ في اعتقاداته هو أنّ كلّ عقبة منها اسمها اسم فرض وأمر ونهي ، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها ، وطولب بحقّ الله فيها ، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه ، أو برحمة تداركه نجا منها إلى عقبة أُخرى ، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة ، ويحبس عند كلّ عقبة فيسأل عمّا قصّر فيه من معنى اسمها ، فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيى حياة لا موت فيها أبداً ، وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً ، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدّيقين والشهداء والصالحين من عباده ، وإن حبس على عقبه فطولب بحقّ قصّر فيه ولم ينجه عمل صالح قدّمه ، ولا أدركته من الله عزّ وجلّ رحمة زلّت به قدمه عن العقبة ، فهوى في جهنّم ، نعوذ بالله منها ، وهذه العقبات كلّها على الصراط ، اسم عقبة منها الولاية

---

(١) تفسير القرطبي : ١٧٥/١٩ . مجمع البيان : ٢٤٢/١٠ .

. . . .

يوقف جميع الخلائق عندها، فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام، فمن أتى بها نجا، وجاز، ومن لم يأت بها بقي فهوى؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[(١)].

وأهمّ عقبة منها المرصاد، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[(٢)]، ويقول عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي، لا يجوزني ظلم ظالم. واسم عقبة منها الرحم، واسم عقبة منها الأمانة. واسم عقبة منها الصلاة، وباسم كلّ فرض وأمر ونهي عقبة، ويحبس عندها العبد فيسأل[(٣)].

في أنّ العقبات هي الأعمال الواجبة المسؤول عنها:

وقال المفيد رحمه الله في شرح العقائد ما لفظه: العقبات عبارة عن الأعمال الواجبة والمساءَلة عنها والمواقفة عليها، وليس المراد بها جبال في الأرض تقطع، وإنّما هي الأعمال شبّهت بالعقبات، وجعل الوصف لما يلحق الإنسان في تخلّصه من تقصيره في طاعة الله تعالى، كالعقبة التي تجهده صعودها وقطعها. قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[(٤)]، فسمّى سبحانه الأعمال التي كلّفها العبد عقبات تشبيهاً بالعقبات والجبال لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاقّ، كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها[(٥)].

---

(١) الصافّات ٣٧: ٢٤.

(٢) الفجر ٨٩: ١٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٢٨/٧، الحديث ١١.

(٤) البلد ٩٠: ١١ ـ ١٣.

(٥) بحار الأنوار: ١٢٩/٧.

وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ،

وبالجملة: ليس الأمر كما ظنّه الحشويّة من أنّ في الآخرة جبالاً وعقبات يحتاج الإنسان إلى قطعها ماشياً وراكباً، وذلك لا معنى له فيما توجبه الحكمة من الجزاء، ولا وجه لخلق عقبات تسمّى بالصلاة والزكاة والصيام والحجّ وغيرها من الفرائض يلزم الإنسان أن يصعدها، فإن كان مقصّراً في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها؛ إذ كان الغرض في القيامة المواقفة على الأعمال، والجزاء عليها بالثواب والعقاب، وذلك غير مفتقر إلى تسمية عقبات وخلق جبال، وتكليف قطع ذلك، وتصعيبه أو تسهيله مع أنّه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه، وتخرج له الوجوه، وإذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه»[1]، انتهى كلامه رحمه الله.

وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ:

الظاهر أنّ المراد عدم التخفيف في مدّة استحقاقهم العقاب، فلا ينافي عدم الخلود.

حال أهل النار:

وكيف كان فقد ورد في الحديث المرويّ في البحار نقلاً عن السيّد ابن طاووس أنّ أهل النّار إذا دخلوها ورأوا نكالها وأهوالها، وعلموا عذابها وعقابها، ورأوها كما قال زين العابدين عليه السلام: **ما ظنّك بنار لا تبقي على من تضرّع إليها، ولا يقدر على التخفيف عمّن خشع لها، واستسلم إليها، تلقي سكّانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال، وشديد الوبال، يعرفون أنّ أهل الجنّة في ثواب عظيم، ونعيم مقيم، فيؤمّلون أن يطعموهم**

---

(١) تصحيح اعتقادات الصدوق: ١١٣. بحار الأنوار: ١٢٩/٧.

. . . .

أو يسقوهم ليخفّف عنهم بعض العذاب الأليم ، كما قال جلّ جلاله في كتابه العزيز : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾[١] ، قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ، ثمّ يجيبونهم بلسان الاحتقار والتهوين : إنّ الله حرّمهما على الكافرين .

قال : فيرون الخزنة عندهم وهم يشاهدون ما نزل بهم من المصاب فيؤمّلون أن يجدوا عندهم فرجاً بسبب من الأسباب ، كما قال الله جلّ جلاله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ ﴾[٢] ، قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثمّ يجيبونهم بعد خيبة الآمال ، ﴿ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾[٣] ، قال : فإذا يئسوا من خزنة جهنّم رجعوا إلى مالك مقدّم الخزّان ، وأملوا أن يخلّصهم من ذلك الهوان ، كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ، قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة وهم في العذاب ، ثم يجيبهم كما قال الله في كتابه المكنون : ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾[٤] .

قال : فإذا يئسوا يؤمّلون من مولاهم ربّ العالمين الذي كان أهون شيء عندهم في دنياهم ، وكان قد آثر كلّ واحد منهم عليه هواه مدّة الحياة ، وكان قد قرّر عندهم بالعقل والنقل أنّه أوضح لهم على يد الهداة سبل النجاة ، وعرّفهم بلسان الحال أنّهم الملقون بأنفسهم إلى دار النكال والأهوال ، وأنّ باب القبول يغلق عن الكفّار بالممات أبد

---

(١) الأعراف ٧: ٥٠.

(٢) غافر ٤٠: ٤٩.

(٣) غافر ٤٠: ٥٠.

(٤) الزخرف ٤٣: ٧٧.

وَهَـٰذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمـٰوَاتُ وَالْأَرْضُ .

الآبدين ، وكان يقول لهم في أوقاتٍ كانوا في الحياة الدنيا من المكلّفين بلسان الحال الواضح المبين : هب أنّكم ما صدّقتموني في هذا المقال ، أمّا تجوّزون أن أكون من الصادقين ، فكيف أعرضتم عنّي ، وشهدتم بتكذيبي وتكذيب من صدّقني من المرسلين ؟ وهلّا تحرّزتم من هذا الضرر المحذّر الهائل ؟ أما سمعتم بكثرة المرسلين ، وتكرار الرسائل ؟ ثمّ ذكر[١] جلّ جلاله مرافقتهم في النّار بلسان المقال فقال : ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** ﴾[٢] ، فيقفون أربعين سنة في ذلّ الهوان لا يجابون ، وفي عذاب النّار لا يكلّمون ، ثمّ يجيبهم الله جلّ جلاله : ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾[٣] ، قال : فعند ذلك ييئسون من كلّ فرج وراحة ، ويغلق أبواب جهنّم عليهم ، ويدوم لديهم مأتم الهلاك والشهيق والزفير والصراخ والنياحة »[٤] .

وَهَـٰذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمـٰوَاتُ وَالْأَرْضُ : أي ما كان ناشئاً عن غضبك وانتقامك وسخطك لا تقوم لمعارضته وردّه السماوات والأرض ، أو لا تقوم لتحمّله هذان الجسمان العظيمان ، والسموات جمع السماء ، وكلّ سقف سماء ، غير أنّه إذا أطلق لم يفهم منه غير السماوات السبع .

والفلك يطلق على التسع بالعرش ، والكرسي ولايتنا ، ولهما السماء ، ويجري التغيّر والطيّ والانشقاق على السماوات السبع دون العرش والكرسي ، فإنّ الجنّة

---

(١) في بحار الأنوار : « كرّر » .

(٢) المؤمنون ٢٣ : ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٣) المؤمنون ٢٣ : ١٠٨ .

(٤) بحار الأنوار : ٨/٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

. . . .

بينهما ، والسموات هنّ مطبقة موضوعة بعضها فوق بعض ، بلا علاقة ولا عماد ولا مماسّة ، وأتى عليه السلام السموات بصيغة الجمع والأرض بصيغة المفرد تأسّياً منه عليه السلام بالقرآن العزيز حيث لم يوجد فيه لفظ الأرض جمعاً حتّى قال الطبرسي رحمه الله في المجمع : « ليس في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع مثل السماوات ، إلّا قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾[١] » ، ثمّ قال : « ولا خلاف في السماوات أنّها سماء فوق سماء ، وأمّا الأرضون فقال قوم : إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات ؛ لأنّها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة ، وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله كما شاء » .

وروى أبو صالح ، عن ابن عبّاس : « أنّها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض ، تفرّق بينهنّ البحار ، وتظلّ جميعهنّ السماء ، والله سبحانه أعلم بصحّة ما استأثر بعلمه ، واشتبه على خلقه » .

وقد روى العيّاشي[٢] : بإسناده عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : « بسط كفّه ، ثمّ وضع اليمنى عليها ، فقال : **هذه الأرض الدنيا ، والسماء الدنيا فوقها قبّة ، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا ، والسماء الثانية فوقها قبّة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية ، والسماء الثالثة فوقها قبّة ، حتّى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة ، فقال : والأرض السابعة فوق السماء السادسة ، والسماء السابعة فوقها قبّة ، وعرش الرحمن فوق السماء السابعة** ، وهو قوله : ﴿ **سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ »[٣] .

---

(١) الطلاق ٦٥ : ١٢ .

(٢) تفسير العيّاشي : ٢٠٣/٢ ، الحديث ٣ .

(٣) مجمع البيان : ٥٠/١٠ .

. . . .

انتهى كلامه ﷺ.

جمع السموات وإفراد الأرض:

وقد ذكر غير واحد من المفسّرين أنّ جمع السماوات وإفراد الأرض لما هو المشهور من أنّ السماوات طبقات متخالفة الحقائق دون الأرض.

ترتيب الأفلاك:

وإن طلبت التفصيل فنقول في ترتيب الأفلاك: إنّ أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثمّ كرة الزهرة، ثمّ كرة الشمس، ثمّ كرة المرّيخ، ثمّ كرة المشتري، ثمّ كرة زحل، ثمّ كرة الثوابت، ثمّ الفلك الأعظم، والدليل على أنّ الكواكب الثانية مركوزة في فلك فوق أفلاك هذه الكواكب السبعة كما ذكرناه لك إنّا نشاهد لهذه الأفلاك السبعة حركات أسرع من حركات هذه الثوابت، وثبت أنّ الكواكب لا تتحرّك إلّا بحركة الفلك، وهذا يقتضي كون هذه الثوابت مركوزة في كرة سوى هذه السبعة، ولا يجوز أن تكون مركوزة في الفلك الأعظم؛ لأنّه سريع الحركة يدور في كلّ يوم وليلة دورة واحدة بالتقريب.

ثمّ قالوا: إنّها مركوزة في كرة فوق كرات هذه السبعة؛ لأنّ هذه الكواكب السبعة قد تكسف تلك الثوابت، والكاسف تحت المكسوف، فكرات هذه السبعة وجب أن تكون دون كرات الثوابت، ولا شكّ في اختلاف هذه الكواكب في الألوان مثل صفرة عطارد، وبياض الزهرة، وضوء الشمس، وحمرة المرّيخ، ودرّيّة المشتري، وكمودة زحل، واختلاف كلّ واحد من الكواكب الثابتة بعظم خاصّ، ولون خاصّ،

. . . .

وتركيب خاصّ ، ونراها أيضاً مختلفة بالسعادة والنحوسة ، ونرى على الكواكب السيّارة أنحسها ، ونرى ما دونها أسعدها ، ونرى سلطان الكواكب سعيداً في بعض الاتّصالات نحساً في بعض ، ونراها مختلفة في الوجوه والخدود واللثاة ، والذكورة والأُنوثة ، وكون بعضها نهارياً وليلياً ، وسائراً وراجعاً ومستقيماً ، وصاعداً وهابطاً ، مع اشتراكها بأسرها في الشفّافيّة والصفاء والنقاء في الجوهر.

ومن هنا قيل : إنّ العقل يقضي بأنّ اختصاص كلّ واحد منها بما اختصّ به لا بدّ وأن يكون بتخصيص مخصّص ، وأنّ مدبّراً قاهراً غالباً على الدهر والزمان يحرّكها لأسرار مخفيّة ، ولحكم لطيفة هو المستأثر بها ، والمطّلع عليها ، وليس عندنا إلّا الإيمان بها على الإجمال على ما قال : **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً﴾**(١) ، قيل : فيما يناسب المقام ، وما أحسن منه :

بربّك أيّها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا في أيّ شيء ... ففي أفهامنا منك ابتهار(٢)

وقال ابن حسن التاجي :

انظر إلى حسن تكوين السماء وقد ... لاحت كواكبها والليل ديجور
كأنّها خيمة ليست على عمد ... زرقاء قد رصعت فيها الدنانير(٣)

---

(١) آل عمران ٣: ١٩١.

(٢) نُسب البيتان إلى محمّد بن الحسين بن الشبل البغدادي ؛ انظر : الأعلام / الزركلي : ١٠٠/٦.

(٣) معجم المطبوعات العربيّة : ١٤٦٣/٢.

. . . .

وقال أبو الحسن قاسم الكستي البيروتي :

أرى القبّة الزرقاء مع حسن صنعها تمانعني من أن يحيط بها فكري
من الله أرجو كشف ما هو فوقها ليستوعب الإدراك خافية السرّ

وكان التقدّم في العلوم الرياضيّة أساساً لخدمة علم الهيئة والفلك في الديار الإسلاميّة ، شرقاً وغرباً ، ومنذ القرن الثالث للهجرة كانت تجري الرصود ، أي المراقبات الفلكيّة في كلّ من : مراصد بغداد ، ودمشق الشام ، وقاهرة مصر ، وقرطبة الأندلس .

وصنع الخواجة نصير الدين الطوسي ﷫ المتوفّى ببغداد سنة **٦٧٢** الزيج المعروف بالخاني في مرصد مراغة بأمر هولاكو خان التاتاري المغولي ، وكان ذا حرمة ومنزلة عالية عنده ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى في مراغة قبّة ورصداً عظيماً ، واتّخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة بعد انقراض دولة العبّاسيّين حتّى تجمّع فيها زيادة على أربعة آلاف مجلّد ، وقرّر بالرصد المنجّمين والفلاسفة ، وجعل له الأوقاف .

وكان الغ بيگ بن شاهرخ بن تيمور ملكاً عادلاً ، عالماً كاملاً ، محبّاً للعلم وأهله ، واختصّ بالرياضات ، وبنى في مدينة سمرقند مدرسة بديعة الطور ، تولّى أمر ما وراء النهر ، وكانت سمرقند عاصمة مملكته ، اشتغل بعلم الهيئة ، وعيّن لعصره مواقع النجوم الثوابت المقيّدة في جداول بطليموس ، وضبط طولها وعرضها ، وفي زيجه هذا التواريخ السنويّة الشهيرة في الفلك والتاريخ وعلم المواقيت المعروفة عند الروم والعرب والفرس والخوارزميّين وأهل ما وراء النهر ، وتعرف بالزيج السلطاني ،

يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي وَأَنا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ، الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ ؟

وكانت وفاته سنة ٨٥٣[١].

بيان كرويّة الأرض:

ثمّ اعلم أنّه لا دليل في قوله تعالى: ﴿**جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً**﴾[٢] على عدم كرويّة الأرض؛ لأنّ الكرة إذا عظمت كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليها.

يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي[٣] وَأَنا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ، الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ:

الكاف في عبدك للخطاب، والمخاطب هو الله، والعبد خلاف الحرّ.

إشارة إلى مقام العبوديّة:

ومقام العبوديّة مقام لا يبلغ إليه إلّا من أتى الرحمن بقلب سليم، وهو مختصّ بالأولياء، كما نسب عليه السلام مقام العبودية إلى نفسه الشريف، والأخبار تساعد على علوّ ذلك المقام، كما في الحديث: «**العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، فما فقد في العبوديّة وجد في الربوبيّة، وما أُخفي عن الربوبيّة أُصيب في العبوديّة**»[٤].

---

(١) انظر: رياض المسائل: ٢٦/٢. خاتمة المستدرك: ٤٢٣/٢.

(٢) البقرة ٢: ٢٢.

(٣) في بعض نسخ الدعاء: «لي».

(٤) الأصول الأصيلة / الفيض الكاشاني: ١٩٣. تفسير نور الثقلين: ٥٥٦/٤، الحديث ٧٧ عن مصباح الشريعة.

. . . .

والمراد بالمسكين من جهة الذلّة لا من جهة الفقر بمعنى عديم المال، بل الفقر الحقيقي، أعني: من لا يضيف إلى نفسه فعلاً ولا صفة ولا وجوداً، بل يتذكّر لسان حاله فضلاً عن لسان مقاله بلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، ولا إلـه إلّا الله، ولا هو إلّا هو، فكأنّه ﷺ يخاطب الله سبحانه الغني المطلق، ويقول: يا سيّدي، إنّ الفقير المحتاج إذا يئس من المخلوقين في قضاء حاجته انتهى إليك في طلبها، فإنّك منتهى مقامات العارفين، وغاية أطوار السالكين، وأفكار المتفكّرين، فإنّهم لا يزالون يترقّون من مقام إلى مقام، ومن رتبة إلى رتبة، حتّى ينتهون إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم، واندكاك جبال هويّاتهم، فيتلو لسان حالهم: ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾[١].

والمستكين بمعنى الخاضع المتذلّل، وهو استفعال من السكون.

الفرق بين الفقير والمسكين:

وقد وقع الخلاف ـ لغة ـ في الفرق بين الفقير والمسكين، فعن ابن السكّيت: «الفقير الذي له بلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له»[٢].

وقال الأصمعي: «المسكين أحسن حالاً من الفقير»[٣].

وقال يونس بالعكس من ذلك، قال: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله بل مسكين.

---

(١) النجم ٥٣: ٤٢.

(٢) لسان العرب: ٥/٦٠. مجمع البحرين: ٣/٤١٨. مختار الصحاح: ٢٦٣.

(٣) مجمع البحرين: ٣/٤١٨.

. . . .

وقال ابن الأعرابي: «الفقير الذي لا شيء له، والمسكين مثله»[١].

وقال بعض المحقّقين: «الفقير والمسكين متّحدان في الاشتراط بوصف عدمي، وهو عدم وفاء الكسب والمال بمؤونته ومؤونة العيال، إنّما الخلاف في أنّ أيّهما أسوء حالاً، فقال الفرّاء وتغلب وابن السكّيت: هو المسكين، وبه قال أبو حنيفة.

ووافقهم من علماء الشيعة الإماميّة: ابن الجنيد، وسلّار، والشيخ الطوسي في النهاية، لقوله تعالى: ﴿**أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾[٢]، وهو المطروح على التراب لشدّة الاحتياج، ولأنّ الشاعر قد أثبت للفقير مالاً في قوله:

أمّا الفقيرُ الذي كانت حَلُوبَتُهُ ... وَفْقَ العيالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[٣]

في أنّ المسكين أسوء حالاً:

وقال الأصمعي: «الفقير أسوء حالاً». وبه قال الشافعي.

ووافقه من الإماميّة: المحقّق ابن إدريس الحلّي، والشيخ أبو جعفر الطوسي في المبسوط والخلاف؛ لأنّ الله بدأ به في آية الزكاة، وهو يدلّ على الاهتمام بشأنه في الحاجة، واستعاذة النبيّ ﷺ من الفقر مع قوله ﷺ: «**اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني مع المساكين**»[٤]؛ ولأنّ الفقير مأخوذ من كسرة الفقار من شدّة

---

(١) مجمع البحرين: ٤١٨/٣.

(٢) بلد ٩٠: ١٦.

(٣) سبد: بقيّة قليلة. والبيت للراعي النميري، أورده ابن قتيبة في أدب الكاتب: ٣٧.

(٤) المعتبر: ٥٦٥/٢. شرح نهج البلاغة: ٢٣٢/١١. قواعد الأحكام: ٣٤٧/١. شرح اللمعة: ٤٣/٢.

. . . .

الحاجة ، وإثبات الشاعر المال للفقير لا يوجب كونه أحسن حالاً من المسكين ، فقد أثبت تعالى للمسكين مالاً في آية السفينة ، ثمّ قال : والحقّ أنّ المسكين أسوء حالاً من الفقير لا لما ذكر ، بل لما روي في الصحيح : عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبدالله : « قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾[١] ، قال : **الفقير الذي لا يسأل الناس ، والمسكين أجهد منه ، والبائس أجهدهم**[٢] »[٣] ، انتهى . وهو جيّد .

هذا وقد ورد في بعض الأدعية : نعوذ بك من الفقر والقلّة . قيل : الفقر المستعاذ منه إنّما هو فقر النفس الذي يقضي إلى كفران نعم الله ، ونسيان ذكره ، ويدعوه إلى سدّ الخلّة بما يتدنّس به عرضه ويثلم به دينه ، والقلّة تحمل على قلّة الصبر أو قلّة العدد .

في الجمع بين تعوّذ النبيّ ﷺ من الفقر والافتخار به :

وفي الخبر أنّه ﷺ تعوّذ من الفقر ، وأنّه قال : « **الفقر فخري ، وبه أفتخر على سائر الأنبياء** »[٤] . وقد جمع بين القولين بأنّ الفقر الذي تعوّذ منه ﷺ الفقر إلى النّاس ، والذي دون الكفاف ، والذي افتخر به ﷺ هو الفقر إلى الله تعالى ، وإنّما كان هذا فخراً له على سائر الأنبياء مع مشاركتهم له فيه ؛ لأنّ توحيده واتّصاله بالحضرة

(١) التوبة ٩ : ٦٠ .

(٢) مجمع البحرين : ٣/٤١٨ ـ ٤١٩ .

(٣) المعتبر : ٢/٥٦٥ . تذكرة الفقهاء : ٥/٢٣٨ . المهذّب البارع : ١/٥٢٧ .

(٤) عدّة الداعي : ١١٣ . عوالي اللآلي : ١/٣٩ . بحار الأنوار : ٧٢/٣٠ و ٣٢ و ٥٥ .

يَا إِلٰهي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْها أَضِجُّ وَأَبْكي؟ لِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ أَمْ لِطُولِ الْبَلاَءِ وَمُدَّتِهِ؟

الإلٰهيّة وانقطاعه إليه كان في الدرجة التي لم يكن لأحد مثلها في العلوّ، ففقره إليه كان أتمّ وأكمل من فقر سائر الأنبياء.

يَا إِلٰهي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ: قد عرفت الإضافة في أمثال هذه التراكيب.

لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْها أَضِجُّ وَأَبْكي، لِأَلِيم الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ أَمْ لِطُولِ الْبَلاَءِ وَمُدَّتِهِ؟: قد تقدّم ما يدلّ على أهوال القيامة وأفزاعها، والعذاب الأليم هو العذاب الذي لا رجاء معه للخلاص فهو مؤلم، إذ الرجاء يهوّن العذاب.

إشكال نحوي:

وربّما يتوهّم في هذا الكلام أنّه مخالف لما عليه جملة من أهل العربيّة؛ من وجوب حذف الألف من «ما» الاستفهاميّة إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، كما قال ابن مالك في منظومته:

وَما في الاسْتِفْهامِ إنْ جُرَّتْ حُذِفْ ... أَلِفُها وَأَوْلِها الهَا إنْ تَقِفْ[١]

نحو فيم، وإلى مَ وعلامَ، وقال:

فتلك ولاة السوء قد طال مكثهم ... فحتّام حتّام العناء المطوّل؟

وربّما تبعت الفتحة الألف في الحذف، وهو مخصوص بالشعر، كقوله:

يا أبا الأسود لم خلفتني ... لهموم طارقات وفكر[٢]

---

(١) شرح ابن عقيل: ١٧٨/٤ «الوَقْفُ».

(٢) في المغني: «وذكر».

. . . .

وقالوا: إنّ العلّة في حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر، فلهذا حذفت في نحو: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾[1]، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[2]، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، وتثبت في ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[5]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[6]، وإنّما لم يعكس لأنّ ما الموصولة أكثر، فأجرى الكثير على الأصل من الإثبات.

وقال الرضي ﷺ: «إنّ علّته أنّ لـ«ما» الاستفهاميّة صدر الكلام ولم يمكن تأخّر الجارّ عنها، فقدّم عليها وركب معها حتّى يصير المجموع ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام، فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة الصدر، وجعل حذف الألف دليل التركيب، ولم يحذف آخر «من» و«كم» الاستفهاميّتين مجرورتين، لكونه حرفاً صحيحاً، ولإجراء الخبريّة مجرى الصحيح في تحمّل الحركات»[7]، انتهى.

ونقل عن ابن عقيل وغيره: «إنّ العلّة في حذف الألف التخفيف لكثرة الاستعمال، وكيف كان فقد صرّحوا بأنّ ثبوت الألف في هذه الحالة قليل شاذّ كقراءة

---

(١) النازعات ٧٩: ٤٣.

(٢) النمل ٢٧: ٣٥.

(٣) الصفّ ٦١: ٢.

(٤) النور ٢٤: ١٤.

(٥) البقرة ٢: ٤.

(٦) ص ٣٨: ٧٥. وأورد من قوله: «نحو فيم» إلى هنا في مغني اللبيب: ٢٩٨/١ و ٢٩٩.

(٧) شرح الرضي على الكافية: ٥٠/٣.

. . . .

عكرمة وعيسى «عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ»[(١)]، وقالوا: إنّ قول حسّان:

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرّغ في دمان[(٢)]

فضرورة والدمان كرماد زنة ومعنى، مثله قول الآخر:

إنّا قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل[(٣)]؟

ولا يجوز حمل القراءة المتواترة على ذلك لضعفه، ولهذا ردّ الكسائي قول المفسّرين في ﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي**﴾[(٤)] أنّها استفهاميّة، وإنّما هي مصدريّة[(٥)].

هذا تمام الكلام فيما يتعلّق بالمرام.

قلت في الجواب:

أوّلاً: إنّ العلّة التي لأجلها أوجبوا الحذف ـ أعني رفع الاشتباه ـ غير موجودة في المقام لعدم الاشتباه بقرينة ما قبله، أعني قوله عليه السلام: «لأيّ الأُمور أشكو»، فإنّه قرينة على أنّ ما بعده استفهام، كما لا يخفى.

---

(١) مجمع البيان: ٢٣٧/١٠.

(٢) مجمع البحرين: ٢٣٧/١٠. جامع البيان: ١٩١/١٩. زاد المسير: ٦٨/٦. تفسير القرطبي: ٢٠٠/١٣. لسان العرب: ٤٩٧/١٢. شرح الرضي على الكافية: ٥٠/٣. مغني اللبيب: ٢٩٩/١. وفي بعض المصادر: «رماد»، وفي البعض الآخر: «تراب» بدل «دمان».

(٣) القائل هو كعب بن مالك. انظر: تاج العروس: ٣٣٤/١٠. مغني اللبيب: ٢٩٩/١.
وروي أيضاً في: سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم / ابن هشام: ٦٥٣/٣. سبل الهدى والرشاد: ٢٣٤/٤، وفي مطلعه: «أن قد قتلنا...».

(٤) يس ٣٦: ٢٧.

(٥) مجمع البيان: ٢٦٩/٨. مغني اللبيب: ٢٩٩/١.

فَلَئِنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ.

وثانياً: لمّا وقع في كلامه عليه السلام كفى ذلك في تجويزه، ولا يحتاج فيه إلى السماع من غيره قطعاً، فإنّه عليه السلام أفصح العرب في زمانه، سيّما مع وقوعه في كلام غيره من العرب، كما سمعت.

وأمّا ردّ الكسائي ما ذكر فمعارض بقبول الزمخشري كونها في ذلك استفهاميّة.

ومن هنا أورد في المغني عليه بقوله: «والعجب من الزمخشري اذ جوّز كونها استفهاميّة مع ردّه على من قال في ﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾[(١)] أنّ المعنى بأيّ شيء أغويتني؟ بأنّ إثبات الألف قليل شاذّ»[(٢)]، انتهى.

وبما هو المنقول عن جماعة منهم الإمام فخر الدين في ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾[(٣)] أنّها للاستفهام[(٤)].

فَلَئِنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ[(٥)] مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ: وهم الأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) الأعراف ٧: ١٦.

(٢) مغني اللبيب: ٢٩٩/١.

(٣) آل عمران ٣: ١٥٩.

(٤) التفسير الكبير: ٦٢/٩، مسألة ٣. وانظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٨/٤.

(٥) كذا في نسخ الدعاء، وجاء في الأصل: «**في العقوبات**».

فَهَبْنِي يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي ، صَبَرْتُ عَلىٰ عَذَابِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلىٰ فِرَاقِكَ ؟

فَهَبْنِي يَا إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي ، صَبَرْتُ عَلىٰ عَذَابِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلىٰ فِرَاقِكَ ؟ وفي مناجاة الشيخ عبدالله الأنصاري بالفارسيّة :

الهى چون آتش فراق داشتى — با آتش دوزخ چه كار داشتى[(١)]

وقال بعض مشايخ أهل العرفان ، أعلى الله درجته في الجنان ، في شرح هذه الفقرة ما لفظه : « انظروا معاشر المحبّين ، كيف أدرج عليه السلام في هذا الدعاء فراق الأحبّة وأوليائه في فراقه ، وإلّا فالظاهر أن يقال : فكيف أصبر على فراقك وفراق أحبّائك وأوليائك ؟ إشارة إلى أنّ فراقهم ـ من حيث هم أولياؤه ومنتسبون إليه ـ فراقه .

قلت : ولهذا من أحبّهم فقد أحبّ الله ، ومن أبغضهم فقد أبغض الله ؛ وذلك لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ آثاره ، كما قيل :

أمرّ على الديار[(٢)] **ديار سلمى — أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا**

وما حبّ الديار شغفن قلبي — ولكنّ حبّ من سكن الديارا[(٣)]

فالأثر بما هو أثر ليس شيئاً بحياله ، إنّما هو كالمعنى الحرفي ليس ملحوظاً باستقلاله ، بل هو كالمرآة الملاحظة المؤثّر .

---

(١) شرح الأسماء الحسنى / الملّا هادي السبزواري : ١/٣٠ و : ٢/٢٣ .

(٢) في شرح الأسماء : « جدار » .

(٣) ورد هذا البيت في : النصّ والاجتهاد / شرف الدين : ٣٦٩ . الغدير : ٥/١٥١ . فتح الباري : ٦/٦٤ . المستصفى / الغزالي : ٤٨ . سبل الهدى والرشاد : ١٢/٣٩٩ . شرح الرضي على الكافية : ٢/٢١٥ . والقائل هو : قيس بن الملوّح (مجنون ليلى) .

فَهَبْني

كما قال ﷺ : « من رآني فقد رأى الحقّ »[١]، فمحبّته عائدة إلى محبّته، وعداوته عائدة إلى عداوته.

ولهذا لا يظهر خلوص محبّة أحد إلّا أن يحبّ أقاربه ومنسوبيه وخوادمه ومحبّيه، قال تعالى: ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٢] »[٣].

فَهَبْني: قال في القاموس: « وهبني فعلت، أي: أحسبني فعلت، وأعددني كلمة للأمر فقط »[٤]، انتهى.

ضابطة فاء الرابطة:

وهو جواب الشرط، والفاء فيه رابطة، وهي لازمة له، كما هو الشأن في كلّ جواب يمتنع جعله شرطاً لتحصيل الربط بين الجزاء والشرط، وخصّت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببيّة. قيل: ولمناسبتها للجزاء معنى من حيث إنّ معناها التعقيب من غير فصل، كما أنّ الجزاء يتعقّب على الشرط كذلك، وهذا ضابط حسن في ضبط ما يدخله الفاء، وقد سبق إليه ابن مالك.

قال أبو حيّان: وهو أحسن وأقرب ممّا ذهب إليه بعض أصحابنا من تعداد ما يدخله الفاء، وهو سنّة أن يكون الجزاء جملة اسميّة، أي مبدوّة باسم نحو: إن تَقُمْ فأنا أَقُومُ، أو يكون جملة إنشائيّة غير محتملة للصدق والكذب، نحو: إن تَقُم

(١) صحيح البخاري: ٧٢/٨. بحار الأنوار: ٢٣٥/٦١. سنن الدارمي: ١٢٤/٢.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٣) شرح الأسماء الحسنى / ملّا هادي السبزواري: ٣٠/١.

(٤) القاموس المحيط: ١٣٨/١.

. . . .

فأكْرِمْني ، ومثله ما نحن فيه ، أو يكون فعلاً جامداً ، كعسى وليس ، نحو : إن تَقُم فَعَسى أن أقومَ ، قيل : ومثله قوله تعالى : ﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِن جَنَّتِكَ** ﴾[١] ، أو يكون فعلاً ماضياً مقروناً بـ« قد » لفظاً أو تقديراً ، نحو : إنْ تَقُمْ فَقَدْ قُمْتُ ، ومثله قوله تعالى : ﴿ **إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ** ﴾[٢] ، ومثال المقرون بـ« قد » تقديراً ، نحو : قوله تعالى : ﴿ ﴿ **إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ** ﴾[٣] ، أي : فقد صدقت ، أو يكون مقروناً بحرف استقبال ، نحو : ﴿ **مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ** ﴾[٤] ، أو يكون مقروناً بحرف له الصدر ، كـ : « ما » النافية ، نحو : ﴿ **وَإِن تَوَلَّيْتُمْ** ﴾[٥] ، ﴿ **مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ** ﴾[٦] ، أو بـ« ربّ » ، كقوله : فإنّ أهلك فذي لهبٍ لظاه » عنى يكاد يلتهب التهاباً ، والتقدير : فربّ ذي لهب .

فهذه ستّ مسائل يمتنع جعل الجواب فيها شرطاً ، والصبر في اللغة : الحبس ، صبّره عنه يصبّره : حبسه ، والصبر في المصيبة ، وأمّا في المحاربة فهو شجاعة ، وفي إمساك النفس قناعة وعفّة ، وفي إمساك كلام الضمير كتمان ، فاختلاف الأسامي باختلاف المواقع ، وفي الاصطلاح كما قيل يكون عبارة عن قوّة ثابتة وملكة راسخة

---

(١) الكهف ١٨ : ٣٩ و ٤٠.

(٢) يوسف ١٢ : ٢٦.

(٣) يوسف ١٢ : ٧٧.

(٤) المائدة ٥ : ٥٤.

(٥) التوبة ٩ : ٣.

(٦) سبأ ٣٤ : ٤٧.

. . . .

بها يقتدر على حبس النفس على الأمور الشاقّة والوقوف معها بحسن الأدب وعدم الاعتراض على المقدّر بإظهار الشكوى ، وفي هذه الفقرة دلالة على أشدّيّة نار الفراق من نار جهنّم ، فإنّها نار الله الموقدة المطّلعة على الأفئدة[١] ، فنار جهنّم تحرق الأجساد ، وهي تحرق الفؤاد ، ولذلك قال بعض أهل العرفان :

ففي فؤاد المحبّ نار هوى   أحرّ نار الجحيم أبردها

وقال آخر :

يقولون إنّ الموت صعب على الفتى   مفارقة الأحباب والله أصعب[٢]

وله نظير في عالم الشهود ، فقد رأينا من غلب عليه الوجد يعدو على الشوك ولا يبالي ويقطع لحم نفسه بالسكاكين ولا يحسّ بالألم ، والغضبان في الحرب ربّما جرح ولم يحسّ ، لأنّ هذه الأمور مهيّجة لنار القلب التي هي أشدّ من نار الأبدان الظاهرة ؛ لأنّ ألمَك من السيف من حيث إنّه يفرّق بين جزءين متلائمين ، والتفرّق بين القلب ومحبوبه أشدّ من كلّ تفرّق ، والجاهل لا يدرك هذا الألم ، فإنّ الصبيّ لو خيّر بين ألم الحرمان من الصولجان وبين الحرمان عن رتبة السلطان لم يحسّ بالثاني ولم يعدّه الماء ، وكذا عبد البطن لو خيّر بين الهريسة وبين مصاحبة يوسف الصدّيق لاختار الهريسة ؛ وذلك لأنّه قد استرقّته صفات البهائم والسباع ، ولم تظهر فيه صفات الملكيّة التي لا يستلذّ معها إلّا من القرب ، ولا يتألّم إلّا من البعد ، وذلك لفقد القلب كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾[٣] ، فجعل من

---

(١) اقتباس من سورة الهمزة ١٠٤ : الآية ٦ و ٧.

(٢) شجرة طوبى : ١/٩٠.

(٣) ق ٥٠ : ٣٧.

. . . .

لم يتذكّر بالآيات خالياً من القلب، وهذه الرتبة هي رتبة الفائزين، وهم المقرّبون، وهم الذين كفّوا أنفسهم عن أن يكون مطاعم الجنّة وملاذها مطلباً لهم، فلا يطلبون إلّا لذّة القرب، كما قال سيّد الموحّدين عليه السلام: «**ما عبدتك خوفاً من نارك**»[١]، وما أحسن قول رابعة العدويّة حين سئلت: ما رغبتك في الجنّة؟ فقالت: «الجار ثمّ الدار، وهؤلاء قوم مستهترون بالعشق، قد غرقوا فيه وغفلوا عن نفوسهم فهم لا يحسّون بآلامها».

وقال سيّد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة:

«وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبّائِكَ حَتّىٰ لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلىٰ غَيْرِكَ»[٢].

وقال عليه السلام: **«يا مَنْ أَذاقَ أَحِبّاءَهُ حَلاوَةَ الْمُؤانَسَةِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ»**[٣].

وتحقيق هذا المقام يتمّ ببيان أُمور:

إشارة إلى تعريف الحبّ ومراتبه:

الأوّل: في تعريف الحبّ، فقيل: هو إيثار المحبوب على سائر المصحوب، وقيل: هو ميلك إليه بكلّيّتك، وإيثارك له على نفسك، وموافقتك له سرّاً وجهراً، وقيل: المحبّة محو المحبّ بصفاته، وإثبات المحبوب بذاته، وقيل: هي هتك

---

(١) روض الجنان: ٢٧. زبدة البيان: ١٠٧. عوالي اللآلي: ٢٠/١ و: ١١/٢. شرح أُصول الكافي: ٢٥٧/١. بحار الأنوار: ١٨٦/٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٨.

. . . .

الأستار، وكشف الأسرار، وقيل: محو الأشباح وذوب الأرواح، وظنّي كما قيل أيضاً أنّ هذه التعاريف كلّها حقّة إلّا أنّ كلّاً منها منزل على مرتبة من مراتب الحبّ، كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

المراتب الخمس للحبّ:

الثاني: في بيان مراتبه، وهي خمسة:

أوّلها: الاستحسان، يتولّد من النظر والسماع، ولا يزال يقوى بطول الفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة.

وثانيها: المودّة، وهي الميل إليه، والأُلفة بشخصه، والائتلاف الروحاني معه.

وثالثها: الخلّة، وهي تمكّن محبّة المحبوب من قلب المحبّ، واستكشاف سرائره.

ورابعها: العشق، وهو الإفراط في المحبّة حتّى لا يخلو العاشق من تخيّل المعشوق، وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه، وما أحسن ما قيل بالفارسية:

به كه مشغول كنم ديده ودل را كه مدام دل تو را مى‌طلبد ديده تو را مى‌جويد

فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوّة الشهوانيّة والنفسانيّة فتمتنع عن الطعام لعدم الشهوة، ومن النوم لاستضرار الدماغ.

وخامسها: الوله، وهو أن لا يوجد في قلب العاشق غير صورة المعشوق.

نيست بر لوح دلم جز الف قامت يار چه كنم حرف دگر ياد نداد استادم

ولا ترضى نفسه إلّا به.

. . . .

وهكذا تتفاوت درجات المحبّين ، ألا ترى قول سيّدهم ورئيسهم عليه السلام : « **اللّهمّ زدني فيك تحيّراً ، اللّهمّ زدني فيك ولهاً** »[١].

علامات الحبّ :

الثالث : في علاماته ، وهي مع تشعّبها ترجع إلى ثلاث :

الأُولى : النحول والذبول ، واصفرار اللون ، وتغيّر المزاج ، خوفاً من المحبوب ، لعلّه غير راضٍ عنهم ، وهذه العلامة لمن لم يحصل له الاطّلاع على حالته ودرجته عند محبوبه .

وشاهد هذا ما روي من أنّه قد سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له : ما بال المحبّين والعابدين وجوههم مصفرّة ، وأبدانهم ناحلة ، ووجهك يعلوه البياض ، وبدنك أقوى من كلّ قويّ ، وقد بلغت من الحبّ مرتبة لا تدانى فيها ؟

فقال عليه السلام : **إنّ المحبّين قد حبّوا وعبدوا من لا يعرفون حالهم عنده ومنزلتهم لديه ، فهم على خطر من محبّتهم ، وأمّا أنا فقد رفعت عنّي الحجب الظلمانيّة ، والقوى الشهوانيّة ، والموانع الحسّيّة ، والقوى الوهمانيّة ، فنظرت إليه بعين قلب المحبّة ، فوجدته راضياً غير غاضب ، ومحبّاً غير كاره ، كما قال : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[٢] ، فارتفع عنّي الوجل ، وعلاني التبلّج الشعشعاني** »[٣].

---

(١) كما عن السجّاد عليه السلام ، انظر : الفتوحات المكّيّة : ٤٢٠/١. التجلّيات الإلهيّة : ٩١. شرح منازل السائرين : ٣١. تفسير القرآن الكريم / السيّد مصطفى الخميني : ١٢٢/١ و : ٩٢/٣.

(٢) المائدة ٥ : ٥٤.

(٣) نور الأنوار : ١٣١.

. . . .

وكأنّه إلى ذلك يشير بعض المحقّقين حيث قال: «محبّة الله العبد كشف الحجاب عن قلبه، وتمكّنه من أن يطأ على بساط قربه، فإنّ ما يوصف به سبحانه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لا المبادئ، وعلامة حبّه للعبد توفيقه للتجافي عن دار الغرور، والترقّي إلى عالم النور، والأُنس بالله، والوحشة ممّن سواه[١]، وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً.

المحبّة الفاسدة الشيطانيّة:

وقال في الكشّاف: «وعن الحسن: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنّهم يحبّون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فمن ادّعى محبّته، وخالف سنّة رسوله فهو كذّاب، وكتاب الله يكذّبه، وإذا رأيت من يذكر محبّة الله، ويصفق بيديه، ويطرب وينعر ويصعق فلا تشكّ أنّه لا يعرف ما الله، ولا يدري ما محبّة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلّا أنّه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة، فسمّاها الله بجهله وزعارته، ثمّ صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها، وربّما رأيت المنى قد ملأ إزار ذلك المحبّ عند صعقته، وحمقى العامّة حوله قد ملأوا أردانهم من الدموع لما رقّهم من حاله»[٢]، انتهى.

وممّا يليق ذكره بالمقام قول المفتي أبي السعود في هذا الشأن لمّا سئل بما صورته: ما قول مولانا وسيّدنا وقدوتنا، وراتق فتق معضلاتنا، وموضّح مشكلاتنا، كعبة المجد والكمال، قامع الزيغ والضلال، نقاب العلماء الأعلام، وشيخ مشايخ

---

(١) شرح أُصول الكافي: ٩/١١٤.

(٢) مجمع البحرين: ١/٤٤٠. أسباب النزول / الواحدي: ٦٦.

. . . .

الإسلام، لا زالت دعائم الشرع شارعة بيمن وجوده، وإسعاد الدين كاثراً بكتائب سعوده في قوم اتّخذوا قول: لا إلـه إلّا الله موضوعاً لتحريف النغمات، ورعاية لصناعة الأصوات، فطوراً يزيدون، وطوراً ينقصون، على حسب ما يلائم الصناعات الباطلة، والآراء الفاسدة، لا يرجون في ذلك لله تعالى وقاراً، بل اتّخذوا ذلك لبدعتهم شعاراً.

صورة الجواب:

ما ذكر أمر مخترع مكروه فتردّوا في مهاوي الردى ومصارعه، والتحقوا بالذين يحرّفون الكلم عن مواضعه، فيجعلون تلاوة المثاني كترنّمات الأغاني، فوالذي أنزلها بالحقّ المبين، وجعلها كلمة باقية إلى يوم الدين لئن لم ينتهوا عمّا هم فيه من المكر الكريه، ولم يرجعوا كلمة التوحيد إلى نهجه السديد، ليمسّنّهم عذاب شديد، وإنّما الذي ندب إليه، وحرّض المؤمنون عليه، تزيين الأصوات بالقرآن الجليل من غير تغيير فيه ولا تبديل، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل»، انتهى.

وأبو السعود هذا من أعاظم علماء العامّة المعاصر للسلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان العثماني، وكان في غاية الجلالة والعظمة عند السلطان وحاشيته، توفّي أوائل جمادى الأُولى سنة **٩٨٢**، ودفن في جوار أبي أيّوب الأنصاري في قسطنطين.

الثانية: السهر والقلق، وكيف ينام من خلا بمعشوقه في غسق الظلام، وهدأت عنه أعين الرقباء واللوّام، كما قال: يا موسى، كذب من زعم أنّه يحبّني وهو ينام طول ليله، أليس كلّ حبيب يحبّ الخلوة مع حبيبه.

. . . .

عجباً للمحبّ كيف ينامُ إنّما النومُ للمحبّ حرامُ[١]

وقال آخر:

خواب خوش بر عاشقان باشد حرام اى عزيز آن چشم عاشق لا ينام

تتمّة الحديث: يابن عمران، لو رأيت الذين يصلّون في الدجى، وقد مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني، وقد جلّلت عن المشاهدة، ويكلّموني وقد عزّزت عن الحضور.

يابن عمران، هب لي من عينك الدموع، ومن قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ثمّ ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً.

العلامة الثالثة: البكاء والحنين لالتهاب نار الشوق والفراق، ولذا كانوا يأنسون بالموت لأنّه المانع من الاتّصال، كما قال عليه السلام: «**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[٢]، وكان يقول لابنه الحسن: «**يا بنيّ، لا يبالي أبوك على الموت وقع أو وقع الموت عليه**»[٣]، وهو القائل حين ضربه ابن ملجم: «**فزت وربّ الكعبة**»[٤].

ولمّا ادّعى اليهود أنّهم أحبّاء الله خاطبهم بقوله: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ**

---

(١) أورد صدره في بحار الأنوار: ٧٠/١٦٠.

(٢) نهج البلاغة: ١/٤١، رقم ٥. نضد القواعد الفقهيّة: ٧٢. شرح أُصول الكافي: ٦/٤٢.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٦٧، الحديث ٥٥. أمالي الصدوق: ١٧٢، الحديث ٩. مستدرك الوسائل: ٢/١٠١، الحديث ٤.

(٤) نضد القواعد الفقهيّة: ٧٢. خصائص الأئمّة: ٦٣. شرح أُصول الكافي: ١١/٢٥٥.

. . . .

صَادِقِينَ﴾[(١)].

وما أحسن قول جدّي بحر العلوم ﷺ في درّته، حيث قال:

أعانـنا الرحمن عند السوق — حتّى نحبّ الموت حبّ شوق

وثبّت الإيمان في قلوبنا — وطهّر الديوان من ذنوبنا

أوص أخي بكلّ حقّ مفترض — في كلّ حال سيّما حال المرض[(٢)]

التوفيق بين كون محبّة الموت علامة الإيمان، وما دلّ من الأخبار وغيرها على كراهة المؤمن الموت:

وقد يتوهّم المنافاة بين ما ذكروا بين ما دلّ عليه بعض الأخ بار الأُخر من أنّ المؤمن الخالص يكره الموت، ويرغب في الحياة، كما في النبويّ المشهور بين الخاصّة والعامّة، وقد رووه في صحاحهم بأدنى تغيير: «ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه»[(٣)].

وقد أجاب عنه الشهيد ﷺ في الذكرى فقال: «إنّ حبّ لقاء الله غير مقيّد بوقت فيحمل على حال الاحتضار، ومعاينة ما يجب، كما روينا عن الصادق عليه السلام.

---

(١) البقرة ٢: ٩٤. الجمعة ٦٢: ٦.

(٢) الدرّة النجفيّة: ٦٢، فصل الجنائز.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٦/٦. المصنّف / ابن أبي شيبة: ٢٩٠/٨. الكافي: ٢٤٦/٢، الحديث ٦. مصباح المتهجّد: ٥٨. دعوات الراوندي: ١٣٤. الجامع للشرائع: ١١٧. القواعد والفوائد: ١٨١/٢. شرح أُصول الكافي: ١٩٣/٣. فتح الباري: ٢٩٧/١١.

. . . .

ورووه في الصحاح عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « **من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .**

قيل : يا رسول الله ، إنّا لنكره الموت .

فقال : **ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه ، فأحبّ لقاء الله ، وأحبّ الله لقاءه ، وأنّ الكافر إذا حضر يبشّر بعذاب الله ، فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه** »(١) ، انتهى .

وقد يقال : إنّ الموت ليس نفس لقاء الله ، فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لا يستلزم كراهة لقاء الله .

وهذا ظاهر ، وأورد عليه شيخنا البهائي ﷺ بأنّ من علم أنّ بعد الموت يحصل له الوصول والقرب إلى الله ، وهو يحبّ لقاء الله في جميع الأوقات ، فدائماً ينتظر الموت ، وليس للموت ألم عنده .

قال ﷺ : « ويمكن أن يقال كراهة الموت لا تنافي محبّة لقاء الله ، فإنّه يمكن أن لا يعلم أنّ بعد الموت يحصل له لقاء الله ، فتأمّل » ، انتهى .

ويمكن أن يقال : إنّ حبّ الله سبحانه يوجب الاستعداد التامّ للقائه بكثرة الأعمال الصالحة ، وهو يستلزم كراهة الموت القاطع لها .

وعلى ذلك يحمل ما ورد في الأخبار من طلب الأنبياء والأولياء والصلحاء طول العمر ؛ لأنه كلّما طال العمر ازدادت محاسن الأخلاق ، وفضائل النفس ، كما

---

(١) الذكرى : ٥٢ . الحبل المتين : ٦٩ .

. . . .

قال عليه السلام: «**سعادة الإنسان في طول العمر، وطاعة الباري تعالى**»[١].

وقال بعض محقّقي فقهائنا المتأخّرين بعد أن ذكر استحباب قول المشاهدة للجنازة: الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم، كما في رواية أبي حمزة، ومرفوعة أبي الحسن النهدي[٢] ما لفظه:

ورفع التنافي ما بين حبّ الله، بل الموت المرغوب إليه في الأدعية والأخبار، والحمد لله على الحياة، وطلب طول العمر المرغوب إليهما ممّا لا يخفى على أهل المعرفة، وبالحريّ العارف أن يجعل الأول من باب الشهوة، والآخر من باب الإرادة عكس ما هو مأنوس بطباع العامّة.

ونظير ذلك المحبّ المشتاق إلى لقاء محبوب عظيم، رفيع الشأن، غاية الاشتياق، المتدنّس بالوسخ والقذر، المتلبّس بالثياب الخبيثة المنتنة المنفرة، فهو مع أنّه لا يطيق المفارقة، ويقلّ اصطباره عن القرار، يرجو طول زمان المفارقة بمقدار إزالة الأوساخ، وأخذ الأهبة للقاء المحبوب على وجه يليق. ونظيره الآخر مطلوبيّة الشتاء للزرّاع مع تحمّل الشدائد فيها لأجل زيادة المحصول، قال ﷺ: «وإلى ذلك أُشير في كلمات أهل العصمة عليهم السلام **بقيّة العمر نفيسة لا ثمن لها**[٣]، **والدنيا مزرعة الآخرة**[٤]، ونحو ذلك».

---

(١) شهاب الأخبار: ١٣٣، الحديث ٢٤٧. كنز العمّال: ٢٦٦/١٥، الحديث ٤٢٦٤٦.

(٢) الكافي: ١٦٧/٣، الحديث ١ و ٢. تهذيب الأحكام: ٤٥٢/١. النهاية / الطوسي: ٣٧. المبسوط: ١٨٣/١. شرائع الإسلام: ٣٤/١. منتهى المطلب: ٤٤٤/١. مسالك الأفهام: ٩٧/١. الحدائق الناضرة: ٨٠/٤.

(٣) غنائم الأيّام: ٥٢١/٣.

(٤) شرح أُصول الكافي: ١٥٦/١ و: ١٢٧/٧ و: ٤١/٨ و ٢٢٤ و: ١٤٥/١٠. عوالي ⇦

. . . .

الرابعة: ما يظهر على الجوارح والأعضاء من الأعمال المنبئة عن المحبّة المجنية ، فإنّ المحبّة نار كامنة إن وقعت في جسم طيّب الريح كالعود والبخور فاحت منه الرائحة الطيّبة ، وإن وقعت في غيره من الأجسام كالخزف ونحوه فاحت منه الرائحة المنتنة ،وقد تشمّ تلك الرائحة مع خفاء النار ، بل لا يستدلّ على وجود النار غالباً إلّا بتلك الرائحة ، فمن ادّعى حبّاً وقد ظهر على ظواهره غيره فهو كاذب على لسان الصادقين عليهم السلام ، وما أحسن ما قيل :

لو كانَ حبُّك صادقاً لأطعتَهُ ... إنّ المحبَّ لمن يحبّ مطيعُ[1]

تتمّة مهمّة :

قال بعض أرباب العرفان : ومن المعلوم أنّ الحبّ أمر إضافي ، وله طرفان : المحبّ والمحبوب ، ولمحبّة المحبّ مراتب متفاضلة ودرجات متفاوتة ، فمحبّة للعوامّ باختصاصهم بالرحمة والغفران والتجلّي عليهم بالأفعال والآيات ، ومحبّة للخواصّ باختصاصهم تجلّي صفات الجمال ، وستر ظلمة صفاتهم بأنوار صفاته ، ومحبّة لأخصّ الخواصّ باختصاصهم بالجذبات ، وستر ظلمة وجودهم بأنوار الوجود الحقيقي فتجلّى أوّلاً بنار الجلال فيحرق عن قلبهم جميع ما كان فيه ، ثمّ يتجلّى بنور الجمال فيسلب عنهم السمع والبصر والنطق ، كما ورد في الحديث

⇦ اللآلي : ١/٢٧ و ٢٦٧ . بحار الأنوار : ٧٠/٢٢٥ . غنائم الأيّام : ٣/٥٢١ .

(١) إرشاد الأذهان : ١/١٩ . الرسالة السعديّة : ٢٦ . أمالي الصدوق : ٥٧٨ ، الحديث ٣ . روضة الواعظين : ٤١٨ . وسائل الشيعة : ١٥/٣٠٨ ، الحديث ٩ . مناقب ابن شهرآشوب : ٣/٣٩٥ . عوالي اللآلي : ١/٩٩ . محاسبة النفس / الكفعمي : ١٦٩ .

. . . .

المشهور بين العامّة والخاصّة: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»[١].

قال شيخنا البهائي ﷺ في «شرح الأربعين» ما لفظه: «لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنيّة، وإشارات سريّة، وتلويحات ذوقيّة، تقطر مشامّ الأرواح، وتحيي رميم الأشباح، لا يهتدي إلى معناها، ولا يطّلع على مغزاها إلّا من أتعب بدنه بالرياضات، وعنّى نفسه بالمجاهدات، حتّى ذاق مشربهم، وعرف مطلبهم، وأمّا من لم يفهم تلك الرموز، ولم يهتد إلى هاتيك الكنوز، لعكوفه على الحظوظ الدنيّة، وانهماكه في اللذّات البدنيّة، فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي في غياهب الإلحاد، والوقوع في مهاوي الحلول والاتّحاد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ثمّ قال ﷺ: ونحن نتكلّم في هذا المقام بما يسهل تناوله على الأفهام، فنقول: هذا مبالغة في القرب، وبيان استيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد وباطنه، وسرّه وعلانيته.

فالمراد ـ والله أعلم ـ أنّي إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلّ الأُنس، وصرفته إلى عالم القدس، وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت، فتثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه، ويمتزج بالمحبّة لحمه

---

(١) الكافي: ٣٥٢/٢، الحديث ٧. المحاسن / البرقي: ٢٩١/١. المؤمن / الأهوازي: ٣٢، الحديث ٦١. الثمر الداني: ٦٧٩. كشف الغطاء: ٢٢٦/١. مفتاح الفلاح: ٢٨٨.

صَبَرْتُ عَلىٰ حَرِّ نَارِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلىٰ كَرامَتِكَ ؟

ودمه ، إلى أن يغيب عن نفسه ، ويذهل عن حسّه ، فتتلاشى الأغيار في نظره حتّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره ، كما قال من قال :

جنوني فيك لا يخفى ونـاري منك لا تـخبو
فأنت السمع والإبصار والأركـان والقلب[١]

انتهى كلامه طاب ثراه ، وجعل الجنّة مثواه[٢].

في أنّ العقل لا يحيط ببيان العشق :

والحقّ أنّ بيان الشيء كما هو ينبغي موقوف على الإحاطة به ، والعقل لا يحيط بالعشق ، فكيف يبين حاله ، بل العقل في تيه العشق يكون والهاً .

عقل در شرحش چه خر در گل بخفت شرح عشق وعاشقى هم عشق گفت
افـتاب آمـد دليـل آفـتاب گـر دليـلت بـايد از وى رو مـتاب
از روى او سـايه نشـانى مـى‌دهد شـمس هـر دم نـور جـانى مـى‌دهد

صَبَرْتُ عَلىٰ حَرِّ نَارِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلىٰ كَرامَتِكَ ؟ :

التكريم والإكرام بمعنى ، والاسم منه الكرامة ، ودار الكرامة : الجنّة .

وفيه دلالة على أنّ مشقّة الصبر والتحمّل في هذا المجال أصعب وأشقّ من سائر الأحوال ، فإنّه مرحلة اُخرى وداهية دهياء ، فإنّه درجة الخذلان والبعد عن رحـمة

---

(١) شرح الأربعين حديثاً : ٤١٥ ، الحديث ٣٥ .

(٢) شرح اُصول الكافي : ٤٢٧/٩ . التحفة السنيّة : ٨٧ (مخطوط) . فيض القدير : ٣٠٥/٢ .

أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ ؟

الرحمن والسلوك في زمرة من كتب عليه الحرمان، فكان من المنسيّين، بحيث لا يخطر بالبال، ولا يتوهّم في الخيال، ولا يعرض له ذكر ولا سؤال.

تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾:

قال عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره: عن الصادق عليه السلام، قال: «**ما خلق الله خلقاً إلّا وجعل له في الجنّة منزلاً، وفي النّار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى مناد: يا أهل الجنّة، أشرفوا، فيشرفون على أهل النّار، وترفع لهم منازلهم فيها، ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم التي في النّار لو عصيتم الله لدخلتموها**»، قال: «**فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ ينادي مناد: يا أهل النّار ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم، فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم لدخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[1]»[2].

أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ ؟:

أم المنقطعة للاضراب:

أم هذه هي المنقطعة، ومعناها الذي لا يفارقها الاضراب، ثمّ تارة تكون له

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١٠ و ١١.

(٢) تفسير القمّي: ٨٩/٢. بحار الأنوار: ١٢٥/٨، الحديث ٢٦ و: ٢٨٧، الحديث ١٩.

. . . .

مجرّداً، وتارة تتضمّن مع ذلك استفهاماً إنكاريّاً أو استفهاماً طلبيّاً.

فمن الأوّل: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾[1]، أمّا الأُولى فلأنّه لا يدخل الاستفهام على الاستفهام، ومثله ما نحن فيه، فإنّها منقطعة، ومعناها الإضراب المجرّد لعدم دخول الاستفهام على الاستفهام، وأمّا الثانية فلأنّ المعنى على الإخبار عنهم باعتقاد الشركاء.

ومن الثاني: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾[2]، وتقديره: بل أله البنات ولكم البنون، إذ لو قدّرت للاضراب المحض لزم المحال، كما لا يخفى.

ومن الثالث قولهم: إنّها لإبل أم شاة، التقدير: بل أهي شاة، وكيف هنا للإنكار المشوب بالتعجّب المتضمّن للنفي، والتقدير: بل كيف أمكن، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار المقصود إلى نفس السكون بأن يقال: اسكن في النّار؛ لأنّ كلّ موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً، فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني.

علّة لزوم الحال واو إن كانت جملة:

وأمّا الجملة الاسميّة المبدوّة بالواو فهي في محلّ النصب على أن تكون حالاً من الضمير المستتر في اسكن، وهي مرتبطة بالواو، والضمير حسب ما هو الشرط في كلّ جملة اسميّة أو فعليّة وقعت حالاً، فإنّه يشترط فيها أن تكون مرتبطة بالواو

---

(١) الرعد ١٣: ١٦.

(٢) الطور ٥٢: ٣٩.

. . . .

والضمير معاً لتقوية الربط، أو بالضمير فقط دون الواو، أو بالواو فقط دون الضمير، وإنّما جعلت الواو في باب الحال رابطة لأنها تدلّ على الجمع، والغرض اجتماع جملة الحال مع عامل صاحبها.

معنى الرجاء وحقيقته:

ثمّ اعلم أنّ الرجاء عبارة عن ارتياح القلب لانتظار محبوب، فإن حصل أكثر أسبابه فالأصدق اسم الرجاء، كتوقّع الحصاد ممّن ألقى بذراً جيّداً في أرض صالحة يصلها الماء، وإن فقد فالغرور والحماقة كما لو ألقى في أرض غير صالحة لا يصلها الماء، وإن شكّ فيها فالتمنّي كما إذا أصلحت الأرض ولا ماء؛ وذلك لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيها، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض، وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار، وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها، كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلّا ما زرع، ولا ينمى زرع الإيمان إلّا من بذر الإيمان، وقلّما ينفع الإيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمى بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الأرض، فكلّ من طلب أرضاً طيّبة وألقى فيها بذراً جيداً، ثمّ أمدّه بما يحتاج إليه من تنقية الأرض ممّا يمنع نبات البذر، أو يفسده وسوق الماء إليه من أوقاته، ثمّ جلس منتظراً من فضل الله دفع الآفات المفسدة إلى أن ينمي الأرض، ويبلغ غايته سمّي انتظاره رجاءً، وإن بثّ البذر في أرض سبخة مرتفعة لا ينصبّ إليها ماء ولم يشتغل بتعهّد البذر أصلاً، ثمّ انتظر الحصاد منه سمّي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء، وإن بثّ البذر في أرض طيّبة، ولكن لا ماء لها، ولكن ينتظر مياه الأمطار، حيث لا يغلب الأمطار،

. . . .

ولا تمتنع أيضاً سمّي انتظاره تمنّياً لا رجاء ، فإذن اسم الرجاء إنّما يصدق على انتظار محبوب تمهّدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلّا ما ليس يدخل تحت اختياره ، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات .

في الرجاء الحقيقي :

فالعبد إذا بثّ بذر الإيمان بماء الطاعات ، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديّة ، وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت ، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة ،كان انتظاره رجاءً حقيقيّاً محموداً في نفسه ، باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت ، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهّده بماء الطاعات ، أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق ، وانهمك في طلب لذّات الدنيا ، ثمّ انتظر المغفرة ، فانتظاره حمق وغرور ، وقال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ** ﴾[1] .

شرذمة من الأخبار المناسبة :

وقال النبيّ ﷺ : « **الكيّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواه ، وتمنّى على الله** »[2] .

وقيل للصادق عليه السلام : إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون : نرجو[3] ؟

---

(١) البقرة ٢ : ٢١٨ .

(٢) أمالي الطوسي : ٥٣٠ . مكارم الأخلاق : ٤٦٢ . شرح أصول الكافي : ١٤٦/١ . بحار الأنوار : ٧٩/٧٧ . مستدرك الوسائل : ١١٢/١٢ ، الحديث ٩ .

(٣) أي نرجو رحمة الله وغفرانه .

. . . .

فقال: «**كذبوا ليسوا لنا بموال، أُولئك قوم ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه**»[(١)].

وقال عليه السلام: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو**»[(٢)].

فإذن العبد المجتهد في الطاعات، المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلّا بدخول الجنّة، فأمّا العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرّط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيّئة، وتسرّه الحسنة، وهو يذمّ نفسه ويلومها، ومن يشتهي التوبة، ويشتاق إليها، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة؛ لأنّ كراهيته للمعصية، وحرصه للطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة، وإنّما الرجاء بعد تأكّد الأسباب.

طريق تحصيل الرجاء:

تتمّة مهمّة: حيث قد علمت فضيلة الرجاء، وعلمت مواقعه، وميّزت بينه وبين غيره، فعليك بتحصيله بأن تلاحظ النعم الوافرة، والكرامات الظاهرة التي قد أنعم الله بها على العباد في دار الدنيا، حتّى هيّأ لهم كلّ ما هو ضروريّ، ولو كان شيئاً ممّا

---

(١) الكافي: ٦٩/٢، الحديث ٦. شرح أُصول الكافي: ٢٢٠/١ و: ٢٢٠/٨. بحار الأنوار: ٣٥٧/٧٠.

(٢) الكافي: ٧١/٢، الحديث ١١. تحف العقول: ٣٩٥. شرح أُصول الكافي: ٢٢٦/٨. وسائل الشيعة: ٢١٧/١٥، الحديث ٥.

فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أُقْسِمُ صَادِقاً، لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً

يحتاجون إليه في بعض الأحيان في أُمور دنياهم، فإذا كانت العناية الإلـهيّة في خصوص تهيئة أسباب الدنيا، وخلق ما يحتاج فيها إلى هذه المثابة، وبهذه الدرجة مع أنّها دار بلاء ومحنة، لا دار سرور ومنحة، فلم يرض أن يكون عباده محتاجين إلى ما لا يوجد، بل قد هيّأ لهم ما يصرفونه في الزينة والجمال، فكيف في الدار الآخرة التي هي محلّ الفيض والنعمة ودار الإحسان والراحة، فإنّه عزّ وجلّ أوْلى بأن لا يهمل عباده، ويعطّلهم ويبليهم بالعذاب الأبدي، والعقاب المخلّدي، مع أنّه القائل عزّ وجلّ: «سبقت رحمتي غضبي»[1]، مع أنّ في دار الدنيا مع الاشتغال بالمعاصي واللهو واللعب لم يمنع رحمته، فكيف في دار الآخرة التي قد قطعت فيها الآمال، ولا ملجأ إلّا إليه، وأعظم شيء يوجب الرجاء للعبد أنّه تعالى خير محض لا شرّ فيه، وفيّاض على الإطلاق وهّاب مطلقاً، خلق الخلق ليجود عليهم، ويحسن إليهم، فيكونوا مورداً لفضله وكرمه، وما أحسن ما قيل بالفارسيّة:

از خبر محض جز نكوئى نايد خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد

فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أُقْسِمُ صَادِقاً، لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً: فيه دلالة على عدم القدرة على النطق من فرط الحيرة والدهشة، كما ورد في بعض الأخبار، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ**... إلخ﴾[3].

(١) الكافي: ٤٤٣/١، الحديث ١٣. شرح أُصول الكافي: ٢٨٦/٤ و: ١٥٢/٧ و ١٥٣. مناقب ابن شهرآشوب: ٣٨/٣.

(٢) المؤمنون ٢٣: ١٠٨.

(٣) يس ٣٦: ٦٥.

لَأَضِجَّنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ، وَلَأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ،

اللام المؤذنة:

واللام الداخلة على أداة الشرط للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنيّ على قسم قبلها لا على الشرط، ومن ثمّ تسمّى اللام «المؤذنة» و«الموطئة»، لأنها وطئت الجواب للقسم ومهّدته.

لَأَضِجَّنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ: اللام في لأضجّنّ جواب القسم، وإذا أدخلوا لام القسم على فعل مستقبل أدخلوا في آخره النون، شديدة أو خفيفة، لتأكيد الاستقبال وإخراجه عن الحال، ولا بدّ من ذلك، كما صرّح به الجوهري في الصحاح[١]، وضجّ يضجّ ـ من باب ضرب ـ ضجيجاً إذا فزع من شيء خافه، والاسم الضَّجاج ـ بالفتح ـ، والضمير في أهلها راجع إلى النّار.

آملين: بمعنى الراجين لرحمتك، جمع آمل، بمعنى الراجي، ضدّ المأيوس.

وَلَأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ: الصُّراخ ـ بالضمّ ـ: الصوت، والمستصرخ هو المستغيث، وفي الدعاء: «يا صريخ المستصرخين»[٢]، أي: يا غياث المستغيثين، واللام في لأصرخنّ كما تقدّم.

وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ: بكى يبكي بكىً وبكاءً ـ بالقصر والمدّ ـ وقيل: القصر مع خروج الدموع، والمدّ: مع خروج الصوت، وقد جمع الشاعر

---

(١) الصحاح: ٥/٢٠٣٥.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الجامعة: ٢٣٨. المقنعة: ٣٣٧. روضة الواعظين: ٤٠٨. المزار الكبير: ٣١٢.

وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ ،

اللغتين في قوله :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَها بُكاها ... وَلا يُغْنِي الْبُكاءُ وَلا العَويلُ[١]

والفقد : هو الإعدام ، يعني لبكيت عليك بكاء من أعدم حبيبه .

وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ : الوليّ : بمعنى الناصر ، والمؤمنين : جمع المؤمن ، وهو من اتّصف بصفة الإيمان .

في بيان حقيقة الإيمان وبيان الأقوال فيها:

وعبارات الأصحاب وغيرهم في بيان حقيقة الإيمان شرعاً مختلفة ، وجملة الأقوال فيها سبعة :

الأوّل : ما ذهب إليه جمهور المتكلّمين من الإماميّة وغيرهم ، وإليه ذهب المحقّق الطوسي في الفصول[٢] ، وجدّي الصالح طاب ثراه في شرح الأُصول[٣] من أنّه : التصديق بالقلب فقط ، ولا نزاع فيه بينهم ، ولكن اختلفوا في معنى التصديق ،

---

(١) فتح القدير : ٣٣٩/٣. مجمع البحرين : ٢٣٥/١. ذخيرة المعاد / السبزواري : ٣٥٧/٢.
ونسب لكعب بن مالك في : لسان العرب : ٨٢/١٤. البداية والنهاية : ٦٨/٤. الإصابة : ١٠٦/٢. مغني المحتاج : ٣٥٦/١.
ونسب لعبدالله بن رواحة في : تفسير القرطبي : ١٨٨/٤ و : ١٢٠/١١. سبل الهدى والرشاد : ٢٣٧/٤.
ونسب لحسّان بن ثابت في مستمسك العروة الوثقى / السيّد محسن الحكيم : ٥٧٩/٦.

(٢) فصول العقائد : ٤٨.

(٣) شرح أُصول الكافي : ٤٤/٨.

. . . .

فقال غير الأشاعرة: إنّه أحد قسمي العلم، أي المعرفة الإذعانيّة، وقالت **الأشاعرة**: هو غيره، وعبّر عنه بعضهم بأنّه ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر، فقال المحقّق التفتازاني في بعض فوائده: «إنّ بعض القدريّة ذهب إلى أنّ الإيمان هو المعرفة، وأطبق علماؤنا على فساده؛ لأنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون نبوّة نبيّنا ﷺ كما كانوا يعرفون أبناءهم، حيث أخبر الله تعالى عنهم بذلك مع القطع بكفرهم لعدم التصديق، ولأنّ من الكفّار من يعرف الحقّ وينكره عناداً واستكباراً، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ** ﴾[١]، ولكن قال خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه في مرآة العقول: «إنّ إثبات معنى آخر غير العلم والمعرفة مشكل، وكون بعض أفراده حاصلاً بغير اختيار لا ينافي التكليف به لمن لم يحصل له ذلك، وترتّب الثواب على ما حصل بغير الاختيار، إمّا تفضّل، أو هو على الثبات عليه وإظهاره والعمل بمقتضاه[٢].

نعم، المعنى الذي نفهمه هنا زائداً على العلم هو العزم على إظهار ما اعتقده، أو على عدم إنكاره ظاهراً بغير ضرورة تدعو إليه، ويمكن عدّه من لوازم الإيمان وشرائطه، كما يومئ إليه بعض الآيات والأخبار، وممّا ذكرناه تعرف الجواب عمّا أورده التفتازاني.

الثاني: ما ذهب إليه المحقّق الطوسي في التجريد من أنّه: التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان[٣].

---

(١) النمل ٢٧: ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/٦٩.

(٣) بحار الأنوار: ١٣٢/٦٩.

. . . .

الثالث: ما ذهب إليه شيخنا المفيد طاب ثراه وجماعة من محدّثي العامّة والخاصّة من أنّه: التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، أي الأعمال المفروضة[١].

الرابع: قول الخوارج، وقدماء المعتزلة، والعلّاف، والقاضي عبدالجبّار أنّه: عبارة عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضاً ونفلاً[٢].

الخامس: قول أكثر المعتزلة، وأبي علي الجبّائي، وابنه أبي هاشم أنّه: فعل الطاعات المفروضة وترك المحذورات[٣].

السادس: قول الكرّاميّة: أنّه عبارة عن كلمتي الشهادة من دون اعتبار التصديق وسائر الأعمال الجوارحيّة، على ما فيه الأكثر من كلامهم، ولا يخفى سخافته، فتدبّر[٤].

السابع: قول طائفة -ومنهم أبو حنيفة- أنّه: عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة.

ولا يخفى أنّ الفرق بين هذا المذهب ومذهب المحقّق في التجريد غير ظاهر.

إذا حفظت ذلك، فالكلام هنا في ثلاث مقامات:

الأوّل: أنّ التصديق هل هو معتبر في الإيمان أم لا ؟

---

(١) مسالك الأفهام: ٣٣٩/٥. زبدة البيان: ٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٣١/٦٩.

(٣) المصدر المتقدّم.

(٤) المصدر المتقدّم.

. . . .

الثاني: أنّه هل يجب أن يكون التصديق على وجه اليقين والثبات بحيث لم يحتمل في نسبة النقيض أم لا، فيكون تصديقاً ظنّياً.

الثالث: أنّ الأعمال هل هي معتبرة فيه أم لا؟

في عدم حصول الإيمان بدون التصديق:

فنقول في **المقام الأوّل**:

إنّ الحقّ هو الأوّل، وعدم حصول الإيمان بدون التصديق، ولم ينقل فيه مخالف من الأُمّة سوى الكرّاميّة، ومذهبهم في غاية الضعف، وسنبطله إن شاء الله تعالى، ويدلّ عليه ما ورد من الآيات والأخبار الدالّة على أنّ القلب محلّ الإيمان، كما سيأتي ذكرها في المقام الثالث إن شاء الله.

فإن قلت: يلزم على ما ذكرت خروج المكلّف حين النوم والغفلة، وكذا الصبيّ حين عدم التصديق عن الإيمان، ودخولهما في الكفر، وهو باطل بالاتّفاق.

قلت: لا نسلّم زوال التصديق عن النائم والغافل، بل الزائل هو العلم به، وباتّصاف النفس به، ولا شكّ أنّ عدم العلم بالعلم وبصفات النفس لا ينافي حصول العلم والاتّصاف، والصبيّ لا يوصف بشيء من الإيمان والكفر حقيقة لعدم دخوله في المكلّف، وظاهر أنّ الكلام في إيمان المكلّف.

في اعتبار الثبات واليقين في التصديق:

ونقول في **المقام الثاني**: إنّ الحقّ فيه كما هو المعروف بين الأصحاب أيضاً هو الأوّل، أعني اعتبار اليقين والثبات في التصديق لا ما يشمل الظنّ، كما نقل الاكتفاء

. . . .

به عن المحقّق الطوسي ﷺ[1]، وعليه جماعة من العامّة أيضاً، فإن كانا حاصلين بالإلهام أو خلق علم ضروري وأمثالهما فهو المطلوب، وإلّا وجب تحصيلهما بالنظر.

والدليل عليه أُمور:

منها: ما يدلّ على وجوب معرفة الله، وهو أنّ الإنسان يجد لنفسه نعماً ظاهرةً وباطنة لا تحصى، ولا يريب أحد في أنّ تلك النعماء لا تكون من مخلوق مثله، وكذا يعلم أنّه لو لم يعترف بإنعام ذلك المنعم ولم يذعن بكونه هو المنعم لا غيره، ولم يسع في تحصيل مرضاته لذمّه العقلاء ورأوه مستحقّاً لأن يسلب عنه تلك النعم، فلدفع الخوف والذمّ وجب شكر ذلك المنعم على وجه يليق به، والظاهر أنّ شكره كذلك لا يمكن إلّا بعد معرفته على وجه اليقين، فإنّ شكر المظنون كونه منعماً لا يدفع الخوف والذمّ يقيناً، وإذا ثبت وجوب اليقين في بعض المعارف يثبت في الباقي أيضاً لعدم القول بالفصل.

ومنها: أنّه لا شكّ في إفادة النظر الصحيح العلم وعدم إفادة الأمارات والتقليد ذلك، ولا ريب في أنّ تحصيل العلم بشيء لو أمكن يكون أرجح من غيره قطعاً، وترجيح المرجوح عقلاً غير جائز عقلاً واتّفاقاً، فوجب تحصيله فيما نحن فيه لإمكانه قطعاً.

فإن قلت: لا يثبت من هذا الدليل إلّا بطلان التقليد وما في حكمه، لا وجوب اليقين.

قلت: لا قائل بالفصل، فإذا بطل أحد القولين ثبت الآخر.

---

(١) تجريد الاعتقاد: ٣٠٩. كشف المراد: ٤٢٦.

. . . .

ومنها: الآيات الدالّة على النهي من اتّباع الظنّ، وهي كثيرة، وكذا ما يدلّ على ذمّ التقليد خرج ما يجوز منها إجماعاً كما في الفروع، فبقي الباقي تحت النهي والذمّ، ولا يخفى أنّه يمكن دعوى العلم بمرجوحيّة الظنّ والتقليد بمجرّد تلك الآيات لكثرتها، فلا يرد أنّ الآيات إنّما تفيد ظنّاً بذلك لإمكان التأويل فيها، فلا يمكن إثبات المدّعى بها.

فوجه الدفع ظاهر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾[1]، ولا شكّ أنّ الظنّ في معرض الريب باعتبار تجويز النقيض.

ما استدلّ به على جواز الاكتفاء بالتصديق الظنّي:

وما يمكن أن يستدلّ به للخصم اُمور نكتفي بذكر ما هو المعتمد:

فمنها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام والأصحاب في جميع الأعصار والأمصار كانوا يقرّرون العوامّ على إيمانهم، وهم الأكثرون في كلّ عصر مع عدم الاستفسار عن الدلائل الدالّة على الصانع وصفاته مع أنّهم كانوا لا يعلمون، وإنّما كانوا مقرّين باللسان ومقلّدين في المعارف، فلو لم يكن جائزاً لما جاز ذلك التقرير منهم مع الحكم بإيمانهم.

ومنها: الآيات الكثيرة الدالّة على جواز تعقيب الكفر على الإيمان، فلو كان الجزم والثبات معتبر فيه فكيف يجوز ذلك؟ إذ اليقين لا يزول بالضعف الذي

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٥.

. . . .

هو موجب الكفر.

ومنها: أنّ قوله تعالى -حكاية عن إبراهيم عليه السلام -: ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[(١)] يدلّ على أنّ الجزم والثبات ليس معتبراً في الإيمان.

ومنها: أنّ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[(٢)] يفهم منه وصف الكافر المشرك في حال شركه بالإيمان؛ إذ الجملة الاسميّة حاليّة، فتوصيف الظانّ به أوْلى بالجواز، كما لا يخفى.

الجواب عن ذلك:

أمّا عن الأوّل: فبأنّه إن أراد من عدم العلم بالأدلّة الأدلّة تفصيلاً فمسلّم، ولكن لا يضرّ، إذ الدليل الإجمالي كافٍ كدليل الأعرابي، وإن أراد الأعمّ فهو ممنوع.

وأمّا على الثاني: فبأنّ الكلام في الإيمان الواقعي المقبول عند الله بلا ريب، وجواز تعقّبه بالكفر ممنوع.

والآيات الدالّة عليه يمكن حملها على الإيمان والكفر الظاهريين، ولأنّ زوال الإيمان قد يكون بزوال شروطه التي هي من تروك الأفعال كترك السجود للصنم، وإلقاء المصحف في القاذورات، وأمثالهما، ففعلهما إنّما يوجب الخروج عن الإيمان بالكفر، ولا يدلّ على زوال اليقين، فتأمّل.

وأمّا عن الثالث: فبأنّه يمكن أن يكون عليه السلام قد طلب المشاهدة لتحصيل العلم له بذلك الطريق أيضاً، ويستقرّ قلبه فلا يطلب بعد ذلك، فالمراد باطمئنان القلب

---

(١) البقرة ٢: ٢٦٠.

(٢) يوسف ١٢: ١٠٦.

. . . .

استقراره، وعدم طلبه لشيء آخر بعد المشاهدة، ولا ينافي ذلك كونه موقناً بإحياء الموتى قبل المشاهدة أيضاً، فلا يدلّ على المطلق.

وأمّا عن الرابع: فبأنّه لا نسلّم كون المراد بالإيمان معناه الشرعي، بل المراد به التصديق اللساني، فالمعنى ـ والله العالم ـ: وما يؤمن أكثرهم بلسانه إلّا وهو مشرك بقلبه.

في عدم مدخليّة شيء من الأعمال في الإيمان:

وأمّا المقام الثالث: فنقول: إنّ الحقّ في هذا المقام هو الثاني، بمعنى أنّ الأعمال ليست نفس الإيمان، ولا جزء منه، ولا شرطاً فيه، والدليل عليه أُمور:

منها: أنّه لا شكّ في عدم بقاء معناه اللغوي في الشرع بالاتّفاق، فهو منقول عنه، أمّا إلى التصديق المخصوص فقط، أو مع الأعمال أو إليها فقط.

فعلى الأوّل مخصّص، وعلى غيره منقول، ولا شكّ أنّ التخصيص أوْلى من النقل، كما بيّن في موضعه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1].

وجه الاستدلال أنّ التقوى فعل الطاعات وترك المنهيّات، فلو كان نفس الإيمان أو جزء له، بل شرطاً فيه، لزم الأمر بتحصيل الحاصل، وحمل الإيمان على معناه اللغوي، ممّا لا وجه له لضرورة نقله، فوجب عند الإطلاق حمله على غيره، وهو إمّا التصديق فقط، أو العمل فقط، أو هما معاً بالاتّفاق، وقد بيّنّا فساد حمله على

---

(١) التوبة ٩: ١١٩.

. . . .

الأخيرين ، فتعيّن الأوّل ، وهو المطلوب .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ﴾[١] ، أي حالة إيمانه وجه الدلالة أنّ « من » للتبعيض ، والصالحات جمع محلّى يفيد العموم ، فالمعنى ـ والله يعلم ـ : من عمل بعضاً من الصالحات ، أي بعض كان في حالة إيمانه ، فوجب مغايرة جميع أبعاضها للإيمان ، وإلّا فإن كان بعض منها أو جزئه ، فالعمل به في حال الإيمان معناه العمل بالإيمان أو بجزئه حال العمل بالإيمان أو بجزئه ، فيلزم تقدّم الشيء على نفسه ، وتحصيل الحاصل .

فإن قلت : يجوز أنّ المراد بالإيمان جزءه ، أي التصديق ، فيصير المعنى : من عمل ببعض الإيمان حال حصول بعض آخر منه ، فالمغايرة إنّما هو بين جزئي الإيمان ، ولا محذور فيه ، بل لا بدّ منه .

قلت : إطلاق اللفظ وإرادة جزء المعنى منه مجاز ، وهو خلاف الأصل .

فالحاصل : أنّ المراد بالإيمان في الآية هو التصديق فقط دفعاً للزوم المحذورين ، فإن كان عينه فهو المطلوب ، وإن كان جزءه لزم التجوّز ، هكذا ينبغي أن يحرّر المقام ، فتدبّر .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ﴾[٢] ، حيث أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي ، فعلم أنّ ترك المنهيّات ليس جزء من الإيمان ، وإلّا لزم اجتماع وجود الإيمان وعدمه في شخص واحد في حالة واحدة ، وهو

---

(١) طه ٢٠ : ١١٢ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ٩ .

. . . .

باطل بالضرورة.

ومنها: الآيات والروايات الدالّة على كون القلب محلّاً للإيمان بدون انضمام أمر آخر إليه، كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[١] في آية الأعراب، فإنّه تعالى ما أثبت لهم من الإيمان إلّا ما دخل القلب، فيدلّ على حصره فيما دخل القلب.

وبتقرير آخر: جعل سبحانه القلب محلّ كلّ الإيمان، كما هو ظاهر الآية، فلو كان غير القلب محلّاً لما جاز ذلك، وقوله تعالى: ﴿**أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾[٢]، والمراد بالكتابة هو الجمع والإثبات، كما صرّحوا به.

ذكر الأخبار الدالّة على أنّ محلّ الإيمان هو القلب:

وأمّا الأخبار:

فمنها: ما روي أنّ جبرئيل عليه السلام أتى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر**»[٣]، فالاكتفاء بالثلاثة في الجواب يدلّ على عدم اعتبار غيرها فيه.

ومنها: قول الصادق عليه السلام: «**المؤمن مؤمنان؛ فمؤمن صدق بعهد الله، ووفى بشرطه، ومؤمن كخامة الزرع تعوجّ أحياناً وتقوم أحياناً**»[٤].

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٤.

(٢) المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٣٩/٦٩ و ٢٠٦.

(٤) الكافي: ٢٤٨/٢، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ١٩٨/٩.

. . . .

ومنها: قوله عليه السلام: « **يبتلى المؤمن على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه، وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سخف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه** »[1].

هر كه دراين بزم مقربتر است   جام بلا بيشتر شر مى‌داند

ومنها: قوله عليه السلام: « **لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل** »[2].

ومنها: قوله عليه السلام: « **الإيمان ما وقر في القلوب** »[3].

ومنها: ما روي عنه عليه السلام أنّه قال: « **قال أمير المؤمنين** عليه السلام: **إنّ لأهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة** » إلى أن قال: « **وما يقرّب إلى الله تعالى زلفى** »[4].

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « **عشرون خصلة في المؤمن، فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إنّ من أخلاق المؤمن: الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى الزكاة، والمطعمون المسكين...** » الحديث[5].

ومنها: قول الباقر عليه السلام: « **إنّ الإيمان ما استقرّ في القلب، وأفضى به إلى الله تعالى،**

---

(١) الكافي: ٢/٢٥٢، الحديث ٢. شرح أُصول الكافي: ٩/٢٠٧. وسائل الشيعة: ٣/٢٦١، الحديث ١.

(٢) المحاسن: ١/١٦٦، الحديث ١٢٣. الكافي: ٢/٤٦٤، الحديث ٣. شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٢٦.

(٣) المصنّف / ابن أبي شيبة: ٧/٢١٧. بحار الأنوار: ٤٦/١٧٦، الحديث ٢٩.

(٤) الكافي: ٢/٢٣٩، الحديث ٣٠. التمحيص: ٦٨، الحديث ١٦١. الخصال: ٤٨٣، الحديث ٥٦.

(٥) الكافي: ٢/٢٣٢، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ٨/٤٥.

. . . .

وصدّقه العمل بالطاعة لله، والتسليم لأمر الله»[١].

ثمّ هذه الروايات وإن كانت معارضة بمثلها من الأخبار الدالّة على اعتبار الأعمال في الإيمان، إلّا أنّ حمل الإيمان في تلك الأخبار على الكامل وفي هذه الروايات على أصل الحقيقة ليحصل الجمع، أوْلى من التأويل في هذه الروايات، وإبقاؤها على الظاهر، كما لا يخفى على المنصف.

ذكر ما يدلّ على جزئيّة الأعمال للإيمان من الأخبار:

وتفصيل ذلك: أنّ جملة من الأخبار تدلّ ظاهرها على جزئيّة الأعمال للإيمان، كما نقل عن المفيد[٢] اختيار ذلك حسب ما سمعته فيما تقدّم عند نقل الأقوال:

فمنها: قول الصادق عليه السلام في مكاتبة عبدالرحيم القصير وعبدالملك بن أعين: **«سألت رحمك الله عن الإيمان وهو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان»**[٣].

وبهذا المضمون روي عن الرضا عليه السلام كثيراً في العيون[٤]، وغيرها.

ومنها: ما روى سماعة، عنه عليه السلام: **«إنّ الإيمان الهدى، وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل»**[٥].

---

(١) الكافي: ٢٦/٢، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ٤٥/٨.

(٢) انظر القول الثاني من بيان حقيقة الإيمان شرعاً.

(٣) الكافي: ٢٧/٢، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ٨٤/٨.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢٠٥/٢، الحديث ٣.

(٥) الكافي: ٢٥/٢، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ٧٨/٨. مجمع البحرين: ⇦

. . . .

والظاهر أنّ المراد بالهدى معرفة الولاية، وبصفة الإسلام الشهادتان، وبثبوتهما في القلب التصديق بها.

ومنها: ما رواه سفيان بن السمط، عنه عليه السلام: «**إنّ الإيمان معرفة هذا الأمر**»[1]، مع هذا فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً، وكان ضالّاً.

وهذا في قوله عليه السلام إنّ هذا إشارة إلى ما سبق منه عليه السلام في هذه الرواية في بيان معنى الإسلام، وهو الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والحجّ، وصيام شهر رمضان.

ومنها: ما رواه أبو بصير، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلّام[2]: إنّ خَيْثَمة بن أبي خيثمة يحدّثنا عنك -إلى أن قال: -وسألك عن الإيمان فقلت: **الإيمان بالله، والتصديق بكتاب الله، وأن لا يعصى الله**، فقال: **صدق خيثمة**»[3].

ومنها: ما رواه محمّد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: «الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: **نعم، وما دون الكبائر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن**»[4].

وأنت خبيرٌ بأنّ ظاهر السياق يدلّ على أنّ الزنا والسرقة من الصغائر، فلا يدلّ على أنّ ما دون الكبائر مطلقاً مخرج من الإيمان حتّى يرد ما ذكره جدّي الفاضل

⇦ ٤٠٨/٢. الفصول المهمّة / الحرّ العاملي: ٤٣٠/١، الحديث ٣.

(١) الكافي: ٢٤/٢، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ٧٥/٨.

(٢) يحتمل: المستنير الجعفي، أو: ابن أبي عمرة الخراساني.

(٣) الكافي: ٣٨/٢، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ١١٥/٨.

(٤) الكافي: ٢٨٤/٢، الحديث ٢١. وسائل الشيعة: ٣٢٥/١٥، الحديث ١٨. شرح أُصول الكافي: ٢٧٣/٩.

. . . .

الصالح طاب ثراه في شرح الأُصول[١] من أنّه لا قائل بذلك، فوجب حمل الإيمان على الكامل منه، بل إنّما يدلّ على إخراج مثل الزنا والسرقة وأصحاب هذا القول يلتزمونه، كما لا يخفى.

ومنها: الروايات الدالّة على أنّ المؤمن حين المعصية يخرج من الإيمان، وهي كثيرة، ويؤيّد هذا القول أيضاً ما روي من قلّة عدد المؤمنين، وأنّ المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، وأنّ المؤمن لا يدخل النّار، وأمثال ذلك، كما يظهر على المتتبّع.

والجواب: أنّها معارضةً بما سبق من الروايات، والأسلم في الجمع حمل هذه الأخبار على الإيمان الكامل، كما ذكرنا، فوجب المصير إليه.

في أنّ حقيقة الإيمان قابلة للزيادة والنقصان أم لا:

بقي هنا شيء يلزم التنبيه عليه، وهو أنّه لا نزاع في أنّ كمال الإيمان يزيد وينقص بازدياد الأعمال والطاعات، ونقصانها إنّما النزاع في أنّ حقيقته التي يتّصف بها المؤمن بالإيمان عند الله عزّ وجلّ، وبها يثبت له الخلود في الجنّة، وبدونها الخلود في النّار هل تقبل الزيادة والنقصان، أو لا؟ فذهب جماعة إلى الأوّل، وفريق إلى الثاني، وقد جعل بعضهم هذا النزاع فرع النزاع في معنى الإيمان.

قال شارح المقاصد: «ظاهر الكتاب والسنّة وهو مذهب الأشاعرة والمعتزلة.

والمحكي عن الشافعي وكثير من العلماء أنّ الإيمان يزيد وينقص، وعند أبي حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء، وهو اختيار إمام الحرمين، أنّه: لا يزيد

---

(١) شرح أُصول الكافي: ٢٦٢/٩.

. . . .

ولا ينقص ؛ لأنّه اسم للتصديق البالغ حدّ الجزم والإذعان ، ولا يتصوّر فيه الزيادة والنقصان ، والمصدّق إذا ضمّ الطاعات إليه ، أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغيّر أصلاً ، وإنّما يتفاوت إذا كان اسماً للطاعات المتفاوتة قلّة وكثرة .

ولهذا قال الإمام الرازي وغيره : إنّ هذا الخلاف فرع تفسير الإيمان .

فإن قلنا : هو التصديق فلا يتفاوت ، وإن قلنا : هو الأعمال فيتفاوت ، وقال إمام الحرمين : إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقاً ، كما لا يفضل علم علماً ، ومن حمله على الطاعة سرّاً أو علناً ، وقد مال إليه القلانسي ، فلا يبعد إطلاق القول بأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ونحن لا نؤثر هذا »[1] ، انتهى .

أقول : وكأنّ هؤلاء أخذوا العمل على القول بدخوله في الإيمان مجملاً ، ولا بشرط شيء ، بمعنى أنّ ماهيّة العمل في ضمن أيّ فرد كان يجب حصوله في الإيمان ، فيختلف الإيمان بزيادة أفراد العمل ونقصانها زيادة ونقصاناً ، ولا يخفى أنّ هذا وهم وغفلة ، فإنّ المراد به إمّا الإقرار فقط ، أو مع جميع الأعمال ، أو مع الفرائض فقط ، على ما فصّلنا سابقاً ، وحينئذٍ فلا فرق بين المذهبين في جريان الخلاف .

ثمّ الحقّ في هذا المقام هو القول الثاني . بيان ذلك يتوقّف على بيان أنّ الإيمان حقيقة واحدة ، بمعنى أنّ الشارع لم يعتبره إلّا كذلك ؛ وذلك لأنّه لو اعتبره حقائق مختلفة باختلاف قوى المكلّفين وإدراكاتها بحيث يحكم بكفر قوى الإدراك لو كان جزمه بالمعارف الإلهيّة كجزم من هو أضعف إدراكاً منه لوجب عليه بيانها لهم ليصلح

---

(١) بحار الأنوار : ٢٠٨/٦٩ .

. . . .

التكليف ، وقد نعلم يقيناً انتفاء ذلك ، لأنّ كلّ ما وصل إلينا من جهته من حديث جبرئيل وغيره ممّا ذكرنا بعضاً منه لا دلالة فيه على تعدّد الحقائق ، بل بعض منه كحديث جبرئيل يدلّ على كون حقيقته هو ما بيّنه له ﷺ ولكلّ مكلّف ، أمّا للنبيّ فلأنّه المجاب به حين سأله عنه ، وأمّا لغيره فللتأسّي .

في بيان أنّ التفاوت في مراتب الكمال:

نعم ، الذي تفاوت فيه المكلّفون إنّما هو مراتب كماله بعد تحقّق أصل حقيقته التي يخاطب بتحصيلها كلّ مكلّف ، ويعتبر بها مؤمناً عند الله تعالى ، ويستحقّ الثواب الدائم ، وبدونها العقاب الدائم ، وأمّا تلك الكمالات الزائدة فإنّما تكون باعتبار قرب المكلّف إلى الله تعالى بسبب استشعاره لعظمة الله وكبريائه ، وشمول قدرته وعلمه ، وذلك لإشراق نفسه ، واطّلاعها على ما في مصنوعات الله تعالى من الإحكام والاتقان والحكم والمصالح ، فإنّ النفس إذا لاحظت هذه البدائع الغريبة العظيمة التي تحار في تَعقّلها مع علمها بأنّها تشترك في الإمكان والافتقار إلى صانع يبدعها ويبديها ، متوحّد في ذاته بذاته ، انكشف عليها كبرياء ذلك الصانع وعظمته وجلاله وإحاطته بكلّ شيء ، فيكثر خوفها وخشيتها واحترامها لذلك الصانع ، حتّى كأنّها لا تشاهد سواه ، ولا تخشى غيره ، فتنقطع عن غيره إليه ، وتسلّم أزمّة أُمورها إليه ، حيث علمت أنّ لا ربّ غيره ، وأنّ المبدأ منه ، والمعاد إليه ، فلا تزال شاخصة منتظرة لأمره حتّى تأتيها ، فتفرّ إليه من ضيق الجهالة إلى سعة معرفته ورحمته ولطفه ، ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾[١] .

---

(١) المطفّفين ٨٣: ٢٦.

. . . .

استدلال الخصم والجواب عنه:

واستدلّ على الأوّل بأُمور:

منهـا: قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾[١].

ومنهـا: قوله تعالى: ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾[٢].

ومنهـا: قوله تعالى في قصّة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[٣].

والجواب عن هذه الآيات المذكورة، والتي مثلها في الدلالة، ولم نذكر، فبعدم الدلالة فيها على أنّ الزيادة في أصل الحقيقة، بل يمكن حملها على زيادة الكمال، ولا نزاع فيها، ويشهد لما ذكرنا الآية الثانية والثالثة لدلالتهما على ثبوت أصل الإيمان.

ومنهـا: ما رواه في الكافي: عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام -بعد كلام طويل- قال: «قلت: صفه لي -يعني الإيمان- جعلت فداك حتّى أفهمه؟

فقال: **للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه.**

قلت: إنّ الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟

قال: **نعم**.

---

(١) الأنفال ٨: ٢.

(٢) الفتح ٤٨: ٤.

(٣) البقرة ٢: ٢٦٠.

. . . .

قال : قلت : كيف ذلك ؟

قال : **لأنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها ، فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أُختها** ، ثمّ ذكر جارحة جارحةً ، وما فرض الله عليها .

وقال في آخره : قلت : قد عرفت نقصان الإيمان وتمامه ، فمن أين جاءت زيادته ؟

فقال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَاناً** ﴾[١] الآية ، وقال : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً** ﴾[٢] » ، ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ، ولاستوت النعم فيه ولاستوى النّاس ، وبطل التفضيل ، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة ، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله ، وبالنقصان دخل المفرّطون النّار[٣] .

والجواب عن هذه الرواية وأمثالها ممّا لم تذكر فبالقدح في السند أو لا سيّما الرواية المذكورة فإنّها ضعيفة السند على المشهور.

قال شيخنا الشهيد ﷺ في رسالة « حقائق الإيمان » : « إنّ في طريقها بكر بن صالح الرازي ، وهو ضعيف جدّاً ، كثير التفرّد بالغرائب ، وأبو عمرو الزبيري ، وهو مجهول »[٤] .

---

(١) التوبة ٩: ١٢٤ .

(٢) الكهف ١٨ : ١٣ .

(٣) الكافي : ٣٤/٢ ، الحديث ١ .

(٤) حقائق الإيمان : ١٠١ و ١٠٢ . مثله في الكافي : ٣٤/٢ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ⇦

وثانياً: بعد تسليم السند لكونه مؤيّداً بأخبار أُخر، وقد روى النعماني في تفسيره[١] مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ مضامينها دالّة على صحّتها، كما اعترف به خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه في مرآة العقول[٢] القدح في الدلالة على المطلوب لجواز حمل الزيادة والنقصان فيها على الكمال. ألا ترى في هذه الرواية أنّه عليه السلام جعل التمام موجباً للجنّة، والنقصان موجباً للنّار بالنسبة إلى جميع المكلّفين؟ فلو كانت الزيادة داخلة في حقيقة الإيمان ولو بالنسبة إلى بعض المكلّفين، فكيف يوجب التمام الذي هو ناقص بالنسبة إلى الزائد الجنّة بالنظر إلى الجميع، فعلم أنّ ترك الزيادة لا يكون حراماً، فلم يكن من الإيمان، وإلّا لكان تركها حراماً، وقد بيّنّا جوازه. فقد ظهر أنّها من الكمال، ولا نزاع فيه.

ومنها: أنّا نقطع بأنّ تصديقنا ليس كتصديق النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، وذلك ظاهر.

والجواب: أنّه إن أُريد تصديقه صلى الله عليه وآله المعتبر في حقيقة الإيمان فلا نمنع الزيادة، وإن أراد الأعمّ فهي مسلّمة، إلّا أنّها لا تدلّ على كونها في الحقيقة، بل يجوز أن يكون في الكمال، وعلى هذا القياس تصديق الأئمّة عليهم السلام.

المعارف الخمس التي لا يحصل بدونها الإيمان:

فإذا بلغ بنا الكلام إلى هذا المقام فاللازم علينا حينئذٍ بيان المعارف التي

⇦ ٦٩/٢٠٥.

(١) انظر: الآيات الناسخة والمنسوخة / الشريف المرتضى: ١٣٣، وعنه: بحار الأنوار: ٩٦/٤٩ ـ ٥٤.

(٢) مرآة العقول: ٧/٢١٣.

. . . .

لا يحصل بدونها الإيمان، وهي متعلّق التصديق عند أهل التحقيق، وهي خمسة:

الأوّل: معرفة الله سبحانه، ومعرفة صفاته الكماليّة، والمراد بالأوّل التصديق الجازم الثابت بأنّه تعالى موجود بوجود لا يكون ذلك الوجود أمراً موجوداً زائداً على ذاته تعالى، معلّلاً بها، كما هو المنقول عن الفخر الرازي، بل وجوده إمّا عين ذاته تعالى بالمعنى المحقّق على ما هو رأي الفلاسفة والمحقّقين من المتكلّمين، أو زائداً عليها، ولكن بدون كونه موجوداً في الخارج، بل شيء انتزاعي منتزع من نفس ذاته تعالى بذاته على ما هو رأي جماعة من فضلاء المتأخّرين، كجدّي الأمجد السيّد محمّد في رسالته المعمولة في الكفر والإيمان، المسمّاة بالتحفة الغرويّة[١]، وهو الحقّ عندي.

وكلّ من المعاني الثلاثة عند أهلها هو معنى وجوب وجوده تعالى، فعلى الأوّل معناه كون الوجود معلّلاً بذاته تعالى، وعلى الثاني كونه عين ذاته بمعنى كونه فرداً من الوجود المطلق في الخارج قائماً بذاته، وعلى الثالث كون الذات بذاته مصداقه، ومنشأ انتزاعه بدون مدخليّة أمر آخر فيه.

في كيفيّة إثبات الصفات له:

والمراد بالثاني التصديق الجازم الثابت بأنّه تعالى عالم قادر حيّ سرمدي، إلى غير ذلك من الصفات المذكورة في محلّها، ولكن لا بمعنى أنّ له علماً وقدرة ـ مثلاً ـ موجوداً زائداً على ذاته، كما هو رأي الأشاعرة قاطبة، بل بمعنى أنّ ذاته فرد من كلّ

---

(١) مخطوط، للسيّد محمّد بن عبدالكريم الطباطبائي البروجردي. انظر الذريعة: ٣/٤٥٩، الرقم ١٦٧٦.

. . . .

واحد من تلك المفهومات ، وهو المعبّر عنه بالعينيّة الحقيقيّة ،كما هو رأي الفلاسفة والمتكلّمين ، أو بمعنى أنّ ذاته من غير مدخليّة أمر آخر مبدأ انتزاع لهذه المفهومات الاعتباريّة ،كما هو رأي جماعة من المحقّقين ، والأرجح عندنا أيضاً ، وقد تقدّم منّا بعض الكلام في مثل المقام ، ومن أراد الزيادة فعليه أن يطلب من مظانّها .

إشارة إلى صفة العدل :

الثانية : معرفة عدله تعالى ، والمراد هاهنا ترك القبيح في أفعاله تعالى ، وعدم الإخلال بالواجبات التي أوجبها على نفسه من الألطاف الخفيّة الراجعة إلى البريّة ، ويترتّب على الأوّل عدم رضاه بالقبيح أيضاً ، فما صدر عن العباد من القبائح مستنداً إلى قدرتهم واختيارهم ، وإن كانت القدرة من فعله تعالى ، فإنّ فاعل الآلة لا يكون فاعلاً لما يصدر بواسطتها ، ويترتّب على الثاني تكليف المكلّفين ، وإنابة المطيعين ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

معرفة النبوّة :

الثالثة : معرفة النبوّة ، أي التصديق اليقيني الجازم بأنّ محمّداً ﷺ مبعوث من جانب الله تعالى علينا لتعليم الشرائع والأحكام ، وكذا التصديق بجميع ما جاء به تفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما علم إجمالاً ، ويحتمل أن يقال : يكفي في الإيمان التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به ﷺ سوى الإمامة والمعاد ، فإنّ التصديق بهما يجب تفصيلاً ، بمعنى أنّ المكلّف لو اعتقد حقّية كلّما أخبر به ﷺ بحيث كلّما ثبت جزئي منه صدّق به تفصيلاً كان مؤمناً ، ولا يجب تحصيل العلم بتفاصيل الجزئيّات إلّا لتوقّف العمل عليه ؛ وذلك لأنّ أكثر النّاس في الصدر الأوّل

. . . .

لم يكونوا عالمين بتفاصيل ما أخبر به ﷺ ، بل كانوا يطّلعون عليها وقتاً فوقتاً مع الحكم بإيمانهم في كلّ وقت من حين التصديق بالوحدانيّة والرسالة ، بل هذا حال أكثر النّاس في جميع الأعصار ، فلو اعتبر العلم التفصيلي بالجميع في الإيمان لزم خروج أكثر أهله عنه ، وذلك بعيد عن حكمة العزيز الحكيم .

وذهب جماعة إلى وجوب العلم بتفاصيل ما ثبت عنه ﷺ متواتراً ممّا تعلّق بأحوال المبدأ والمعاد ، كالتكليف بالعبادات . والسؤال في القبر وعذابه ، والحساب ، والصراط ، والجنّة والنّار ، والميزان ، وتطاير الكتب ، وغير ذلك ممّا هو متواتر عنه ﷺ ، وكذا التصديق بعصمته ﷺ وطهارته ، وختمه للأنبياء ، بمعنى أنّه لا نبيّ بعده ، وغير ذلك من أحكام النبوّات وشرائطها ، وقد تعدّى شيخنا الشهيد رحمه الله عمّا ذكرناه أوّلاً من الاحتمال ، فجعل المعاد الجسماني أيضاً كسائر ما جاء به النبيّ ﷺ ممّا يكفي فيه العلم الإجمالي ، وكأنّه بعيد عن الصواب ، كما أشار إليه جدّي الأمجد رحمه الله .

فيما يوجب التصديق بنبوّته :

ثمّ التصديق بنبوّته ﷺ في هذه الأعصار إنّما يحصل من تواتر النقل على دعواه ﷺ النبوّة ، وإظهاره الخوارق العادة الخارجة عن قدرة البشر الناطقة بصدورها عن العالم بها ، القادر على الخير والشرّ .

والمتواتر منها كثيرة لا يسع هذه العجالة ذكرها ، ولكن أعظمها القرآن الشريف ، وكلام الله المجيد الذي هو باقٍ إلى الآن ، ويكون إلى يوم القيامة إن شاء الله المنّان .

. . . .

وجوه إثبات النبوّة بالقرآن:

وذلك لأنّه ﷺ دعا المخالفين ـ حين كان الزمان مالئاً من الفصحاء والبلغاء مراراً عديدة ـ إلى معارضته بإتيان أقصر سورة من مثله ، فلم يقدروا عليه ، وعدلوا عن المضارعة بالحروف إلى المضاربة والمقارعة بالسيوف ، ولم يأتِ إلى هذا الآن أحد من مخالفيه ـ مع كونهم في جميع الأعصار أكثر من موافقيه ـ بمثله ، ولا بما يدانيه ، فسواء كان إعجازه للأُسلوب البديع والتأليف العجيب المخالف لما تعمّده فصحاء العرب في كلامهم في المطالع والمقاطع ، كما ذهب إليه بعض المتكلّمين .

أو لكونه في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة ، بحيث لا يقدر البشر على مثله ، كما ذهب إليه جمهور المتكلّمين .

أو لمجموع الأمرين ، كما ذهب إليه جماعة .

أو لصرف الله تعالى إيّاهم عن المعارضة مع القدرة ، كما ذهب إليه النظّام .

أو لسلبه تعالى عنهم العلوم التي تحتاج إليها في المعارضة ، كما ذهب إليه بعض من يثبت نبوّته ﷺ .

الرابعة : معرفة الإمامة ، أي التصديق الجازم الثابت بالرئاسة العامّة من جانب الله تعالى في أُمور الدين والدنيا ، بتبليغ الرسول ﷺ لكلّ واحد من الأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين على الترتيب والتفصيل المعهود بين الإماميّة .

وهذا أصل عظيم من أُصول الدين ، وعليه مدار الفرق بين المؤمن والكافر ، والتمييز بين الحقّ والباطل .

ثمّ العلم بإمامة أئمّتنا الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين يحصل بكلّ واحد من

. . . .

طرق ثلاث، ولم يتّفق واحد منها لغيرهم عليهم السلام بالاتّفاق:

طريق العلم بإمامة أئمّتنا عليهم السلام:

الطريق الأوّل: هو النصّ، فإنّ من نظر بعين البصيرة والإنصاف في كتب أهل السنّة يشاهد فيها من النصوص الصريحة على استخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر الله عزّ وجلّ لعليّ عليه السلام بعده، بلا فصل ما يغنيه عن النظر في الكتاب العزيز والأحاديث المتواترة لفظاً، ومعنى بطريق الخاصّة، ثمّ بعد ذلك بملاحظة الأخبار والآثار المتواترة الصريحة الدالّة على استخلاف كلّ سابق منهم صلوات الله عليهم، اللاحق على الترتيب المعهود يحصل له العلم القطعي واليقين الكامل على إمامتهم، وفرض طاعتهم على من سواهم، بحيث لا يبقى بعده ريب ولا شبهة، وكلّما نظر إلى التأويلات الغريبة، والمزخرفات التي تضحك الثكلاء في الآيات والأخبار الشريفة من المنكرين ازداد يقيناً وجزماً.

ولمّا كان ذكر تلك النصوص الجليّة والخفيّة المتواترة لفظاً، ومعنى جميعاً مستدعياً لتأليف مجلّدات كثيرة لا يسعه تلك الأزمنة القليلة، رأينا الأوْلى بالنظر إلى ما رمناه من الاختصار في جملة من المطالب الحوالة على الكتب المبسوطة المصنّفة في هذا الباب، وأبسط من كتب في ذلك من الخاصّة من المتأخّرين هو السيّد الجليل، والحبر النبيل، حامي الإسلام، كهف المسلمين، مؤيّد الإيمان، ظهر المؤمنين، السيّد ميرحامد حسين الهندي طاب ثراه، وجعل الجنّة مثواه، فإنّه رحمه الله قد صنّف كتاباً سمّاه «العبقات»، قد بلغ في البسط حدّ الغاية، وتجاوز النهاية.

ومن الشافعيّة الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة، ولكن مع اختصار، وسمّاه

. . . .

« مطالب السؤول في مناقب آل الرسول » ، وعندي أنّ هذا الكتاب لم يصنّف مثله في الإمامة أحد حتّى علمائنا الإماميّة ، فإنّه مع اختصاره قد بلغ في الإحكام حدّ الغاية ، وقد طبع هذا الكتاب في المطبع الجعفري ببلدة لكنهو من بلاد الهند في حدود سنة الألف وثلاثمائة واثنين[1] ، وعندي منها نسخة بذلك الطبع ، وأنا أحمد الله تعالى على ذلك .

الطريق الثاني : المعجزات والكرامات الدالّة على استحقاقهم للإمامة والخلافة دون غيرهم قد ملأت الخافقين من الفريقين ، من أراد الاطّلاع على أقلّ قليل منها فعليه الرجوع بالمجلّدات المؤلّفة في ذلك من الجانبين ، ويكفي في ذلك مراجعة الكتابين المزبورين .

في كون الأئمّة عليهم السلام أفضل جميع الأُمّة :

الطريق الثالث : اتّصافهم عليهم السلام بالكمالات ، وخلوّهم عن النقائص ، وكونهم أفضل من جميع الأُمّة في أعصارهم الشريفة ، كيف لا وهم الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[2] .

نقل كلام الجاحظ :

وقال الجاحظ فيهم عليهم السلام : « هم سالم العالم ، وصفوة الأُمم ، وعزّة العرب ، ولباب

---

(١) طبع الكتاب طبعات أُخرى ، منها : طبعة مؤسّسة البلاغ ، لبنان / ١٤١٩هـ ، بإشراف السيّد عبدالعزيز الطباطبائي رحمه الله ، وطبعة أُخرى بتحقيق ماجد العطيّة ، ونشر مؤسّسة أُمّ القرى ـ قم .

(٢) الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

. . . .

البشر ، ومصاص بني آدم ، وزينة الدنيا ، وحلية الدهر ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن المكارم ، وينبوع الفضائل ، وأعلام العلم . وإيمان الإيمان »[١] ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وكفى بذلك ما قاله محمّد بن طلحة في الكتاب المزبور في بيان علم عليّ عليه السلام وفضله ما لفظه : « هذا فصل في أرجائه مجال المقال واسع ، ولسان البيان صادع ، وثاقب المناقب لامع ، وفجر المآثر طالع ، ومراح الامتداح جامع ، وفضاء الفضائل شاسع ، فهو لمن تنسّك بهداه نافع ، ولمن تمسّك بعراه رافع ، فيا له من فضل كؤوس ينبوعه لذّة للشاربين ، ودروس مضمونه مفرحة للكرام الكاتبين ، وعروس مستودعه من مستحسنات حسنات المقرّبين ، يعظم عند التحقيق قدر وقعه ، ويعمّ أهل التوفيق شمول نفعه ، ويتمّ أجر مؤلّفه بجمعه ، وهو لمن وقف عليه قيد بصره وسمعه ، لم أورد فيه ما يصل إليه وارد الاضطراب ، ولا أودعته ما يدخل عليه زائد الارتياب ، ولا ضمّنته غثّاً تمجّه أصداف الأسماع ، ولا غثاء تقذفه أصناف الألباب ، بل مرتّب له أخلاف رواية الخلف عن السلف »[٢] ، انتهى .

نقل كلمات من الخليل العروضي رحمه الله :

وأحسن من ذلك ما قاله خليل بن أحمد العروضي ، الذي هو أفضل النّاس في الأدب وقوله حجّة فيه ، واخترع علم العروض ، وفضله أشهر من أن يذكر حتّى قال بعض أهل العلم : إنّه لا يجوز على الصراط بعد الأنبياء أحد أدقّ ذهناً من الخليل

---

(١) نقله عنه السيّد عبدالله الحسيني في المباهلة : ٨.

(٢) نقله عنه في كشف الغمّة : ١/١١٧.

. . . .

على ما رواه صاحب كشف الغمّة عن يونس بن حبيب النحوي ، وكان عثمانيّاً ، قال : قلت للخليل بن أحمد : أُريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ ؟

فقال : قولك يدلّ على أنّ الجواب أعظم من السؤال ، فتكتمه أنت أيضاً ؟

قلت : نعم ، أيّام حياتك .

قال : سل .

قلت : ما بال أصحاب رسول الله ﷺ كأنّهم كلّهم ابن أُمّ واحدة ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام كأنّه ابن علّة ؟

قال : إنّ عليّاً تقدّمهم إسلاماً ، وفاقهم علماً ، وبذّهم[1] شرفاً ، ورجحهم زهداً ، وطالهم جهاداً ، والنّاس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم ، فافهم[2].

يقال : بذّه بذّاً : إذا غلبه ، وبنو العلّات : أولاد الرجل من نسوة شتّى .

وفي الأمالي : عن أبي زيد النحوي الأنصاري ، قال : سألت الخليل بن أحمد العروضي : لِمَ هجر النّاس عليّاً عليه السلام وقربه من رسول الله ﷺ قربه ، وموضعه من المسلمين موضعه ، وعناؤه في الإسلام عناؤه ؟

فقال : بهر والله نوره أنوارهم ، وغلبهم على صفو كلّ منهل ، والنّاس إلى أشكالهم أميل ، أما سمعت الأوّل حيث يقول :

وكُلُّ شَكْلٍ إلى شَكْـلِهِ أَلِفٌ   أما تَرَى الفيلَ يألفُ الفِيلا[3]

---

(١) بذّ : غلب ، فاق ، سبق .

(٢) كشف الغمّة : ١/١١٧ .

(٣) أمالي الصدوق : ٣٠٠ ، الحديث ١٥ .

. . . .

ونقل عنه[١] أيضاً: أنّه سئل عن فضيلة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ما أقول في حقّ من أخفى الأحبّاء فضائله من خوف الأعداء، وسعى أعداؤه في إخفائها من الحسد والبغضاء، وظهر من فضائله مع ذلك كلّه ما ملأ المشرق والمغرب»[٢].

وقال أيضاً: «إنّ أفضل كلمة يرغب الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة قول أمير المؤمنين عليه السلام: **قدر كلّ امرئ ما يحسن**»[٣].

وسئل أيضاً: ما هو الدليل على أنّ عليّاً إمام الكلّ في الكلّ؟

فقال: احتياج الكلّ إليه، وغناه عن الكلّ»[٤]، انتهى كلامه رفع في أعلى الخلد مقامه.

وما أحسن ما قيل شعراً بالفارسيّة:

كتاب فضل ترا آب بحر كافى نيست

كه‌تر كنند سرانكشت و صفحه بشمارند[٥]

في أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته على جميع الأنبياء:

فائدة: اختلفوا في أفضليّة الأئمّة صلوات الله عليهم على جميع الأنبياء عليهم السلام؛

---

(١) أي عن الخليل بن أحمد.

(٢) روضات الجنّات: ٢٧٤. سفينة البحار: ٤٢٦/١.

(٣) نهج البلاغة: ١٦٨/٣، الحكمة ٨١. أمالي الطوسي: ٤٩٤، الحديث ١٠٨٣.

(٤) سفينة البحار: ٤٢٦/١. المناظرات في الإمامة: ١٧٤.

(٥) مراد الشاعر وهو يخاطب ربّه: إنّ ماء البحر لا يكفي لتبليل الأنامل في عدّ صفحات كتاب إفضالك.

. . . .

أولي العزم وغيرهم ، أمّا النبيّ فلا خلاف في أفضليّته مطلقاً ؛ لكونه أكثر كمالاً في القوّة العلميّة والعمليّة ، ولقوله ﷺ : «**أنا سيّد ولد آدم**»[١] ، وقوله : «**أنا أشرف البشر**»[٢] .

وأمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومون عليهم السلام ، فمن أصحابنا من ساواهم بأولي العزم ، ومنهم من توقّف ، وبالجملة الخلاف إنّما هو بينهم وبين أولي العزم وإلّا فلا خلاف في أفضليّتهم عليهم السلام على باقي الأنبياء ، وذهب أهل الحديث إلى أفضليّتهم عليهم السلام ، وهو الحقّ الذي دلّت عليه الأخبار ، وما صحّ من قوله عليه السلام : «**محمّد وعليّ خير البشر ، من أبى فقد كفر**»[٣] دالّ عليه .

وكذلك ما روي عن مولانا أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : «**إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، فجعل أعلاها وأشرفها محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمّة صلوات الله عليهم**» الحديث[٤] .

قال السيّد الأجلّ نعمة الله الجزائري في كتاب نور الأنوار : « وقد اقتصرنا في كتاب الأنوار النعمانيّة على اثني عشر دليلاً ، وهو قليل من كثير »[٥] ، انتهى .

وقال ابن أبي الحديد في إحدى علويّاته السبع[٦] :

---

(١) الخصال : ٤١٣ ، الحديث ١ . روضة الواعظين : ١٠١ .

(٢) جامع المقاصد : ٢٠٩/١٢ . المجموع / النووي : ٧٥/١ . مواهب الجليل : ٣٠/١ .

(٣) أمالي الصدوق : ٧١ ، الحديث ٥ «قطعة منه» .

(٤) معاني الأخبار : ٣٨ ـ ٣٩ . بحار الأنوار : ٣٠٨/٨ ، الحديث ٧ و : ١٧٢/١١ ، الحديث ١٩ و : ٣٢٠/٢٦ ، الحديث ٢ .

(٥) نور الأنوار : ٢١٩ . الأنوار النعمانيّة : ٢٠/١ ـ ٣٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء : ٣١٠/١٨ . البداية والنهاية : ٧٩/١٢ .

. . . .

فما ماسَ مُوسَى في رِداءٍ مِنَ العُلَى ولا آبَ ذكراً بَعْدَ ذِكْـرِكَ أيُّـوبُ[(١)]

وقال السيّد الشارح ﴿﴾[(٢)]: «وفي هذا البيت تصريح بتفضيله عليه السلام على الأنبياء، والمعنى: أنّ موسى عليه السلام لم يشتمل على علاء كامل، بل علاك أكمل ولم يرجع أيّوب بذكر ما آبه بل ذكرك آبه»[(٣)].

وابن أبي الحديد من العامّة المعتزلة.

في إثبات التفاضل بينهم:

وأمّا التفاضل بينهم صلوات الله عليهم فقد صحّ في الأخبار عنهم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام أفضل من باقي الأئمّة عليهم السلام، والوجه فيه ظاهر، سيّما بالنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ بسيفه انتظم الدين، وهزم المشركين، ولو لم يكن

⇦ وقد روي أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: «**عليّ خير البشر، ومن أبى فقد كفر**». انظر: أمالي الصدوق: ١٣٥، الحديث ٥. مناقب أمير المؤمنين / محمّد بن سليمان الكوفي: ٢/٥٢٣، الحديث ١٠٢٦. شرح الأخبار: ١/١٤٤، الحديث ٨١. الثاقب في المناقب: ١٣٠. بحار الأنوار: ٣٨/٦، الحديث ٩.

(١) القصائد السبع العلويّات: ١٩ (القصيدة الأُولى) البيت رقم ٥٦.

وقال في شرحه: «ماس: إذا تبختر في مشيه، وفي هذا البيت تصريح بتفضيله عليه السلام على الأنبياء، والمعنى: أنّ موسى عليه السلام لم يشتمل على علاء كامل، بل علاك أكمل، ولم يرجع أيّوب بذكر ما نابه، بل ذكرك آبه، وآب إذا رجع، وخصّ موسى بشجاعته، وأيّوب بصبره».

(٢) هو السيّد محمّد صاحب المدارك. منه.

(٣) الهاشميّات والعلويّات: ٩٧.

. . . .

له إلّا ضربة ابن عبد ودّ التي رجحت عبادة الثقلين إلى يوم القيامة لكفى به شرفاً.

وأمّا أفضليّته على سائر الخلق سوى ابن عمّه صلى الله عليه وآله، فإنّه لمّا أثنى على نفسه قال: «**أنا عبد من عبيد محمّد**»(١).

والمراد كما قاله الصدوق(٢) نوّر الله ضريحه أنّه عبد طاعة لا عبد رقّ، وإلّا فلا ريب في مساواته مع النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّما ثبت له، إلّا ما أخرجه الدليل، وهو النبوّة يدلّ على ذلك آية المباهلة(٣) الصريحة في الاتّحاد بين نفسه صلى الله عليه وآله ونفسه عليه السلام، وهو محال، فوجب الحمل على أقرب المجازات، أعني التساوي في كلّ ما يمكن فيه التساوي.

وما أحسن قول جدّي بحر العلوم طاب ثراه في هذا الشأن إذ يقول:

عليّ أبونا كان كالطهر جدّنا ... له ما له إلّا النبوّة من فضل(٤)

وهو من قصيدته التي أنشأها في ردّ مروان بن حفص شاعر الرشيد حيث مدحه بقصيدة ضمّنها حديثاً موضوعاً عندهم من أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خطب بنت أبي جهل، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سيء بذلك، ونال في قصيدته ما نال من ذمّ عليّ عليه السلام

---

(١) الكافي: ٩٠/١، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ١٣٠/٣ و ١٣١. بحار الأنوار: ٢٨٣/٣.

(٢) شرح أُصول الكافي: ١٣١/٣. بحار الأنوار: ٢٨٣/٣.

(٣) قوله تعالى في سورة آل عمران ٣: الآية ٦١: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾.

(٤) الفوائد الرجاليّة: ٨٩/١.

. . . .

وبنيه عليهم السلام ، فردّه جدّنا العلّامة بقصيدة فريدة تنوف على مائتي بيت ، وإن أردت الاطّلاع على مزيد من ذلك فعليك بمراجعة كتاب « دفع المناواة عن التفضيل والمساواة »(١) ، الموضوع لبيان أفضليّة عليّ عليه السلام على جميع الأنبياء ومساواته عليه السلام لنبيّنا صلى الله عليه وآله إلّا في النبوّة ، وهو كتاب جليل ينبئ عن فضل مؤلّفه النبيل ، أعني سيّد المحقّقين السيّد حسين ابن السيّد ضياء الدين أبي تراب حسن ابن صاحب الكرامات الباهرة ، والمقامات الزاهرة ، شمس الدين السيّد أبي جعفر محمّد الموسوي الكركي ، المعروف بالأمير سيّد حسين المجتهد ، الواقع في طبقة الشهيد الثاني ، وقد فرغ من تأليفه في رابع ربيع الأوّل سنة ٩٥٩ ، وأهداه إلى خزانة السلطان الشاه طهماسب الصفوي أنار الله برهانه ، وليس هذا هو الأمير السيّد حسين راوي كتاب فقه الرضا ، وإن جزم به بعض الفحول ، فعليك بمراجعة الجلد الثالث من كتاب المستدركات في ترجمة فقه الرضا .

وأمّا الحسنان صلوات الله عليهما فقد نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على إمامتهما مشافهة ، وكانا يشاهدان الوحي ، وفي بيتهم ينزل وخصّهما جدّهما صلوات الله عليه من الفضائل والكرامات ما لم يشاركهما به أحد .

بقي الكلام في التسعة الأطهار :

سلام من الرحمن نحو جنابهم ... فإنّ سلامي لا يليق ببابهم

فالوارد في بعض الأخبار تسعة أئمّة هم في الفضل سواء ، وفي البعض الآخر : تسعة أفضلهم قائمهم ، ولمّا كانت الأخبار ظاهرة المعارضة أوّلنا الأخبار السابقة بأن

---

(١) للأمير حسين بن حيدر العاملي الكركي . انظر : خاتمة المستدرك : ١/٢٩٨ .

. . . .

يكون معنى قوله عليه السلام : « هم في الفضل سواء » أنّهم متساوون بالأفضليّة على غيرهم ، وهو لا يستلزم المساواة بينهم ، ولعلّ الوجه في أفضليّة القائم عليه السلام في عصره من الجهاد والتعب في نظام الدين مثل جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه .

وجوب التصديق بالمعاد:

الخامسة : معرفة المعاد الجسماني ، أي التصديق الجازم الثابت بإعادة الله سبحانه البدن بعد خرابه إلى ما كان عليه قبله لنفع دائم ، أو ضرر دائم ، أو منقطع يتعلّقان به ، وقد أنكره جماعة من الطبيعيّين ، وهو مبنيّ على مقدّمات :

الأُولى : أنّ النفس هل هو جسم أو جسماني ؟

الثانية : أنّ الجسم هل يفنى وينعدم بعد الممات أو لا ؟

الثالثة : استحالة إعادة المعدوم .

والمقدّمة الثانية والأُولى ممنوعتان ، ولذا اتّفق المسلمون ، بل الملل قاطبة على القول بالمعاد ، وما نقل عن ابن سينا من إنكاره ذلك فإنّما هو في كتاب المعاد ، وأمّا في كتابي النجاة والشفاء فقد اعترف به ، وسنشير إلى كلامه إن شاء الله .

الأقوال في المعاد:

وكيف كان فالأقوال في المعاد ثلاثة :

الأوّل : أنّ المعاد منحصر في الأرواح ، وهو قول جماعة من فلاسفة الحكماء ، وهو مبنيّ على أنّ النفس من المجرّدات لا يفنى بفناء البدن ، وفي يوم القيامة يعود بأمر الله سبحانه حتّى يثاب ويؤجر أو يعاقب ، وأمّا الجسم من حيث إنّه يعدم ويفنى

. . . .

بالمرّة ، وإعادة المعدوم ممتنع ، فلا يمكن العودة بالنسبة إليه ، فينحصر المعاد في الروحاني ، والمقدّمة الأُولى ـ أعني تجرّد النفس ـ والثالثة ـ أعني امتناع إعادة المعدوم ـ وإن كانتا مسلّمتين ، لكنّ الثانية ـ أعني فناء الجسم بالمرّة ـ ممنوع .

تقرير شبهة الآكل والمأكول:

وبذلك ترد الشبهة التي ذكرتها الفلاسفة على نفي المعاد الجسماني ، وهي أنّه لو أكل إنسان عاص إنساناً طائعاً ، أو بالعكس ، حتّى صار أجزاء بدن المأكول جزء من بدن الآكل ، أو أكله حيوان كذلك ، وكذلك لو تبدّل من هزال إلى سمن ، وبالعكس ، وأطاع في أحدهما وعصى في الآخر ، فلو أُعيد البدن في هذه المواضع لزم عقاب الطائع وثواب العاصي ، وهو محال ، فالمعاد محال .

الجواب عنها:

وتقرير الجواب : أنّ المعاد إنّما هو الأجزاء الأصليّة المتولّدة من المني ، وهي الباقية من أوّل العمر إلى آخره لا جميع الأجزاء على الاطلاق ، وحينئذٍ فلا يعاد جزء المأكول مع الآكل ، لأنه كان زائداً على أجزائه الأصليّة ، بل إنّما يعاد مع بدن المأكول إن كان ممّا يعاد ، وكذا يقال في الجزء السميني إن كان قد أطاع به لا يعادا حتّى يعذّب الهزيل بقدر استحقاقه ، ثمّ يعاد السمين بعد ذلك ليثاب مع الهزيل ، ولا يبعد أن يقال : يعادا معاً ، ويعذّب الجزء العاصي ويجعل برداً وسلاماً على الطائع ، كما في إبراهيم عليه السلام .

الثاني : أنّ المعاد منحصر في الجسماني ، وهذا ممكن ، بل واقع ، وهذا مبتني على عدم تجرّد النفس ، وعدم استحالة إعادة المعدوم ، أو عدم قبول فناء الجسم

. . . .

بجميع أجزائه ، كما عرفت .

الثالث : قول المتشرّعة وبعض من الحكماء ، أعني المعاد الروحاني والجسماني معاً ، بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى بقدرته الكاملة يعيد هذا الجسم بعينه ، وهذه النفس بعيانها يعلّقها بالبدن ، فإن كان مطيعاً ومنقاداً في النشأة الأُولى فيؤجر ويثاب في تلك النشأة ، ويدرك اللذائذ الروحانيّة والجسمانيّة ، وإن كان شقيّاً وعاصياً فيعذّب بالعذاب الروحاني والجسماني معاً .

إنكار ابن سينا للمعاد الجسماني في بعض مصنّفاته :

إذا حفظت ما تلوناه فنقول : إنّه ربّما نقل عن الشيخ ابن سينا إنكاره للمعاد الجسماني ؛ وذلك إنّما هو في كتاب المعاد على ما قيل ، ولا يحضرني كتابه حتّى أنظر ما فيه ، ولكن في كتاب النجاة والشفاء قد اعترف به قال فيهما ما لفظه : « إنّه يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى إثباته من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوّة ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيراته وشروره معلوم لا يحتاج إلى أن يعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها سيّدنا ومولانا محمّد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن »[١] ، انتهى .

وهو صريح فيما ذكرناه ، ثمّ قال : « ومنه ما يدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدّقه النبوّة ، وهو السعادة والشقاوة المتباينان بالقياس إلى الأنفس ، وإن كان الأوهام منّا تقصر عن تصوّرهما الآن »[٢] ، انتهى .

(١) و (٢) بحار الأنوار : ٧/٥٠ .

يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ ،

ونقل ابن أبي الحديد في شرح خطبة الاستسقاء عن ابن سينا أيضاً في رسالة له في المعاد تعرف بالرسالة الأُضحوية شرحاً جيّداً في هذا الباب صريحاً في المطلوب ، فراجع(١) .

ثمّ الظاهر أنّه لا طريق لإثبات المعاد الجسماني للعقل مستقلاً فيه ، بل يجزم به بمعونة السمع ، كما هو صريح القطعة الأُولى من عبارة الشيخ أيضاً ، كما أنّ الظاهر من القطعة الثانية أنّ المراد بالمعاد الروحاني التذاذ النفس وتألّمها بعد مفارقة البدن باللذّات والآلام العقليّة ، وقد أثبته كثير من متكلّمي الخاصّة والعامّة أيضاً ، ولا بأس به ، كما صرّح بذلك جدّي الأمجد في الرسالة الغرويّة(٢) .

يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ : لأنهم لا يؤثرون عليه شيئاً ممّا سواه ، وهو مقصودهم ومبتغاهم ، ونهاية مأمولهم ، وغاية مناهم .

بيان المراد من : الزاهد ، والعابد ، والعارف :

ثمّ اعلم أيّدك الله بأنوار جماله وجلاله أنّ المعرض عن متاع الدنيا وطيّباتها يختصّ باسم الزاهد ، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يختصّ باسم العابد ، والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه يختصّ باسم العارف .

وقد يتركّب بعض هذه مع بعض ، ويختلف غرض العارف وغير العارف من الزهد

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٩/٨٠ .

(٢) انظر بحار الأنوار : ٧/٥٠ .

. . . .

والعبادة ، فإنّ الزاهد غير العارف يجري مجرى تاجر يشتري متاعاً بمتاع ، والعابد غير العارف يجري مجرى أجير يعمل عملاً لأخذ أجرة في الآخرة ، فالفعلان مختلفان ، لكنّ الغرض واحد.

وأمّا العارف فزهده في الحالة التي يكون فيها متوجّهاً إلى الحقّ ، معرضاً عمّا سواه ، تنزّه عمّا يشغله عن الحقّ إيثاراً لما قصده ، وفي الحالة التي يكون فيها ملتفتاً من الحقّ إلى ما سواه تكبّر على كلّ شيء غير الحقّ استحقاراً لما دونه ، وأمّا عبادته فارتياض لهممه التي هي مبادئ إرادته وعزماته الشهوانيّة والغضبيّة وغيرهما ، ولقوى نفسه الخياليّة والوهميّة ليجرّها جميعاً عن الميل إلى العالم الجسماني ، والاشتغال به إلى العالم العقلي ، مشيّعة إيّاه عند توجّهه إلى ذلك العالم ، ولتصيّر تلك القوى معودة لذلك التشييع ، فلا تنازع العقل ، ولا تزاحم السرّ حالة المشاهدة ، فيخلص العقل إلى ذلك العالم ، ويكون جميع ما تحته من الفروع والقوى منخرطة معه في سلك التوجّه إلى ذلك الجانب.

في بيان أوصاف العارفين:

تنبيه: العارف هشّ بشّ طلق الوجه ، كثير التبسّم ، يبخل الصغير من تواضعه كما يبخل الكبير ، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه المشهور المعروف ، وكيف لا يهشّ وهو فرحان بالحقّ وبكلّ شيء ، فإنّه يرى فيه الحقّ ، وكيف لا يستوي والجميع عنده أشباه سواء.

العارف له أحوال لا يحتمل فيها الإحساس بشاغل يرد عليه من خارج ولو كان ذلك أضعف ممّا يحسّ به فضلاً عمّا فوقه ، وتلك الأحوال تكون في أوقات توجّهه

. . . .

بسرّه إلى الحقّ إذا ظهر في تلك الأوقات حجاب قبل الوصول إلى الحقّ أوقد له حجاب، إمّا من جهة نفسه، كما يرد عليها ما يزيل استعداده للوصول، أو من جهة حركة سرّه، كما أن يتمايل في فكره، فيعرض له الالتفات إلى شيء غير الحقّ.

العارف لا يهمّ بتجسّس أحوال النّاس، وذلك لكونه مقبلاً على شأنه، فارغاً عن غيره، غير متّبع لعورة أحدٍ، ولا يتجسّس إلّا فارغ أو خائف أو عائب، ولا يستهيمه الغضب عند مشاهدة منكر، بل يعتريه الرحمة، وذلك لوقوفه على سرّ القدر، وإذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف نظير أمر الوالد ولده وذلك لشفقته على جميع الخلق، وإذا عظم المعروف فربّما يسرّه غيرة عليه من غير أهله.

العارف شجاع، وكيف لا وهو بمعزل عن عقبة الموت، وجواد، وكيف لا وهو بمعزل عن محبّة الباطل، وصفّاح، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها ذلّة بشر ونشّاء للأحقاد، وكيف لا وذكره مشغول بالحقّ.

العارف ربّما ذهل في حال اتّصاله بعالم القدس عن هذا العالم، فغفل عن كلّ ما في هذا العالم، وصدر عنه إخلال بالتكاليف الشرعيّة، فهو لا يصير بذلك آثماً لأنّه في حكم من لا يكلّف، لأنّ التكليف لا يتعلّق إلّا بمن يعقل التكليف في وقت تعقّله ذلك، أو بمن يتأثّم بترك التكليف إن لم يكن يعقل التكليف كالنائمين والغافلين والصبيان الذين هم في حكم المكلّفين.

كذا ذكر أوصاف العارف في الإشارات وشرحه.

قول الصادق عليه السلام في وصف العارف:

وأمّا الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وصفه، قال: العارف شخصه مع الخلق، وقلبه

يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ ، يَا إِلٰـهَ الْعَالَمِينَ ، أَفَتَرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلٰـهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ فِيهَا

مع الله ، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه[(١)].

نعم ، ما قال :

نيست شرح اين سخن را منتهى ـــ پـارهٔ گـفتم بـدان ز آن پـارها

وإن أردت زيادة الخوض في مقامات العارفين فعليك بمراجعة النمط التاسع من كتاب الإشارات للشيخ الرئيس ، وشرحه للمحقّق الطوسي طاب ثراهما .

يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ : الحبيب هنا يمكن أن يكون بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول ، والصادقون هم الذين صدقوا في دين الله نيّة وقولاً وعملاً ، وكونه عزّ وجلّ حبيباً لقلوب الصادقين لأجل أنّه لم يجعل الله لرجل في جوفه من قلبين .

يَا إِلٰـهَ الْعَالَمِينَ ، أَفَتَرَاكَ : ـ بفتح التاء ـ أي ترى نفسك .

سُبْحَانَكَ يَا إِلٰـهِي وَبِحَمْدِكَ : قد تقدّم الكلام على هذا التركيب .

تَسْمَعُ فِيهَا : الضمير يرجع إلى النّار ، وسماعه تعالى علمه بالمسموعات ، كما هو الشأن في جميع صفاته الثبوتيّة .

صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ : متّصف بصفة الإسلام ، وسنذكر معناه .

سُجِنَ فِيهَا : أي في النّار .

---

(١) مصباح الشريعة : ١٩١ ، باب ٩١ .

بِمُخَالَفَتِهِ، وذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ وَجَرِيْرَتِهِ.

بِمُخَالَفَتِهِ: الباء سببيّة.

وذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ: الجرم: هو الذنب.

وَجَرِيْرَتِهِ: الجريرة: هي الجناية والذنب، سمّيت بذلك لأنها تجرّ العقوبة إلى الجاني، ومنه الدعاء: يا من لم يؤاخذ بالجريرة(١)، وفيه دلالة على تعدّد دركات النّار وطبقاتها، كما هو صريح جملة من الأخبار.

الأخبار الدالّة على طبقات النار:

وفي بعضها: أنّ لجهنم سبعة أبواب، على كلّ باب سبعون ألف جبل، في كلّ جبل سبعون شعباً، في كلّ شعب سبعون واد، في كلّ وادٍ سبعون ألف شقّ، في كلّ شقّ سبعون ألف بيت، في كلّ بيت سبعون ألف حيّة، طول كلّ حيّة مسيرة ثلاثة أيّام، أنيابها كالنخل الطوال، تأتي ابن آدم فتأخذ بأشفار عينيه وشفتيه فيكشط كلّ لحم على عظمه، وهو ينظر فيهرب منها، فيقع في نهر من أنهار جهنّم، يذهب به سبعين خريفاً(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ الله جعل للنّار سبع درجات، أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها**»(٣).

الثانية: ﴿لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾(٤).

---

(١) مجمع البحرين: ٣٦١/١.

(٢) روضة الواعظين: ٥٠٩.

(٣) تفسير القمّي: ٣٧٦/١. بحار الأنوار: ٢٨٩/٨.

(٤) المعارج ٧٠: ١٥ ـ ١٨.

. . . .

والثالثة: ﴿ **سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾(١).

والرابعة: الحطمة ، ومنها : ثبور ﴿ **بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ** ﴾(٢) تدقّ من صار إليها مثل الكحل ، فلا تموت الروح كلّما صار مثل الكحل عاد .

والخامسة: الهاوية ، يدعو أهلها : يا مالك ، أغثنا ، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنّه مهل ، فإذا أخذوا ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم من شدّة حرّها ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً** ﴾(٣) ، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النّار ، كلّما احترق جلده بدّل جلد غيره .

والسادسة: هي السعير ، فيها ثلاثمائة سرادق من نار ، في كلّ سرادق ثلاثمائة قصر من نار ، في كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار ، في كلّ بيت ثلاثمائة لون من العذاب من غير عذاب النار ، فيها حيّات من نار ، وعقارب من نار ، وجوامع من نار ، وسلاسل من نار ، وأغلال من نار ، وهو الذي يقول الله : ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً** ﴾(٤).

والسابعة: جهنّم ، وفيها الفلق ، وهو جبّ في جهنّم إذا فتح أسعر النّار سعراً ، وهو أشدّ النّار عذاباً .

وروي عن عليّ عليه السلام : « **إنّ النيران بعضها فوق بعض ، فأسفلها جهنّم ، وفوقها لظى ،**

---

(١) المدثّر ٧٤ : ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) المرسلات ٧٧ : ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) الكهف ١٨ : ٢٩.

(٤) الإنسان ٧٦ : ٤.

. . . .

وفوقها الحطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية »[(١)].

قال بعض الشرّاح : وحينئذٍ فقوله : « أعلاها الجحيم » يمكن أن يراد به العلوّ في الرتبة .

الكلام في حقيقة الإسلام:

وأمّا الكلام في حقيقة الإسلام فيقع في مقامين :

الأوّل : في أنّه والإيمان متّحدان بحسب الحقيقة ، ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[(٢)] ، فإنّ تعريف الإسلام يدلّ على حصره في الدين عند الله ، كما يقال : زيد العالم ، أي لا غيره ، فمفاد الآية ـ والله العالم ـ لا إسلام إلّا ما هو دين عند الله تعالى ، وظاهر أنّ ما هو دين عند الله يكون مرضيّاً عنده ، فلو كان للإسلام فرد آخر غير الإيمان لزم كونه ديناً مرضيّاً عند الله ، وهو خلاف الإجماع ، وأيضاً لوجب عليه الثواب ، وقد ثبت من الروايات أنّه لا ثواب إلّا على الإيمان .

ويدلّ عليه أيضاً ما نقله السيّد السند الرضي المرضي ﵀ في نهج البلاغة ، والشيخ المعظّم ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني طاب ثراه في أُصول الكافي عن أمير المؤمنين ﵇ حيث قال ﵇ : « **لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي ، ولا ينسبها أحد بعدي ، إلّا بمثل ذلك : إنّ الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل . إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ، ولكن أتاه من ربّه فأخذه . إنّ المؤمن يرى يقينه في**

---

(١) مجمع البيان : ١١٨/٦ . بحار الأنوار : ٢٤٦/٨ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٩ .

. . . .

عمله ، والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة »[١].

وجه الدلالة أنّ الظاهر من هذه النسبة كما صرّح به الشهيد ﷺ في رسالة الحقائق وجدّي الأمجد في تحفته هو التعريف لا القياس كما هو المحكيّ عن ابن ميثم ، فيكون حقيقة الإسلام هو التصديق الذي هو الإيمان كما يومئ إليه قوله : « **إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه** »[٢] و « **أنّ المؤمن يرى يقينه في عمله** »[٣] ، وتفسير التصديق بالإقرار لعلّه تفسير باللازم العرفي ، كما استظهره أيضاً خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه في مرآة العقول بتقريب أنّ من أذعن بالله ورسله وبيّناتهم لا يكاد ينفكّ عن إظهار ذلك بلسانه ، فإنّ الطبيعة جبلت على إظهار مضمرات القلوب ، كما دلّ عليه قوله ﷺ : « **ما أضمر أحدكم شيئاً إلّا وأظهره الله على صفحات وجهه ، وفلتات لسانه** »[٤].

---

(١) نهج البلاغة : ٢٩/٤ ، رقم ١٢٥ . تفسير القمّي : ١٠٠/١ . الكافي : ٤٥/٢ ، الحديث ١ . خصائص الأئمّة : ١٠٠ . مجمع البيان : ٢٥٩/٢ . شرح نهج البلاغة : ٣١٣/١٨ . عوالي اللآلي : ١٢٦/٤ ، الحديث ٢١٤ . شرح أُصول الكافي : ١٣٥/٥ . بحار الأنوار : ٣١١/٦٨ ، الحديث ٣ و : ٣١٣ .

(٢) المحاسن : ٢٢٢/١ ، الحديث ١٣٥ . الكافي : ٤٦/٢ ، الحديث ١ . معاني الأخبار : ١٨٦ ، الحديث ٢ . شرح أُصول الكافي : ١٣٨/٨ .

(٣) المحاسن : ٢٢٢/١ ، الحديث ١٣٥ . الكافي : ٤٦/٢ ، الحديث ١ . معاني الأخبار : ١٨٦ ، الحديث ٢ . شرح أُصول الكافي : ١٣٨/٨ .

(٤) بحار الأنوار : ٣١٦/٦٨ . حقائق الإيمان : ١٢٧ ـ ١٣٠ . تحفة الغري (مخطوط) . شرح نهج البلاغة / ابن ميثم : ٢٨٦/٥ و ٢٨٧ .

. . . .

وإلّا فظاهر أنّ حقيقة التصديق ولو شرعاً يباين الإقرار، فلا يدلّ على كون الإسلام بل الإيمان نفس الأعمال كما توهّمه ابن أبي الحديد[١]، وما رواه في الكافي عن أبي بصير، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلام: إنّ خيثمة بن أبي خيثمة يحدّثنا عنك أنّه سألك عن الإسلام فقلت له: **إنّ الإسلام من استقبل قبلتنا، وشهد شهادتنا، ونسك نسكنا، ووالى وليّنا، وعادى عدوّنا، فهو مسلم**، فقال: **صدق خيثمة**» الحديث[٢].

قال خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه: «الخبر صحيح، وسلام يحتمل ابن المستنير الجعفي، وابن أبي عمرة الخراساني، وكلاهما مجهولان من أصحاب الباقر عليه السلام، وخَيثَمة ـ بفتح الخاء ثمّ الياء المثنّاة من تحت الساكنة ثمّ المثلّثة المفتوحة ـ غير مذكور في الرجال»[٣]، انتهى.

ولا يخفى دلالة الحديث على عدم كون الناصب مسلماً، كما سيأتي بيانه، وخبر أنّ في قوله إنّ الإسلام مقدّر تقديره أنّ الإسلام ما يفهم من الكلام الآتي من استقبال القبلة إلى آخر الكلام، فتدبّر.

وما رواه فيه عن عيسى بن السري أبي اليسع، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، التي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه، ولم يقبل منه عمله، ومن عرفها، وعمل بها صلح له دينه، وقبل منه عمله، ولم يضرّ به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأُمور

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٣/١٨.

(٢) الكافي: ٣٨/٢، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ١١٥/٨.

(٣) مرآة العقول: ٢٤٤/٧، الحديث ٥.

. . . .

جهله ، فقال : **شهادة أن لا إلـه إلّا الله ، والإيمان بأنّ محمّداً رسول الله ﷺ ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحقّ في الأموال الزكاة ، الولاية التي أمر الله تعالى بها ، ولاية آل محمّد** ﷺ » الحديث[1].

والظاهر كما اعترف به جدّي الأمجد في تحفته الغرويّة[2] أنّ المراد بالشهادة والإقرار ما يتعلّق منهما بالقلب بقرينة الإيمان ، وكذا المراد بقوله عليه‌السلام : « حقّ في الأموال » الإقرار القلبي ، والإذعان بأنّ في الأموال حقّاً ، وهو الزكاة ، والإذعان بالولاية ، وذكرهما بعد الإقرار بما جاء به النبيّ ﷺ لزيادة الاهتمام ، وحينئذٍ فالدلالة واضحة .

في اختلاف حكم الإيمان والإسلام :

المقام الثاني : أنّهما مختلفان بحسب الحكم ، بمعنى أنّ حكمنا بإسلام أحد قد ينفكّ عن الحكم بإيمانه ، وليس المراد بالحكمين ما يتعلّق بحقيقتهما بأن يكون الحكم بالإسلام ـ مثلاً ـ لأحد معناه كونه متّصفاً بحقيقته في نفس الأمر حتّى يقال : إنّه كيف يجوز ذلك بالنسبة إلى أحدهما دون الآخر مع اتّحادهما في الحقيقة ؟ فوجب أن يكون المصحّح للحكم بتحقّق أحدهما مصحّحاً للحكم بتحقيق الآخر أيضاً ، فلا معنى للاختلاف في الحكم مع الاتّحاد في الحقيقة ؛ وذلك لأنّه لا شكّ أنّ مجرّد الإقرار لا يفيد العلم بحصول التصديق القلبي في أحد ، فكيف يجوز الحكم به

---

(١) الكافي : ١٩/٢ ، الحديث ٦ . تفسير فرات : ١٠٩ ، الحديث ٢٢ . شرح أُصول الكافي : ٦٦/٨ ، الحديث ٦ . بحار الأنوار : ٣٠٠/٢٣ ، الحديث ٥١ .

(٢) تحفة الغريّ (مخطوط) .

. . . .

لمن لا يطّلع على السرائر، بل المراد أنّ الشارع جعل للإقرار بالمعارف جميعاً مع عدم العلم بعدم حصول التصديق بها في المقرّ مناطاً لإجراء جميع الأحكام الشرعيّة على المقرّ، وكذا جعل الإقرار بالشهادتين مع عدم العلم المذكور مناطاً لإجراء بعض الأحكام على المقرّ، وإطلاق الإيمان على الأوّل، والإسلام على الثاني، مجاز من قبيل تسمية الشيء باسم مدلوله في الجملة، وبهذا التحقيق يندفع كثير من الشبه.

وكيف كان فيدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[1]، وجه الدلالة أوّلاً: أنّه لا خفاء في دلالة الآية على المغايرة بين الإيمان والإسلام في الجملة، وإحالته تعالى الإخبار عن الإسلام على مقالتهم، وعدم إخباره عنهم به بقوله: ولكن أسلمتم ـ مثلاً ـ كما أخبر عن عدم إيمانهم صريحاً يدلّ على أنّ حقيقة الإسلام لم تكن ثابتة لهم، فإنّه يتبادر ذلك من التوصيف به صريحاً، فالإعراض عنه إلى ما ذكر دليل على أنّ الثابت لهم إنّما هو الإسلام ظاهراً، ولا يجوز لهم إلّا الإخبار به، ولم يكن كذباً بخلاف الإخبار بالإيمان مطلقاً، أي سواء كان إخباراً عن الحقيقة أو الظاهر.

أمّا الأوّل ـ أعني عدم جواز الإخبار عن حقيقة الإسلام ـ فلعدم التصديق القلبي في نفس الأمر.

وأمّا الثاني ـ أعني عدم جواز الإخبار عن مطلق الإيمان ـ فلعدم الإقرار بسائر المعارف، كالعدل والمعاد ـ مثلاً ـ، وثانياً حمل المغايرة المدلولة عليها على المغايرة في الحقيقة ينافيه ما ثبت آنفاً من الاتّحاد فيها، فتدبّر.

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٤.

. . . .

ويدلّ عليه أيضاً ما رواه في الكافي: عن الصادق عليه السلام، قال: «**الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان**»[١].

قال خالنا العلّامة المجلسي طاب ثراه في «مرآة العقول» في شرح قوله: «الإيمان يشارك... إلخ»: «ظاهره أنّه لا فرق بين العقائد الإيمانيّة والإسلاميّة، والفرق بينهما أنّ في الإيمان يعتبر الإقرار الظاهري، والتصديق الباطني معاً بخلاف الإسلام، فإنّه لا يعتبر فيه إلّا الظاهر فقط»[٢]، انتهى.

وما رواه فيه: عن سماعة، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟

فقال: **إنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان**.

فقلت: فصفهما لي.

فقال: **الإسلام شهادة أن لا إلٰه إلّا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة النّاس، والإيمان الهدى، وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به**»[٣].

وجه الدلالة فيهما بتقريب ما تقدّم في الآية.

ثانياً ـ وهو ظاهر ـ: قال جدّي الأمجد في رسالة تحفة الغريّ: فإن قلت: الرواية الثانية إنّما تدلّ على أنّ المراد بيان الفرق بين الإيمان والإسلام بحسب الحقيقة لأنّ

---

(١) الكافي: ٢/٢٥، الحديث ١ و ٢.

(٢) مرآة العقول: ٧/١٥٢.

(٣) الكافي: ٢/٢٥، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ٨/٧٨.

وَهُوَ يَضِجُّ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ

ما ذكره عليه السلام في وصف الإيمان إنّما هو بيان حقيقته جزماً، فوجب حمل ما ذكره عليه السلام في وصف الإسلام أيضاً على ذلك.

قلت: لو كان المراد بما ذكره عليه السلام في وصف الإيمان بيان الحقيقة فقط لكان منافياً لما أثبتناه سابقاً من كون حقيقته التصديق فقط، فوجب حمله إمّا على بيان الكمال، أو الحقيقة والحكم معاً بأن يكون قوله: «**الهدى وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام**» إشارة إلى الحقيقة، وما ظهر من العمل إلى الحكم، أي ما به يمكن الحكم بالإيمان ظاهراً، ويكون الثاني طرفاً للنسبة بالعموم والخصوص بين الإسلام والإيمان على ما يفهم تلك النسبة من قوله عليه السلام أوّلاً: «إنّ الإيمان يشارك الإسلام» بدون العكس ظاهراً دون الأوّل لعدم تحقّق النسبة على الوجه المذكور على هذا التقدير، كما لا يخفى، فاحفظ هذا التدقيق، فإنّه بذلك حقيق»[1]. انتهى كلامه طاب ثراه.

ولعمري أنّه حقيق بأن يكتب بالنور على صفحات خدود الحور.

ثمّ إنّ الروايات الواردة على مضمون تلك الروايتين كثيرة جدّاً ذكرها في الكافي، وفيما ذكرناه كفاية لمن كان من أهل المعرفة والدراية.

وَهُوَ يَضِجُّ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ: لأنّه مقرّ بربوبيّتك، معترف بوحدانيّتك، فلسانه لسان أهل التوحيد.

وَيَتَوَسَّلُ: أي يتقرّب.

---

(١) تحفة الغريّ (مخطوط).

إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ. يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقىٰ فِي الْعَذَابِ وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ ؟ أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ ؟ أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهِيبُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرىٰ مَكَانَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ

إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ: ثمّ إنّه لمّا قرع الداعي باب رحمته الواسعة راجياً منه، هارباً لاجئاً إليه، متوسّلاً بعراه الوثيقة، طالباً منه العفو والتجاوز، مستأنساً متودّداً، واحتمل الطرد والخيبة من سوء قابليّة طارئة على نفسه، وقصور باع عارض لشخصه، استأنس ثانياً باستئناسه مضيفاً مولاه إلى نفسه فقال عليه السلام:

يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقىٰ فِي الْعَذَابِ وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ: عليه في دار الدنيا.

مِنْ حِلْمِكَ ؟: عنه ورأفتك ورحمتك، متعجّباً عن وقوع مثل ما ذكر من مثله تعالى على من مثله، أليس هو المتعاهد أنّه من تقرّب إليَّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليَّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة ؟[1]

أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ: من الألم، وهو الوجع.

النَّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ: الجسيم.

وَرَحْمَتَكَ ؟: الواسعة.

أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهِيبُهَا: الضمير يعود إلى النّار، واللَّهَب ـ محرّكة ـ اشتعال النّار إذا خلص من الدخان، أو لهبها لسانها، أو لهبها حرّها.

وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرىٰ مَكَانَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ

---

(١) المبسوط / السرخسي: ٢٨/١١١. فقه السنّة: ١/٥٧٩. شرح أُصول الكافي: ١٠/٣٥٩. مستدرك الوسائل: ٥/٢٩٨، الحديث ٤.

تَعْلَمُ ضَعْفَهُ ؟

تَعْلَمُ ضَعْفَهُ ؟ : الزفير أوّل صوت الحمار، والشهيق آخره[١]، وقيل: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر، وقال الفارابي في ديوان الأدب[٢]: «الزفير أنين الحزين، والمراد بزفيرها صوت التهابها المنكر الفظيع، شبّهه بصوت الحمار. قال الله تعالى: ﴿ **إِذَا رَأَتْهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً** ﴾[٣]، أي صوت متغيّظ، وهو الصوت الذي يهمهم به المغتاظ، وروي أنّ جهنّم تزفر زفرة لا تبقي أحداً إلّا ترعد فرائصه، حتّى أنّ إبراهيم عليه السلام يجثو على ركبتيه ويقول: نفسي نفسي.

ولا يخفى عليك أنّ الداعي في مقام الرجاء والتمنّي؛ لأنّ ضعف العمل لا يوجب ضعف الأمل، بل ينبغي لمن ضعف عمله أن يعظم في الله سبحانه أمله، وهذا أمر يشهد بإتيانه العقل إذا كان العبد عند إنارة العناية الإلٰهيّة يعلم استناد جميع الموجودات إلى مدبّر حكيم، وربّ رؤوف رحيم، فيظهر من ذلك أنّ إيجاده له وأخذه العهد عليه بالطاعة والعبادة ليس إلّا لينجذب إلى موطنه الأصلي، ومبدئه الأوّلي بالتوحيد المحقّق، والحمد المطلق عن نار تأجّجت، وجحيم سعرت، فلا ييأس من روح الله تعالى عند وقوع تقصير منه في أسباب ذلك الانجذاب، بل يكون برجائه أوثق، وقلبه بشمول العناية له أعلق، فإنّه لا ييأس من روح الله تعالى إلّا الذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله، فهم في طغيانهم يعمهون، وأُولئك هم الخاسرون، كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾[٤].

---

(١) الصحاح: ٦٧٠/٢.

(٢) ديوان الأدب: ١٥٥/٢، مادّة «زفر».

(٣) الفرقان ٢٥: ١٢.

(٤) الحجر ١٥: ٥٦.

أَمْ كَيْفَ يَتَغَلْغَلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَتُهَا

هذا ولكن عليك بالتحذّر من أن يغرّك الشيطان ويثبّطك عن العمل ، ويريك الحمق والغرور بصورة الأمل ، فإنّ من هذه حالته لا يأمن أن يكون من أهل الحسرة والندامة في يوم القيامة ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ** ﴾[1] .

وفي هذا المعنى ما قيل :

إذا أنت لم تـزرع وعـاينت حـاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر[2]

وعليك بالرجوع إلى ما تقدّم في باب الرجاء .

أَمْ كَيْفَ يَتَغَلْغَلُ[3] **بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ** ؟ : يتغلغل يحتمل معنيين :

الأوّل : أن يكون من الأغلال ، وهي الجوامع التي تجمع إليه العنق .

الثاني : أن يكون معنى يغلغل : يدخل ، وغلّ في كذا ، أي : دخله .

أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَتُهَا : هي الملائكة ، واحدهم زبني ، مأخوذ من الزبن ، وهو الدفع ، كأنّهم يدفعون أهل النّار إليها .

قال الجوهري : « الزبانية عند العرب : الشرط ، وسمّي به بعض الملائكة لدفعهم أهل النّار إليها »[4] . قيل : « والملائكة الموكّلون بالنّار هم الغلاظ الشداد الذين ذكرهم

---

(١) الفجر ٨٩ : ٢٤ و ٢٦ .

(٢) اقتضاء العلم العمل : ٩٨ ، نسبه إلى رجل من أهل البصرة . كشف الخفاء : ١/٤١٢ .

(٣) في بعض نسخ الدعاء : « يَتَقَلْقَلُ » .

(٤) الصحاح : ٥/٢١٣٠ . مختار الصحاح : ١٤٥ .

. . . .

الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[(١)]»[(٢)]، وأخبر عن عددهم بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[(٣)].

عدد زبانية جهنّم:

قال أمين الإسلام الطبرسي: عليها تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، تَسَع كفّ أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعت عنهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنّم، وقيل: معناه على سقر تسعة عشر ملكاً فهم خزّان سقر، وللنّار ودركاتها الأُخر خزّان آخرون.

بيان خصوصيّة العدد:

وقيل: إنّما خصّوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الأنبياء قبله، وما كان في الكتب المتقدّمة، ويكون في ذلك مصلحة للمكلّفين، وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد: أنّ تسعة عشر جمع أكثر القليل من العدد، وأقلّ الكثير منه؛ لأنّ العدد آحاد وعشرات ومئات وأُلوف، فأقلّ العشرات عشرة، وأكثر الآحاد تسعة، قالوا: ولمّا نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أُمّهاتكم! تسمعون

---

(١) العلق ٩٦: ١٨.

(٢) مجمع البحرين: ٢/٢٦٦.

(٣) المدّثّر ٧٤: ٣٠.

. . . .

ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النّار تسعة عشر وأنتم الدهم[١] الشجعان، أفيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنّم.

فقال أبو الأسد الجمحي: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين، فنزل: ﴿**مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**﴾[٢] الآية.

عن ابن عبّاس وقتادة والضحّاك: ومعناه: وما جعلنا الموكّلين بالنّار المتولّين تدبيرها إلّا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النّار، ولم نجعلهم من بني آدم، كما تعهدون أنتم»[٣]، انتهى.

وقال الإمام الرازي: «ذكر أرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوهاً:

أحدها: وهو الوجه الذي تقوله أرباب الحكمة: أنّ سبب فساد النفس الإنسانيّة في قوّتها النظريّة والعمليّة هو القوى الحيوانيّة والطبيعيّة، أمّا القوى الحيوانيّة فهي الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتي عشرة، وأمّا القوى الطبيعيّة فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولّدة، وهذه سبعة، فالمجموع تسعة عشر، فلمّا كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر لا جرم كان عدد الزبانية هكذا.

وثانيها: أنّ أبواب جهنّم سبعة، فستّة منها للكفّار وواحد للفسّاق.

---

(١) **الدهم**: الجماعة الكثيرة.

(٢) المدّثّر ٧٤: ٣١.

(٣) مجمع البيان: ١٠/١٨١ ـ ١٨٢.

وَهُوَ يُنَادِيكَ يَا رَبَّهْ ؟

ثمّ إنّ الكفّار يدخلون النّار لأُمور ثلاث : ترك الاعتقاد ، وترك الإقرار ، وترك العمل ، فيكون لكلّ باب من تلك الأبواب الستّة ثلاثة ، والمجموع ثمانية عشر .

وأمّا باب الفسّاق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ، ولا بسبب ترك العمل ، فلا يكون على بابهم إلّا زبانية واحدة ، فالمجموع تسعة عشر .

وثالثها : أنّ الساعات أربعة وعشرون ؛ خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس ، فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة ، فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر »[١] ، انتهى .

والذي نقوله نحن : أن لا بدّ وأن يكون لاختيار هذا العدد حكمة تقتضيه ، ومعرفتها موكولة إلى أهلها ، وهم الأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين .

وَهُوَ يُنَادِيكَ يَا رَبَّهْ ؟ : بالإضافة إلى ضمير الغيبة ، حتّى يتمخّض للحكاية الصرفة ؛ إذ لو أضافه إلى ضمير المتكلّم بأن قال : وهو يناديك يا ربّي ، احتمل أن يكون هذا الخطاب منشأ من الناقل لمشاركته مع المحكيّ عنه في العبوديّة للربّ عزّ وجلّ ، فلو قال القائل : فلان يناديك يا مولاي ، يحتمل أن يكون الخطاب جزءاً من الحكاية ، وأن يكون إنشاءً من الحاكي .

هذا كلّه مع المشاركة المزبورة ، أمّا بدونها بأن كان الحاكي غير داخل في عبوديّة أحد ، وأراد نقل خطابات عبد لمولاه لزم إضافة خطاباته إلى ضمير المتكلّم بأن يقول : فلان يناديك يا مولاي ، لعدم احتمال كون الخطاب منشأً من الحاكي ، حينئذٍ ولو بالقرينة الخارجيّة ، أعني مرتبة الحاكي وكونه غير داخل في عبوديّة المولى ،

---

(١) التفسير الكبير : ٣٠/٢٠٣ .

أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا فَتَتْرُكَهُ فِيهَا. هَيْهَاتَ مَا ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا مُشْبِهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ، فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جَاحِدِيكَ،

هكذا ينبغي أن يوجّه غيبة الضمير.

ويمكن أن يكون من المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم بأن يكون أصله: يا ربّي، فقلبت الكسرة قبل الياء فتحة، ثمّ قلبت الياء ألفاً، وحذفت وجعلت الفتحة دليلاً عليها، ثمّ إلحاق هاء السكت بها، ولكنّها لغة شاذّة صرّح بشذوذها صاحب الجامي، ولذا لم ينقل جوازها في التصريح إلّا من الأخفش والفارسي والمازني.

أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا: أي من النّار.

فَتَتْرُكَهُ فِيهَا: قد تقدّم الكلام في شرح حقيقة الرجاء، وبيان أقسامه، والفرق بينه وبين المغرور، وذكر شروط الرجاء، فلا معنى لإعادته.

هَيْهَاتَ مَا ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ: فيه تحريض على حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ، كما هو صريح جملة من الأخبار، فقد ذكرناها سابقاً، فعليك بالتذكّر لها.

وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا مُشْبِهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ: كما تقدّم تفصيل ذلك كلّه عند ذكر أخبار الرجاء، وذكر ثواب الموحّدين، فعليك بالمراجعة.

فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ: الفاء للتفريع، والباء للسببيّة.

لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جَاحِدِيكَ: جحد حقّه، وجحد بحقّه جحداً وجحوداً: أنكره، ولا يكون إلّا على علم.

وقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيكَ ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً ،

وقَضَيْتَ بِهِ: القضاء بمعنى الحكم.

مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيكَ: العنيد والعنود والمعاند واحد، وهو المخالف لك بالخلاف عليك مع العلم بثبوت الحقّ.

لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً: وفي هذه الفقرات دلالة واضحة على خلود الكفّار في النّار، ودوام تعذيبهم.

مستند خلود الكفّار:

واستيعاب المقال في هذا المجال يستدعي تفصيل الكلام في مقامين:

المقام الأوّل: فيما ورد من الآيات والأخبار الصريحة في المراد.

المقام الثاني: في إيراد كلمات جملة من علماء الفريقين الذين تعرّضوا لهذا البحث.

أمّا المقام الأوّل: فاعلم أنّ الآيات والأخبار الدالّة على تعذيب الكفّار وخلود العذاب عليهم في نار جهنّم كثيرة جدّاً، قد تجاوزت حدّ التواتر، غير أنّا نذكر في المقام ما تيسّر لنا ذكره منها.

أمّا الآيات فهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾[١].

---

(١) البقرة ٢: ١٦١ و ١٦٢.

. . . .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١].

وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤].

وقوله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾[٥].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾[٦].

وقد وردت هذه الآيات كلّها مع أضعافها ممّا لم نذكرها في سورة البقرة وحدها ، وعليك بملاحظة باقي السور.

---

(١) البقرة ٢: ٩٠. المجادلة ٥٨: ٥.

(٢) البقرة ٢: ٨١.

(٣) البقرة ٢: ٢١٧.

(٤) آل عمران ٣: ١١٦.

(٥) النساء ٤: ١٢١.

(٦) النساء ٤: ١٦٨ و ١٦٩.

. . . .

ذكر نبذة من أخبار الخلود:

وأمّا الأخبار، فمنها: ما ورد بمضمون أنّه يذبح الموت بين الجنّة والنار والخلود فيهما، ففي معاني الأخبار للصدوق ﷺ: بإسناده عن أبي، عن سعد، عن الأصفهاني، عن المنقري، عن حفص، عن أبي عبدالله ﷺ، وساق الحديث -إلى أن قال: -« **ويوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح** »(١).

وفي النوادر: عن النضر بن سويد، عن درست، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، قال: « لا أعلم ذكره إلّا عن أبي جعفر ﷺ، قال: **إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار جيء بالموت في صورة كبش حتّى يوقف بين الجنّة والنّار.**

قال: ثمّ ينادي منادٍ يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنّة، يا أهل النّار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا.

قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون في الدنيا.

قال: فيقول أهل الجنّة: اللّهمّ لا تدخل الموت علينا، ويقول أهل النّار: اللّهمّ أدخل الموت علينا.

قال: ثمّ يذبح الموت كما يذبح الشاة، قال: ثمّ ينادي منادٍ: لا موت أبداً أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذٍ يموت من فرح لماتوا، قال: ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** ﴾(٢).

---

(١) معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث ١. بحار الأنوار: ٥٩/٧، الحديث ٥.

(٢) الصافّات ٣٧: ٥٨ - ٦١.

. . . .

قال : ويشهق أهل النّار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾[١] »[٢].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم : حدّثني أبي ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي ولّاد الحنّاط ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « سئل عن قوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ الآية ، قال : ينادي منادٍ من عند الله ـ وذلك بعدما صار أهل الجنّة في الجنّة ، وأهل النّار في النّار ـ : يا أهل الجنّة ويا أهل النّار ، هل تعرفون الموت بصورة من الصور ؟ فيقولون : لا ، فيؤتى بالموت في صورة كبش أحمر ، فيوقف بين الجنّة والنّار ، ثمّ ينادون جميعاً : أشرفوا وانظروا إلى الموت ، فيشرفون ، ثمّ يأمر الله به فيذبح ، ثمّ يقال : يا أهل الجنّة ، خلود فلا موت أبداً ، ويا أهل النّار ، خلود فلا موت أبداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ، ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ أي قضي على أهل الجنّة بالخلود فيها ، وقضي على أهل النّار بالخلود فيها »[٣].

وفيه أيضاً : مسنداً إلى أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النّار النّار جيء بالموت فيذبح ، ثمّ يقال : فلا موت أبداً »[٤].

وفي العلل : بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام عن الخلود في الجنّة والنار ، فقال : « إنّما خلّد أهل النّار في النّار ، لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ،

---

(١) مريم ١٩ : ٣٩.

(٢) كتاب الزهد / الحسين بن سعيد الأهوازي : ١٠٠. بحار الأنوار : ٣٤٥/٨ ، الحديث ٢.

(٣) تفسير القمّي : ٥٠/٢.

(٤) تفسير القمّي : ٢٢٣/٢ ، وفيه : « فيذبح كالكبش بين الجنّة والنّار ، ثمّ يقال : خلود فلا موت أبداً ».

. . . .

وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة ؛ لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطيعوا الله أبداً ما بقوا ، فالنيّات تخلّد هؤلاء وهؤلاء ، ثمّ تلا قوله تعالى : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ** ﴾[١] ، قال : **على نيّته** »[٢] .

خواصّ فعل المعروف:

وفي ثواب الأعمال للصدوق ﷺ : عن عليّ بن يقطين ، قال : « قال لي أبو الحسن عليه السلام : **أنّه كان في بني إسرائيل رجل مؤمن ، وكان له جار كافر ، وكان الكافر يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا ، فلمّا أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النّار من طين فكان يقيه من حرّها ، ويأتيه رزقه من غيرها ، وقيل له : هذا لما كنت تدخل على المؤمن جارك فلان بن فلان من الرفق ، وتوليه من المعروف في الدنيا** »[٣] .

وفي تفسير العسكري عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ** ﴾[٤] الآية ، قال : « **السيّئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله ، وتنزعه عن ولاية الله ، وترميه في سخط الله ، وهي الشرك بالله ، والكفر به ، والكفر بنبوّة محمّد** صلى الله عليه وآله **، والكفر بولاية عليّ بن أبي طالب** عليه السلام **وخلفائه كلّ واحد من هذه سيّئة تحيط به ، أي تحيط بأعماله فتبطلها وتمحقها ، فأولئك عاملوا هذه السيّئة المحيطة**

---

(١) الإسراء ١٧ : ٨٤.

(٢) المحاسن : ٢/٣٣١ ، الحديث ٩٤. علل الشرائع : ٥٢٣ ، الحديث ١. شرح أصول الكافي : ٨/٢٦٩ و : ١٠/١٦٤. وسائل الشيعة : ١/٥٠ ، الحديث ٤.

(٣) ثواب الأعمال : ١٦٩ .

(٤) البقرة ٢ : ٨١.

. . . .

﴿ **أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ »[١].

وفي الأمالي للصدوق ﷺ : بإسناده إلى ابن أبي عمير، قال: « سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: **لا يخلّد الله في النّار إلّا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾**[٢] » الحديث[٣].

تحقيق رشيق في المراد من ذبح الموت:

ربّما يشكل عليك التصديق بمضمون ما طرق سمعك من الأخبار المتقدّمة في المقام، أعني ذبح الموت، وعليه فاللازم تأويل الخبر على أنّ أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون أنّه الموت، ويكون ذلك موجوداً في حسّهم لا في الخارج، ويكون ذلك سبباً لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك، إذ المذبوح مأيوس عنه، ومن لم يكن عنده برهان فعساه أن يعتقد أنّ نفس الموت ينقلب كبشاً في ذاته ويذبح، ولكنّه مستحيل لقيام البرهان على أنّ الموت عرض بناء على أنّه افتراق عن اجتماع، والافتراق من الأكوان الأربعة أو هو عبارة عن عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيّاً.

وعلى الأوّل هما ضدّان، وعلى الثاني عدم وملكة، وعلى كلّ حال، فقلب العرض أو العدم جسماً محال.

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ٣٠٤، الحديث ١٤٧.

(٢) النساء ٤: ٣١.

(٣) التوحيد للصدوق: ٤٠٧، الحديث ٦.

• • • • • • • • • • • •

ونظير هذا في التصديق بوجوده الحسّي لا وجوده الذاتي ، قول رسول الله ﷺ : «**عرضت عليَّ الجنّة في عرض هذا الحائط**»[1] ؛ إذ من قام عنده البرهان على أنّ الأجسام لا تتداخل ، وأنّ الصغير لا يسع الكبير ، حمل ذلك على أنّ نفس الجنّة لم ينقل إلى الحائط ، لكن تمثّل للحسّ صورتها في الحائط ، بحيث كان مظهراً لها ، ولا يخيّل أن يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مرآة صغيرة ؛ إذ لا يلزم أن يطابق المظهر ، والظاهر فيه ولم يكن ذلك على سبيل التخيّل ، بل المشاهدة الصريحة ، وعلى كلّ حال أنّ حقيقة التصديق الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ عن وجوده .

المراتب الخمس الوجوديّة :

وللوجود خمس مراتب : ذاتي ، وحسّي ، وخيالي ، وعقلي ، وشبهي ، ولأجل الغفلة عنها نسب كلّ فرقة مخالفها إلى التكذيب ، فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذّب على الاطلاق ، ومن نزل قولاً من أقوال الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدّقين ، وإنّما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني ويزعم أنّ ما قاله لا معنى له ، وإنّما هو كذب محض ، وغرضه فيما قاله التلبيس والمصلحة الدنياويّة ، وذلك هو الكفر المحض ، ولا يلزم كفر المأوّلين ما داموا ملازمين قانون التأويل ، وكيف يلزم الكفر ، وما من مذهب من المذاهب إلّا وللتأويل فيه قدم راسخ ؟ وما من فريق

---

(١) صحيح البخاري : ١٤٣/٨ . المصنّف / عبدالرزّاق : ٣٨٠/١١ ، الحديث ٢٠٧٩٦ . الأدب المفرد : ٢٥٣ . المعجم الأوسط : ٧٢/٩ .

. . . .

من أهل الإسلام إلّا وهو مضطرّ إليه ؟

تفسير رواية مشكلة:

فقد قيل : إنّ أحمد بن حنبل صرّح بتأويل قوله ﷺ : « **الحجر الأسود يمين الله في الأرض** »[(١)] ، حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره ، قال : اليمين يقبل في العادة تقرّباً إلى صاحبها ، والحجر الأسود أيضاً يقبل تقرّباً إلى الله ، فهو مثل اليمين لا في ذاته وصفاته ، بل في عارض من عوارضه ، وهذا هو الوجود الشبهي ، وهو أبعد التأويلات .

وأحسن من ذلك ما نقله الطريحي في المجمع في تفسيره من أنّ ذلك تمثيل وتشبيه ، والأصل فيه أنّ الملك إذا صافح أحداً قبّل ذلك الرجل المصافح يده ، فكأنّ الحجر بمنزلة اليمين للملك فهو يستلم ويلثم فشبّهه باليمين ، وإنّما خصّ بذلك لأنّ الميثاق المأخوذ من بني آدم في قوله تعالى : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ** ﴾[(٢)] على ما نقل قد جعله الله مع الحجر ، وأمر النّاس بتعاهده ، ولذا جاء في الدعاء عنده : « أمانتي أدّيتها ، وميثاقي تعاهدته ، فاشهد لي عند ربّك بالموافاة يوم القيامة »[(٣)] ، انتهى .

وهذا التطويل وإن كان خارجاً عن المقصود لكنّه لا بأس به من حيث ينكشف به

---

(١) سبل الهدى والرشاد : ١٧٨/١ . غريب الحديث / ابن قتيبة : ٩٦/٢ ، الحديث ٤ . لسان العرب : ٤٥٩/١٣ .

(٢) الأعراف ٧ : ١٧٢ .

(٣) مجمع البحرين : ٥٨٢/٤ .

. . . .

حقيقة الحال عن كثير من المتديّنين المصرّين على الردّ والإنكار لأهل العلم.

وأمّا المقام الثاني فنقول: إنّه قد وقع الخلاف في دوام تعذيب الكفّار وخلودهم في النّار بين علماء الفريقين، فالمشهور من الفريقين ذهب إلى دوام العذاب، ومنهم من ذهب إلى بطلانه.

نقل كلام جملة من الحكماء والمحقّقين:

قال الصدوق في عقائده: «اعتقادنا في النّار أنّها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، وأنّه لا يخلّد فيها إلّا أهل الكفر والشرك، فأمّا المذنبون من أهل التوحيد فإنّهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم»[١]، انتهى.

وقال المفيد ﷺ: «وأمّا النّار فهي دار من جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى، غير أنّه لا يخلّد فيها، بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلّد فيها إلّا الكافرون، وقال تعالى: ﴿**فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾[٢]، بل يريد بالصلي هنا الخلود فيها»[٣]، انتهى.

وقال شارح المقاصد: «أجمع المسلمون على خلود أهل الجنّة بالجنّة، وخلود الكفّار في النّار، فإن قيل: القوى الجسمانيّة متناهية فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة التي هي مادّة الحياة تفنى بالحرارة، سيّما حرارة نار جهنّم، فيفضي إلى

---

(١) بحار الأنوار: ٨/٣٢٤، رقم ١٠٢.

(٢) الليل ٩٢: ١٤ ـ ١٦.

(٣) تصحيح اعتقادات الصدوق: ١١٨. بحار الأنوار: ٨/٣٢٥.

. . . .

الفناء ضرورة، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضيّة العقل.

قلنا: هذه قواعد فلسفيّة غير مسلّمة عند الملّيّين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار على تقدير تناهي القوى، وزوال القوى لجواز أن يخلق الله البدل، فيدوم الثواب والعقاب. قال الله تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾[1]»[2]، انتهى.

وقال المحقّق الطوسي ﷺ في التجريد: «والكافر مخلّد، وعقاب صاحب الكبيرة منقطع لاستحقاق الثواب بإيمانه، ولقبحه عند العقلاء»[3]، انتهى.

وقال العلّامة ﷺ في شرحه على التجريد: «أجمع المسلمون كافّة على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيديّة على أنّه كذلك، وذهبت الإماميّة وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أنّ عذابه منقطع.

والحقّ أنّ عقابهم منقطع لوجهين:

الأوّل: أنّه مستحقّ الثواب بإيمانه لقوله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾[4]، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحقّ العقاب بالمعصية فإمّا أن يقدّم الثواب على العقاب، وهو باطل بالإجماع؛ لأنّ الثواب المستحقّ بالإيمان دائم على

---

(١) النساء ٤: ٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ٨/٣٥٠.

(٣) تجريد الاعتقاد: ٣٠٤.

(٤) الزلزلة ٩٩: ٧.

. . . .

ما تقدّم ، أو بالعكس ، وهو المراد ، والجمع محال .

الثاني : يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدّة عمره بأنواع القربات إليه ، ثمّ عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلّداً في النّار ، كمن أشرك بالله مدّة عمره ، وذلك محال لقبحه عند العقلاء ، ثمّ قال : المحارب لعليّ عليه السلام كافر لقول النبيّ صلى الله عليه وآله : « **حربك يا عليّ حربي** »(١) ، ولا شكّ في كفر من حارب النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأمّا مخالفوه في الإمامة فقد اختلف قول علمائنا فيهم ، فمنهم من حكم بكفرهم ؛ لأنّهم دفعوا ما علم ثبوته من الدين ضرورة ، وهو النصّ الجليّ الدالّ على إمامته مع تواتره ، وذهب آخرون إلى أنّهم فسقة ، وهو الأقوى ، ثمّ اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة :

أحدها : أنّهم مخلّدون في النّار لعدم استحقاقهم الجنّة .

الثاني : قال بعضهم : إنّهم يخرجون من النّار إلى الجنّة .

الثالث : ما ارتضاه ابن نوبخت وجماعة من علمائنا أنّهم يخرجون من النّار لعدم الكفر الموجب للخلود ، ولا يدخلون الجنّة لعدم الإيمان المقتضي لاستحقاق الثواب »(٢) ، انتهى .

وقال القوشجي في شرح التجريد : « اتّفق المسلمون على أنّ عذاب الكفّار المعاندين دائم لا ينقطع ، والكافر المبالغ في الاجتهاد الذي لم يصل إلى المطلوب زعم الجاحظ والعنبري أنّه معذور لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن**

---

(١) الانتصار : ٤٧٩ . رسائل الشريف المرتضى : ٢٨٣/١ . الخلاف : ٣٣٥/٥ .

(٢) نقله عنه في : بحار الأنوار : ٣٦٤/٨ و : ٣٤/٢٩ . نور البراهين : ٥٠/١ . مستدرك سفينة البحار : ١٤٣/٣ .

. . . .

حَرَجٍ ﴾[١]؛ ولأنّ تعذيبه مع بذله الجهد والطاقة من غير تقصير قبيح عقلاً، وذهب الباقون إلى أنّه غير معذور، وادّعوا الإجماع عليه قبل ظهور المخالفين قالوا كفّار عهد رسول الله الذين قتلوا، وحكم النبيّ ﷺ بخلودهم في النّار لم يكونوا عن آخرهم معاندين، بل منهم من اعتقد الكفر بعد بذل المجهود، ومنهم من بقي على الشكّ بعدإفراغ الوسع، وختم الله على قلوبهم ولم يشرح صدورهم للإسلام، فلم يهتدوا إلى حقيقته، ولم ينقل عن أحد قبل المخالفين هذا الفرق الذي ذكره الجاحظ والعنبري، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ** ﴾ خطاب إلى أهل الدين لا إلى الخارجين من الدين.

وكذلك أطفال المشركين عند الأكثرين لدخولهم في العمومات، ولما روي أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّهم في النّار**»[٢] حين سألت خديجة عن حالهم.

وقالت المعتزلة وبعض الأشاعرة: لا يعذّبون، بل هو خدّام أهل الجنّة؛ لما ورد في الحديث، ولأنّ تعذيب من لا جرم له ظلم[٣].

وأمّا أنّ عذاب صاحب الكبيرة هل هو منقطع أم لا ؟ فذهب أهل السنّة والإماميّة من الشيعة وطائفة من المعتزلة إلى أنّه ينقطع، واختاره المصنّف رحمه الله[٤]، انتهى.

وقال العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار: «اعلم أنّ خلود أهل الجنّة في الجنّة ممّا

---

(١) الحجّ ٢٢: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ٨/٣٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ٨/٣٥٠.

(٤) شرح تجريد العقائد / القوشجي: ٣٨٦.

. . . .

اجتمع عليه المسلمون ، وكذا خلود الكفّار في النّار ودوام تعذيبهم »[١] ، انتهى .

هذا ما وسعني الاطّلاع عليه ممّن اختار دوام العذاب ، وأمّا من قال بانقطاعه فهم جماعة أيضاً منهم الشيخ داود القيصري في شرح الفصوص ، وقال : « واعلم أنّ من اكتحلت عينه بنور الحقّ يعلم أنّ العالم بأسره عباد الله ، وليس لهم وجود وصفة وفعل إلّا بالله وحوله وقوّته ، وكلّهم محتاجون إلى رحمته ، وهو الرحمن الرحيم ، ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذّب أحداً عذاباً أبداً ، وليس ذلك المقدار إلّا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدّر لهم ، كما يذاب الذهب والفضّة بالنّار لأجل الخلاص ممّا يكدّره وينقص عياره ، فهو متضمّن لعين اللطف ، كما قيل :

وتعذيبكم عذب وسخطكم رضا　　　وقطعكم وصل وجوركم عدل»[٢]

انتهى .

ومنهم الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات ، حيث قال : « فعمرت الداران ، أي : دار النعيم ودار الجحيم ، وسبقت الرحمة الغضب ، ووسعت كلّ شيء ، ومنه جهنّم ومن فيها ، والله أرحم الراحمين ، وقد وجدنا في نفوسنا ممّن جبل على الرحمة بحيث لو أمكنه الله في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالم ، والله قد أعطاه هذه الصفة ، ومعطي الكمال أحقّ به ، وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ، ونحن عباد مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض ، ولا شكّ أنّه أرحم بخلقه منّا ، ونحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة »[٣] ، انتهى .

---

(١) بحار الأنوار : ٨/٣٥٠ .

(٢) شرح فصوص الحكم / القيصري : ٢/٢٦ .

(٣) الفتوحات المكّيّة : ٣/٢٥ .

. . . .

وقال الشيخ المذكور في الكتاب المزبور أيضاً: «يدخل أهل الدارين فيهما؛ السعداء بفضل الله، وأهل النّار بعدله، وينزلون فيها بالأعمال، ويخلّدون فيهما بالنيّات، فيأخذ الألم جزاء العقوبة مواز بالمدّة العمر في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها، بحيث إنّهم لو دخلوا الجنّة تألّموا لعدم موافقيّة الطبع الذي جُبلوا عليه، فهم يتلذّذون بما هم فيه من نار وزمهرير، وما فيهما من لدغ الحيّات والعقارب، كما يتلذّذ أهل الجنّة بالظلال والنور ولثم الحسان من الحور؛ لأنّ طبائعهم تقتضي ذلك، ألا ترى الجعل على طبيعته يتضرّر بريح الورد ويتلذّذ بالنتن، والمحرور من الإنسان يتألّم بريح المسك، فاللذّات تابعة للملائم، والآلام تابعة لعدمه»[1]، انتهى كلامه.

ومنهم صدر الدين الشيرازي ﷺ في أكثر كتبه، وفي الأسفار، قال ﷺ: «اعلم أنّ الأُصول الحكميّة دالّة على أنّ القسر لا يدوم على طبيعته، وأنّ لكلّ موجود من الموجودات طبيعة غاية ينتهي إليها وقتاً، وهي خيره وكماله، وأنّ الواجب جلّ ذكره أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوّة يحفظ بها خيرها الموجود، وتطلب بها كمالها المفقود، كما قال: ﴿ **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾[2]، فلأجل ذلك يكون لكلّ منها عشق للوجود، وشوق إلى كمال الوجود، وهو غايته الذاتيّة التي تطلبه وتتحرّك إليه بالذات، وهكذا الكلام في غايته وغاية غايته، حتّى ينتهي إلى غاية الغايات، وخير الخيرات، إلّا أن يعوق له عن ذلك عائق، ويقسر قاسر، لكنّ العوائق ليست أكثريّة ولا دائمة كما سبق ذكره، وإلّا لبطل النظام،

---

(١) الفتوحات المكّيّة: ٦٤٨/٢.

(٢) طه ٢٠: ٥٠.

. . . .

وتعطّلت الأشياء، وبطلت الخيرات، ولم تقم الأرض والسماء، ولم ينشأ الآخرة والأولى ﴿ **ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** ﴾[١].

فعلم أنّ الأشياء كلّها طالبة لذاتها للحقّ، مشتاقة إلى لقائه بالذات، وأنّ العداوة والكراهة طارئة بالعرض، فمن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله بالعرض لأجل مرض طار على نفسه كره الله لقاءه بالعرض، فيعذّبه مدّة حتّى يبرأ من مرضه، ويعود إلى فطرته الأُولى، أو يعتاد بهذه الكيفيّة المرضيّة وزوال ألمه عذابه لحصول اليأس، ويحصل له فطرة أُخرى، وهي فطرة الكفّار الآيسين من رحمة الله الخاصّة بعباده، وأمّا الرحمة العامّة فهي التي وسعت كلّ شيء كما قال: ﴿ **عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[٢]، وعندنا أيضاً أُصول دالّة على أنّ الجحيم وآلامها وشرورها دائمة بأهلها، كما أنّ الجنّة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها، إلّا أنّ الدوام لكلّ منهما على معنى آخر»[٣]، انتهى كلامه.

قلت: قد بان لك من مجموع هذه الكلمات أنّ المسألة عويصة جدّاً، وهي موضع خلاف بين علماء الرسوم وبين أهل الكشف، وأنّ الخلاف بينهم إنّما هو في خصوص سرمديّة العذاب بعد اتّفاقهم على عدم خروجهم من النّار، وأنّهم ماكثون إلى ما لا نهاية له، ولكنّك قد عرفت تطابق الآيات والأخبار على دوام العذاب على الكفّار، مضافاً إلى ما قد سمعت من غير واحدٍ ممّن تقدّم النقل عنه دعوى اتّفاق المسلمين على ذلك، والعجب من هذا الفاضل النحرير كيف غفل عمّا ذكرناه،

---

(١) ص ٣٨: ٢٧.

(٢) الأعراف ٧: ١٥٦.

(٣) الحكمة المتعالية: ٩/٣٤٧ و ٣٤٨.

. . . .

وتفوّه بما نقلناه.

ولذا ردّ عليه المحقّق السبزواري[1] في حاشيته على الأسفار بقوله: « وعندي أنّ دوام العذاب حقّ، وانقطاعه عن الكفّار باطل، وما يقول المصنّف ﷺ أنّ القسر لا يدوم، وأنّ الطوارئ والعوارض تزول، فجوابه أن ليس قسراً ولا عروضاً، بل تصير الكيفيّة الظلمانيّة جوهريّة والعرضيّة السيّئة ذاتيّة، مثل مركّب القوى، فإنّ الفطرة الإنسانيّة ذاتيّة لا تزول، والفطرة الثانية أيضاً ذاتيّة صارت ملكة جوهريّة؛ إذ العادة طبيعة ثانويّة، فافهم »[2]، انتهى كلامه.

ما قيل في حقّ ملّا صدرا:

ولعلّه إلى هذا وأمثاله نظر بعض من قال في حقّ هذا المحقّق أنّه يوجد في غير واحد من مصنّفاته كلمات لا يلائم ظواهر الشريعة، وكأنّها مبتنية على اصطلاحاته الخاصّة، أو محمولة على ما لا يوجب الكفر وفساد اعتقاد له بوجه من الوجوه، وإن أوجب ذلك سوء ظنّ جماعة من الفقهاء الأعلام به وبكتبه، بل فتوى طائفة بكفره، فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الأُصول: شروح الكافي كثيرة جليلة قدراً وهو أوّل من شرحه بالكفر صدراً.

هذا تمام الكلام فيما يتعلّق بحال الكفّار.

---

(١) هو الحاجّ ملّا هادي طاب ثراه. منه.

(٢) حاشية على الحكمة المتعالية: ٣٤٧/٩، الهامش ١.

. . . .

حال أطفال المؤمنين والكفّار:

وأمّا الكلام فيما يتعلّق بحال أطفال الكفّار والمشركين وأطفال المؤمنين فنقول:

إنّه لا خلاف بين أصحابنا ـ كما اعترف به بعض المحقّقين من أهل الخبرة ـ في أنّ أطفال المؤمنين يدخلون الجنّة، وأمّا أطفال الكفّار فذهب المتكلّمون منّا إلى أنّهم لا يدخلون النّار، فهم إمّا يدخلون الجنّة أو يسكنون الأعراف. وذهب أكثر المحدّثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النّار المؤجّجة لهم.

قال المحقّق الطوسي ﷺ في التجريد: «وتعذيب غير المكلّف قبيح، وكلام نوح عليه السلام مجاز، والخدمة ليست عقوبة له، والتبعيّة في بعض الأحكام جائزة»[1]، انتهى.

وقال العلّامة ﷺ في شرحه: «ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ الله تعالى يعذّب أطفال المشركين، ويلزم الأشاعرة تجويزه، والعدليّة كافّة على منعه، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً، فلا يصدر منه تعالى، احتجّوا بوجوه:

الأوّل: قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[2].

والجواب: أنّه مجاز، والتقدير أنّهم يصيرون كذلك لا حال طفوليّتهم.

الثاني: قالوا: إنّا نستخدمه لأجل كفر أبيه، فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبة فلا يكون قبيحاً.

---

(١) نور البراهين: ٢/٣٨٥. بحار الأنوار: ٥/٢٩٧.

(٢) نوح ٧١: ٢٧.

. . . .

والجواب : أنّ الخدمة ليست عقوبة للطفل ، وليس كلّ ألم عقوبة ، فإنّ الفصد والحجامة ألمان وليسا عقوبة . نعم ، استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوض عليه كما يعوّض على أمراضه .

الثالث : قالوا : إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن ، ومنع التوارث ، والصلاة عليه ، ومنع التزويج .

والجواب : أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء إذا لم يحصل له بها ألم وعقوبة ، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه »[1] ، انتهى .

بيان ما ورد من الأخبار :

هذا كلّه ، ولكنّ الأخبار الواردة في هذا المقام مختلفة ، ولا بدّ لنا من ذكرها ، وبيان ما قيل في وجه الجمع بينها .

ففي الكافي : بإسناده إلى زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « سألته : هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفال ؟

فقال : قد سئل ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثمّ قال : **يا زرارة ، هل تدري قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ؟**

قلت : لا .

قال : **لله فيهم المشيّة أنّه إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الأطفال والذي مات**

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ٣١٨ . بحار الأنوار : ٥/٢٩٧ .

. . . .

من النّاس في الفترة[١]، والشيخ الكبير الذي أدرك النبيّ ﷺ، وهو لا يعقل، والأصمّ والأبكم الذي لا يعقل، والمجنون والأبله الذي لا يعقل، فكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ، فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة فيؤجّج لهم ناراً، ثمّ يبعث الله إليهم ملكاً فيقول لهم: إنّ ربّكم يأمركم أن تلبثوا فيها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، وأُدخل الجنّة، ومن تخلّف عنها دخل النّار»[٢].

وفيه أيضاً: بإسناده عن سهل بن زياد، عن غير واحد، رفعوه، أنّه سئل عن الأطفال، فقال: «إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجّج لهم ناراً، وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها، فمن كان في علم الله عزّ وجلّ أنّه سعيد رمى بنفسها، وكانت عليه برداً وسلاماً، ومن كان في علمه أنّه شقيّ امتنع، فيأمر الله بهم إلى النّار فيقولون: يا ربّنا، تأمر بنا إلى النّار ولم تجر علينا القلم؟! فيقول الجبّار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني، فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم»[٣].

وفيه أيضاً: بإسناده عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عمّن مات في الفترة، وعمّن لم يدرك الحنث، والمعتوه، فقال: «يحتجّ الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني»[٤].

---

(١) الفترة: ما بين رسولين من رسل الله عليهم السلام.

(٢) الكافي: ٣/٢٤٨، الحديث ١. منتقى الجمان: ١/٣١٦. نور الثقلين: ١/٦٠٤، الحديث ١٠١.

(٣) الكافي: ٣/٢٤٨، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٥/٢٩١، الحديث ٨. نور الثقلين: ٥/١٣٩، الحديث ٢١.

(٤) الكافي: ٣/٢٤٩، الحديث ٦. بحار الأنوار: ٥/٢٩٣، الحديث ١٤. نور الثقلين: ⇦

. . . .

وبهذا الإسناد : قال : « **ثلاثة يحتجّ عليهم : الأبكم ، والطفل ، ومن مات في الفترة ، فترفع لهم نار فيقال لهم : ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن أبى قال تبارك وتعالى : هذا قد أمرتكم فعصيتموني**[١].

قلت : والفترة : الزمان بين الرسولين ».

وفي القاموس : « الحنث : الإثم »[٢] والذنب ، يقال : بلغ الغلام الحنث ، أي المعصية والطاعة[٣].

والمعتوه : المغلوب على عقله .

ثمّ لا يخفى عليك صراحة هذه الطائفة من الأخبار في أنّ الأطفال يمتحنون يوم القيامة بما ذكر فيها من حديث التأجيج .

وفي المقام أخبار أُخر تدلّ على لحوق الأطفال بالآباء في يوم القيامة ، فقد روى الصدوق ﷺ في الفقيه : بإسناده عن وهب بن وهب ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ﷺ ، قال : « **قال عليّ ﷺ : أولاد المشركين مع آبائهم في النّار ، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنّة** »[٤].

وفي الصحيح : عن ابن سنان ، قال : « سألت أبا عبدالله ﷺ عن أولاد الكفّار

⇨ ٦٠٤/١ ، الحديث ١٠٢ .

(١) الكافي : ٢٤٩/٣ ، الحديث ٧ . نور الثقلين : ٦٠٤/١ ، الحديث ١٠٣ . منتقى الجمان : ٣١٧/١ .

(٢) القاموس المحيط : ١٦٥/١ .

(٣) لسان العرب : ١٣٨/٢ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ٤٩١/٣ ، الحديث ٤٧٣٩ . بحار الأنوار : ٢٩٤/٥ ، الحديث ٢١ .

. . . .

يموتون قبل أن يبلغوا الحنث، قال: **كفّار، والله أعلم بما كانوا عاملين يدخلون مداخل آبائهم**»[١].

وفي الكافي: مرسلاً: «**أمّا أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾**[٢]»[٣].

بيان وجه الجمع بين الأخبار المذكورة:

وقد جمع بينهما بوجوه:

الأوّل: حمل أخبار تأجيج النّار على أنّ الذين يدخلون النّار ويطيعون هم أولاد المؤمنين، وأنّ الذين يمتنعون هم أولاد الكفّار والمشركين، وحينئذٍ فيلحق كلّ من الفريقين بالآباء في الجنّة والنّار، ويحصل التوافق بين الأخبار.

الثاني: حمل أخبار التأجيج على غير أطفال المؤمنين والكفّار بناءً على ما ثبت في الأخبار الصحيحة من تقسيم النّاس إلى مؤمن ومسلم وكافر، فأهل الوعدين وهم المؤمنون، والكفّار لا يقضون في الحساب، ولا تنشر لهم الدواوين، ولا تنصب لهم الموازين، وإنّما يساقون بعد البعث إلى الجنّة إن كانوا مؤمنين، وإلى النّار إن كانوا كافرين، وهذان الفريقان يلحق بهم أولادهم في الجنّة والنّار، كما صرّحت به تلك الأخبار.

وأمّا المسلمون وهم أهل المحشر الذين يقفون في الحساب وتنشر لهم الدواوين،

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤٩١/٣، الحديث ٤٧٤٠. بحار الأنوار: ٢٩٥/٥، الحديث ٢٢.

(٢) الطور ٥٢: ٢١.

(٣) الكافي: ٢٤٨/٣، ذيل الحديث ٢. بحار الأنوار: ٢٩٢/٥، الحديث ٩.

. . . .

وتنصب لهم الموازين، فهؤلاء الذين تأجّج لأولادهم النّار، وممّا يشير إلى هذا الوجه تصريح أخبار الإلحاق بالمؤمنين والكافرين، وإجمال أخبار التأجيج فيحمل على هذا الفرد الذي ذكرنا.

وممّا يؤكّده أيضاً قول الكليني في الكافي بعد نقل خبر التأجيج المتضمّن للأطفال بقوله مطلقاً.

وفي حديث آخر: «**أمّا أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين... الخ**»، فإنّ فيه إيماء إلى أنّ خبر التأجيج إنّما هو لغير أطفال المؤمنين والمشركين، وهم أطفال المسلمين الذين هم أصحاب الحساب.

الثالث: ما هو المنقول عن صاحب الوافي؛ من حمل أخبار اللحوق على البرزخ، وأخبار التأجيج على يوم القيامة[١]، وحاصله هو الحكم بالكفر على أولاد المشركين والإيمان على أولاد المؤمنين إلى يوم القيامة، حتّى أنّهم في البرزخ يلحقون بهم في الجنّة والنّار، ممتدّاً ذلك إلى يوم القيامة، فيقع التكليف لهم، والامتحان بالنّار، وبذلك يتميّز أصحاب الجنّة الأُخرويّة الموجبة للخلود في النّار كذلك، وقد ينسب هذا الجمع إلى الصدوق ﷺ أيضاً، وكيف كان فالظاهر بعده لظهور كلّ من الطرفين في كونه في يوم القيامة.

الرابع: حمل ما دلّ على دخول النّار على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين، وأقوال أكثرهم، كما صرّح به خالنا العلّامة المجلسي ﷺ[٢] وقال: إنّه أظهر

---

(١) الوافي: ٦٤٧/٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٥/٥.

. . . .

الاحتمالات في مقام الجمع ، وفي بعض الأخبار ما يدلّ على أنّهم تحت مشيّة الله ، كالمروي في الكافي : بسند حسن ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « قلت له : ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا ؟

فقال : **سئل عنهم رسول الله** صلى الله عليه وآله **فقال** : **الله أعلم بما كانوا عاملين** ، ثمّ أقبل عليّ فقال : **يا زرارة ، هل تدري ما عنى بذلك رسول الله** صلى الله عليه وآله ؟ قال : قلت : لا .

فقال : **إنّما عنى كفّوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً ، وردّوا علمهم إلى الله** »[1] ، ومثله غيره .

وبالجملة : أخبار لحوق أطفال المشركين بالآباء كأخبار تأجيج النّار لهم مطلقاً غير موافقة لقواعد العدل مع أنّها أخبار آحاد لا تفيد القطع ، وليس شيء من مضامينها من أُصول الدين ، ولا من فروعه ، والذي يجب علينا أن نقول هو أنّ الله سبحانه وتعالى عدل حكيم لا يفعل بعباده إلّا ما يقتضيه عدله وحكمته ، وقد سمعت فيما تقدّم اختيار المعتزلة وبعض الأشاعرة أنّهم خدّام أهل الجنّة .

وربّما يوجد عليه شاهد في الأخبار : قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ** ﴾[2] : « اختلف في هذه الولدان ، فقيل : إنّهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ، ولا سيّئات فيعاقبون عليها ، فأُنزلوا هذه المرتبة » .

عن عليّ عليه السلام والحسن عليه السلام ، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن أطفال المشركين

---

(١) الكافي : ٢٤٩/٣ ، الحديث ٤.

(٢) الواقعة ٥٦ : ١٧.

. . . .

فقال : « **هم خدم أهل الجنّة ، وقيل : بل هم من خدم الجنّة على صورة الولدان ، خلقوا لخدمة أهل الجنّة** »[١] ، انتهى .

بيان حال الخوارج :

وممّن ثبت تخليد العذاب عليه في نار جهنّم الخوارج[٢] ضرورة أنّ كفرهم مورد اتّفاق النصّ من قول النبيّ ﷺ في رواية الفريقين أنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرامي[٣] .

وقول أبي جعفر عليه السلام في رواية الفضيل : مشرك والله مشرك[٤] .

وقول الهادي عليه السلام أيضاً في الزيارة الجامعة : « **ومن حاربكم مشرك** »[٥] ، وقد أفتى بذلك جميع أصحابنا ، فهو إجماع ، وقد سمعت في ما تقدّم نقله عن العلّامة رحمه الله في شرح التجريد حكمه بأنّ المحارب لعليّ عليه السلام كافر لقول النبيّ ﷺ : « **حربك يا عليّ**

---

(١) مجمع البيان : ٣٦١/٩ . مجمع البحرين : ٥٥٠/٤ .

(٢) منتهى المطلب : ٩٨٤/٢ .

(٣) انظر : مسند الطيالسي : ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، الحديث ٢١٦٥ . المصنّف / عبدالرزّاق : ١٥١/١٠ ، الحديث ١٨٦٥٨ و : ١٥٦ ، الحديث ١٨٦٧٦ . صحيح البخاري : ١٦٦/٤ . سنن أبي داود : ٢٤٣/٤ ، الحديث ٤٧٦٤ . المصنّف / ابن أبي شيبة : ٥٣٦/١٠ ، الحديث ١٠٢٤٧ . صحيح مسلم : ٧٥٠/٢ ، الحديث ١٦٠ . سنن ابن ماجة : ٦١/١ ، الحديث ١٧٤ . المعرفة والتاريخ : ٣١٠/٢ .

(٤) الكافي : ٣٨٧/٢ ، الحديث ١٤ . شرح أُصول الكافي : ٦٣/١٠ ، الحديث ١٤ . ذكرى الشيعة : ١٣ . وسائل الشيعة : ٣٥٦/٢٨ ، الحديث ٥٥ .

(٥) من لا يحضره الفقيه : ٦١٣/٢ .

. . . .

حربي »[١]، ولا شكّ في كفر من حارب النبيّ ﷺ ولإنكارهم عدّة من ضروريّات الدين الإسلامي ، كاستحلال قتل عليّ عليه السلام ، وتكفيرهم له ، وغير ذلك ، ولأجل ما فيهم من النصب كما ستعرف في ذكر النواصب وموضوعهم الجماعة الذين خرجوا على عليّ عليه السلام وقاتلوه من العثمانيّة المطالبين بدم عثمان كأصحاب الجمل والمارقين يوم التحكيم ، وملحق بهم محارب الحسن والحسين عليهما السلام للاشتراك في العلّة من عداوة أهل البيت ، فإنّ المحاربة والمقاتلة ملازمة مع الشحناء والبغضاء والعداوة بالضرورة ، بناءً على كون البغض مطلقاً نصباً مع أنّهم كانوا متديّنين به .

بيان حال الغلاة:

ومن جملة من يحكم بخلود التعذيب عليه في نار جهنّم الغلاة ، وهم الذين ادّعوا ربوبيّة عليّ عليه السلام ، وفي بعض العبارات ربوبيّة أحد الأئمّة عليهم السلام ، وفي بعض آخر قد يطلق على من قال بإلـهيّة أحدٍ من النّاس ، وعلى كلّ حال ،كفر من يدّعي شيئاً من ذلك إجماع ، بل ضروري ، ولو بنحو الحلول فيه ، بل من يدّعي أنّه الصانع أو أنّه صانع مشرك ، بل قد صرّح بعض المتأخّرين بأنّه كافر بالذات لا لإنكار ضروري الإسلام ، وهو كذلك ؛ إذ دعوى كون أمير المؤمنين عليه السلام هو الصانع كفر ذاتي بالضرورة ، وإلّا لكان كفر من قال بربوبيّة فرعون ونمرود ، بل عبدة الأوثان والكواكب ممّن يقول بأنّهم أرباب من دون الله أو مع الله لإنكار الضروري ، وانحصر الكافر بالذات بمن أنكر وجود صانع بالمرّة ، وليس كذلك قطعاً ، بل لم يثبت وجود منكر

---

(١) التّعجب: ١١١ ـ بتحقيقنا ـ. تلخيص الشافي: ١٣٢/٤. شرح نهج البلاغة: ٤٦١/٢. بحار الأنوار: ٣٣١/٣٢.

. . . .

الصانع كذلك حتّى الدهري يقول: إنّه الدهر.

بيان حال النواصب:

ومن جملة المحكومين بذلك الحكم النواصب، وكفرهم مورد اتّفاق النصّ والفتوى، ولكن وقع الخلاف في كلّ منهما في تشخيص موضوعه.

ففي بعض الأخبار: هو من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام[١] من غير تقييد بالتديّن به، وفي بعضها مطلقاً من قدّم الجبت والطاغوت[٢].

وفي بعضها: التقييد بمن دان بمعاداتهم.

وفي آخر: من نصب العداوة لعليّ عليه السلام.

وفي آخر: تقييده بمن أعلن العداوة.

وفي آخر: من نصب العداوة لشيعتهم، والمحدّث الجزائري نسب إلى الأكثر كونه من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام، وتظاهر ببغضهم[٣]، وكذلك الاختلاف في عبارات الأصحاب، والأظهر هو الأوّل، وهو من الكافر بالذات، كما هو صريح بعض الأخبار بأنّ الناصب كافر الظاهر في أنّه سبب مستقلّ، فتكون مودّة ذوي القربى كالرسالة، وعلى ما ذكرناه يكون الخارجي لعنه الله ناصبيّ لتحقّق أعلى مراتب العداوة فيه بمحاربته لعليّ عليه السلام وتجويز قتله وقتل أولاده عليهم السلام، ولذا لم يذكر بعض الفقهاء ـ كالمحقّق في الشرائع ـ النواصب عنواناً برأسه من المحكوم بكفره من

---

(١) روض الجنان: ١٥٨.

(٢) انظر: الحدائق الناضرة: ٥/١٧٧ و ١٨٦ و: ١٠/٣٦٣ و: ٢٤/٦٠.

(٣) الأنوار النعمانيّة: ٢/٣٠٦.

. . . .

فِرق الإسلام ، بل صرّح في المعتبر أنّ الخوارج هم المعنيّون بالنصّاب[١] ، بناء منهم على أنّ النصب لم يتحقّق من غير الخوارج ، خصوصاً إذا قيّد موضوع الناصب بجعل النصب ديناً له ، فإنّ غير الخوارج لو كان فيهم مبغض فإمّا كان متبطّناً به ، أو معلناً غير متديّن به .

إثبات كفر النواصب والخوارج :

فقد تحقّق من جميع ما ذكر أنّ النواصب والخوارج خارجون من الإسلام مطلقاً داخلون في الكفر باطناً وظاهراً ، فيجب حمل الاستثناء الذي هو في كلام الفقهاء على الانقطاع دون الاتّصال ، كما هو المنقول عن بعضهم أيضاً .

وقد تقدّم في شرح حقيقة الإسلام رواية أبي بصير في الصحيح ، عن أبي جعفر عليه السلام ، ما هو صريح في عدم كون الناصب مسلماً من حيث جعل المسلم هو مَن وَالَى وليّهم ، وعادى عدوّهم ، فراجع .

وفي أمالي الشيخ أيضاً : عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النّار لأشدّ غضباً على مبغضي عليّ منها على من زعم أنّ مع الله ولداً** » ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله : « **يابن عبّاس ، يبغضه قوم يزعمون أنّهم من أُمّتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً** » ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله : « **إنّ من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه** »[٢] .

وفي مناقب الخوارزمي : عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « **من ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر ،**

---

(١) المعتبر : ١/٩٨ .

(٢) أمالي الطوسي : ١٠٦ ، الحديث ١٥ .

. . . .

وقد حارب الله ورسوله »[١].

وعلى كلّ حال ، فلا ينبغي الإشكال في دوام العذاب على هؤلاء وخلودهم في نار جهنّم .

وقد تواردت بذلك الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام ، فمنها : ما رواه في البحار : بإسناده عن عليّ الصائغ ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « **إنّ المؤمن ليشفع لحميمه إلّا أن يكون ناصباً ، ولو أنّ ناصباً شفع له كلّ نبيّ مرسل ، وملك مقرّب ما شفعوا** »[٢] .

وما رواه أيضاً : بإسناده عن عليّ الخدمي ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « **إنّ الجار يشفع لجاره ، والحميم لحميمه ، ولو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين شفعوا في ناصب ما شفعوا** »[٣] .

وما رواه في الكافي : بإسناده عن عبدالحميد الوابشي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « قلت له : إنّ لنا جاراً ينتهك المحارم كلّها حتّى أنّه ليترك الصلاة ، فضلاً عن غيرها .

فقال : **سبحان الله ، وأعظم ذلك ، ألا أُخبرك بمن هو شرّ منه ؟**

قلت : بلى .

قال : **الناصب لنا شرّ منه ، أما إنّه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرقّ لذكرنا إلّا مسحت الملائكة ظهره ، وغفر له ذنوبه كلّها ، إلّا أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان ،**

---

(١) لم نجده في مناقب الخوارزمي ، بل هو في مناقب ابن المغازلي : ٤٥ ، الحديث ٦٨ .

(٢) المحاسن : ١٨٦/١ ، الحديث ١٩٨ . ثواب الأعمال : ٢٠٣ . بحار الأنوار : ٤١/٨ ، الحديث ٢٧ و : ٢٣٦/٢٧ ، الحديث ٥٣ .

(٣) المحاسن : ١٨٤/١ ، الحديث ١٩٠ . بحار الأنوار : ٤٢/٨ ، الحديث ٣٥ .

. . . .

وإنّ الشفاعة لمقبولة ، وما تقبل في ناصب » الحديث[١] .

إلى غير ذلك من سائر الأخبار التي يطول بنقلها الكلام ، وقد أتى على كثير منها خالنا العلّامة المجلسي ﷺ في الثالث عشر من البحار .

حكم فرق المخالفين في الإمامة في يوم القيامة:

وأمّا من عدا هؤلاء من فِرق المخالفين لنا فهم قسمان :

أحدهما : من يقدّم على عليّ ﷺ ،كالعامّة من أهل السنّة والجماعة .

وثانيهما : من لا يقدّم ، لكنّه لا ينهي الأئمّة بالترتيب إلى الاثني عشر المعيّنين صلوات الله عليهم أجمعين .

في أنّهم بحكم الكفّار في الآخرة:

والمشهور أنّهما في الآخرة بحكم الكفّار ، وهما مخلّدان في النّار ، وقد دلّت الأخبار الكثيرة عليه ، غير أنّه يمكن الاستظهار من بعض أخبار أُخر نجاة بعض المخالفين من النّار ،كالمستضعفين ، والمرجون لأمر الله .

وقد سمعت فيما تقدّم نقله عن العلّامة ﷺ نقل القول بعدم خلود المخالفين في النّار ، وهو في غير المستضعفين وأشباههم في غاية الضعف ؛ لأنّ الإمامة عندنا من أُصول الدين مع ما قد ورد متواتراً عن النبيّ ﷺ : **« من مات ولم يعرف إمام زمانه**

---

(١) الكافي : ١٠١/٨ ، الحديث ٧٢. ثواب الأعمال : ٢١١. شرح أُصول الكافي : ٢٨/١٢. بحار الأنوار : ٥٦/٨ ، الحديث ٧٠.

. . . .

مات ميتة جاهليّة »[1].

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، غير أنّا نذكر ما تيسّر لنا من ذلك.

في أنّهم بحكم المسلمين في دار الدنيا:

وأمّا في الأحكام الدنيويّة كالطهارة والتناكح والتوارث ، فالمشهور بين المتأخّرين أنّهم في جميع ذلك بحكم المسلمين ، وذهب السيّد المرتضى وأتباعه ﷺ إلى أنّهم في الأُمور الدنيويّة أيضاً بحكم الكفّار ، والذي يظهر من بعض الأخبار أنّهم واقعاً في جميع الأحكام بحكم الكفّار ، لكنّ الله تعالى لمّا علم أنّ للمخالفين دولة وغلبة على الشيعة ولا بدّ لهم من المعاشرة رخّص لهم في جميع ذلك ، وأجرى على المخالفين في زمان الهدنة والتقيّة أحكام المسلمين ، وفي زمان القائم عليه‌السلام لا فرق بينهم وبين الكفّار وبه يمكن الجمع بين الأخبار.

قال شيخنا الشهيد الثاني ﷺ في رسالة حقائق الإيمان : « اعلم أنّ جمعاً من علماء الإماميّة حكموا بكفر أهل الخلاف ، والأكثر على الحكم بإسلامهم ، فإن أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر ، فالظاهر أنّ النزاع لفظي ؛ إذ القائلون بإسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحّة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر لا أنّهم مسلمون في نفس الأمر ، فلذا نقلوا الإجماع على دخولهم في النّار.

وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين باطناً وظاهراً فهو ممنوع ، ولا دليل عليه ،

---

(١) كفاية الأثر : ٢٩٦. مستدرك الوسائل : ١٨/١٨٧ ، الحديث ٤٨. الايضاح / الفضل بن شاذان : ٧٥. مقتضب الأثر : ١٧. إقبال الأعمال : ٢/٢٥٢.

. . . .

بل الدليل قائم على إسلامهم ظاهراً، كقوله صلى الله عليه وآله: **أُمرت أن أُقاتل النّاس حتّى يقولوا: لا إلـه إلّا الله[1]**»[2]، انتهى.

ما يدلّ على كونهم نصّاباً جميعاً:

وقد رام بعض الأعلام من المتأخّرين إثبات كونهم طرّاً ناصبين ليترتّب عليه الحكم بكفرهم ظاهراً أيضاً، كما هو المتّفق عليه فيهم، فتمسّك بما رواه الشيخ رحمه الله صحيحاً في الأمالي: عن صالح بن ميثم، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في خبر طويل في آخره ـ: «**ولن يحبّنا من يحبّ مبغضنا، إنّ ذلك لا يجتمع في قلب واحد ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ﴾[3] يحبّ بهذا قوماً وبالآخر عدوّهم** ـ إلى أن قال عليه السلام: ـ «**فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حبّ من ألَب علينا فليعلم أنّ الله عدوّه وجبريل وميكال، والله عدوّ للكافرين**»[4].

وما رواه فيه أيضاً: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**والذي بعثني بالحقّ نبيّاً...**» الحديث المتقدّم[5].

وما رواه في الفقيه صحيحاً: عن إسماعيل الجعفي الممدوح أنّه قال لأبي

---

(١) الخلاف: ٥/٣٥٥. رياض المسائل: ٧/٥٣١. عيون أخبار الرضا: ١/٧٠، الحديث ٢٨٠. عوالي اللآلي: ١/١٥٣.

(٢) نقله عنه في بحار الأنوار: ٨/٣٦٨.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٤.

(٤) أمالي الطوسي: ١٤٨، الحديث ٥٦.

(٥) الصفحة ٤١٠.

. . . .

جعفر عليه السلام : رجل يحبّ أمير المؤمنين عليه السلام ولا يبرأ من عدوّه ، ويعترف هو أحبّ إليّ ممّن خالفه ، قال : **هذا مخلط ، وهو عدوّ** »[١] .

وما رواه في مستطرفات السرائر ، من مسائل محمّد بن عيسى : عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ، قال : « وكتبت إليه أسأله عن الناصب : هل احتاج إلى امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت ، واعتقاده بإمامتهما ، فرجع الجواب : **من كان على هذا فهو ناصب** »[٢] .

وما رواه عن الصدوق رحمه الله في العلل ومعاني الأخبار : عن عبدالله بن سنان ، عن معلّى بن خنيس ، عن الصادق عليه السلام ، قال : « **ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت ؛ لأنّك لا تجد رجلاً يقول : أنا أبغض محمّداً وآل محمّد ، ولكن النّاصب من نصب لكم وهو يعلم أنّكم تتولّونا وأنّكم من شيعتنا** »[٣] .

وجه الدلالة على ما ذكره فيما لم يصرّح فيه بالنصب أنّه يدلّ على أنّ إظهار المحبّة لمبغضيهم عليهم السلام ، والعداوة لمحبّيهم ، وتفضيلهم المنحطّين عن درجة الفضل والكمال المنخرطين في سلك الأداني والجهّال على المتسنّمين أوج الجلال ناشٍ عن كمال البغض والعداوة لهم ، ولا تعني بالنصب إلّا إظهار العداوة لهم عليهم السلام .

والحاصل : أنّه يظهر من هذه الأخبار وأمثالها أنّ المخالفين كلّهم مبغضون للأئمّة ،

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٣٨٠/١ ، الحديث ١١١٧ . تهذيب الأحكام : ٢٨/٣ ، الحديث ٩ . وسائل الشيعة : ٣٠٩/٨ ، الحديث ٣ .

(٢) مستطرفات السرائر : ٥٨٣ . السرائر : ٥٨٣/٣ .

(٣) علل الشرائع : ٦٠١/٢ ، الحديث ٦٠ . معاني الأخبار : ٣٦٥ ، الحديث ١ . ثواب الأعمال : ٢٠٧ . صفات الشيعة : ٩ ، الحديث ١٧ . وسائل الشيعة : ٤٨٦/٩ ، الحديث ٣ .

. . . .

ولا شكّ أنّ المعتبر في الحكم بالنصب هو معرفة العداوة بأيّ وجه كان.

كما ذكره الشهيد الثاني ﷺ في نكاح المسالك حيث قال: «واعلم أنّه لا يشترط في المنع من الناصب إعلانه بالعداوة كما ذكره المصنّف ﷺ، بل متى عرف منه البغض لأهل البيت عليهم السلام فهو ناصبي، وإن لم يعلن به، كما نبّه عليه في خبر عبدالله بن سنان»[(١)]، انتهى.

والخبر المذكور هو صحيح عبدالله بن سنان، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الناصب الذي عرف نصبه وعداوته، هل يزوّجه المؤمن وهو قادر على ردّه؟

قال: **لا يتزوّج المؤمن الناصبة، ولا يتزوّج الناصب المؤمنة**»[(٢)].

والجواب عن ذلك كلّه بعد تسليم الروايات متناً وسنداً أنّه لا شكّ في أنّ مناط الأحكام الشرعيّة هو الظاهر الذي عليه المكلّفون والعلم بالأمور الباطنيّة من غير طريق الظاهر لا يوجب تغيّر الحكم الظاهري، وغاية ما يلزم من الروايات المذكورة العلم بعداوة المخالفين لأهل البيت عليهم السلام بأخبار المعصوم عليه السلام، وهذا لا يوجب تغيّر الحكم الظاهر ما لم يعلم هذه العداوة بطريق الظاهري أيضاً بأن يكون مدلولاً عليها بإحدى الدلالات الثلاث عرفاً، ولا شكّ أنّ أهل العرف لا يحكمون بمجرّد المخالفة في الإمامة بأنّ المخالف أظهر العداوة أو عدوّ وإن جعلها الشارع علامة لتحقّقها فيه، وأمّا الرواية فلا ظهور لها في أزيد من عدم اعتبار الإعلان بالعداوة فيمن

---

(١) مسالك الأفهام: ٤٠٤/٧.

(٢) النوادر / أحمد بن محمّد بن عيسى: ١٣٠، الحديث ٣٣٥. الكافي: ٣٤٩/٥، الحديث ٨. مسالك الأفهام: ٤٠٤/٧. نهاية المرام: ٢٠١/١. الحدائق الناضرة: ٥٩/٢٤.

. . . .

عرف نصبه وعداوته ، وأين هذا من التعميم بالنظر إلى وجوه المعرفة ؟

ويؤيّد ذلك ما عن الصدوق ﷺ في المحكيّ عن الفقيه ، حيث قال : « والجهّال يتوهّمون أنّ كلّ مخالف ناصب ، وليس كذلك »[١] ، انتهى .

ولكنّ الإنصاف أنّ المسألة تعدّ في غاية الإشكال لظهور جملة من الأخبار في كونهم كفّاراً في دار الدنيا ، بل كفر من يقول بعدم كفرهم .

ففي الكافي : بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : **ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : من ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد إماماً من الله ، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً »**[٢] .

وفيه أيضاً : بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام ، قال : **« من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركاً بالله »**[٣] .

وفيه أيضاً : بسنده عن مولانا الباقر عليه السلام ، قال : **« إنّ الله عزّ وجلّ نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالّاً »**[٤] .

وفيه أيضاً : عن أبي إبراهيم عليه السلام ، قال : **« إنّ عليّاً باب من أبواب الجنّة ، فمن دخله كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً ، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين لله عزّ وجلّ فيهم المشيّة »**[٥] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٤٠٨/٣ ، الحديث ٤٤٢٥ .

(٢) الكافي : ٣٧٣/١ ، الحديث ٤ . الخصال : ١٠٦ ، الحديث ٦٩ .

(٣) الكافي : ٣٧٣/١ ، الحديث ٦ . شرح أُصول الكافي : ٣٤٦/٦ .

(٤) الكافي : ٤٣٧/١ ، الحديث ٧ و : ٣٨٨/٢ ، الحديث ٢٠ . شرح أُصول الكافي : ١٣٣/٧ .

(٥) الكافي : ٣٨٩/٢ ، الحديث ٢١ . شرح أُصول الكافي : ٦٥/١٠ .

. . . .

وروي فيه : عن الصادق عليه السلام ، قال : « **من عرفنا كان مؤمناً ، ومن أنكرنا كان كافراً ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالّاً حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة ، فإن مات على ضلالته يفعل الله به ما يشاء** »[(١)].

وفي عقاب الأعمال للصدوق رحمه الله : قال : قال الباقر عليه السلام : « **إنّ الله تعالى جعل عليّاً علماً بينه وبين خلقه ليس بينه وبينهم علماً غيره ، فمن تبعه كان مؤمناً ، ومن جحده كان كافراً ، ومن شكّ فيه كان مشركاً** »[(٢)].

ورواه البرقي في المحاسن ، مثله[(٣)].

وروي فيه أيضاً : عن الصادق عليه السلام ، قال : « **إنّ عليّاً عليه السلام باب هدى ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن خالفه كان كافراً ، ومن أنكره دخل النّار** »[(٤)].

وفي العلل : بسنده إلى الباقر عليه السلام ، قال : « **إنّ العلم الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله عند عليّ عليه السلام من عرفه كان مؤمناً ، ومن جحده كان كافراً** »[(٥)].

وفي التوحيد وإكمال الدين : عن الصادق عليه السلام ، قال : « **الإمام علم فيما بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً** »[(٦)].

وفي المحاسن : بسنده عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لحذيفة اليماني : « **يا حذيفة ، إنّ**

---

(١) الكافي : ١/١٨٧ ، الحديث ١١ . شرح أُصول الكافي : ٥/١٥٥ .

(٢) عقاب الأعمال : ٢٠٩ .

(٣) المحاسن : ١/٨٩ ، الحديث ٣٤ .

(٤) عقاب الأعمال : ٢٠٩ . المحاسن : ١/٨٩ ، الحديث ٣٥ .

(٥) علل الشرائع : ١/٢١١ ، الحديث ١ .

(٦) كمال الدين : ٤١٢ ، الحديث ٩ .

. . . .

حجّة الله عليك بعدي عليّ بن أبي طالب ﷺ ، الكفر به كفر بالله سبحانه ، والشرك به شرك بالله سبحانه ، والشكّ فيه شكّ في الله عزّ وجلّ ، والإلحاد فيه إلحاد في الله سبحانه ، والإنكار له إنكارٌ لله تعالى ، والإيمان به إيمان بالله تعالى ، لأنّه أخو رسول الله ، ووصيّه ، وإمام أُمّته ومولاهم ، وهو حبل الله المتين ، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها » الحديث[1].

وروي في الكافي : بسنده إلى الصحّاف ، قال : « سألت الصادق ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ **فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ** ﴾[2] ، قال : **عرف الله تعالى إيمانهم بموالاتنا ، وكفرهم بها ، إذ أخذ عليهم الميثاق وهم في ذرّ في صلب آدم »**[3].

وروي فيه : بسنده عن الصادق ﷺ ، قال : « **أهل الشام شرٌّ من أهل الروم ، وأهل المدينة شرّ من أهل مكّة ، وأهل مكّة يكفرون بالله جهرة »**[4].

وروى بسنده عن أحدهما ﷺ : « **إنّ أهل مكّة يكفرون بالله جهرة ، وأهل المدينة أخبث منهم سبعين ضعفاً »**[5].

وروي فيه : عن أبي مسروق ، قال : « سألني الصادق ﷺ عن أهل البصرة ، فقلت : مرجئة وقدريّة وحروريّة .

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٦٤ ، الحديث ٣.

(٢) التغابن ٦٤ : ٢.

(٣) الكافي : ٤١٣/١ ، الحديث ٤ و : ٤٢٦ ، الحديث ٧٤. مختصر بصائر الدرجات : ١٦٤.

(٤) الكافي : ٤٠٩/٢ ، الحديث ٣. شرح أُصول الكافي : ١٢١/١٠.

(٥) الكافي : ٤١٠/٢ ، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي : ١٢١/١٠.

. . . .

قال: **لعن الله تعالى تلك الملل الكافرة التي لا تعبد الله تعالى على شيء»**[١].

ولعلّ هذه الأخبار هي المستند في حكم أكثر المتقدّمين بكفرهم، كالشيخ ابن نوبخت من متقدّمي أصحابنا، والمفيد في المقنعة[٢]، وابن إدريس في السرائر[٣]، وأمّا السيّد المرتضى، فمذهبه في ذلك مشهور[٤]، وهو اختيار غير واحد من المتأخّرين، أوّلهم العلّامة في المنتهى في كتاب الزكاة[٥]، وبعده جدّنا الفاضل الصالح في شرح أُصول الكافي[٦] والقاضي نور الله التستري في كتابه إحقاق الحقّ، والفاضل الشيخ أبو الحسن صاحب كتاب ضياء العالمين في شرحه على الكفاية[٧]، وشيخنا الشهيد الثاني في بحث السؤر من روض الجنان[٨]، وفي شرح ألفيّة الشهيد الأوّل[٩]، والسيّد الجزائري في الأنوار النعمانيّة[١٠]، وصاحب الحدائق[١١]، وقد بالغ في إثبات ذلك إلى الغاية، والمسألة محرّرة في محلّها من

---

(١) الكافي: ٣٨٧/٢، الحديث ١٣.

(٢) المقنعة: ٨٥.

(٣) السرائر: ٣٥٦/١.

(٤) رسائل الشريف المرتضى ـ المجموعة الأُولى: ١٥٤.

(٥) منتهى المطلب: ٣٦٠/٨.

(٦) شرح أُصول الكافي: ١٠٦/١٠.

(٧) عنه: البحراني في الحدائق الناضرة: ١٧٧/٥.

(٨) روض الجنان: ٤٢٠/١.

(٩) المقاصد العليّة: ٦٩.

(١٠) الأنوار النعمانيّة: ٢٢٥/٢.

(١١) الحدائق الناضرة: ١٧٥/٥.

. . . .

الكتب الفقهيّة[١].

بيان ما هو المقصود من هذه الأخبار:

وبسط القول فيها هنا: بأزيد من ذلك خارج عن وضع الكتاب، فإنّا لسنا في صدد بيان ما يرجع إلى أُمور دنياهم والمقصود بالأصالة من هذه الإطالة إثبات كونهم في النّار مخلّدين، وأنت خبير بكفاية هذه الأخبار في إثبات ذلك، ولعلّه يأتيك قريباً ما يؤكّد هذا فترقّب ذلك وانتظر ما هنالك.

حال الشيعة في يوم القيامة:

وأمّا الطائفة الحقّة المحقّة الشيعة، أعني القائلين بالإمامة ـ بالترتيب إلى الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين، فلا إشكال في أنّهم هم الفرقة الناجية، كما هو المنقول عن أفضل المتأخّرين نصير الملّة والدين الطوسي طيّب الله مرقده، حيث قال: «الفرقة الناجية هي الفرقة الإماميّة؛ وذلك أنّي وقفت على جميع المذاهب، أُصولها وفروعها، فوجدت من عدا الإماميّة مشتركين في الأُصول المعتبرة في الإيمان وإن اختلفوا في أشياء يساوي إثباتها نفيها بالنسبة إلى الإيمان، ثمّ وجدت أنّ طائفة الإماميّة هم يخالفون الكلّ في أُصولهم، فلو كانت فرقة ممّن عداهم ناجية لكان الكلّ ناجين، فيدلّ أنّ الناجية هم الإماميّة لا غير»[٢]، انتهى.

وفي المرويّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **«مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها**

---

(١) ذكر ذلك في جواهر الكلام: ٦/٦١، وما بعدها.

(٢) نقله عنه في إيضاح الفوائد: ١/٨. نور البراهين: ١/٦٤.

. . . .

نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[١].

وهذا الحديث متّفق عليه، رواه الجمهور من طرق متعدّدة، والإماميّة هم مختصّون بركوب هذه السفينة لأنهم أخذوا مذهبهم عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، ولقّب مذهبهم بالجعفري، وهو أخذه عن أبيه باقر العلوم، وهو عن أبيه زين العابدين، وهو عن أبيه سيّد الشهداء، وهو عن أبيه أمير المؤمنين، عن النبيّ، عن جبرئيل، عن الربّ الجليل، وقال صلى الله عليه وآله: «**ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة، والباقون في النّار»**[٢]، وهذا الحديث ممّا اجتمع على نقله المخالف والموالف، وقد صنّف الشهرستاني كتاب الملل والنحل، وضبط الفرق تصديقاً للخبر المذكور، وبمقتضاه يجب أن يحكم بنجاة فرقة واحدة من تلك الفرق لا أزيد، وهلاك الباقين وإلّا لزم تكذيبه صلى الله عليه وآله والردّ عليه فيما قال، وهو كفر محض بلا إشكال.

وقد عرفت أنّ المراد من الفرقة الناجية هم الإماميّة لا غيرهم، وتحريره أنّ جميع الفرق متّفقون على أنّ مناط النجاة ودخول الجنّة هو الإقرار بالشهادتين، وخالفهم الإماميّة، وقالوا: لا بدّ من ضمّ ولاية أهل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، وهي التي يدور عليها النجاة والهلاك.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٣٠/١، الحديث ١٠. تحف العقول: ١١٣. شرح أُصول الكافي: ٤٢٢/٦ و: ٥٨/٧. خاتمة المستدرك: ٣٥٦/١. مناقب أمير المؤمنين / محمّد بن سليمان الكوفي: ١٤٧/٢. المسترشد: ٥٧٨.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ٢٧٠/٢. وسائل الشيعة: ٥٠/٢٧، الحديث ٣٠. نور البراهين: ٦٠/١. تأويل الآيات: ١٩٠/١.

. . . .

وأنت خبير بأنّ ظاهر هذا الخبر وأمثاله أنّ المراد بنجاة هذه الفرقة من النّار هو عدم دخولها النّار بالكلّية، وبأنّ من عداها ممّن خالفها في النّار خلوداً فيها، واستبعاد المحقّق الدواني رحمه الله[1] أنّ معصية الفرقة الناجية مغفورة مردود، أمّا أوّلاً: فلأنّ ذلك هو ظاهر الخبر المذكور، وأمّا ثانياً: فلاستفاضة أخبار أهل البيت عليهم السلام بذلك.

فمن طريق أهل السنّة: ما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب: بسنده إلى أنس بن مالك، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يدخل الجنّة من أُمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم**، ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام، فقال: **هم من شيعتك، وأنت إمامهم**»[2].

وما رواه أخطب خطباء خوارزم موفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي في كتاب له في مقتل الحسين عليه السلام، وذكر جملة من فضائل أهل البيت عليهم السلام.

ورواه أيضاً في الصواعق المحرقة ابن حجر: عنه أيضاً، بسنده فيه إلى بلال بن

---

(١) وإنّما ترحّمنا عليه لما وفّقه الله تعالى في آخر أمره من اختياره مذهب الإماميّة.

قال جدّي بحر العلوم رحمه الله في رجاله: «إنّ له رسالة فارسيّة مسمّاة بـ(نور الهداية) يصرّح فيها بالتشيّع»، انتهى. وهي عندي استنسختها بيدي.

والعجب من القاضي نور الله رحمه الله مع سعة اطّلاعه وطول باعه في هذا الفنّ لم يطّلع عليها، فأخذ في تصحيح حال الرجل بما لا يخلو عن تعسّف، كما لا يخفى على من راجع كتابه «مجالس المؤمنين».

توفّي رحمه الله سنة ٩٠٨هـ، وقد تجاوز الثمانين. منه.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢٩٣، الحديث ٣٣٥. إرشاد المفيد: ٤٢/١. مشكاة الأنوار: ١٧٤. بحار الأنوار: ١٤٢/٢٧، الحديث ١٥٠ و: ١٣٩/٦٨، الحديث ٧٩.

. . . .

حمامة، قال: «طلع علينا النبيّ ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر، فقام عبدالرحمن بن عوف، فقال: يا رسول الله، ما هذا النور؟

فقال: **بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي، وأنّ الله زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى، فحملت رقاقاً يعني صكاكاً بعدد محبّي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كلّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها مادت الملائكة بالخلائق، فلا تلق محبّاً لنا أهل البيت إلّا رفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النّار بأخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النّار**»(١).

وأمّا من طريق الإماميّة، فقد روى صاحب كتاب بشارة المصطفى لشيعة عليّ المرتضى وغيره في غيره: أنّه دخل رسول الله ﷺ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام مسروراً مستبشراً، فسلّم عليه فردّ عليه السلام وقال: **ما رأيتك أقبلت على مثل هذا اليوم**.

فقال ﷺ: **جئت أُبشّرك، اعلم أنّ هذه الساعة نزل عليّ جبرئيل عليه السلام، وقال: الحق يقرئك السلام ويقول: بشّر عليّاً أنّ شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنّة، فلمّا سمع مقالته خرّ ساجداً، ورفع يديه إلى السماء، ثمّ قال: اشهد الله أنّي قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقال الحسن عليه السلام مثلها**.

وقال الحسين عليه السلام كذلك، وقال النبيّ ﷺ: ما أنتم أكرم منّي، اشهد عليّ يا ربّي أنّي قد وهبت لشيعة عليّ نصف حسناتي، وقال الله عزّ وجلّ: ما أنتم بأكرم منّي، إنّي قد غفرت لشيعة عليّ ومحبّيه ذنوبهم جميعاً»(٢).

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٠٣. المناقب / الخوارزمي: ٣٤١، الحديث ٣٦١.

(٢) بشارة المصطفى: لم نجده. كتاب الأربعين / الماحوزي: ١٠٦. مستدرك سفينة ⇦

. . . .

وقال القاضي نور الله نوّر الله مرقده في كتاب مجالس المؤمنين: «إنّ في آخر كتاب الوافية من تصانيف الشيخ الأجلّ إبراهيم بن سليمان القطيفي قدّس الله روحه ثمانية عشر حديثاً مشتمل على هذا المضمون، وعلى أنّ الفرقة الناجية هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ أولياءه أولياء الله وأولياء رسوله، وأيضاً مذكور في تلك الأحاديث أنّ الناصبي من قدّم على عليّ غيره.

ثمّ قال رحمه الله: ونحن لما كرهنا أن يكون المقام خالياً عن فوائد تلك الأحاديث لأجل الاختصار نقتصر بذكر ثلاثة[1] منها:

الحديث الأوّل: ما رواه الشيخ العالم، الفاضل العامل، الفقيه النبيه، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني في [تحف العقول، ومحمّد بن همام الاسكافي في][2] الكتاب المسمّى بالتمحيص: عن أمير المؤمنين: **«ما من شيعتنا أحد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتّى يبتليه الله ببليّة يمحّص بها ذنوبه، إمّا في مال أو ولد، وإمّا في نفسه حتّى يلقى الله محبّنا وما له ذنب، وإنّه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدّد عليه عند موته فيمحّص ذنوبه»**[3].

الحديث الثاني: ما رواه عمر السابري، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي لأرى من أصحابنا من يرتكب الذنوب الموبقة، فقال لي: **يا عمر، لا تشنّع على أولياء الله، إنّ وليّنا ليرتكب ذنوباً يستحقّ من الله العذاب، فيبتليه الله في بدنه بالسقم، حتّى**

⇦ بحار الأنوار: ١١٧/٦.

(١) مجالس المؤمنين: ٣٨٢/١.

(٢) أثبتناه لاقتضاء سياق الكلام.

(٣) تحف العقول: ١٢٣. التمحيص: ٣٨، الحديث ٣٤.

. . . .

يمحّص عنه الذنوب ، [فإن عافاه في بدنه ابتلاه في ماله ، فإن عافاه في ماله ابتلاه في ولده ،][١] فإن عافاه من بوائق الدهر شدّد عليه خروج نفسه ، حتّى يلقاه وهو عنه راض ، قد أوجب له الجنّة »[٢].

الحديث الثالث: رواه الأصبغ بن نباتة ، قال : « إنّ أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **أيّها النّاس ، إنّ شيعتنا محزونة قبل أن يخلق الله آدم بألفي سنة لا يشذّ منها شاذّ ، ولا يدخل فيها داخل ، وإنّي لأعرفهم حين أنظر إليهم ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا تفل في عيني وأنا رمد قال : اللّهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد ، وأبصره صديقه من عدوّه ، فلم يصبني رمدٌ بعدها ، ولا حرٌّ ، ولا بردٌ ، وإنّي لأعرف صديقي من عدوّي .**

فقام رجل من الملاعين فسلّم ثمّ قال : والله ـ يا أمير المؤمنين ـ إنّي لأُدين الله بولايتك ، وإنّي لأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية .

فقال له عليّ : **كذبت ، فوالله لا أعرف اسمك في الأسماء ، ولا وجهك في الوجوه ، وإنّ طينتك من غير تلك الطينة** ، فجلس الرجل وقد فضحه الله ، وظهر عليه .

ثمّ قام آخر فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأُدين الله بولايتك ، إنّي لأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية .

فقال له : **صدقت ، طينتك من تلك الطينة ، وعلى ولايتنا أُخذ ميثاقك ، وإنّ روحك من أرواح المؤمنين ، فأعدّ للفقر جلباباً » .**

---

(١) من بحار الأنوار .

(٢) التمحيص : ٣٩ ، الحديث ٣٨ . بحار الأنوار : ٦٨/٢٠٠ ، الحديث ٦ .

. . . .

ملازمة الفقر للشيعة:

فوالذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الفقر لشيعتنا أسرع من السيل من أعلى الوادي إلى أسفله»[١]، انتهى.

وروى فرات بن أحنف، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه رجل من هؤلاء الملاعين فقال: والله لأسوءنه في شيعته، فقال: يا أبا عبدالله، أقبل إليَّ، فلم يقبل، فأعادها فلم يقبل عليه، ثمّ أعاد الثالثة، فقال: **ها أنا مقبل فقل، ولن تقل خيراً**، فقال: إنّ شيعتك يشربون النبيذ.

فقال: **لا بأس بالنبيذ، أخبرني أبي، عن جابر بن عبدالله أنّ أصحاب رسول الله يشربون النبيذ.**

فقال: ليس أعنيك النبيذ، وإنّما أعنيك المسكر.

فقال: **إنّ شيعتنا أزكى وأطهر من أن تجري للشيطان في أمعائهم رسيس**[٢]**المسكر، فإن فعل ذلك المخذول فيهم فيجد ربّاً رؤوفاً، ونبيّاً بالاستغفار له عطوفاً، ووليّاً عند الحوض ولوفاً.**

ثمّ قال الصادق عليه السلام: **أخبرني أبي، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، عن جبرئيل، عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: يا محمّد، إنّي حرّمت الجنّة على جميع النبيّين حتّى تدخلها أنت وعليّ وشيعتكما، إلّا من اقترف**

---

(١) بصائر الدرجات: ٤١٠، الحديث ١. الاختصاص: ٣١٠. أمالي الطوسي: ٤١٠، الحديث ٦٩.

(٢) الرسيس: أوّل مسّ الحمّى.

. . . .

منهم كبيرة ، فإنّي أبلوه في ماله ، أو بخوف من سلطانه ، حتّى ألقاه بالروح والريحان وأنا عليه غير غضبان ، فيكون ذلك جزاء لما كان منه ، فهل عند أصحاب هؤلاء شيء من هذا ، فلم أروع »(١).

وفي كتاب مكارم الأخلاق : عن أبي الحسن عليّ بن موسى عليه السلام ، قال : « **رفع القلم عن شيعتنا** ، فقلت : يا سيّدي ، كيف ذلك ؟

قال : **لأنّهم أخذ عليهم العهد بالتقيّة في دولة الباطل يأمن النّاس ويخافون ، ويكفرون فينا ولا نكفر فيهم ، ويقتلون بنا ولا نقتل بهم ، ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنباً عمداً أو خطأً إلّا أناله في ذلك غمّ يمحّص عنه ذنوبه ، ولو أنّه أتى بذنوب بعدد القطر والمطر وبعدد الحصى والرمل وبعدد الشوك والشجر فإن لم ينله في نفسه ففي أهله وماله ، فإن لم ينله في أمر دنياه ما يغتمّ له تخيّل إليه في منامه ما يغتمّ به ، فيكون ذلك تمحيصاً لذنوبه** »(٢).

وروى الكشّي في مختاره ، عن عمرو بن إلياس ، أنّه قال : « انطلقت مع أبي إلياس إلى أبي بكر الحضرمي وقد حضرته الوفاة ، فالتفت إليّ وقال : أي عمرو ، ما هذا الوقت وقت كذب ، اعلم أنّي أشهد على الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال : **لا تمسّ النّار من مات وهو يقول بهذا الأمر** »(٣).

وفي رواية أخرى : « إنّه قال : **أشهد على جعفر بن محمّد أنّه قال : لا يدخل النّار**

---

(١) كتاب التمحيص : ٣٩ ، الحديث ٤٠ . بحارالأنوار : ١٤٥/٦٨ ، الحديث ٩٢ و : ١٥٣/٧٩ ، الحديث ٦٦ .

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢٦١/١ ، الحديث ٨ . بحار الأنوار : ١٩٩/٦٨ ، الحديث ٢ .

(٣) رجال الكشّي : ٣٥٥ . بحار الأنوار : ١١٤/٦٨ ، الحديث ٣١ .

. . . .

منكم أحد »[١].

وعن صفوان الجمّال أنّه قال: « دخلت على الصادق عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، سمعتك تقول: شيعتنا في الجنّة، وفي الشيعة أقوام يذنبون، ويرتكبون الفواحش، ويأكلون أموال الناس، ويشربون الخمر، ويتمتّعون في دنياهم.

فقال: نعم، هم أهل الجنّة، إنّ الرجل من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلى بسقم، أو بفقر، أو بدين، أو بجار يؤذيه، أو بزوجة سوء، فإن عوفي من ذلك شدّد الله عليه النزع حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه.

فقلت: لا بدّ من ردّ المظالم؟

فقال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ جعل حساب خلقه يوم القيامة إلى محمّد وعليّ، فكلّ ما كان من شيعتنا حسبناه من الخمس في أموالهم، وكلّما كان بينهم وبين خالقهم استوهبناه لهم، حتّى لا يدخل أحد من شيعتنا النّار »[٢].

وفي الكنز: عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: « إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا، فهو لهم، وما كان للآدميّين سألنا الله أن يعوّضهم بدله فهو لهم، ثمّ قرأ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[٣] »[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ١١٤/٦٨، الحديث ٣٢.

(٢) عوالي اللآلي: ٣٤٥/١، الحديث ١٢٣. كتاب الأربعين / الماحوزي: ١٠٦.

(٣) الغاشية ٨٨: ٢٥ و ٢٦.

(٤) كنز الفوائد: ٣٨٣. تأويل الآيات: ٧٨٨/٢، الحديث ٤. أمالي الطوسي: ٤٠٦، ⇐

. . . .

وبهذا الإسناد أيضاً إلى عبدالله بن حمّاد، عن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام عن هذه الآية، قال: «**إذا كان يوم القيامة وكّلنا بحساب شيعتنا، فما كان لله سألناه أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لمخالفهم فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم**»، ثمّ قال: «**هم معنا حيث كنّا**»(١).

وروي أنّه سئل من الصادق عليه السلام عن هذه الآية، قال: «**إذا حشر الله النّاس في صعيد واحد أجلّ الله أشياعنا أن يناقشهم في الحساب فنقول: إلٰهنا هؤلاء شيعتنا، فيقول الله تعالى: قد جعلت أمرهم إليكم، وشفّعتكم فيهم، وغفرت لمسيئهم، أدخلوهم الجنّة بغير حساب**»(٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المتواترة الواردة بهذا المضمون، بل يكفي في ثبوته ما ورد في الزيارة الجامعة لمولانا الهادي عليه السلام قوله: «**وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم**»(٣).

الجواب عن بعض الإشكالات المتوهّمة:

وقد تقدّم عند شرح الذنوب التي تقطع الرجاء ما له مدخليّة ومناسبة تامّة

⇐ الحديث ٥٩. مناقب ابن شهرآشوب: ٥/٢. بحار الأنوار: ٢٦٤/٧، الحديث ١٩ و: ٥٠/٨، الحديث ٥٤ و: ٢٦٧/٢٤، الحديث ٢٢.

(١) تأويل الآيات: ٧٨٨/٢، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٥٠/٨، الحديث ٥٥، و: ٢٦٧/٢٤، الحديث ٢٣.

(٢) تأويل الآيات: ٧٨٨/٢، الحديث ٦.

(٣) المزار الكبير: ٥٢٧، المحتضر: ١٢١.

. . . .

بالمقام، ورفع بعض الإشكالات، ونزيدك بياناً هنا بأنّه إذا قيل: إنّ في القتل والسرقة حقّ الله وحقّ النّاس، وفي الغيبة حقّ النّاس وحده، وعليه فيشكل مضمون الأحاديث المذكورة بالنسبة إلى من قتل شخصاً لا مال له أصلاً، أوكان ولم يبلغ حدّاً يجب عليه الخمس فيه، أو بلغ وكان مؤدّياً لخمسه، وكذلك يشكل الأمر فيمن سرق مالاً ممّن لم يبلغ ماله نصاب الخمس، أو بلغ وكان مؤدّياً، أو استغاب من لا مال له أصلاً، مضافاً إلى أنّ القتل والغيبة ليس تصرّف في المال، فلا وجه لمحاسبتهما من الخمس.

والجواب: أن لا بدّ لمادّة النقض من التحقّق في الخارج، ولا نسلّم تحقّق القتل والسرقة والغيبة بالنسبة إلى من فرض.

وأمّا احتمال كونه مؤدّياً فلا يتمشّى بالنسبة إلى المخالفين لعدم إعطائهم الخمس، وعدم صرفهم له في موارده.

وأمّا بالنسبة إلى الشيعي وإن كان جارياً هذا الاحتمال، ولا مانع منه، ولكن يمكن دعوى إثبات حقّ للأئمّة عليهم السلام في أن يستوهبوا من بعض شيعتهم ما له من حقّ على البعض الآخر، ولا يحتاج إلى معاوضة.

وأمّا استبعاد محاسبة القتل والغيبة من مال الخمس فهو مبنيّ على توهّم أنّ في المحاسبة يشترط المعاوضة بالمثل، وهو توهّم صرف لا وجه له لإمكان أن يكون الأمر على غير ذلك، بأن يقول الإمام عليه السلام للمقتول أو المغتاب: أبرئ ذمّة القاتل أو المستغيب حتّى نبرئ ذمّتك من الخمس الذي لنا عليك.

وبديهي أنّ في مثل ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون لو توقّف دخول الجنّة لأحد أو تخفيف العذاب عنه على إبراء ذمّته ممّا عليه من الخمس، وانحصر

. . . .

إبراء ذمّته من ذلك على أن يبرئ هو ذمّة قاتله أو مستغيبه ، فلا يتوقّف من ذلك بالقطع واليقين ، ولا يمتنع عنه ألبتّة .

مضافاً إلى ما هو المسلّم من الاحتياج إلى المعاوضة من مال الخمس ، إنّما يحتاج إليه حيث قد وصل مضمون الغيبة إلى المغتاب ، وإلّا فمجرّد الندامة والعزم على عدم إتيان بمثله فيما يأتي كافٍ في إصلاح حاله .

وبالجملة : فعدم دخول المؤمن الاثني عشري في النّار ببركة نبيّنا سيّد الأبرار ، وأوصيائه الأئمّة الأطهار ، عليهم صلوات الله الملك الجبّار ، غير بعيد جدّاً ، بل هو الواقع إن شاء تبرّكاً لا تعليقاً .

وكيف تستبعد ذلك وقد نقل القاضي المير حسين الميبدي الشافعي في شرح ديوان أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيخ علاء الدولة في كتاب العروة أنّه قال : جميع الفرق الإسلاميّة أهل النجاة ، والمراد من الفرقة الواحدة التي خصّت بها في الحديث المشهور هي الناجية بلا شفاعة .

فإن قيل : إنّ مضمون هذه الروايات على فرض تحقّق الصدور موجب لاعتماد المؤمنين على مجرّد الاعتقاد بالوحدانيّة والرسالة والإمامة ، ويلزم من ذلك تعطيل جملة الأحكام .

قلنا : أوّلاً : إنّما يحصل الاطمئنان والاعتماد حيث لا يكون زاجر آخر ، وليس الأمر كذلك ؛ إذ يكفي في الزجر والردع وعدم الاعتماد ما تضمّنته تلك الأخبار من ابتلاء العاصي بالأمراض والأسقام ، ونحو ذلك من الشدائد ونوائب الأيّام .

وثانياً : إنّ الإخبار بالنجاة بمجرّد الاعتقاد بالإيمان ، وإن وقع في جملة هذه الأخبار البشارة بها ، لكن قد وقع في جملة أُخرى التخويف من زوال الإيمان بسبب

. . . .

بعض المعاصي ، كما لا يخفى على الخبير المتتبّع .

ولعلّه قد سبق منّا الإشارة إلى بعضها في تضاعيف شروحاتنا السابقة .

وثالثاً : إنّ درجات المؤمنين تتفاوت ، ومن البديهي أنّ الدرجات العالية غير ميسّرة مع ارتكاب المعاصي ، والعاقل ينزجر عنها بمجرّد تصوّر محروميّة الفوز بتلك الدرجات العالية الرفيعة .

ورابعاً : إنّ شمول العفو والشفاعة لا يدفع الخجل والانحجاب ، كما هو مصرّح به في بعض الأخبار أيضاً ، ولنعم ما قال العارف الخواجه حافظ الشيرازي :

والله گناه مكن بر اميد بخشش دوست　　　كه گر گناه ببخشند شرمسارى هست

وقال آخر :

گرفتم آنكه بهشتم دهند بى‌طاعت　　　قبول كردن ورفتن نه شرط انصافست

وبالجملة : لا ينبغي السكوت عن الواقع وحرمان العاقل لأجل ملاحظة الجاهل ، بل ينبغي القول ، والإخبار بما ورد ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** ﴾[1] .

ومن المعلوم أنّ الذي يتّبع سبيل الشيطان ، ويضلّ من هذا البيان كان من أصله ضالّاً ، بحيث لولا هذا البيان لاستضلّ بشيء آخر وبسبب مستقلّ ، فإنّ مثل هذا الدين كمثل المرآة يرى فيها صور الأشياء كما هي عليها ، فإن قيل : ليس الغرض الأصلي من الأخبار المذكورة تقرير العباد على تلك العقائد ، بل المقصود من ذلك

---

(١) البقرة ٢ : ٢٦ .

. . . .

مجرّد ترغيبهم على تحصيل الإيمان ، ولذا لم يذكر من تلك الأخبار في شيء من الكتب الموضوعة للعقائد كسائر الزبر الكلاميّة التي صنّفها الإماميّة .

قلنا : لا وجه لاحتمال مجرّد الترغيب ؛ إذ لو كان الغرض من ذلك ذلك فلا بدّ من إظهاره للعباد ، وبعد الإظهار فإن صرّح بخلافه انتقض الغرض ، وإن لم يصرّح بخلافه صار من العقائد اللازمة .

وأمّا إنكار وجودها في كتب العقائد فممنوع ، كيف وقد صرّح الصدوق رحمه الله في عقائده بذلك . قال رحمه الله : « وأمّا الذنب فلا يسأل عنه إلّا من يحاسب . قال الله تعالى : ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ** ﴾[(١)] يعني من شيعة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام دون غيرهم .

كما ورد في التفسير : « وكلّ محاسب معذّب ولو بطول الوقوف »[(٢)] ، انتهى .

وقال المحقّق الطوسي رحمه الله ، والعلّامة في شرحه : « اتّفق النّاس على أنّ المؤمن الذي عمل عملاً صالحاً يدخل الجنّة خالداً فيها ، وأمّا الذي يخلط عملاً صالحاً بغير صالح فاختلفوا فيه ، فقالت التفضيليّة من أهل السنّة أنّه لا يجب تعذيبهم ، بل قد يغفر الله تعالى عنهم أو يشفع النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم لقوله صلى الله عليه وآله : « **ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر**[(٣)] »[(٤)] ، انتهى .

وقال الصادق عليه السلام : « **والله لنشفعنّ يوم القيامة في عصاة شيعتنا حتّى يقول غيرهم**

---

(١) الرحمن ٥٥ : ٣٩.

(٢) عنه في بحار الأنوار : ٢٥١/٧ ، الحديث ٩. الاعتقادات / الشيخ المفيد : ٧٤.

(٣) الكافي / الحلبي : ٤٦٩. جامع المقاصد : ٦٥/١٢. مجمع البيان : ٢٠١/١.

(٤) انظر : الاقتصاد : ١٢٧. تجريد الاعتقاد : ٣٠٥.

وَمَا كَانَتْ لِأَحَدٍ فِيهَا مَقَرّاً وَلَا مُقَاماً

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[1] »[2].

وقد استدلّ بعض المتأخّرين من الإماميّة على ما ذكرناه بهذا الخبر.

والنبويّ المزبور وإن لم يتعرّض لتفصيل الأخبار المذكورة فلعلّه اكتفاء منه بمجرّد ذكر مسألة جواز العفو والشفاعة.

اللّهمّ منّ علينا بشفاعة محمّد سيّد الأبرار، وأهل بيته الأئمّة الأطهار، بحقّك عليهم، وبحقّهم عليك.

قال عليه‌السلام: **لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَا كَانَتْ**[3] **لِأَحَدٍ فِيهَا مَقَرّاً وَلَا مُقَاماً**: البرد خلاف الحرّ، وأبردنا دخلنا في البرد، مثل أصبحنا إذا دخلنا في الصباح، وسلام ـ بفتح السين ـ: شجر، ومقرّ: اسم مكان، من قرّ الشيء قرّاً، من باب ضرب: استقرّ بالمكان، والاسم القرار. ومقام: قام يقوم قوماً وقياماً: انتصب، واسم الموضع المقام بفتح الميم، والقَوْمَة المرّة، وأقَمْته إقامة، واسم الموضع: المُقام ـ بالضمّ ـ.

قد عثرت على سؤال وجواب في جامع الشتات للمحقّق القمّي رحمه‌الله؛ أمّا صورة السؤال فهو أنّه قد يتراءى أنّ كلمة فيها في قوله عليه‌السلام في دعاء كميل: « وماكانت لأحد فيها مقرّاً ولا مقاماً » لغو، بل مفسد للكلام، وإنّما يصحّ كلمة فيها على قراءة الرفع في الكلمتين: المقرّ والمقام، وتذكير لفظ كان.

---

(١) الشعراء ٢٦: ١٠٠ و ١٠١.

(٢) عوالي اللآلي: ٨١/٤، الحديث ٨٤.

(٣) في بعض نسخ الدعاء: «كانَ».

. . . .

ثمّ أجاب بما حاصله : أنّ الذي يرفع الإشكال وجوه : منها : أنّه على ما يوجد في بعض النسخ من ضمّ الميم في الكلمتين فواضح ، لأنهما حينئذٍ اسما مفعول لا اسما مكان ولا مصدران ميميّان ، سيّما مع عدم جواز حمل المصدر الميمي على الذات ، كما صرّح به بعضهم ، وإظهار الصلة في المفعول جائز ، فيقال : هذه الدار مدخل فيها أو مخرج منها ، ويمكن تصحيحه على فتح الميم أيضاً حينئذٍ بأن يجعل الكلمتين مصدرين ميميّين بمعنى المفعول إذ الذي لا يجوز حمله على الذات على فرض تسليمه هو إذا بقي على حقيقته ، فتأمّل فيه .

ثمّ قال ﷺ : « ويمكن تصحيحه أيضاً بجعل كلمة فيها ظرفاً مستقرّاً لأحد ، يعني لولا الحكم بتعذيب الجاحدين ، وخلود المعاندين ، لما كانت النار مقرّاً لأحد كائن فيها ، ولا مقاماً ، يعني لأحد كان فيها ، أو يكون فيها ، أو كائن فيها يعني قضى له بها ، أو سيدخلها ، أو هو مستحقّ لها .

قال ﷺ : « وتوضيحه أن يجعل كلمة المعطوفة فرعاً للجملة المعطوف عليها ، يعني ما كانت النّار مقرّاً ولا مقاماً لأحد من أهل النّار المستحقّين لها حين جعلتها كلّها برداً وسلاماً ؛ لأنّه لا يبقى حينئذٍ نار حتّى تصير مقرّاً ومقاماً مع أنّه وجب عليهم العذاب ، فلا بدّ لهم من محلّ آخر ، وحينئذٍ يوجّه التقييد بكلمة فيها أنّ بعد جعلها برداً وسلاماً لا مانع أن تصير مقرّاً ومقاماً لغير المستحقّين ، فالمستحقّون المقضيّون عليهم بالنّار هم الذين لا يكون النّار بعد جعلها برداً وسلاماً مقرّاً لهم لا غيرهم .

ثمّ قال ﷺ : ويمكن تصحيحه أيضاً مع جعل الظرف لغواً متعلّقاً بالكلمتين أيضاً بإعمال لطف قريحة وإعماق دقيق رويّة ، فإنّه يستفاد من التأكيد بكلمة كلّ في قوله عليه السلام : « لجعلت النّار كلّها برداً وسلاماً » أنّ بعض النّار يصير برداً وسلاماً على

. . . .

غير هذا التقدير، كما وردت الأخبار المستفيضة في صيرورة النّار برداً وسلاماً على المؤمنين، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[١] أيضاً، كما هي كذلك للملائكة وخزنة جهنّم، فاستفيد من ذلك التأكيد أنّ النّار قبل هذا الجعل متّصف بجعل بعضها برداً وسلاماً، فالنّار المشتمل على الحرّ وعلى البرد والسلام غير النّار الحارّ، فيحصل في الكلام نوع استخدام، فلفظ النّار في الفقرات السابقة كلّها بمعناها الحقيقي، وفي قوله عليه السلام: «لجعلت النّار كلّها» هو ما يدخل فيه النّار الحقيقي، وما جعل منها برداً وسلاماً، وفي قوله عليه السلام: «وما كانت» أيضاً يراد بها النّار الحقيقي، فيصير المعنى ما كانت الحقيقي مقرّاً ومقاماً لأحد من النّاس في النّار التي هي اسم لموضع مشتمل للنّار الحقيقيّة والنار المبدل بالبرد والسلام.

قال رحمه الله: وإن شئت قلت: المراد بالنّار الأُولى هي النّار الحقيقيّة أيضاً، لكن مع قابليّة تبدّل كلّها بالبرد والسلام، وكونها ذات جهتين من جهة بقائها على حقيقتها وخاصّيّتها الذاتيّة، كما هو للكفّار، ومن جهة تبدّلها بالبرد والسلام كما هو للمؤمنين، والمراد بضمير كانت النّار الحقيقيّة مع اتّصافها ببقائها على ما هي عليه من الحقيقة والخاصّيّة فيكون التأكيد بلفظ الكلّ تأكيداً لأحوال النّار لا لأجزائها بخلاف الاحتمال المتقدّم، فإنّه كان فيه تأكيداً للأجزاء.

لا يقال: فعلى هذا لا يحتاج إلى إخراج كلمة النّار في قوله: «لجعلت النّار» عن معناها الحقيقي.

لأنّا نقول: يستفاد من التأكيد حينئذٍ أنّ اعتبار القابليّتين معتبر في كلمة النّار ليقبل

---

(١) مريم ١٩: ٧١.

لـكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ،

الاتّصاف بالحقيقة الأصليّة والخاصّيّة الذاتيّة في بعض الأحوال دون بعض بالنسبة إلى بعض الأشخاص دون بعض.

ولا ريب أنّ النّار حقيقة في المهيّة المطلقة لا ما اعتبر فيه هذا الاعتبار، والتأكيد إنّما يصحّ مع اعتبار هذه الحيثيّة فيصير معنى مجازيّاً لكلمة النار حينئذٍ سلّمنا كونها حقيقة حينئذٍ أيضاً، لكنّ المغايرة التي هي مناط الاستخدام حاصل باعتبار الحيثيّتين، ولا مناص عن اعتبارهما، وحينئذٍ توجيه الظرفيّة أنّه لولا الحكم المذكور لجعلت النّار التي بعض أحوالها الحرارة والحرقة، وبعض أحوالها البرودة والسلامة، برداً وسلاماً في جميع حالاتها وأوقاتها، وماكان النّار مع اتّصافها بالحرارة والحرقة التي هي حاصلة في جملة حالات النّار بالاعتبار الأوّل مقرّاً ولا مقاماً لأحد.

قال ﷺ: ولا يخفى أنّ هذا الحال أيضاً مبنيّ على جعل الجملة المعطوفة متفرّعة على المعطوف عليها، وظنّي أنّ هذا الوجه أوجه الوجوه، بل هو متعيّن بينها، ولكن يحتاج إلى استقامة طبع، وتدقيق في النظر»[١]، انتهى كلامه رفع مقامه.

لـكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ: تقدّست، أي طهرت، وتنزّهت عمّا لا يليق بذاتك المقدّسة.

أقسمت: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ**

---

(١) جامع الشتات: ٧٤٧/٢ و ٧٤٨.

. . . .

وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

الكلام في حقيقة وجود الجنّ:

ثمّ إنّ هذه الفقرة من كلامه عليه السلام صريحة في حقّيّة وجود الجنّ، وحدّه الشيخ أبو عليّ بن سينا بأنّه حيوان هوائي يتشكّل بأشكال مختلفة، ثمّ قال: وهذا شرح الاسم، أي بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجيّة، سواء كان معدوماً في الخارج أو موجوداً، فإنّ التعريف الاسمي لا يكون إلّا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي، فإنّه عبارة عن تصوّر ما له حقيقة خارجيّة في الذهن، وجمهور أرباب الملل المصدّقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة أيضاً»[2]، انتهى.

وقال السيّد مير محمّدباقر الداماد في كتاب القبسات: «والحقّ ما ذهب إليه حكماء الإسلام أنّ الجنّ ليست أجساماً ولا جسمانيّة، بل هي موجودات مجرّدة مخالفة بالماهيّة للنفوس البشريّة متعلّقة بأجساد ناريّة وهوائيّة قادرة على التصرّف في هذا العالم»[3]، انتهى كلامه.

احتجاج المنكرين له:

أقول: احتجّ المنكرون لوجود الجنّ والشياطين بوجوه:

---

(١) ص ٣٨: ٨٤ و ٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٣/٢٤٠.

(٣) القبسات: ٤٠٣.

. . . .

الأوّل: أنّ الشياطين لو كانت موجودة لكانت إمّا جسماً لطيفاً، أو كثيفاً، والقسمان باطلان، فبطل القول بوجوده.

أمّا بطلان الأوّل، فلأنّه لو كان كذلك لجاز أن يتمزّق ويتفرّق عند هبوب الرياح العاصفة القويّة.

وأيضاً يلزم أن لا يكون لها قدرة وقوّة على الأعمال الشاقّة، ومثبتو الجنّ ينسبون إليها الأعمال الشاقّة.

وأمّا بطلان الثاني، فلأنّه لو كان كذلك لوجب أن يراه كلّ من كان سليم الحسّ؛ إذ لو جاز أن يكون بحضرتنا أجساماً كثيفة ونحن لا نراها لجاز أن تكون بحضرتنا جبال عالية، وشموس مضيئة، ورعود وبروق، مع أنّا لا نشاهد شيئاً منها، ومن جوّز ذلك كان خارجاً عن العقل، ولمّا بطل القسمان ثبت فساد القول بالجنّ.

الثاني: أنّ هذه الأشخاص المسمّاة بالجنّ إن كانوا حاضرين في هذا العالم ومخالفين للبشر، فالظاهر الغالب أنّه يحصل لهم طول المخالطة والمصاحبة، إمّا صداقة وإمّا عداوة، فإن حصلت الصداقة وجب ظهور المنافع بسبب تلك الصداقة، وإن حصلت العداوة وجب ظهور المضارّ بسبب تلك العداوة، إلّا أنّا نرى أثراً من تلك الصداقة، ولا من تلك العداوة، وهؤلاء الذين يمارسون صنعة التعظيم إذا تابوا من الأكاذيب يعترفون بأنّهم قطّ ما شاهدوا أثراً من هذه الجنّ، وذلك ممّا يغلب على الظنّ عدم هذه الأشياء.

ونقل عن بعض أنّه بعد أن تاب عن هذه الصنعة قال: إنّي واظبت على العزيمة الفلانيّة كذا مدّة من الأيّام، وما تركت دقيقة من الدقائق إلّا أتيت بها، ثمّ إنّي ما شاهدت من تلك الأحوال المذكورة أثراً ولا خبراً.

. . . .

الثالث: إنّ الطريق إلى معرفة هذه إمّا الحسن ، وإمّا الخبر بالدليل ، أمّا الحسن فلا يدلّ دليل على وجود هذه الأشياء ، فإنّا إذا كنّا لا نرى صورة ولا سمعنا حسّاً فكيف يمكننا أن ندّعي الإحساس بها ؟ والذين يقولون أبصرناها وسمعنا أصواتها فهما طائفتان : المجانين الذين يتخيّلون بسبب خلل أمزجتهم فيظنون أنّهم رأوها ، والكاذبون المتحرّفون ، وأمّا إثبات هذه الأشياء بواسطة خبر الأنبياء والرسل عليهم السلام فباطل ، لأنّ هذه الأشياء لو ثبتت لبطلت النبوّة ، فإنّ على تقدير ثبوتها يجوز أن يقال : كلّ ما أتى به الأنبياء من المعجزات إنّما حصل بإعانة الجنّ والشياطين ، وكلّ فرع أدّى إلى إبطال الأصل كان باطلاً ، مثاله : إذا جوّزنا نفوذ الجنّ في بواطن الإنس فلِمَ لا يجوز أن يقال : إنّ حنين الجذع إنّما كان لأجل أنّ الشيطان نفذ في ذلك الجذع ، ثمّ أظهر الحنين ؟ ولِمَ لا يجوز : أنّ الناقة إنّما تكلّمت مع رسول الله لأجل دخول الشيطان في باطنها ؟ ولِمَ لا يجوز : أنّ الشجرة إنّما انقلعت من أصلها لأنّ الشيطان قلعها ؟ فثبت أنّ القول بإثبات الجنّ والشياطين يوجب القول ببطلان نبوّة الأنبياء عليهم السلام .

والجواب عن الأوّل : بأنّ الشبهة التي ذكرتم إنّما تثبت منع كون الجنّ جسماً ، فلم لا يجوز أن يقال : هو جوهر مجرّد عن الجسميّة ، كما عرفت التصريح به في كلام المحقّق الداماد رحمه الله ؟

وعن الثاني بأنّه لا يجب حصول شيء من تلك الصداقة والعداوة مع كلّ أحد ، وكلّ أحد لا يعرف إلّا حال نفسه ، وأمّا حال غيره فإنّه لا يعلمها ، فبقي الأمر في حيز الاحتمال . مضافاً إلى ما يظهر من بعض الأخبار المعتبرة من ثبوت العداوة لهم مع بعض النّاس .

. . . .

ما يوجب الأمن من الجنّ:

كما رواه المجلسي طاب ثراه في مشكاة الأنوار: بسند معتبر عن الهادي عليه السلام، قال: قال أشجع السلمي للصادق عليه السلام: إنّي رجل كثير السفر، فأقع في البراري المخوفة، وأُريد أن تعلّمني ما يوجب أمنيتي.

فقال عليه السلام: **إذا غلب عليك الخوف فضع يدك اليمنى فوق رأسك، واقرأ هذه الآية** بصوت رفيع: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾[1] قال أشجع: لمّا سافرت وصلت إلى وادٍ كان يقولون فيه جنّ كثير، فإذا أنا بصوت شخص يقول: اقبضوا عليه، فقرأت الآية، فقال آخر: كيف نقبضه وقد استجار بالآية الطيّبة»[2].

قصّة عجيبة:

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب روضات الجنّات في ترجمة الفاضل الصمداني مولانا محمّد بن عبدالفتّاح، الذي هو من مشايخ إجازة جمع من علمائنا المتأخّرين؛ مثل: جدّي بحر العلوم، وقدوة المحقّقين الميرزا صاحب القوانين، وفيه من الكرامة ما لا يخفى لصاحب الترجمة: وهي أنّه رحمه الله خرج في بعض زمن عمره الرقراق إلى زيارة أئمّة العراق عليهم السلام، فجعل يرى واحداً يمشي أمام راحلته متى ما ركب، ويغيب عن النظر في المنزل، فسأل يوماً بعض أهل القافلة عن حال ذلك

---

(١) آل عمران ٣: ٨٣.

(٢) هو في بحار الأنوار: ٤٧/٣١٠، الحديث ١.

. . . .

الرجل ، فقيل له : إنّه كلّما يأتي المنزل يأخذ منّا شيئاً من الطعام ، ثمّ لا نبصره إلى أوان الرحيل ، فازداد جناب الآخوند بذلك تعجّباً ، وانتظر زمن التحويل في اللـيلة الآتية ، فلمّا جاء الوقت رآه قد حضر ، وجعل يمشي بين يديه على سياقه السابق ، فأخذ جنابه في هذه المرّة النظر في أطراف الرجل ، وتأمّل في كيفيّة مسيره ، فظهر أنّه يمشي على الهواء ، ولا يمسّ برجليه الأرض ، فأوجس في نفسه خيفة من عظم ما رآه . ثمّ طلب الرجل وسأله عن حقيقة أمره ، فقال : أنا رجل من الجنّ ، وكنت قد عاهدت الله تعالى لئن نجّاني الله من كربة عظيمة كانت قد نزلت بي أخرج ماشياً إلى زيارة مولانا الحسين عليه السلام في موكب واحد من علماء الشيعة ، فلمّا سمعت بخروجك إلى هذه الزيارة اغتنمت الفرصة وألحقت نفسي بخدمتك وصحبتك كما ترى .

فسأله المولى عن واقعة ذلك الطعام الذي كان يأخذه من القافلة حين وروده على المنازل مع أنّه ليس يأكله كصنع مشاكله ، فقال : أنا آخذه وأبذله لفقراء القافلة .

فقال : وأيّ شيء يكون طعامكم معاشر الجنّ ؟ قال : متى نـجد وجـهاً مـليحاً ، وجسداً صبيحاً ، من بني آدم نضمّه إلى صدورنا ، ونشـمّه مـن غـاية حـبورنا [١] ، ونتقوّى بذلك كما يتقوّى الآدميّون بطعامهم وشرابهم ، فما ترون في أحدٍ من اُولئك اختلالاً في الدماغ والعقل ، ووحشة في الصدر ، فهو من أثر ذلك المسّ .

علاج المختلّ من الجنّي :

وعلاج ذلك أن يؤخذ لصاحب هذه العلّة شـيء مـن مـاء السـداب ، وإن كـان

---

(١) **الحبور** : السرور .

. . . .

ممزوجاً بالخلّ فهو أحسن ، ويقطّر قطرة منه في أحد منخريه ، فإنّه يقتل ذلك الجنّي الذي قد أصابه ، وبرأ هو بإذن الله ، قال : فمضى من ذلك زمان .

ثمّ إنّه اتّفق أنّا وردنا في بعض المنازل على رجل من أرباب المنزلة والشأن كان يقوم بحقّ إكرامنا ، وحسن الخدمة لنا ولأقوامنا ، فجاء صاحبنا الجنّي إليَّ وسألني أن آمر صاحب المنزل بأن يذبح ديكاً لضيافتنا أبيضاً كان له في داخل الدار ، فسألناه أن يفعل . فلمّا فعل لم نلبث هنيئة حتّى أن ارتفع البكاء والضجيج والواعية الشديدة من أهل بيت الرجل ، وجاء هو إلينا حزيناً مكروباً ، وقال : إنّا لمّا ذبحنا الديكة المذكورة عرض على بعض فتياننا شبه الجنون ، فسقطت مغشيّاً عليها على الأرض ، ونحن الآن حائرون في أمر المرأة ومعالجة دائها .

قال : فقلت للرجل : لا تعجل ، ولا توجل ، فإنّ دواء بنتك المصروعة عندنا .

ثمّ قلت : ائتوني بقليل من السداب فمزجته بالماء ، وقطرت منه قطرات في أحد منخريها ، فقامت من ساعتها صحيحة سالمة ، وسمعت واحداً هناك لا يرى شخصه يئنّ ويقول : اوّه لقد قتلت نفسي بكلمة خرجت من لساني ، وسرّ قد أذعته عند رجل من بني آدم ، ثمّ إنّي لم أرَ بعد ذلك ذلك الرجل الذي كان يمشي دائماً أمام القافلة ، فعلمت أنّه الذي كان قد أصاب الجارية فقتل بماء السداب .

وهذه الحكاية من عجب العجاب ، والعهدة على ناقلها ، وفي الحديث أنّ السداب يزيد في العقل ، هو بمهملتين بعدهما ألف ، ثمّ باء مفردة نبت معروف .

قال في المجمع : « ولم نجده في كثير من كتب اللغة »[١] .

---

(١) مجمع البحرين : ٢/٣٥١.

. . . .

معاهدة بحر العلوم ﷺ مع طائفة الجنّ:

هذا، ولقد سمعت من غير واحد من ثقات أسلافي الكرام أنّ جدّنا بحر العلوم طاب ثراه أخذ عهداً من طائفة الجنّ على أن لا يتعرّضوا ذرّيّته إلى سبعة أظهر أو سبعين ظهراً، والترديد منهم.

ومن ذلك أيضاً ما تظاهر به الخبر ورواه العامّة والخاصّة، كما صرّح بذلك شيخنا المفيد ﷺ في الإرشاد من بعث رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ إلى واد الجنّ، وقد أخبره جبرئيل ﷺ أنّ طوائف منهم قد اجتمعوا لكيده، فأغنى عن رسول الله وكفى الله المؤمنين به كيدهم، ودفعهم عن المسلمين بقوّته التي بان بها عن جماعتهم[١]، وسيأتي ما يؤيّد ذلك.

وعن الثالث بأنّا لا نسلّم أنّ القول بوجود الجنّ والملائكة يوجب الطعن في نبوّة الأنبياء ﷺ، كما لا يخفى على من تدبّر.

في الآيات والأخبار الدالّة على ثبوت الجنّ:

فمن تديّن بدين الإسلام تيقّن بوجود الجنّ والشيطان للآيات والأخبار الواردة في هذا المقام؛ كقوله تعالى في سورة الجنّ: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾[٢].

قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسي ﷺ: «وفي هذه الآية دلالة على أنّه ﷺ كان

---

(١) إرشاد المفيد: ١/٣٣٩. الخرائج والجرائح: ١/٢٠٣، الحديث ٤٧.

(٢) الجنّ ٧٢: ١ و ٢.

. . . .

مبعوثاً إلى الجنّ والإنس ، وعلى أنّ الجنّ عقلاء مخاطبون ، وبلغات العرب عارفون ، وعلى أنّهم يميّزون بين المعجز وغير المعجز ، وأنّهم دعوا قومهم إلى الإسلام ، وأخبروهم بإعجاز القرآن ، وأنّه كلام الله تعالى ؛ لأنّ كلام العباد لا يتعجّب منه .

وروى الواحدي : بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ ، وما رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأسقطت علينا الشهب ، قالوا : ما ذاك إلّا من شيء حدث ، فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبيّ ﷺ وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر ، فلمّا سمعوا القرآن استمعوا وقالوا : هذا الّذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم ، وقالوا : ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً** ﴾ ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه ﷺ : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ .

ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح »[١] ، انتهى .

حديث الثعبان :

وقد روى المفيد رحمه الله في إرشاده : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم يخطب على

---

(١) مجمع البيان : ١٠/١٤٤ . بحار الأنوار : ١٨/٧٩ .

. . . .

منبر الكوفة ، إذ ظهر ثعبان من جانب المنبر ، وجعل يرقى حتّى دنا من أمير المؤمنين عليه السلام ، فارتاع النّاس لذلك وهمّوا بقصده ودفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، فأومأ إليهم بالكفّ عنه ، فلمّا صار على المرقاة التي عليها أمير المؤمنين عليه السلام قائم انحنى إلى الثعبان وتطاول الثعبان إليه حتّى التقم أُذنه ، وسكت النّاس وتحيّروا لذلك ، فنقّ نقيقاً سمعه كثير منهم ، ثمّ إنّه زال عن مكانه ، وأمير المؤمنين يحرّك شفتيه والثعبان كالمصغي إليه ، ثمّ انساب وكأنّ الأرض ابتلعته ، وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى خطبته ، فتمّمها .

فلمّا فرغ منها ونزل اجتمع النّاس إليه يسألونه عن حال الثعبان والأُعجوبة فيه ، فقال لهم : **ليس ذلك كما ظننتم ، إنّما هو حاكم من حكّام الجنّ ، التبست عليه قضيّة ، فصار إليّ يستفهمني عنها ، فأفهمته إيّاها ، ودعا لي بخير وانصرف** »[١] .

ظهور إبليس في صورة نجديّ :

قال شيخنا المفيد رحمه الله : « وربّما استبعد جهّال من النّاس ظهور الجنّ في صور الحيوان الذي ليس بناطق ، وذلك معروف عند العرب قبل البعثة وبعدها ، وقد تناصرت به الأخبار من أهل الإسلام ، وليس ذلك بأبعد ممّا اجتمعت عليه أهل القبلة من ظهور إبليس لأهل دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد ، واجتماعه معهم في الرأي على المكر برسول الله صلى الله عليه وآله ، وظهوره يوم بدر للمشركين في صورة سراقة بن جعشم المدلجي »[٢] ، انتهى .

---

(١) إرشاد المفيد : ٣٤٨/١ .

(٢) إرشاد المفيد : ٣٤٩/١ .

. . . .

وقال في مجمع البحرين: «والجنّ الذين هم خلاف الإنس، الواحد منهم جنّي، سمّيت بذلك لأنها لا ترى. قيل: إنّ الجنّ أجسام هوائيّة قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام، وقدرة على الأعمال الشاقّة.

وحكى ابن الأعرابي إجماع المسلمين على أنّهم يأكلون ويشربون وينكحون، خلافاً للفلاسفة النافين لوجودهم، وليلة الجنّ: الليلة التي جاءت الجنّ رسول الله ﷺ وذهبوا به إلى قومهم ليتعلّموا منه الدين.

واختلف في ثوابهم:

فقال أبو حنيفة: ثوابهم السلامة من العذاب لقوله تعالى: ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1].

وقال مالك: لهم الكرامة بالجنّة لقوله تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[2].

واستدلّ البخاري على الثواب بقوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا**﴾[3]، وبقوله: ﴿**فَلَا يَخَافُ بَخْساً**﴾[4]، أي نقصاناً.

وفي الخبر: «**خلق الله الجنّ خمسة أصناف: صنف حيّات وعقارب، وصنف حشرات الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب**

---

(١) الأحقاف ٤٦: ٣١.

(٢) الرحمٰن ٥٥: ٤٦.

(٣) الأنعام ٦: ١٣٢.

(٤) الجنّ ٧٢: ١٣.

. . . .

والعقاب[1]»[2]، انتهى.

وقال خالنا العلّامة المجلسي ﷺ في شرح ما سيأتي من بعض الأخبار الدالّة على أنّ الجنّ تأتي الأئمّة عليهم السلام ويسألونهم عن معالم الدين ما لفظه: «ويدلّ على أنّ الجنّ يمكن للنّاس رؤيتهم حتّى لغير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وأنّهم أجسام لطيفة يتشكّلون بأشكال الإنس وغيرهم، إمّا بقدرة الله تعالى وإرادته، أو أقدرهم الله تعالى على ذلك، والآيات والأخبار دالّة على ذلك أوردتها في كتاب السماء والعالم.

والقول بنفيهم أو عدم جواز رؤيتهم خروج عن الدين، وهو مذهب الفلاسفة الملحدين، ومنهم من ينكر رؤيتهم إذا كانوا بصورهم الأصليّة، وهو أيضاً باطل»[3]، انتهى.

وبالجملة: فلا مجال لإنكار الجنّ، بل الظاهر من قوله عليه السلام في هذه الفقرة كما هو ظاهر جملة من الآيات القرآنيّة أنّ فيهم المؤمن والكافر، بل في جملة من الأخبار أنّهم يأتون أئمّتنا فيسألونهم عن معالم دينهم، ويتوجّهون في أُمورهم عليهم السلام.

وقد عقد لذلك شيخنا الكليني ﷺ باباً مستقلّاً في أُصول الكافي، ونحن نشير إلى تلك الأخبار هنا بحذف الإسناد:

ففي الكافي: عن سعد الإسكافي، قال: «أتيت جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته، فجعل يقول: **لا تعجل** حتى حميت الشمس عليَّ، وجعلت أتتبّع الأفياء، فما لبثت

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٣ و: ٢٢٤/٩٠.

(٢) مجمع البحرين: ٤١٥/١.

(٣) مرآة العقول: ٢٩٢/٤.

. . . .

أن خرج عَلَيَّ قوم كأنّهم الجراد الصفر، عليهم البتوت، قد أنهكتهم العبادة، قال: فوالله لأنساني ماكنت فيه من حسن هيئة القوم، فلمّا دخلت عليه قال لي: **أراني قد شققت عليك**، قلت: أجل، والله لقد أنساني ماكنت فيه قوم مرّوا بي لم أرَ قوماً أحسن هيئة منهم في زيّ رجلٍ واحد، كأنّ ألوانهم الجراد الصفر، قد انتهكتهم العبادة، فقال: **يا سعد، رأيتهم؟**

قلت: نعم.

قال: **أولئك إخوانك من الجنّ**.

قال: فقلت: يأتوك؟

فقال: **نعم، يأتونا يسألونا عن معالم دينهم، وحلالهم وحرامهم**»[1].

وفيه أيضاً: بإسناده عن ابن جبل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كنّا ببابه فخرج علينا قوم أشباه الزطّ[2] عليهم أُزر وأكسية، فسألنا أبا عبدالله عنهم، فقال: **هؤلاء إخوانكم من الجنّ**»[3].

وفيه أيضاً: بإسناده عن سعد الأسكاف، قال: «أتيت أبا جعفر عليه السلام أُريد الإذن عليه، فإذا رحال إبل على الباب مصفوفة، وإذا الأصوات قد ارتفعت، ثمّ خرج قوم متعمّمين بالعمائم يشبهون الزطّ، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت

---

(١) الكافي: ٣٩٤/١، الحديث ١. شرح أُصول الكافي: ٤١٣/٦.

(٢) الزطّ: جيل أسود من السند، تنسب إليهم الثياب الزطّيّة. وقيل: الزطّ: إعراب جَت بالهنديّة، وهم جيل من أهل الهند، والواحد زطّي مثل: الزنج والزنجي والروم والرومي. «لسان العرب: ٣٠٨/٧ ـ زطط ـ».

(٣) الكافي: ٣٩٤/١، الحديث ٢. شرح أُصول الكافي: ٤١٤/٦.

. . . .

فداك ، أبطأ إذنك علَيَّ اليوم ، ورأيت قوماً خرجوا علَيَّ متعمّمين بالعمائم ، فأنكرتهم ؟!

فقال : **وتدري من أُولئك ، يا سعد ؟**

قال : قلت : لا .

فقال : **أُولئك إخوانكم من الجنّ يأتونا فيسألونا عن حلالهم وحرامهم ، ومعالم دينهم »**[1].

وفيه أيضاً : بإسناده عن سدير الصيرفي ، قال : « أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة ، فخرجت ، فبينا أنا بين فجّ الرَّوحاء[2] على راحلتي إذا إنسان يلوي بثوبه[3] ، قال : فملت إليه وظننت أنّه عطشان ، فناولته الأداوة ، فقال لي : لا حاجة لي بها ، وناولني كتاباً طينه رطب .

قال : فلمّا نظرت إلى الخاتم إذا خاتم أبي جعفر عليه السلام ، فقلت : متى عهدك بصاحب الكتاب ؟

قال : الساعة ، وإذا في الكتاب أشياء يأمرني بها ، ثمّ التفتّ فإذا ليس عندي أحد .

قال : ثمّ قدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته ، فقلت : جعلت فداك ، رجل أتاني بكتابك وطينه رطب ؟

فقال : **يا سدير ، إنّ لنا خدماً من الجنّ ، فإذا أُردنا السرعة بعثناهم »** .

---

(١) الكافي : ١/٣٩٥ ، الحديث ٣. شرح أُصول الكافي : ٦/٤١٤.

(٢) **الفجّ** : الطريق الواسع . **والروحاء** : موضع بالحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

(٣) أي : يشير به .

. . . .

وفي رواية أُخرى قال: «**إنّ لنا أتباعاً من الجنّ، كما أنّ لنا أتباعاً من الإنس، فإذا أردنا أمراً بعثناهم**»[١].

وفيه أيضاً: بإسناده عن جحرش، قال: «حدّثتني حكيمة بنت موسى عليه السلام قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب، وهو يناجي ولست أرى أحداً.

فقلت: يا سيّدي، لمن تناجي؟

فقال: **هذا عامر الزهراني أتاني يسألني ويشكو إليَّ**.

فقلت: يا سيّدي، أُحبّ أن أسمع كلامه.

فقال لي: **إنّكِ إن سمعت به حممت سنة**.

فقلت: يا سيّدي: أُحبّ أن أسمعه.

فقال لي: **اسمعي**[٢]، فاستمعت فسمعت شبه الصفير وركبتني الحمّى، فحممت سنة»[٣].

وفيه أيضاً: بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**بينا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ أقبل ثعبان**[٤] **من ناحية باب من أبواب المسجد، فهمّ النّاس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفّوا، فكفّوا، وأقبل الثعبان ينساب**[٥] **حتّى انتهى إلى المنبر، فتطاول، فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام، فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه أن يقف**

---

(١) الكافي: ١/٣٩٥، الحديث ٤. شرح أُصول الكافي: ٦/٤١٥.

(٢) هكذا في الكافي. منه.

(٣) الكافي: ١/٣٩٥، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ٦/٤١٦.

(٤) **الثعبان**: ضرب من الحيّات طوال.

(٥) **ينساب**: يجري بسرعة.

. . . .

حتّى يفرغ من خطبته ، ولمّا فرغ من خطبته أُقبل عليه ، فقال : من أنت ؟

فقال : أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجنّ ، وإنّ أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به ، وما ترى ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أُوصيك بتقوى الله ، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجنّ ، فإنّك خليفتي عليهم .

قال : فودّع عمرو أمير المؤمنين عليه السلام وانصرف ، فهو خليفته على الجنّ ، فقلت له : جعلت فداك ، فيأتيك عمرو وذلك الواجب عليه ؟ قال : نعم »[١] .

قلت : والزطّ ـ بالضمّ ـ جنس من السودان والهنود ، وباب الثعبان في مسجد الكوفة مشهور ، ويذكر أنّ بني أُميّة لعنهم الله ربطوا على هذا الباب فيلاً لمحو هذا الاسم عن الخواطر فاشتهر بباب الفيل بعد ذلك » .

قضيّة جابر بن يزيد الجعفي :

وفيه أيضاً : بإسناده عن النعمان بن بشير ، قال : « كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي ، فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل على أبي جعفر ، فودّعه ، وخرج من عنده وهو مسرور حتّى وردنا الأخيرجة[٢] أوّل منزل نعدل من فيد[٣] إلى المدينة يوم جمعة ، فصلّينا الزوال ، فلمّا نهض بنا البعير إذ أنا برجل طوال[٤] أدم ، معه كتاب ، فناوله

---

(١) الكافي : ٣٩٦/١ ، الحديث ٦ . شرح أُصول الكافي : ٤١٧/٦ .

(٢) اسم موضع بالمدينة .

(٣) قلعة في طريق مكّة .

(٤) هكذا في الكافي . منه .

. . . .

جابراً ، فتناوله فقبّله ووضعه على عينيه ، وإذا هو من محمّد بن عليّ إلى جابر بن يزيد ، وعليه طين أسود رطب ، فقال له : متى عهدك بسيّدي ؟

فقال : الساعة .

فقال له : قبل الصلاة أو بعد الصلاة ؟

فقال : بعد الصلاة .

قال : ففكّ الخاتم وأقبل يقرأه ويقبض وجهه حتّى أتى على آخره ، ثمّ أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتّى وافى الكوفة ، فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بتّ ليلتي ، فلمّا أصبحت أتيته إعظاماً له ، فوجدته قد خرج علَيَّ وفي عنقه كعاب قد علّقها ، وقد ركب قصبة وهو يقول :

أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور

وأبياتاً من نحو هذا ، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه ، فلم يقل لي شيئاً ، ولم أقل له ، وأقبلت أبكي لمّا رأيته ، واجتمع علَيَّ وعليه الصبيان والنّاس تقول : جنّ جابر بن يزيد ، جنّ جابر ، فوالله ما مضت الأيّام حتّى ورد كتاب هشام بن عبدالملك إليّ وإليه أن انظر رجلاً يقال له : جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه ، وابعث إليّ برأسه ، فالتفت إلى جلسائه ، فقال لهم : من جابر بن يزيد الجعفي ؟

قالوا : أصلحك الله ، كان رجلاً له علم وفضل وحديث وحجّ ، فجنّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم .

قال : فأشرف عليه ، فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب ، فقال : الحمد لله الذي عافاني من قتله .

وَأَنْتَ جَلَّ ثَناؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعامِ مُتَكَرِّماً، أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ.

قال: ولم تمض الأيام حتّى دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع ما كان يقول جابر»[١].

أقول: ومنصور بن جمهور كان والياً من قِبل بني أُميّة على الكوفة، ولّاه يزيد بن الوليد بعد عزل يوسف بن عمر في سنة ستّة وعشرين ومائة بعد وفاة الباقر عليه السلام باثنتي عشر سنة.

وَأَنْتَ جَلَّ ثَناؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعامِ مُتَكَرِّماً، أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ: وتطوّل عليهم: امتنّ، كطال عليهم، والإنعام ـ بكسر الهمزة ـ كالإحسان، وكأنّ المقصود من هذا الكلام هو تأكيد ما سبق من دخول الكافر النّار، أي كيف يدخل النّار وأنت القائل لعبادك قولاً ابتدائيّاً، وخطاباً أوّليّاً، والمتطوّل عليهم بهذه النعمة الجسيمة، وهي قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً**... إلخ ﴾[٢]، وهو استفهام يراد به التقرير، أي: أيكون من هو مصدّق بالله على الحقيقة عارف به وبأنبيائه، عامل بما أوجبه الله عليه وندبه إليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله، مرتكب لمعاصي الله، ثمّ قال: «لا يستوون»؛ لأنّ منزلة المؤمن درجات الجنان، ومنزلة الفاسق دركات النيران، ولذا فسّره بقوله: ﴿ **أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[٣]،

---

(١) الكافي: ٣٩٦/١، الحديث ٧. شرح أُصول الكافي: ٤١٨/٦.

(٢) السجدة ٣٢: ١٨.

(٣) السجدة ٣٢: ١٩.

إِلٰهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا،

أي عطاءً بما كانوا يعملون، ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ** ﴾ الذي يأوون إليها ﴿ **النَّارُ** ﴾[١]، ومن هنا قيل المراد بالفاسق في هذه الآية: الكافر المكذِّب، ومنه يعلم وجه التعبير عن هذا الكلام بالنعمة لما فيه من الرغبة إلى الإيمان، والإعراض عن الكفر.

إِلٰهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا: الضمير المجرور في «عليه» راجع إلى الموصول، والضمير المنصوب راجع إلى القضيّة. والقدرة: مصدر قَدَر يَقْدُر قَدَراً ـ بفتح الدالّ ـ وقد تسكّن.

تفسير القضاء والقدر:

والقضاء عبارة عن الحكم الكلّي الإلٰهي على أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية من الأزل إلى الأبد، مثل الحكم بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت، والقدر هو تفصيل ذلك الحكم بتعيّن أسبابها، وتخصيص إيجاد الأعيان بأوقاتها وأزمانها، التي تقتضي الأشياء وقوعها باستعداد الجزئيّة، فتعلّق كلّ حال من أحوال الأعيان بزمان معيّن وسبب معيّن عبارة عن القدر مثل الحكم بموت زيد في اليوم الفلاني وبالمرض الفلاني، ولعلّ هذا هو المراد من الحديث: «**التقدير واقع على القضاء المتلبّس بالإمضاء**»[٢] على ما ذكره بعض الشرّاح من أنّ «على»

---

(١) السجدة ٣٢: ٢٠.

(٢) شرح أُصول الكافي: ٢٥٣/٤. مجمع البحرين: ٤٦٧/٣.

أَنْ تَهَبَ لي في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ، وَفي هٰذِهِ السَّاعَةِ، كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ

هنا ـ على ما قيل ـ نهجيّة.

أَنْ تَهَبَ لي في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَفي هٰذِهِ السَّاعَةِ: الليل معروف، والواحدة ليلة، وجمعه: الليالي، بزيادة الياء على غير قياس، والليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والمراد منها ليلة النصف من شعبان أو ليلة الجمعة، والساعة: أصلها سَوَع ـ بفتح الواو ـ ثمّ صارت ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهي في اللغة جزء قليل من الليل أو النهار، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1]، وهو المراد هنا؛ إذ المعنى أن تهب لي في كلّ جزء من أجزاء هذه الليلة.

وفي اصطلاح أهل التنجيم: جزء من أربعة وعشرين جزء من يوم وليلة؛ وذلك أنّهم قسّموا اليوم والليلة على أربعة وعشرين قسماً متساوية، وسمّوا كلّ قسم ساعة، وقسّموا كلّ ساعة بستّين قسماً، وسمّوا كلّ قسم دقيقة.

كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ: أي أمسكت الكلام عمّا في ضميري من المعاصي المتعلّقة بالنفس، وتصدر عنها من دون واسطة الجوارح، كفساد العقيدة، والكبر، والحسد، والعجب، والرياء، وبغض أولياء الله والمؤمنين، وحبّ الدنيا المضادّة للآخرة، وحبّ الرئاسة، والتفكّر في طريق الاهتداء إلى المظالم، والحيلة، والتزوير، إلى غير ذلك، ولا ينافي توقّف المؤاخذة على بعضها على الاظهار؛ إذ رفع المؤاخذة لا ينافي ثبوت الخواصّ والآثار فيكون طلب الغفران باعتبارها.

---

(١) الأعراف ٧: ٣٤.

أَوْ أَعْلَنْتُهُ ، أَوْ أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ . الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي ،

أَوْ أَعْلَنْتُهُ : أي أظهرت ذلك بلساني .

أَوْ أَخْفَيْتُهُ : بأن كان من المعاصي المتعلّقة بالنفس بواسطة الجوارح ، وارتكبتها خفية عن النّاس في الخلوات ، ولم أُحدّث بها أحداً بعد الارتكاب ، بحيث لم يعلم بها أحد سواك .

أَوْ أَظْهَرْتُهُ : للنّاس بعد ارتكابي ، فإنّ ذلك جناية منّي على سترك الذي أسدلته علَيَّ ، وتحريك لرغبة الشرّ فيمن أشهدته تلك المعصية .

وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي : أي ما يوجد منّي من الحسنات والسيّئات .

تفسير الكرام الكاتبين:

والكرام الكاتبون هم طائفتان من ملائكة اليمين للحسنات ، وملائكة الشمال للسيّئات . قال الله تعالى : ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ** ﴾[1] .

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال : « **استعبدهم الله بذلك ، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة ، وعن معصيته أشدّ اجتناباً ، وكم من عبد همّ بمعصية فذكر مضانهم فارعوى ، وكفّ ، فيقول ربّي يراني** »[2] .

---

(١) ق ٥٠ : ١٧ .

(٢) الاحتجاج : ٩٥/٢ . التفسير الأصفى : ١٤١٥/٢ . بحار الأنوار : ٣٢٣/٥ ، الحديث ١٠ و : ١٨٣/١٠ .

. . . .

وروى عبدالله بن موسى بن جعفر عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، قال : « سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعل السيّئة أو الحسنة ؟

فقال : **ريح الكنيف والطيب واحد .**

قلت : لا .

قال : **إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح ، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فإنّه قد همّ بالحسنة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مداده ، فأثبتها ، وإذا همّ بالسيّئة خرج نفسه منتن الريح ، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين : قف ، فإنّه قد همّ بالسيّئة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مداده ، وأثبتها عليه »**[1] .

وأمّا وصفهم بالكرام فلما روي : من أنّهم إذا كتبوا حسنة يصعدون بها إلى السماء ويعرضونها على الله تعالى ، ويشهدون على ذلك فيقولون : إنّ عبدك فلاناً عمل حسنة كذا وكذا ، وإذا كتبوا من العبد سيّئة يصعدون بها إلى السماء مع الغمّ والحزن ، فيقول الله تعالى : ما فعل عبدي ؟ فيسكتون ، حتّى يسأل الله ثانياً وثالثاً ، فيقولون : إلٰهي ، أنت ستّار ، وأمرت عبادك أن يستروا عيوبهم ، استر عيوبهم وأنت علّام الغيوب[2] .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : « **كاتب الحسنات عن يمين الرجل ، وكاتب السيّئات عن يساره ، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً ،**

---

(١) الكافي : ٢/٤٢٩ ، الحديث ٣ . شرح أُصول الكافي : ١٠/١٦٤ ، الحديث ٣ .

(٢) تفسير الصافي : ٥/٢٩٦ .

وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ،

وإذا عمل سيّئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات، فلعلّه يتوب أو يستغفر»[١]، ولذا يسمّون كراماً كاتبين.

وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي: جمع جارحة، وهي أعضاء الإنسان من يديه ورجليه وسائر أعضائه، وفيه إشارة إلى ما تضمّنته الآية الشريفة: ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[٢].

وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ: والرقيب: الحافظ، فعيل بمعنى فاعل.

حال ضمير الفصل والعماد:

وذكر علماء المعاني أنّ الفصل بين المسند والمسند إليه بضمير الفصل يفيد الحصر، نحو: زيد هو القائم، وكنت أنت الشهيد عليهم[٣]، وكثير من البيانيّين اقتصروا على ذكر هذه الفائدة مع أنّ له فائدتين أُخريتين، وذكر الزمخشري الفوائد الثلاثة في تفسير ﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، فقال: فائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده

---

(١) مجمع البيان: ٩/٢٤٠. تفسير غريب القرآن / الطريحي: ١٠١. التفسير الصافي: ٦١/٥. نور الثقلين: ١١١/٥، الحديث ٢٤.

(٢) فصّلت ٤١: ١٩ ـ ٢١.

(٣) مختصر المعاني: ٦٣.

وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ ، وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تُنزِلُهُ ، أَوْ إِحْسانٍ تُفْضِلُهُ ، أَوْ بِرٍّ تَنْشُرُهُ ، أَوْ رِزْقٍ تَبْسُطُهُ ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَأً تَسْتُرُهُ ، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ .

خبر لا صفة ، والتوكيد ، وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره[1] .

وباعتبار الفائدة الأُولى سمّي ضمير فصل وعماد لأنّه يفصل بين الخبر والتابع ، ولأنّه يعتمد عليه معنى الكلام .

وباعتبار الثانية سمّاه الكوفيّون دعامة ؛ لأنّه يدعم به الكلام ، أي يقوى ويؤكّد ، وبنوا عليه أنّه لا يجامع التوكيد ، فلا يقال : زيد نفسه هو الفاضل ، وعلى كلّ حال فقد زعم البصريّون أنّه لا محلّ له من الإعراب ، وأنّه حرف ، وقال الخليل : هو اسم غير معمول لشيء نظير أسماء الأفعال فيمن يراها غير معمولة لشيء ، وقال الكوفيّون : له محلّ ، فقال الكسائي : محلّه بحسب ما بعده ، وقال الفرّاء : بحسب ما قبله ، فمحلّه بين المبتدأ والخبر رفع ، وبين معمولي ظنّ نصب ، وبين معمولي كان نصب عند الكسائي ، ورفع عند الفرّاء ، وبين معمولي أنّ بالعكس[2] .

وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ : ومعناهما واضح .

وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تُنزِلُهُ ، أَوْ إِحْسانٍ تُفْضِلُهُ ، أَوْ بِرٍّ تَنْشُرُهُ ، أَوْ رِزْقٍ تَبْسُطُهُ[3] : أي تقدّره وتوسّعه على عبادك .

أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَأً تَسْتُرُهُ ، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ : قد مرّت الوجوه في

---

(١) نقله عنه في مغني اللبيب : ٢/٤٩٦ .

(٢) مغني اللبيب : ٢/٤٩٦ و ٤٩٧ .

(٣) في بعض نسخ الدعاء : « **مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ . . فَضَّلْتَهُ . . نَشَرْتَهُ . . بَسَطْتَهُ** » .

يَا إِلـٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي ، يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي ، يَا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي ، يَا خَبِيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي ، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ ،

أمثال هذا المنادى ، وأمّا التكرار فلأنّ من شأن المستصرخ تكرير اسم الصريخ للإشعار بشدّة النازلة ، وقوّة الحاجة إلى الإغاثة والإعانة ، واختيار خصوص الثلاثة لكونه أدخل في ردّ الكفّار الذين قالوا : إنّ الله ثالث ثلاثة ، وهو ردّ على النصارى لإثباتهم قدم الأقنوم ، أعني الأصل ، وقالوا : الأقانيم ثلاثة ، فعبّروا عن الذات مع الوجود بأقنوم الأب ، وعن الذات مع العلم بأقنوم الابن ، وعن الذات مع الحياة بأقنوم روح القدس .

يَا إِلـٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي : الرِقّ ـ بالكسر ـ : العبوديّة ، وهو مصدر رَقّ الشخص يرقّ ، من باب ضرب ، فهو رقيق .

يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي : هو الشعر في مقدّم الرأس ، ومعناه أنت المالك لنفسي ، والقادر عليها ، تصرّفها على ما تريد بها لأنّ كلّ شيء في قبضتك وملكك ، وتحت قدرتك وسلطانك ، وأنت القاهر فوق عبادك .

يَا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي ، يَا خَبِيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي : لانبساط علمك على الأشياء بحيث لا يعزب عنك مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ، كما مرّت إليه الإشارة سابقاً .

يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ : لعظمته .

وَقُدْسِكَ : لتقديسه وتنزيهه ، كما مرّ بيانه .

وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ : كما علمت سابقاً ، وهذا مقام عدم رؤية

أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتي من اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً،

الأسباب وقطعها.

أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتي من[١] **اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً**: أي تابعة بعضها ببعض، على حدّ قوله تعالى: ﴿**وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ**﴾[٢]. أي أتبعنا بعضه بعضاً فاتّصل عنده، يعني القرآن.

وَأَعْمَالي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً: مترتّباً عليها الثواب.

في معنى الإجزاء والقبول:

وفيه إشارة إلى ما يستفاد من كلام السيّد المرتضى ﵀ من أنّ قبول العبادة أمر مغاير للإجزاء، فالعبادة المجزية هي المبرءة للذمّة، المخرجة عن عهدة التكليف، والمقبولة هي ما يترتّب عليها الثواب، ولا تلازم بينهما ولا اتّحاد، كما يظنّ[٣].

قال شيخنا البهائي ﵀ في أربعينه عند شرح حديث الثلاثين: «وممّا يدلّ على ذلك:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٤]، مع أنّ عبادة غير المتّقي مجزية إجماعاً.

---

(١) في بعض نسخ الدعاء: «في».

(٢) القصص ٢٨: ٥١.

(٣) نقله عنه في: بحار الأنوار: ٨٤/٣١٥.

(٤) المائدة ٥: ٢٧.

. . . .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** ﴾[١]، مع أنهما لا يفعلان غير المجزي.

وقوله تعالى: ﴿ **فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾[٢]، مع أنّ كلّاً منهما فعل ما أمر به من القربان.

وقوله ﷺ: « **من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها، وأنّ منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها** »[٣]، والتقريب ظاهر.

ولأنّ النّاس لم يزالوا في سائر الأعصار والأمصار يدعون الله تعالى بقبول أعمالهم بعد الفراغ منها، ولو اتّحد القبول والإجزاء لم يحسن هذا الدعاء إلّا قبل الفعل، كما لا يخفى.

فهذه وجوه خمسة تدلّ على انفكاك الإجزاء عن القبول.

وقد يجاب عن الأوّل بأنّ التقوى على مراتب ثلاث:

أوّلها: التنزّه عن الشرك، وعليه قوله تعالى: ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ** ﴾[٤]. قال المفسّرون: هي قول لا إلـه إلّا الله.

وثانيها: التجنّب عن المعاصي.

وثالثها: التنزّه عمّا يشغل عن الحقّ جلّ وعلا، ولعلّ المراد بالمتّقين أصحاب

---

(١) البقرة ٢: ١٢٧.

(٢) المائدة ٥: ٢٧.

(٣) القواعد والفوائد: ٩٨/٢. مستدرك الوسائل: ٥٩/٣، الحديث ١٠.

(٤) الفتح ٤٨: ٢٦.

. . . .

المرتبة الأُولى وعبادة غير المتّقين بهذا المعنى غير مجزية، وسقوط القضاء لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله.

وعن الثاني بأنّ السؤال قد يكون بالواقع، والغرض منه بسط الكلام مع المحبوب، وعرض الافتقار لديه، كما قالوه في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾[1] على بعض الوجوه.

وعن الثالث: بأنّه تعبير بعدم القبول عن عدم الإجزاء، ولعلّه لخلل في الفعل.

وعن الرابع: أنّه كناية عن نقص الثواب، وفوات معظمه.

وعن الخامس: أنّ الدعاء لعلّه لزيادة الثواب وتضعيفه. وفي النفس من هذه الأجوبة شيء، وعلى ما قيل في الجواب عن الرابع ينزل عدم قبول صلاة شارب الخمر عند السيّد المرتضى ﷺ»[2]، انتهى كلامه رفع في الخلد مقامه.

ولا يخفاك أنّه يظهر منه ﷺ الميل إلى ما ذهب إليه السيّد المرتضى ﷺ في هذه المسألة، حيث استدلّ بهذه الأدلّة الخمسة، وطعن فيما ذكره من الأجوبة عنها بأنّ في النفس منها شيء.

في استلزام الإجزاء للقبول:

ولكنّ الذي يظهر لي وفاقاً للمشهور، وهو القول باستلزام الإجزاء للقبول، ولنا عليه وجوه:

---

(١) البقرة ٢: ٢٨٦.

(٢) نقله عنه في بحار الأنوار: ٨٤/٣١٦ و ٣١٧.

. . . .

الأوّل: أنّ الصحّة المعبّر عنها هنا بالإجزاء إمّا أن تفسّر بموافقة الأمر وامتثاله، وحينئذٍ فلا ريب أنّ ذلك يوجب الثواب، أو بما أسقط القضاء، كما هو مرضيّ المرتضى.

وفيه أنّه يلزم القول بترتّب القضاء على الأداء، وهو خلاف ما يستفاد من الأخبار، وما صرّح به غير واحد من أنّ القضاء بأمر جديد، ولا ترتّب له على الأداء(١).

الثاني: أنّ السيّد إذا أمر عبده بعمل وأوعده بثواب مترتّب على ذلك العمل، فامتثل العبد ما أمره السيّد، فإنّه يجب على السيّد قبوله من العبد والإيفاء له بما وعده، ويقبح منه التخلّف مع عدم مخالفة العبد في شيء ممّا أمره.

الثالث: أنّ عدم القبول مستلزم لعدم الصحّة، فإنّه لا يخلو إمّا أن يراد بعدم القبول الردّ بالكلّيّة وعود العمل إلى ما كان قبل الفعل، ويكون كأنّه لم يفعل شيئاً بالمرّة، ولا ريب أنّ هذا منافٍ للصحّة؛ إذ هي نوع من القبول لإسقاطه التكليف الثابت في الذمّة بيقين، فكيف يعود إلى ما كان قبل الفعل، وإمّا أن يراد به إيقاف العمل على المشيّة واحتباسه حتّى يحصل له مكمل فيقبل، أو محبط فيردّ، نظراً إلى ما ورد من احتباس صلاة مانعي الزكاة حتّى يزكّي، ونحوه، فهو منافٍ للصحّة أيضاً عند التحقيق والتأمّل؛ لأنّ الاحتباس لا يكون إلّا لوجود مانع من القبول بالفعل، أو فقد شرط، وعندهما ينتفي الصحّة لما عرفت من أنّها نوع من القبول، وقد فرضنا انتفاءه، وهذا خلف، وأمّا لو فرض القبول بعد الإيقاف والاحتباس فإنّما هو تفضّل ابتدائي غير مستند إلى صحّة العمل، وإلّا لم يكن للإيقاف والاحتباس

---

(١) مختلف الشيعة: ٤٧٧/٣. منتهى المطلب: ١٨٩/٢. المهذّب البارع: ٤٥٧/١.

. . . .

معنى ، وهذاكما جاء في كثير من الأخبار قبول أعمال الناصب بعد رجوعه إلى القول بالولاية .

الرابع : أنّه لا خلاف بين الأصحاب في أنّ العبادة المتّصفة بالصحّة والإجزاء مسقطة للعقاب الموعود به تارك العبادة ، ولا ريب أنّ إسقاط العقاب مستلزم للقبول ؛ إذ لو لم يقبل لكان صاحبها باقياً تحت العهدة ، وكان مستحقّاً للعقاب بلا ارتياب ، إذ المفروض أنّ سقوط العقاب إنّما استند إليها لا إلى التفضّل منه تعالى .

فإن قيل : إنّ القبول عبارة عن الجزاء عليها بالثواب .

قلنا : متى ثبت استلزام سقوط العقاب للقبول بمعنى أنّ الشارع إنّما أسقط عن المكلّف العقاب والمؤاخذة لقوله لها ترتّب عليها الثواب ألبتّة .

معنى عدم قبول صلاة شارب الخمر :

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّه يجب حينئذٍ حمل ما ورد في بعض الأخبار من عدم قبول صلاة من لم يقبل على صلاته كلّاً أو بعضاً ، وما ورد أيضاً من عدم قبول صلاة شارب الخمر ، وكذا صلاة غير المتّقي على عدم القبول الكامل ، بمعنى قلّة الثواب عليه ، وعدم ترتّب ما يترتّب على صلاة غيره ممّن أقبل على صلاته ، ومن ترك شرب الخمر ، ومن اتّقى الله تعالى في المعاصي التي توجب من العذاب مثل ما يوجبه قبول العمل من الثواب حتّى يصير العمل عند الموازنة كأنّه لم يفعل ، أو يحمل خصوص شارب الخمر على أنّه لا يوفّق إلى الإتيان بصلاة كاملة الشرائط خالية من الموانع ،كما هو المظنون في حقّه ، خصوصاً طهارة اللباس .

حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْمالي وَأَوْرَادِي كُلُّها وِرْداً وَاحِداً، وَحَالي في خِدْمَتِكَ سَرْمَداً.

معنى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]:

كما أنّه من القريب جدّاً حمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ**...﴾ على خصوص الموحّد الشيعي الإمامي، فالمعنى أنّ غير الموحّدين من الشيعة لا يقبل منهم عمل لعدم إتيانهم بشرائط الصحّة والقبول من العقائد الحقّة.

وقد ورد الخبر بطرق عديدة أنّ المراد بالمتّقين في الآية هم الموحّدون من الشيعة، وأمّا قوله تعالى: ﴿**فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ**﴾ فهو أنّ الذي قبل منه على ما ورد في التفسير هابيل، والذي لم يتقبّل منه قابيل، وقد علّل ذلك فيه بأنّ الأوّل قد أخلص النيّة دون الثاني.

وبذلك يتّضح لك صحّة الجواب المذكور في عبارة الشيخ البهائي، كصحّة الجواب الثاني أيضاً، فإنّ السؤال قد يكون بالواقع مثل قوله تعالى: ﴿**رَبُّ احْكُم بِالْحَقِّ**﴾[2]، أو يكون على وجه الانقطاع إليه تعالى، فاغتنم.

حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْمالي وَأَوْرَادِي كُلُّها وِرْداً وَاحِداً: إذ من جعل همّه همّاً واحداً فقد كفاه الله سائر همومه، كما نطق به الحديث[3].

وَحَالي في خِدْمَتِكَ سَرْمَداً: المصدر مضاف إلى مفعوله، والسَّرْمَد ـ كفَرْقَد ـ: الدائم المستمرّ الذي لا ينقطع.

---

(١) المائدة ٥: ٢٧.

(٢) الأنبياء ٢١: ١١٢.

(٣) علل الدارقطني: ٤١/٥، الحديث ٦٨٨. كنز العمّال: ٢٠٣/٣، الحديث ٦١٧٨ و: ٣٠٨/١٠، الحديث ٢٩٥٤١.

يَا سَيِّدِي يَا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلِي، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوْتُ أَحْوالِي، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ، قَوِّ عَلىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي، وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوانِحِي. وَهَبْ لِيَ الْجِدَّ في خَشْيَتِكَ،

يَا سَيِّدِي يَا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلِي، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوْتُ أَحْوالِي، يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ: قد مرّ الوجه في اختيار التكرار بالعدد الثلاث.

قَوِّ عَلىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي: أي أعضائي.

وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوانِحِي: عَزَمَ عَزيمة وَعَزْماً: اجتهد وجدَّ في أمره. والجوانح: الأضلاع ممّا يلي الصدر، واحدها: جانحة، سمّيت بذلك لاعوجاجها، ومنه حديث الكافر: «**فيصفق عليه -يعني القبر- حتّى تلتقي جوانحه**»[1]، والمقصود واضح، أعني طلب التوفيق من الله للعبادة خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم بلا فتور ولا قصور.

وَهَبْ لِيَ الْجِدَّ في خَشْيَتِكَ: حتّى لا يصدر عنّي القبيح.

الفرق بين الخوف والخشية:

ولذلك طلب الخشية دون الخوف، لما قيل من الفرق بينهما، وإن كانا في اللغة بمعنى واحد، إلّا أنّ بين خوف الله وخشيته في عرف أرباب القلوب فرقاً، وهو أنّ الخوف مألم النفس من العقاب المتوقّع بسبب ارتكاب المنهيّات، والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جدّاً، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلّا للقليل.

---

(١) مجمع البحرين: ١/٤٠٩.

والدَّوامَ في الاتِّصالِ بِخِدْمَتِك، حَتَّىٰ أَسْرَحَ إِلَيْكَ فـي مَيَادِينِ السَّـابِقِينَ،

والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحقّ وهيبته، وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلّا لمن اطّلع على حال الكبرياء، وذاق لذّة القرب، ولذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[1]، فالخشية خوف خاصّ. والداعي عليه السلام في دعائه يطلب تلك الحالة الخاصّة، والجِدّ ـ بالكسر ـ: هو الاجتهاد وخلاف التقصير.

والدَّوامَ في الاتِّصالِ بِخِدْمَتِكَ: إذ كمال العبوديّة يحصل في الاتّصال والدوام على خدمة المولى، ولا ينبغي للقارئ أن يغفل عن القواعد الصرفيّة في هذه الكلمة يعني قوله عليه السلام: «الاتّصال»؛ إذ الهمزة في «ال» للوصل يجب حذفها في الدرج، فتحذف، فإذا حذفت التقى الساكنان الياء واللام، فتحذف الياء لكونها حرف علّة، فصارت في اتصال، ولمّا كانت الهمزة الثانية المبدوءة بها المصدر الموصل أيضاً، حذفت في الدرج فالتقى الساكنان أيضاً اللام والتاء فحرّكت اللام بالكسرة، فصارت: فلِتصال، أي: بحذف الياء والهمزة الأُولى، وكسر اللام وحذف الهمزة الثانية.

ثمّ أخذ عليه السلام في بيان ثمرة الخشية والاتّصال بقوله عليه السلام:

حَتَّىٰ أَسْرَحَ إِلَيْكَ: أي أسير إليك، من قولهم: فلان يسرح في الظلمة، أي يسير فيها.

في مَيَادِينِ السَّابِقِينَ: إلى طاعتك.

---

(١) فاطر ٣٥: ٢٨.

وَأَسْرِعَ إِلَيْكَ فِي الْمُبَادِرِينَ، وَأَشْتَاقَ إِلَىٰ قُرْبِكَ فِي الْمُشْتَاقِينَ، وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصِينَ، وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوْقِنِينَ،

وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي ـ جملة ـ **الْمُبَادِرِينَ**[1]: إليك.

وَأَشْتَاقَ إِلَىٰ قُرْبِكَ فِي ـ جملة ـ **الْمُشْتَاقِينَ، وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصِينَ**: لك في العبادة، المجرّدين نيّاتهم عن الشوب، غير قاصدين بأعمالهم إلّا وجهك الكريم لا يحبّوا أن يحمدوا عليه.

قال الصادق عليه السلام: «**العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة**»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره**»[3].

وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوْقِنِينَ: بأنّ من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره، وبأنّ الله تعالى مطّلع عليه في كلّ حال، ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره، فأكون متأدّباً في جميع أحوالي وأعمالي معك سبحانك فأكون مبالغاً في عمارة باطني وتطهيره وتزيينه لعينك الكالئة[4] أشدّ من مبالغتي في تزيين

---

(١) في بعض نسخ الدعاء: «الْبارِزينَ».

(٢) الكافي: ٢/٨٤، الحديث ٥. شرح أُصول الكافي: ١/٢٥٧. بحار الأنوار: ٧٠/٢٣٦.

(٣) الكافي: ٢/١٦، الحديث ٣. شرح أُصول الكافي: ٨/٤٨. وسائل الشيعة: ١/٥٩، الحديث ٣. بحار الأنوار: ٧٠/٢٢٩.

(٤) **الكالئة**: الراعية، الحافظة، الساهرة. ويقال: رجل كَلُوء العَيْن: شديدها على السهر لا يغلبها النوم، وعين كَلُوء: ساهرة. «المعجم الوسيط: ٧٩٤».

وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. اللّٰهُمَّ وَمَنْ أَرادَني بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عَبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْك، وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لي بِجُودِكَ، وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ، وَاحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهِجاً، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً،

ظاهري لسائر النّاس.

وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ: أي قرب رحمتك.

مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. اللّٰهُمَّ وَمَنْ أَرادَني بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ: أي فاقصده قبل أن يقصدني.

وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ: هو من الكيد، وهو السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال. تقول: كاده يكيده كيداً، من باب باع: خدعه ومكر به.

وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عَبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْك، وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ: والزُّلْفة والزُّلفى: القربى والمنزلة.

فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ: إذ أنت واهب العطايا بفضلك الجسيم، وبلطفك العميم.

وَجُدْ لي بِجُودِكَ: فإنّك جواد كريم.

وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ: لأنّك الموصوف بالمجد والكرم.

وَاحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهِجاً: وقد لَهِجَ بالشيء لَهَجاً: إذا أُغْرِيَ به، وأُولع فيه، وقد مرّ الكلام في فضل الذكر.

وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً: وتَيَّمه الحبّ: استعبدَه وذلّله، فهو مُتَيَّم.

وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجابَتِكَ ، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي ، وَاغْفِرْ زَلَّتِي ، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَى عِبادِكَ بِعِبادَتِكَ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعائِكَ ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجـابَةَ. فَـإِلَيْكَ يـا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي ، فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لِي دُعائي

وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجابَتِكَ: الإضافة بيانيّة.

وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي ، وَاغْفِرْ زَلَّتِي ، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَى عِبادِكَ بِعِبادَتِكَ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعائِكَ: يعني أوجبت على عبادك الدعاء.

وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجابَةَ: في كتابك الكريم حيث قلت وقولك الحقّ: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ** ﴾[1]، فقد ورد في جملة من الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ المراد من العبادة في هذه الآية هو الدعاء[2]، فالمراد أنّك أمرتنا بالدعاء أوّلاً، ووعدتنا الإجابة ثانياً، ثمّ جعلت الدعاء عبادة، وتركه تكبّراً، ورتّبت على تركه دخول جهنّم.

وقد بسطنا الكلام في هذا الباب فيما تقدّم فتذكّر.

فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ: قد عرفتَ معنى الفاء هذه في أشباهه.

نَصَبْتُ وَجْهِي ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي: قد عرفتَ فيما تقدّم في آداب الدعاء أقسام رفع اليد، فعليك بإعمال الوظيفة.

فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لِي دُعَائِي: ولا تشمت بي الأعداء الذين يدعون من لا يملك كشف الضرّ عنهم ولا تحويلاً حتّى لا يقولوا إنّكم أيضاً تدعون من لا يملك

---

(١) غافر ٤٠: ٦٠.

(٢) انظر: التبيان: ٣/٣٣٢ و: ٩/٩٠. مجمع البيان: ٨/٤٥٠.

وَبلِّغْني مُنَايَ ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائي . وَاكْفِني شَرَّ الْجِنِّ والْإنْسِ مِنْ أَعْدَائي . يَا سَرِيعَ الرِّضا ، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إلَّا الدُّعَاءَ ، فَإِنَّك فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ ، يَا مَنِ اسْمُهُ دَواءٌ ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ ، وَطَاعَتُهُ غِنىً .

عنكم كشف الضرّ ولا تحويلاً .

وَبلِّغْني مُنَايَ : أي ما أتمنّاه وأشتهيه وأُقدّر حصوله ، والمنى : جمع منية .

وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائي : وقوله : « من فضلك » أي من مجرّد فضلك من غير ملاحظة استحقاق ، فإنّي لست بأهل له ، وإلّا فالرزق كلّه منك .

وَاكْفِني شَرَّ الْجِنِّ والْإنْسِ مِنْ أَعْدَائي : فيه دلالة على ما مرّ من ثبوت العداوة بين الإنس والجنّ .

يَا سَرِيعَ الرِّضا ، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إلَّا الدُّعَاءَ : لعدم تمكّنه من شيء غيره .

فَإِنَّك فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ : تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ، بيدك الخير ، إنّك على كلّ شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

يَا مَنِ اسْمُهُ دَواءٌ : من كلّ داء .

وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ : من كلّ علّة وسقم .

وَطَاعَتُهُ غِنىً : من كلّ أحد ، كما ورد : **« من أراد عزّاً بلا عشيرة ، وهيبةً بلا سلطان ، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته »**[١] .

---

(١) خصائص الأئمّة : ٩٩ . أمالي الطوسي : ٥٢٤ ، الحديث ٦٨ . مستدرك الوسائل : ٢٥٨/١١ ، الحديث ٧ .

ازْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ ، وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ ،

وفي الكافي : بإسناده عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من طلب مرضاة النّاس بما يسخط الله كان حامده من النّاس ذامّاً ، ومن آثر طاعة الله بغضب النّاس كفاه الله عداوة كلّ عدوّ ، وحسد كلّ حاسد ، وبغي كلّ باغ ، وكان الله عزّ وجلّ له ناصراً وظهيراً** »[١].

قال خالنا العلّامة المجلسي رحمه الله في شرح الحديث : « هذا النوع في الخلق كثير ، بل أكثرهم كذلك ، أي يطلبون مرضاة النّاس بسخط الخالق ، كالذين تركوا متابعة أئمّة الحقّ لرضاء أئمّة الجور ، وطلب ما عندهم ، وكأعوان السلاطين الجائرين وعمّالهم ، والمتقرّبين إليهم بالباطل ، والمادحين لهم على قبائح أعمالهم ، وكالذين يتعصّبون للأهل والعشائر بالباطل ، وكشاهد الزور ، والحاكم بالجور بين المتخاصمين طلباً لرضاء أهل العزّة والغلبة ، والذين يساعدون المغتابين ، ولا ينزجرون عنها طلباً لرضاهم ، ولئلّا يتنفّروا من صحبته ، وأمثال ذلك كثيرة »[٢] ، انتهى .

ازْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ ، وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ : بالمدّ ، والسلاح : ما به يدافع عن النفس ، ويرفع الضرر عنها ، كما ورد في الخبر : « **أنّ سلاح المؤمن الدعاء** »[٣] ، بل ورد أنّه سلاح النبيّين[٤] ، كما تقدّم .

---

(١) الكافي : ٣٧٢/٢ ، الحديث ٢ . شرح أُصول الكافي : ٣٦/١٠ . وسائل الشيعة : ١٥٣/١٦ ، الحديث ٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٣٩١/٧٣ .

(٣) الكافي : ٤٦٨/٢ ، الحديث ٣ . دعوات الراوندي : ١٨ ، الحديث ٤ . ثواب الأعمال : ٢٦ . الرسالة السعديّة : ١٢٨ . وسائل الشيعة : ٣٩/٧ ، الحديث ٥ . شرح أُصول الكافي : ٢٣٤/١٠ .

(٤) الكافي : ٤٦٨/٢ ، الحديث ٥ . مكارم الأخلاق : ٢٧٠ . شرح أُصول الكافي : ⇦

يَا سَابِغَ النِّعَمِ ، يَا دافِعَ النِّقَمِ ، يَا نُورَ الْمُسْتَوحِشِينَ فِي الظُّلَمِ ، يَا عَالِماً لَا يُعَلَّمُ ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْمَيامِينَ مِنْ آلِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

يَا سَابِغَ النِّعَمِ : أي كاملها وتامّها .

يَا دافِعَ النِّقَمِ ، يَا نُورَ الْمُسْتَوحِشِينَ فِي الظُّلَمِ : أراد بالنور : الهادي ، وبالظلمة : الجهالة .

يَا عَالِماً : بالأشياء علماً ذاتيّاً .

لَا يُعَلَّمُ ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْمَيامِينَ مِنْ آلِهِ[(١)] : أي المباركين جمع ميمون ، بمعنى المبارك .

وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[(٢)] .

⇦ ٢٣٤/١٠ . وسائل الشيعة : ٣٩/٧ ، الحديث ٦ .

(١) في بعض نسخ الدعاء : « **وَأَهْلِهِ** » .

(٢) في بعض نسخ الدعاء : « **تَسْلِيماً كَثِيراً** » .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، على ما أنعم ووفّق للإتمام .

وقد جاء بحمد الله كدرٍّ انخرط في سلك الانتظام ، أو كعقدٍ عرض له الانفصام .

اللّهمّ اهدنا سلوك طريق اليقين ، ووفّقنا لإعلاء كلمة الدين ، واجعلنا من المتمسّكين بحبلك المتين ، وصلِّ على رسولك الأمين ، والخاتم للنبيّين ، وعلى آله المرضيّين الطيّبين الطاهرين ، شموس فلك الهداية ، ونجوم اُفق الولاية .

وكتب بيده الجانية الخائنة جعفر نجل المرحوم السيّد محمّدباقر آل بحر العلوم الطباطبائي عند فراغه من تأليف هذا المجمع المنيف ، وذلك عند ضحى يوم الأضحى عاشر شهر ذي الحجّة الحرام ، من شهور سنة الألف وثلاثمائة وثلاثين في النجف الأشرف .

المحتويات

نِعم الله على العبد يقصر عندها الإحصاء، وكثيراً ما غفل عنها الإنسان،لكنّه بين حين وآخر يذعن بعجزه و حيرته فيستذكر الأمر الإلهي ((إدعوني)) ويبدأ عند ذاك التجاؤه لخالقه و بثّ شكواه إليه، و يستغيثه في كلّ شاردة و واردة. أما دعاء كميل بن زياد فقد أضحى بحدّ ذاته مدرسة كبرى ينهل منها المؤمن الدرس تلو الآخر،فهذا الدعاء - من جانب- هو كلمات الخضرعليه السلام، ومن جانب آخر نُطق أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام بها، وهو الذي أسّ للبلاغة أساسها، و شيّد للحكمة أركانها، فجاء ت عباراته تنير الظلام الحالك، و تغسل درن القلوب. فهلّم بنا -عزيزي القارئ- نستلهم العبر من فيوضات هذا الدعاء، وهو أشرف الأدعية.